المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(032)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص
(في الرد على النصارى)
لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي
(ت 727هـ)
دراسة وتحقيقاً

رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب
عبد الإله بن عبد العزيز بن صالح التويجري

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود بن عبد الرحمن قدح

العام الجامعي 1435- 1436هـ

وأشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، الأحـد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشـهد أن محمـداً عبـد اللـه ورسـوله، أرسـله بالهـدى ودين الحــق؛ ليظهــره على الــدين كلــه، وجعلــه شــاهداً ومبشــراً ونــذيراً، فأكمــل بــه الرســالات، وكــان رحمــة للعالمين.

أما بعد.

فإن الله تعالى قد أرسـل الرسـل وأنـزل الكتب؛ تبيانـاً للحق وهداية للخلق، فجـاءت الشـرائع الإلهيـة تـدعو إلى التوحيـد وتنقض الشـرك، ولمـا بعث اللـه خـاتم رسـله محمداً إلى العالمين، وكـان هـو البشـارة الموعـود بهـا في كتب الأولين، كتم أهل الكتـاب مـا جـاء بـه من النـور المـبين، وعـادوه، وكـانوا بـه من قبـل على الـذين كفـروا مسـتفتحين، ولكن انقلبـوا على أعقـابهم، وكـانوا لأهـل الشــرك متــولين، يمــدّونهم بمــا يحــاربون بــه النــبي وأصحابه، ويزعمـون أنهم أهـدى من الـذين آمنـوا سـبيلا، ولم يزل أهل الكتاب يحملون لـواء الكيـد لأهـل الإسـلام، سـالكين في ذلـك أسـاليب شـتى، وكلمـا دبـروا مكيـدة لإضـعاف المسـلمين، وتشـكيكهم في دينهم، والصـد عن دين الله، قيّض الله من أهل الإسلام من يظهر من الـدين أضعاف ما كادوا به الحق، وفي هـذا يقـول شـيخ الإسـلام ابن تيمية: (سائر أعداء الأنبياء... إذا أظهـروا من حججهم مــا يحتجــون بــه على دينهم المخــالف لــدين الرســول، ويموهون في ذلك بما يلفقونه من منقول ومعقـول، كـان ذلك من أسباب ظهور الإيمان، الـذي وعـد بظهـوره على

الدين كله، بالبيـان والحجـة والبرهـان، ثم بالسـيف واليـد والسـنان)[1]. ومـا من شـبهة أو بدعـة ظهـرت في تـأريخ المسلمين إلا وفي أهل الإسلام من ينكرها ويبطلها.

ولقد كان من أعظم ما ينشـره أهـل الكتـاب –ولاسـيما النصـارى- في ديـار المسـلمين تلـك الأسـئلة التشـكيكية، والمقالات الجدلية عن الإسلام وشرائعه، والنبوة ودلائلها، وشـبهاتهم الـتي ينصـرون بهـا دين النصـرانية المحـرف، ويتوارثونها جيلا بعد جيل، كما فعـل يوحنـا الدمشـقي في محاوراته الجدلية، أو تلميذه أبو قرة النصراني، أو ما كتبه عبـد المسـيح الكنـدي، أو كمـا في رسـالة راهب فرنسـا وغيرها[2]. ومن أهم الرسـائل الـتي تحمـل التسـاؤلات التشـكيكية، وأعظمهـا خطـراً، وأشـدها تلبيسـاً وتدليسـاً، وأكثرها احتفاءً من قِبَل النصارى: الرسالة المنسـوبة إلى بولس الأنطاكي (راهب صيدا)، وإلى أهل جزيرة قبرص -على غمـوض في كاتبهـا، وصـحة نسـبتها إليـه- إلا إنهم كـالمجمعين على مـا فيهـا، وتلقتهـا الأوسـاط النصـرانية بـالقبول قـديماً وحـديثاً، فلقـد كـانت رسـائل النصـارى وأسئلتهم الجدليـة للمسـلمين من فحـوى تلـك الرسـالة، وفي قضاياها الأساسية تتركز ردود العلماء غالبا، كما في رسالة المهتدي الحسن بن أيوب (ت قبـل سـنة 380هــ) التي نقلها ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح، وكمـا في ردّ القاضي أبي البقاء الجعفـري (ت 668 هــ) في كتابـه: تخجيل من حـرف التـوراة والإنجيـل، أو الطـوفي الحنبلي (ت716 هـ) في كتابه: الانتصـارات الإسـلامية في كشـف شبه النصرانية، ونحوها. وسـيأتي مزيـد بيـان في دراسـة الرسالة.

ولقـد اشـتهرت الرسـالة في القـرن السـابع والثـامن الهجري، وردّ عليها الفقيه القرافي المـالكي (ت684 هــ) في كتابه: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفـاجرة في الـرد

---

[1] الجواب الصحيح 1/87.
[2] ينظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد 77

على اليهود والنصارى. كما أرسلت إلى شيخ الإسـلام ابن تيميـة (ت728 هــ) فأجـاب عنهـا بكتابـه القيم: الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح. وممن رد عليهـا: شـمس الــدين محمـــد بن أبي طـــالب الأنصـــاري الدمشـــقي، المعروف بشيخ الربوة (ت727 هـ)، فإن له كتابـاً باسـم: (كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص)، ولأهمية هذا الرد، وكونه مخطوطاً ولم ينل حظاً من العناية والدراسة، آثـرت دراسـته وتحقيقـه، في مشـروع رسـالة العالميـة العالية (الدكتوراه) في قسم العقيدة باسم :

كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص

(في الرد على النصارى)

لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت 727هـ)

دراسة وتحقيقاً

وأسأل الله الهدى والسداد.

أهمية الكتاب وأسباب اختياره

لقد كان للكتاب المخطـوط أهميـة ظـاهرة، هي سـبب اختيار تحقيقه ودراسته، فمن ذلك:

1. أهميـة موضـوع الكتـاب، وهـو الـرد على النصـارى، ومجـادلتهم، وإبطـال عقائـدهم. وفي هـذا العصـر، زادت وسائل التشكيك بالمسلمين من قِبَل النصارى، مع ضعف ظاهر لعموم الأمة في التصدي لها، وهذا الكتاب لبنـة في جدار التصدي لحملات التنصير.
2. أن مؤلف هذا الكتـاب ممن عـرف بحـدّة في ذكائـه، وسعة اطلاعـه، وعـاش في عصـر شـبيه بعصـرنا، بكـثرة الحروب بين أهل الإسلام والنصارى، وظهور العداوة لأهل الإسلام.
3. أن هذا (الجواب) ردٌ على رسالة لها أهميتها ومكانتها عند النصارى، وخطورتها على أهل الإسـلام –كمـا سـيأتي بيانه-، وقد ردّ عليها العلماء، ومن أشهر من وصلنا ردّه:

أولاً: ردّ الفقيه القرافي المـالكي(ت684 هــ) في كتابـه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة).

ثانياً: ردّ شيخ الإسلام ابن تيميـة(ت 728 هــ) في كتابـه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).
ثالثاً: ردّ (شيخ الربوة) محمد بن أبي بكـر الدمشـقي(ت 727 هـ).

ولكل ردٍ سماته، ومنهجه في إبطـال عقائـد النصـارى، كما سيأتي في المقارنة بينها.

4. أن المخطـوط يعـد من المصـادر الأصـيلة في الـرد على النصارى، ونقض شبهاتهم، حيث إنـه يعتمـد على مـا كتبـه النصـارى أصـالة، ومـا زالـوا يعتمدونـه إلى عصـرنا الحاضر.
5. أن في تحقيقه إظهاراً لتراث المسلمين في مقارنــة الأديــان، وســابقتهم في نقــد الكتب المحرفــة، وقيــامهم بــواجب النصـرة والـدعوة إلى الإسـلام، وفيـه دعـوة إلى التوحيد الخالص، وإظهار لدلائله، وإبطال لدلائل الشــرك، وبيان لقبحه.
6. أن المؤلف سار على طريقة المتكلمين في نصـوص الصفات ونحوها، فكان في التحقيق تعليق وبيان لما عليه السلف من المعتقد الصـحيح، وفي هـذا تصـويب لأخطـاء المتكلمين، وقــد كــان لشــيخ الإســلام ابن تيميــة شــرح وتصويب لمحصل الرازي وللعقيـدة الأصـبهانية وهمـا في العقيدة الأشعرية الكلامية.
7. ولمــا ســبق من الأهميــة، فــإن الكتــاب مــا زال مخطوطاً، والحاجة إلى تحقيقه ودراسـته قائمـة، ولكي لا تتلقفـه الأيـدي العابثـة بـالتراث الإسـلامي في الـرد على النصــارى، لتخــدم أغراضــاً مذهبيــة ضــيقة (أشــعرية، صوفية...).

<u>الدراسات السابقة</u>

لم أجد – فيما اطلعتُ عليه- مَن تناول (شيخ الرَّبوة) بما يكشف عن حياته وآثاره، كما أن المخطوط لم يسبق له أن حقق وأخذ ما يستحقه من الدراسة، فهو جدير أن

يأخذ مكانه اللائق به في المكتبة الإسلامية في الرد على أهل الملل والأديان.

خطة البحث

وتشتمل على مقدِّمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس علمية.

المقدِّمة: وتشتمل على أمور:

- أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- شكر تقدير.

القسم الأول: الدِّراسة. ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: نسبه، ومولده، ونشأته وشيوخه، وتلاميذه.

المبحث الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الخامس: وفاته، وآثاره.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب. وفيه تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: التعريف بالرسالة المردود عليها، ومحتوياتها، وقيمتها عند النصارى.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه وتأريخه.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية، وموارد المؤلف فيه.

المبحث الرابع: الملحوظات على الكتاب.

المبحث الخامس: المقارنة بينه وبين كتاب (الأجوبة الفاخرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية.

المبحث السادس: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونسخ الرسالة المردود عليها، ونماذج منها.

القسم الثاني: النص المحقق، ويشمل الكتاب كاملاً ، ويقع في (107) لوحات.

الخاتمة: سجلت فيها أهم النتائج.

الفهارس: ذيلت البحث بفهارس علميّة على النحو التالي:

- فهرس الآيات القرآنيّة.
- فهرس الأحاديث النَّبويّة.
- فهرس نصوص أسفار أهل الكتاب.
- فهرس الأبيات الشعريّة .
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج التحقيق

سرت في تحقيق الكتاب وفق المنهج التالي راجياً من الله التوفيق والسداد:

1 - بما أنّ النّسخة التي تحت يدي هي النسخة الوحيدة، فهي المعتمدة، وسميتها (الأصل). وقابلت رسالة النصارى المثبتة في الأصل بنسخها الخطية الموجودة، وبما في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

2 - كتبت النصّ وفق الطريقة الإملائيّة الحديثة, دون الإشارة إلى الفوارق في ذلك، إلا ما كان مؤثراً.

3- أشرت إلى بداية كلِّ لوح ووجهه من المخطوط بوضع خطٍّ مائل في النّصّ هكذا: / مع الإشارة إلى رقمه في الهامش الأيسر.

4- عزوت الآيات القرآنيّة الواردة في الكتاب بذكر اسم السُّورة ورقم الآية.

5- عزوت الأحاديث النبوية: فإن كان في الصّحيحين أو أحدهما اكتفيت بمجرّد العزو إليهما، وإلا عزوته إلى بقيّة مصادر السُّنة، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته.

6- عزوت نصوص أسفار أهل الكتاب الواردة إلى مصادرها، ومع إثبات الفرق بين النص في المذكور في الكتاب والنص الحالي في عند أهل الكتاب حسب طبعتهم، متوخياً في ذلك الطبعة الأقرب للنص، وموضحاً رقم الإصحاح ثم الفقرة.

7- عزوت الآثار إلى مصادرها.

8- وثقت النُّقول التي أوردها المؤلِّف، ومع إثبات الفروق المؤثرة في المعنى إن وجدت.

9- علقت على المسائل التي تحتاج إلى تعليق، أو استدراك، أو تصويب، مراعياً الإيجاز.

10- وثقت الأبيات الشعرية, ونسبتها إلى قائليها من مصادرها.

11 – وضعت ترجمة موجزة للأعلام الوارد ذكرهم.

12- وضعت تعريفاً موجزاً بالفرق، والقبائل، والأماكن، والبلدان، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

13- شرحت الكلمات الغريبة, والمصطلحات العلمية.

14- التزمت بعلامات الترقيم, وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

15- وضعت فهارس علميّة ملحقة بآخر الرسالة، حسب ما سبق في الخطّة، وقد أخرت ذكرت بقية بيانات المراجع إلى فهرس المصادر والمراجع اختصاراً.

16- رمزت لما تكرر كثيراً اختصاراً، وهي:

(الأصل) تدل على النسخة المحققة.

(الجواب) كتاب الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(الرسالة) عند اتفاق جميع نسخ الرسالة المردود عليها. (ن1) النسخة الأولى، (ن2) الثانية، (ن3) الثالثة، حسب ما سيأتي وصفها في خاتمة الدراسة.

(ل) لوحة المخطوط، (أ، ب) وجه اللوحة. (ص) الصفحة. (ح) تسلسل رقم الحديث. (< >) ما بينهما زيادة في النص.

(فانديك) هي الترجمة التي قام بها د.سميث ود.فان ديك وبمعاونة بطرس البستاني وناصيف اليازجي ويوسف الأسير، وانتهى منها عام 1865م. طبعة دار الكتاب المقدس، مصر 2004م.

(المشتركة) هي الترجمة التي قام بها لاهوتيين من كنائس مختلفة، وصدرت عن جمعية الكتاب المقدس في لبنان. العهد القديم الإصدار الثاني 1995م والعهد الجديد الإصدار الرابع 1993م.

(الكاثوليكية) هي الترجمة التي قام بها الآباء اليسوعيون في لبنان، وصدرت عن دار المشرق. ط.الثالثة عام 1994م.

شكر وتقدير

وقبل وبعد وكل حين، أشكر الله وأحمده حمد الشاكرين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشكر ربي أن منحني والدين كريمين، فلهما الفضل والإحسان بعد الله فيما أصبته من خير، فيا رب ارحمهما وارزقني برهما.

ثم أشكر المشرف القدير الشيخ أ.د محمود بن عبد الرحمن قدح، أبا عبد الرحمن، فنعمّا رأيت قدوة في العلم والأدب، وما في البحث من خير فهو من أفضاله، وما أكثرها..

وأثني بشكري لجنة المناقشة على تفضلها بقبول الرسالة وتسديدها، فلها المنة.

والشكر موصول لقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، وأساتذته الكرام النبلاء، وأخص المشائخ الفضلاء: أ.د سعود الخلف، وأ.د صالح العقيل، ود. أحمد الغنيمان.

كما أشكر قسم العقيدة في جامعة القصيم الذي منحني فرصة دراسة الدكتوراه، وكل من ساعدني في هذا البحث، وأخص د.بدر بن ناصر العواد، ود.عبد الله الميمان، وأخي فردوس، فجزاهم الله خيراً ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

وبعد، فقد أفرغت جهدي وطاقتي فيما كتبت وحققت، راجي أن يجعله الله خالصاً صواباً، وأن ينفع به، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول: الدراسة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: نسبه، ومولده، ونشأته وشيوخه، وتلاميذه.

المبحث الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الخامس: وفاته، وآثاره.

المبحث الأول: عصر المؤلف

عاش شيخ الربوة رحمه الله في النصف الثاني من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن، بين عامي (654 – 727 هـ) وتنقل بين الشام ومصر..

هذه الفترة مُلئت أحداثاً متسارعة، وتحولات سياسية عظيمة، وصراعات ثقافية، وتقلبات معيشية؛ كأنها النتائج لما سبقها من أحوال القرنين السالفين، أو كالمقدمات الملهمات لما بعدها من تحولات.. ولم تحظ فترة من فترات التأريخ الإسلامي من الدراسة والتدوين التأريخي كما كان لهذه الفترة؛ ففيها ظهرت المدونات التأريخية الراصدة لماجريات الوقائع اليومية، وكما رصد كتّاب الفنون الأخرى في مؤلفاتهم كالأدب والعقائد ونحوها شيئاً من تأريخ الفترة.

ولما كان الأمر كذلك، ولم يكن غرض البحث كتابة تأريخية، وإنما مقدمة تعريفية بين يدي المؤلف وكتابه، اكتفيت بالإشارة عن طول العبارة، ومن رغب الزيادة فدونه الإحالة[1]

---

[1] ()كتب عن أحوال تلك الفترة والتي سبقتها (فترة الحروب الصليبية) كتابات عدة، أهمها:

- كتب التأريخ العام، كالكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وتأريخ الإسلام للذهبي والسلوك لمعرفة الملوك للمقريزي
- كتب التراجم العامة، كالوافي بالوفيات للصفدي، أو الخاصة بتلك الفترة، كالدرر الكامنة لابن حجر وأعيان العصر للصفدي.
- كتب الرحلات، كرحلة ابن بطوطة.
- كتب الأمصار، كالنجوم الزاهرة في تأريخ مصر والقاهرة لابن تغري بردي، والأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي وأمراء دمشق للصفدي، والمواكب الإسلامية

فسياسياً في هذه الفترة:

كان سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة 656 هـ على يد التتار[1]، ثم زحفهم إلى البلاد الشامية..

ومع زحف التتار على بلاد الإسلام: قام سوق الفرق الباطنية موالية للتتار[2]، وتحالف غالب النصارى مع التتار الوثنيين[3]، واستولى الوهن والخوف على قلوب كثير من المسلمين، وسارع بعض أمراء الشام إلى إعلان الطاعة

في المحاسن الشامية لابن كنان الدمشقي.

- كتب سير لأعلام وملوك، كنزهة الناظر في سيرة الملك الناصر لليوسفي، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب، والدرر البهية في ترجمة ابن تيمية لابن عبد الهادي، وكل ترجمة لابن تيمية وعصره هي ترجمة لعصر شيخ الربوة فعصرهما وموطنهما واحد.
- كتب الحروب الصليبية،، ولاسيما في نهايتها، وهي كثيرة، ينظر في الموسوعة الشاملة في تأريخ الحروب الصليبية لسهيل زكار، فقد جمع ما كتبه المؤرخون المسلمون وغيرهم حول الحروب الصليبية.

(1) التتار: هم قبائل مغولية (منغوليا: بين سيبيريا والصين) ومختلطة مع الترك، ظهرت دولتهم في القرن السابع على يد جنكيز خان، ووضع لهم رسماً لدولتهم وحياتهم يعرف بالياسق، وانقسمت دولته بين أولاده، ومنهم هولاكو الذي قضى على الخلافة الإسلامية، وهم وثنيون وبوذيون، ثم دخل بعضهم الإسلام. ينظر: الكامل لابن الأثير 12/361، سير أعلام النبلاء للذهبي 22/225، الموسوعة العربية الميسرة ص 3183.

(2) كفعل النصير الطوسي وابن العلقمي الرافضي أخزاهما الله. ينظر: البداية لابن كثير 13/200، الوافي للصفدي 1/179.

(3) كان لهولاكو المغولي زوجة نصرانية تراسل ملوك النصارى! كما أن ملك مملكة أرمينية المسيحي ممن كان له يد في دعم الجيش المغولي، ولما دخل التتار سنة 658هـ دمشق كان بين أيديهم الصليب!. ينظر: البداية والنهاية 13/248، الحركة الصليبية لعاشور 2/1060، 1123.

لهولاكو!.. فكانت بلاد الشام منقسمة بين أمراء أيوبيين أو محتلة من صليبين وتتار!.

وفي هذه الفترة نشأت دولة المماليك[1] في مصر على يد المظفر قطز فأعاد للأمة شيئاً من هيبتها بكسر شوكة التتار في وقعة عين جالوت سنة 658 هـ، ثم ضمّ الشام إلى مصر، وأزال تهافت الأمراء الأيوبيين، فكانت دولة المماليك الكبرى، والتي امتدت قرنين من الزمان ونصف القرن (من سنة 657 - 923 هـ).

وقد عاصر شيخ الربوة من سلاطين المماليك: المظفر قطز (قتل سنة 658 هـ)[2] والظاهر بيبرس (658 – 676

---

[1]() المماليك: أصل تسميتهم من كونهم مماليك للحكام يستعينون بهم في شؤونهم حتى أصبحوا القوة العسكرية لهم، وأول من استخدمهم الخليفة المأمون العباسي ثم المعتصم. ودولة المماليك بدأت في مصر سنة 648 هـ على الأرجح بعد تولي السلطنة عز الدين أيبك المملوكي ثم ظهرت دولتهم الكبرى (مصر والشام) على يد المظفر قطز سنة 657 هـ، وانقسمت دولة المماليك إلى: مماليك بحرية (حتى سنة 792هـ) نسبة إلى جزيرة الروضة في نهر النيل حيث أسكنهم فيها نجم الدين أيوب الأيوبي. ومماليك جراكسة أو برجية (من 792 حتى سنة 932هـ) نسبة إلى سكنهم في برج القلعة. ينظر: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك لعاشور ص153، عصر سلاطين المماليك لقاسم عبده ص55.

[2]() قطز: السلطان المظفر سيف الدين بن عبدالله من مماليك المعز أيبك، كان شجاعاً ديّناً. ينظر: شذرات الذهب 7/507.، السير للذهبي 23/200.

هـ)[1] والمنصور قلاوون (678 – 689 هـ)[2] والأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (689 – 693 هـ)[3] ثم الناصر محمد قلاوون[4] وقد تولى الحكم ثلاث فترات: (693 – 694 هـ) وعمره تسع سنين ثم (698 – 708هـ) ثم (709 – 741هـ) وبين هذه الفترات تولى أمراء مماليك آخرون[5].

وفي حكم هؤلاء السلاطين وقعت أحداث كثيرة، من أهمها:

- التغلب على التتار ومقاومتهم، بداية من وقعة عين جالوت، واستكمالاً بتتبع الملك الظاهر بيبرس لهم وملاحقتهم، ثم أوقع بباقيهم وقطع دابرهم المنصور قلاوون في وقعة حمص عام 680هـ، ثم في وقعة شقحب عام 702هـ وللإمام ابن تيمية دور

---

[1] () بيبرس: الملك الظاهر ركن الدين التركي البندقداري ثم الصالحي، وفي العبر للذهبي 5/308: (كان ملكاً سرياً غازياً مجاهداً مؤيداً، عظيم الهيبة خليقاً للملك، يضرب بشجاعته المثل، له أيام بيض في الإسلام وفتوحات مشهورة، ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لعد من الملوك العادلين). ينظر: الشذرات 7/610.

[2] () قلاوون:سيف الدين أبو المعالي التركي الصالحي النجمي، جاهد التتار والصليبيين مع الظاهر بيبرس. ينظر: العبر للذهبي 5/363، الشذرات 7/715.

[3] () خليل بن قلاوون: الملك الأشرف، قتله نائبه في الصيد. ينظر: العبر 5/377، والشذرات 7/738.

[4] () محمد بن قلاوون: الملك الناصر، قال ابن حجر في الدرر الكامنة 4/147: (وبنى في سلطنته من الجوامع والمدارس والخوانق الشيء الكثير جداً... ولم ير أحد مثل سعادة ملكه وعدم حركة الأعادي عليه براً وبحراً مع طول المدة... وكان مطاعاً، مهيباً، عارفاً بالأمور، يعظم أهل العلم والمناصب الشرعية). ينظر: الشذرات 8/234.

[5] () ينظر: البداية والنهاية الجزئين 13و 14 ط.دار الحديث.

مشهود،حتى آل أمر التتار إلى الاختلاف وإسلام كثير منهم[1].

- مقاومة النصارى الصليبيين، ورد عدوانهم على ممالك وحصون الشام ومصر، ففي عهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه تم استرداد الحصون والقلاع الشامية، حتى كان آخر فلولهم خروجاً سنة 690هـ [2].
- انتقال الخلافة من بغداد إلى القاهرة؛ وذلك بعد أن أقام الظاهرُ بيبرس الخليفةَ العباسي المستنصر في القاهرة وبايعه بالخلافة، سنة 659هـ؛ ولذا أصبحت مصر مركز العالم الإسلامي وقوته، ومصدراً للقضاء على كل أعداء الخلافة السنية، قال السيوطي: (وأعلم أن مصر حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت فيها البدعة، وصارت محل سكن العلماء ومحط نظر الفضلاء)[3]
- الوقوف في وجه الفرق الباطنية والرافضة بعد ظهور قوتهم واتساع نفوذهم في ظل قوة التتار والصليبيين في حربهم على أهل الإسلام، وهم سند لهم.[4] وانتشار الرفض وقوة شوكته في سلطة التتار أمر لا يكاد يخفى، ومن مظاهر ما قام به المماليك في كسر شوكتهم: المرسوم الذي أصدره الناصر

---

[1] () ينظر: البداية والنهاية لابن كثير 14/70، وتشريف الأيام والعصور لابن عبدالظاهر ص48.

[2] () ينظر: رحيل الصليبين عن المشرق في العصور الوسطى د. سعدون نصر الله.

[3] () حسن المحاضرة للسيوطي 2/66.

[4] () ينظر: مجموع الفتاوى 35/150، الكامل لابن الأثير 10/657. ومن أمثلة ذلك تآخي التنوخيون الدروز مع الصليبيين!.

قلاوون سنة 717هـ في إبطال منكرات النصيرية، وإلزامهم بعمارة المساجد [5].

وبالجملة؛ فأهل الشام ومصر هم عصبة الإسلام في ذلك الوقت، قال الإمام ابن تيمية في وصف زمانه: (ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت يعلم أن هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام علماً وعملاً وجهاداً عن شرق الأرض وغربها، فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى ومع المشركين من الترك ومع الزنادقة المنافقين من الداخلين في الرافضة وغيرهم كالإسماعيلية ونحوهم من القرامطة معروفة معلومة قديماً وحديثاً، والعز الذي للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم، ولهذا لما هزموا سنة تسع وتسعين وستمائة دخل على أهل الإسلام من الذل والمصيبة بمشارق الأرض ومغاربها مالا يعلمه إلا الله... وذلك أن سكان اليمن في هذا الوقت ضعاف عاجزون عن الجهاد أو مضيعون له، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء. وملك المشركين لما جاء إلى حلب جرى بها من القتل ما جرى.

وأما سكان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة وفيهم من البدع والضلال والفجور مالا يعلمه إلا الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون، وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد فلو ذلت هذه الطائفة والعياذ بالله تعالى لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس، لاسيما

---

[5] () ينظر: صبح الأعشى 13/33. ورحم الله ابن تيمية حين ألف منهاج السنة كشفاً لتلبيس الرافضي الحلّي، والذي كان سببا في اعتناق السلطان المغولي خدابنده للرفض.

وقد غلب فيهم الرفض وملك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض فلو غلبوا لفسد الحجاز بالكلية.

وأما بلاد أفريقية فأعرابها غالبون عليها، وهم من شر الخلق بل هم مستحقون للجهاد والغزو.

وأما المغرب الأقصى فمع استيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم لا يقومون بجهاد النصارى هناك، بل في عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم، لو استولى التتار على هذه البلاد لكان أهل المغرب معهم من أذل الناس، لاسيما والنصارى تدخل مع التتار فيصيرون حرباً على أهل المغرب.

فهذا وغيره، مما يبين أن هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام، وعزهم عز الإسلام وذلهم ذل الإسلام، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه)[1]

وأما أحوال العامة في هذه الفترة: فكانت امتداداً لدولة الأيوبيين، فكثرة تميز الطبقات الاجتماعية أصبح حالة ظاهرة؛ فهناك طبقة الأمراء المماليك، وطبقة التجار، والعسكر، والكتّاب، والفقهاء، والشيوخ المتصوفة أصحاب الطرق وأهل العمائم، والصنائعيين، والفلاحين، والأرقاء... ولكل طبقة معاشهم ونظامهم، بل ومساكنهم. ومع كل هذا كانت العامة تتفق على حماية الدولة الناشئة والوقوف في وجه الأخطار، وكلما ضعف الأمراء عن القيام بهذه المهمة أو توفير الأمن ظهرت الأطماع الداخلية والفتور عن دفع الضرائب وكثرت النزاعات، بيد

[1] () مجموع الفتاوى 28/532.

أن الفترة التي عاشها شيخ الربوة كانت في ظل الأمراء الأقوياء.[1]

وفي هذا القرن: ظهرت كثير من الإصلاحات الإدارية، والتنظيمات العسكرية، فالشام له ثماني نيابات، أكبرها دمشق الشام ثم حلب ثم طرابلس ثم حماة ثم صفد ثم غزة ثم الكرك ثم حمص، ويتبع كل نيابة ولايات وأعمال أقل منها، وفي كل نيابة دواوين للإنشاء والجيش ونحوها مما يوجد نظائرها في القاهرة محل السلطان.[2]

ومما يميز المماليك شدة العناية بتشييد المباني والأوقاف والمساجد والخوانق والأربطة والزوايا[3]،

---

[1]() ينظر: عصر سلاطين المماليك د.قاسم عبده ص 133.

[2]() ينظر: نخبة الدهر ص214، العصر المماليكي د.عاشور ص 284.

[3]() الزاوية: مسجد صغير يصلح لاعتزال الصوفي ويقصده فيه مريديه، وأغلب الزوايا فيها أضرحة!. والرباط: دار للمتصوفة أحصن من الزاوية. والخوانق: كلمة فارسية بمعنى: بيت، وهي ما يبنى للمتصوفة وفيها مرافق للخدمة، ولم تعرف إلا في القرن السادس، فهي أوسع من الرباط. وقد توسعت في عصر المماليك حتى جاوزت الأربعين، وكان لها دور في حركة الجهاد ضد الصليبيين، كما أنها أصبحت مصدر رزق للمتصوفة، يقول ابن بطوطة في رحلته ص 122 عن صوفية دمشق: (وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد وأن يتأتى له وجه من المعاش: من إمامة مسجد، أو قراءة بمدرسة، أو خدمة بمشهد من المشاهد! أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجري له النفقة والكسوة). ينظر: الدارس في أخبار المدارس للنعيمي 1/195، المواعظ والاعتبار للمقريزي 2/415، خطط الشام لكرد 6/134.

والبيمارستانات[1]، ولاسيما في مصر، كما ظهرت الصناعات الحربية وصناعة السفن والمراكب، كما حرص المماليك على تأمين التجارة وطرق التجار، وعقد الهدن من أجلها في ظل الحروب والصراعات.

ومما يعاب في هذا العصر: كثرة الإقطاعات مما أضعف الفلاحة، وإن كان للناصر قلاوون محاولات في تحجيم الإقطاعات وإصلاح الزراعة[2] والتي واجهتها كثير من الآفات بسبب الحروب والمجاعات؛ ولهذا برز الاهتمام في الزراعة وإجراء القنوات والجسور المائية والقناطر، واستجلبت المؤلفات في الفلاحة وما يصلحها، وإن كان الفلاح البسيط ظل في بعض السنوات يعاني من ارتفاع المعيشة وتدهور المحاصيل، كالغلاء والقحط الشديد الذي وقع في الشام سنة 694هـ، كما وقع طاعون وفناء في مصر في العام الذي يليه[3].

وأما عن العلم وأهله: فبعد ضعف بغداد وخرابها كانت الشام دار العلم ومهجره،[4] ولم تزل إلى أن عمر المماليك القاهرة، فكانت محل سكن العلماء ومحط رحالهم، فانتشرت المدارس والمكتبات ودور العلم على اختلاف مذاهبهم، وزادت الكتاتيب لتعليم القرآن والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وحرص سلاطين المماليك على رعاية العلماء، ورتبت النفقات على القضاة والعلماء والمعلمين من الحكام ونوابهم، باسم: المعاليم أو

---

[1]() البيمارستان: كلمة فارسية مركبة بمعنى: محل المرضى. ينظر: خطط الشام لكرد 6/157.

[2]() ينظر: البداية والنهاية 14/ 70.

[3]() ينظر: البداية والنهاية 14/301.

[4]() ينظر: خطط الشام لكرد 5/40، مدرسة الحديث في الشام من خلال القرن الثامن د.بن عزوز ص 46.

الجرايات وهي الرواتب، أو الجواميك وهي الأرزاق، أو من نظارة الأوقاف التي سادت الوراثة فيها! وتكثّر بها بعض الفقهاء وترفع عنها آخرون، وكانت محل تهمة أحياناً[1]. كما كثرت الكتب والمصنفات، وكان القرن الثامن نهاية التفوق العلمي[2].

ومما يحمد في هذا العصر محاربة العلماء والسلاطين للفرق الباطنية والرافضة؛ لذا انحسرت عن الشام ومصر بعد أن كانت لهم دولة وصولة.

وأما المظاهر الصوفية، من الاحتفالات وبناء القبب والمشاهد والركون في الأربطة والزوايا والخوانق، فهي من أهم سمات هذا العصر، وبرعاية من سلاطين المماليك، لذا كانت الطرق الصوفية تنتشر وتتشطر في مصر والشام، ولاسيما بعد هجرة المشارقة البغداديين والمغربة الأندلسيين، ومع التصوف كان المذهب الأشعري، حتى أصبحا سائدين في المفتين والقضاة وبتأييد من السلاطين، فنال كثير من أتباع المنهج السلفي ولاسيما الحنابلة أذىً ومحناً ووشايات، كالذي وقع للإمام ابن تيمية وأصحابه..

وبالجملة، كان التصوف والتمشعر سمة غالبة في التعلم والتفقه، فلا يستغرب من غير المحققين وقوعهم في غوائلهما مع كثرة التقليد والجمود.

---

(1) ينظر: البداية والنهاية 13/322، 14/109.
(2) ينظر: خطط الشام لكرد 5/49.

المبحث الثاني: نسبه، ومولده، ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه[1].

نسبه: هو الشيخ محمد بن أبي بكر بن الشيخ عفيف الدين أبي طالب بن عبدان بن فضائل الأنصاري الدمشقي الصوفي. على الأرجح[2].

[1] () المصادر الأولية في ترجمة المؤلف هي أولاً: ما كتبه الصفدي عن المؤلف، وهي أوسع المصادر وأقربها لحياة المؤلف، وهي ثلاثة كتب متقاربة في الترجمة، أوسعها كتاب أعيان العصر 4/475 ثم الوافي 3/136 ثم الشعور بالعور ص 211. وعن الصفدي أخذ ابن حجر في الدرر الكامنة باختصار 3/458. ثانياً: ما كتبه ابن الجزري في تأريخ أنباء الزمان 2/404، وعنه أخذ الذهبي في تأريخ الإسلام 12/609.
وأما المصادر الثانوية فهي مصادر متأخرة أخذت عن الصفدي غالباً أو استنبطت بعض سيرته من كتبه، ومنها: كشف الظنون ص365، 366، 1011، وكنوز الأجداد ص350، ومعجم المؤلفين 3/362، والأعلام 4/170، وهدية العارفين 2/145، اكتفاء القنوع لأدوارد 1/129، معجم المطبوعات العربية والمعربة ص881، تأريخ الأدب الجغرافي العربي 1/388، وغيرها.

[2] () هكذا جاء نسبه عند ابن الجزري في تأريخ حوادث الزمان وأنبائه 2/404، 449، وعند الذهبي في تأريخ الإسلام 12/609 ت د.بشار معروف، وفي مقدمة مخطوطة الدر الملتقط للمؤلف.
وعند الصفدي في مؤلفاته كالوافي بالوفيات 3/136، وفي أعيان العصر 4/475، نسبه إلى جده محمد بن أبي طالب، وتبعه ابن حجر في الدرر الكامنة 3/458، وهو المثبت في مقدمتي مخطوط السياسة في علم الفراسة ومخطوط جواب رسالة أهل جزيرة قبرس، وعليه غالب المترجمين والمفهرسين، كمعجم المؤلفين لعمر كحالة3/362، والأعلام للزركلي 4/170.
وسماه بروكلمان في تأريخ الأدب العربي 2/161: محمد بن إبراهيم بن أبي طالب، ولعله تصحّف عليه اسم أبي بكر أو اشتبه بمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الدمشقي المعروف بالأكفاني، معاصر لشيخ الربوة، وله دراية بالطب

ولم تذكر المصادر شيئاً عن أبيه، وأما عن جده: عفيف الدين أبو طالب، أو طالب،

فكان صوفياً من صلحاء أتباع أحمد الرفاعي شيخ الطريقة[1]، وروى ابن الجزري المؤرخ مناقب الرفاعي عن شيخ الربوة عن جده[2]، قال عنه علم الدين البرزالي:

والحساب، وألف في الفراسة. ينظر: أعيان العصر 4/225. والصفدي إنما نسبه لجده مع معرفته له – كما نقل عن البرزالي ذلك في أعيان العصر 4/477- لاشتهاره بذلك؛ حيث ولادته ونشأته كانت عند جده، وابن الجزري والذهبي يثبتان أبيه وجده عن معرفة ودراية فقولهما أثبت.

[1]() الطريقة الرفاعية أو الأحمدية أو البطائحية، نسبة إلى أحمد بن علي بن أبي الحسين الرفاعي نسبة إلى رفاعة بيت من العرب، قدم أبوه من الغرب، وولد بالبطائح - قرى بين البصرة وواسط العراق – مطلع الخمسمائة، وتوفي سنة 578هـ ولم يعقب، تفقه قليلاً على مذهب الشافعي، من الفقراء المتصوفة، قال عنه الذهبي في العبر 3/75: (كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على النفس وسلامة الباطن، لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق!: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان) كما أشار إلى مثل ذلك ابن تيمية، ووقع له مناظرة مع الرديء من المنتسبين إلى الرفاعي، وبين انحرافهم عن الشريعة وكذبهم على شيخهم. ينظر: مجموع الفتاوى 11/445، سير أعلام النبلاء 21/77، الأعلام 1/174، الفكر الصوفي ص 562.

[2]() ينظر: تأريخ الإسلام للذهبي 12/610، وابن الجزري هو: محمد بن إبراهيم الدمشقي، المؤرخ الفقيه، ت 739هـ له كتاب في التأريخ أسمه حوادث الزمان وأنبائه.ينظر: الدرر الكامنة 3/103.

(كان صالحاً يصلي الجمعة دائماً تحت النسر)[1] كان مقيماً في قصر حجاج في دمشق[2]، وله فيه زاوية تعرف باسم زاوية طالب[3] قال عنه الذهبي: (أحد مشايخ الأحمدية بقصر حجاج، رجل صالح وقور، يعمل السماع! [4] وله زبون وأصحاب مات في صفر (سنة 683) وشيعه الخلق)[5].

---

[1] () عن أعيان العصر للصفدي 4/477، والبرزالي: القاسم بن محمد، علم الدين، مؤرخ الشام ومحدثها، ت 739، له: المقتفى في التأريخ والمعجم الكبير لشيوخه. ينظر: الدرر الكامنة 3/237.
والنسر: هي قبة النسر في الجامع الأموي في دمشق، سميت بذلك لشبهها بالنسر، وقد جددت مرات عديدة. ينظر: معجم البلدان 2/467، والمواكب الإسلامية في المحاسن الشامية 1/423.

[2] () قصر حجاج: هو الذي بناه حجاج بن عبد الملك بن مروان في جنوب غربي دمشق، خارج باب الجابية، وسميت المنطقة باسمه حتى الآن. ينظر: معجم البلدان 4/357.

[3] () تعرف بالزاوية الطالبية الرفاعية، قال النعيمي في الدارس في تأريخ المدارس 2/159: (الزاوية الطالبية الرفاعية بقصر حجاج، قال ابن كثير في سنة ثلاث وثمانين وستمائة: وممن توفي فيها الأعيان الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج، وله زاوية مشهورة به) وينظر: خطط الشام لكرد 6/137، وخطط الشام لأكرم العلبي ص 430.

[4] () السماع عند الصوفية: الاجتماع على استماع الأشعار والغناء، قال عنه الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 11/531: (لا نزاع بين أئمة الدين أنه ليس من جنس القرب والطاعات والعبادات). والمتصوفة ليسوا على حال واحدة في الافتتان به. وينظر: الاستقامة لابن تيمية 1/216، والكلام على مسألة السماع لابن القيم، وفيه تفنيد لشبهات المتعلقين فيه.

[5] () تأريخ الإسلام للذهبي 15/495، وينظر في سيرته: البداية والنهاية 13/304، ذيل مرآة الزمان لليونيني 4/214، عقد الجمان للعيني ت. د.محمد أمين (العصر المملوكي) 2/335.

مولده ونشأته: ولد شيخ الربوة في زاوية جدّه عفيف الدين في سنة 654هـ، وفيها نشأ وتربّى، فكانت نشأته صوفية، وتعلم فيها علوم الصوفية وأخبارهم، قال عنه الصفدي: (كان ذكياً، وعقله بفهم الغرائب زكياً)[1] فعرف الرمل والأوفاق وأسرار الحروف[2]، وتكلم في علم الكيمياء[3]، وكان صاحب عقل ناقد؛ فناقش الكيميائيين

---

[1] أعيان العصر 4/476.

[2] الرمل من أضرب الكهانة والتنجيم المتفق على حرمته، والأوفاق وأسرار الحروف: البحث في خواص الحرف إفراداً وتركيباً، والزعم أن لها تأثيرا، ومنه كتابة أبي جاد، وهو من طرائق السحر والتنجيم، وقد انتشرت في بلاد المسلمين، وألف فيها غلاة الصوفية كالبوني وابن عربي، وأصبحت من علومهم!! ينظر: مقدمة ابن خلدون ص 664، أبجد العلوم لصديق حسن ص421، رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق للصنعاني ص 21 ت.الوصابي، موقف الإسلام من السحر د.حياة باأخضر 1/274.

[3] الكيمياء قديماً يراد به: سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواصاً لم تكن لها، وهدفها: تحويل المعادن الخسيسة إلى ثمينة واكتشاف إكسير الحياة (حجر الفلاسفة: مركب يحافظ على الحياة ويمنع الشيخوخة!) وأصل هذا من خرافات اليونان ثم شاع في أهل الإسلام عن طريق الفلسفة أو التصوف أو كليهما؛ تبعاً لأصولهما ولما فيه من الرمزية والإشارة، ثم طوّرَ البحث في المعادن علماء المسلمين إلى صناعة تعتني بطبائع الأجسام وتحولاتها وتفاعلاتها، وهي الكيمياء الحديثة. ينظر: قصة الحضارة 13/187.

أنكر جمهور العلماء الكيمياء القديمة وأنها ضرب من الخداع والغش أو نوع من السحر، ومنهم: يعقوب الكندي، والبيروني في كتابه: تحقيق ما للهند من مقالة.. ص 133، وابن تيمية وابن القيم وابن خلدون. ينظر: تحقيق ما للهند من مقالة في العقل مقبولة أو مرذولة للبيروني ص133، مفتاح السعادة لطاش زادة 1/317، وممن أبطلها شيخ الربوة في نخبة الدهر ص51 ونقدَها نقد خبير بها، مطلع على أسرارها.

وأبطل مزاعمهم في صحة الكيمياء[1]، وكان واسع الإطلاع له معرفة بأقوال المتقدمين، وقدرة على الدخول في الفنون بعقله، يبهر لب سامعه، وصفه الصفدي بقوله: (كان من أذكياء العالم وأقوياء الفهم، الذي من رزقه فقد سلم وسالم، له قدرة على الدخول في كل فن، وجرأة على التصدي لكل ما سنح في الأذهان وعنّ)[2].

ثم مهر في الفراسة وأسرار النفس الإنسانية حتى قال الصفدي: (الذين رأيتهم يقومون بعلم الفراسة ثلاثة: شيخنا نجم الدين بن الكمال[3].. وهذا الشيخ شمس الدين، والحكيم أسد اليهودي[4])[5]

عاش متنقلاً بين بلدان الشام وأغوارها، فسبرها وعرف سهلها وجبالها، فوصفها وصف خبير بها، ودخل مصر وقابل علماءها، ورحل إلى الصعيد وشاهد أحوالها[6]، وهذا غاية ما وصل إليه، وإن كان له معرفة في البلدان وطبائعها وجغرافيتها، وبالأراضي وما يصلحها، وسماتها وعيوبها، وبالصناعات المائية والأدوات وأصول الحرف.

فنشأته الصوفية، ومعارفه المتنوعة، جعلته محلاً لتولي أعمالا عامة، من أولها: **مشيخة خانقاه حطين،**

---

[1] () ينظر: نخبة الدهر ص52.
[2] () أعيان العصر 4/374.
[3] () نجم الدين حسن بن محمد الكمال القرطبي القرشي الصفدي،خطيب صفد وقاضيها، توفي سنة 723هـ. ينظر: أعيان العصر 2/232.
[4] () ويعرف بالسيدة، يهودي ذكي يحترف الطب والجراحة، عالج بعض أمراء المماليك، وتباحث مع ابن تيمية وابن الوكيل، ت بعد 730هـ. ينظر: أعيان العصر 1/488.
[5] () أعيان العصر 4/479.
[6] () ينظر: نخبة الدهر ص287.

فعرف بشيخ حطين، وهو الخانقاه الصلاحي[1] في قرية حطين[2]، وكان يخدمه في هذا الخانقاه النجم الحطيني[3]، وقد ابتلي بسببه وأوذي؛ وذلك أن النجم كان جريئاً على الأهوال فتاكاً، فاتفق أن جاء إلى الخانقاه فقير ليبيت فيه، فرأى النجم معه ذهباً فاستدرجه وقتله في الطريق ونهبه وهرب، فبلغت القضية نائب صفد الأمير سيف الدين كراي[4] فأمر بإحضار الشيخ شمس الدين وضربه

1() قال عنه محمد علي كرد في خطط الشام 6/152: (أنشاه صلاح الدين، ولم يبق منه إلا مطبخه وأنقاضه) وهو غير الخانقاه الصلاحية علو كنيسة القيامة في القدس.

2() حطين: قرية تقع على سفح جبل حطين بين طبرية وعكا، في قضاء طبرية في الجليل، تبعد عن مدينة طبرية فرسخين (9 كم) وفي سهلها وقعت المعركة الفاصلة مع الصليبيين لتحرير القدس سنة 583هـ. ينظر: معجم البلدان 2/234، نخبة الدهر ص 261. وهي الآن داخل أراضي المحتل اليهودي ومستعمراته.

3() يعرف بنجيم وهو: أيوب بن أحمد، كان شيطاناً فتاكا لا يردعه عقل ولا شرع، دخل في خدمة الشيخ شمس الدين بحطين من غير رغبة من الشيخ وكان يخاف على نفسه منه، ولم يزل يتردد عليه في الربوة، وكان يغلق أبوابها حذراً منه، فما يكاد يسلم من شره! خالط بعض مماليك السلطان الناصر، فانتفع منهم وتلاعب بهم إلى أن طلبه السلطان وسمّره من القاهرة إلى دمشق سنة 715هـ. ينظر: أعيان العصر 5/496، الدرر الكامنة لابن حجر 4/388.

4() سيف الدين كراي المنصوري السلحدار (صاحب السلاح)، تولى نيابة صفد في سلطنة الناصر قلاوون، واستقال منها سنة 700هـ ثم تولى نيابة دمشق سنة 711هـ كان شديد المهابة والديانة. ينظر: أعيان العصر 4/150. وصفد: مدينة في الجليل الأعلى شرقي عكا، في فلسطين، استردها صلاح الدين من الصليبيين سنة 584هـ، ثم عادت لفرسان الداوية النصارى حتى استردها الظاهر بيبرس سنة 664هـ، تمتاز بكثرة البساتين، وكانت زمن المؤلف نيابة عن السلطنة تتبعها قرى وأعمال، كالناصرة وعكا والشقيف وصور. ينظر: معجم البلدان 3/412، المواكب الإسلامية لابن كنان 2/132، وهي الآن ضمن نفوذ

ألف مقرعة، على ما قيل، وعوقب زماناً ثم أفرج عنه، وفي حاله مع النجم يقول شعراً[1]:

الله أكبر يا الله من قـدر   حارت عقول أولي الألباب في صدره

نجم به كسفت شمس وذا عجب أن يكسف الشمسَ جرمُ النجم مع صغره

ثم إن شمس الدين اتصل بالأمير جمال الدين الأفرم[2] وأعجب به، فولّاه **مشيخة الربوة وإمامتها**[3]، وكان ذلك سنة 709هـ، وفي إمامته كثر رواد الربوة حتى نسب إليها، وكانت جرايته قريب من أربعمائة درهم في الشهر[4]، لكنه استناب بها غيره، وسافر إلى طرابلس[5]

الاحتلال اليهودي لفلسطين.

[1] ينظر: أعيان العصر 4/477.

[2] جمال الدين آقوش الرجبي المنصوري الأفرم، كان نصرانياً فأسلم وأعتقه السلطان المنصور وأمّره، تولى نيابة دمشق سنة 698هـ في عهد الناصر، كان شجاعاً حكيماً محبوباً، شارك في ردّ التتار عن الشام ونكل بالباطنية، وتلطف مع الإمام ابن تيمية في محنته، توفي بعد 720هـ في همدان. ينظر: أعيان العصر 1/561.

[3] الربوة: موضع نزه ومليح في لحف الجبل الغربي لدمشق (قاسيون) ويشرف على الغوطة، وبها جامع وعدة مساجد ومدارس وأوقاف، وهي رأس بساتين دمشق، وبها منابع مياهها، ويشقها نهر بردى، وقد تغنى بجمالها وحسنها الشعراء. ينظر: رحلة ابن بطوطة 1/329، المواكب الإسلامية في المحاسن الشامية لابن كنان 1/291، منادمة الأطلال لابن بدران ص404. وهي الآن مع حسنها أفسد مما مضى!.

[4] ينظر: تاريخ حوادث الزمان لابن الجزري 2/404.

[5] طرابلس: مدينة على البحر الشامي (الروم) بين اللاذقية وعكا، من أعمال دمشق، استعادها المنصور قلاوون من النصارى سنة688هـ، وهدم المدينة القديمة المشرفة على البحر وبناها في السهل. ينظر: معجم البلدان 4/25، مراصد

وأقبل على نائب سلطنتها فولّاه **الحسبة**[1] **بحصن الأكراد**[2]، وأضاف معه غيره، وولّي في الربوة غيره، وبقي شيخ الربوة في حصن الأكراد مدة ثم عُزل.

ثم ولّاه نائب صفد **وكالة فرّادية**[3] من أعمال صفد، وفيها يقول:

قل للمقيمين بفرّادية		من ذا الذي أفتى بإفراديه

ومن لحيني في الهوى عامداً		أصدرني من قبل إفراديه

الإطلاع 1/91. وهي الآن إحدى المدن الشمالية في لبنان.

[1] () الحسبة في العهد المملوكي: نظام وظيفته المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات، والفصل المباشر بينهم، فيما هو دون اختصاص القاضي، وللمحتسب مكان رفيع وسلطته تتفاوت حسب ولايته. ينظر: معجم الألفاظ التأريخية في العصر المملوكي لمحمد دهمان ص 61، خطط الشام لكرد 5/124.

[2] () حصن الأكراد: حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، بين بعلبك
وحمص. قال ابن بطوطة في رحلته 1/266: (بلد صغير كثير الأشجار والأنهار بأعلى تل) وقد كان ثغراً فيه أكراد ثم أخذه الفرنج الاسبتارية مدة إلى أن استرده المنصور قلاوون سنة 669هـ. ينظر: معجم البلدان 2/264، نخبة الدهر ص258، زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة لبيبرس ص127.

[3] () الوكالة: الفندق أو الخان للتجار، فيه نزل لهم وفناء لعرض بضائعهم، وفي العصر المملوكي كان لها قائم يتولى تنظيمها. ينظر: المواعظ والاعتبار للمقريزي 3/170، العصر المماليكي د.عاشور ص484. وفرّادية: من أعمال صفد،في الجنوب الغربي منها، تبعد عنها 10كم، وتعرف الآن فراضية، ودمرها المستعمر اليهودي وأقام مستعمرة (بارود). ينظر: القرى المدمرة في فلسطين نشر الجمعية الجغرافية المصرية.

كما تولى **مشيخة قرية علمين**[1]، وبقي في بلاد الساحل[2] متنقلاً من مكان إلى مكان، وآخر ما تولى **حسبة حبراض**[3].[4]

وهذه الأعمال تدل على مخالطته لنواب تلك البلدان، ونفوقه فيهم، مع ما يملكه من سعة اطلاع على أخبار الناس وأحوالهم وغرائبهم، وحسن أدب ونظم لطيف ولفظ مليح، قال عنه ابن الجزري: (وكان من المشايخ الفقراء الظرفاء الفضلاء النبلاء الأكياس، وعنده فضائل في علوم كثيرة، منها: الترسل والنظم المليح، وعلى ذهنه حكايات، وطرف جيد من التأريخ وأخبار المشايخ

---

[1] () وتعرف بقرية علمين الفقراء، قريبة من قرية مغران (نغران) بالقرب من الشريعة عند جسر يعقوب، كذا وصفها الصفدي في أعيان العصر 4/476. وهي الآن من قرى الجولان المحتلة على الضفة الشرقية.

[2] () بلاد الساحل: هي المطلة على البحر الشامي (ساحل الروم) وقاعدته طرابلس، ولها بلدان وأعمال وحصون، منها: طرسوس، واللاذقية، وحصن المرقب، وعكار، وغيرها. وفي زمن المؤلف (القرن السابع) ينتشر في بعض جبالها الإسماعيلية والنصيرية الملاحدة، وهي من آخر ما خرج منه النصارى. ينظر: نخبة الدهر ص257.

[3] () كذا في تأريخ ابن الجرزي 2/449. وحبراض: قال الزركلي في الإعلام 7/139: (ولم أجد حبراض فيما بين يدي من كتب البلدان) علق العلاونة في نظرات في الإعلام ص144: (لعل حبراض تصحيف حبراص، وهي قرية قرب أربد بالأردن، وفيها آثار رومانية ومملوكية تبعد عن دمشق 70كم) قال شيخ الربوة في نخبة الدهر ص202: (ومن جهة قبلة دمشق حبراص وعملها، وبأرضها مغارة العجب) وهي من قرى حوران، والآن تتبع أربد في شمال الأردنّ.

[4] () ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري 2/449.

والفقراء، ومن خطه نقلت كرامات سلطان العارفين سيدي أحمد بن الرفاعي)[1].

لم تكن تلك الوظائف التي تولاها تبلغ مُنية نفسه، ولا مطلب أمله، فلم ينل في حياته حظاً من الغنى أو السؤدد، بل تقلب بين فقر وحرمان، وكان من نظمه يرثي نفسه[2]:

تأدّب حتى لم يجد من يُناظره   وحتى قَلَتْه كتبُه ودفاترُه

ودارس ما فيها فلم يرَ ذا حجىً   وذا أدب مما يراه يُحاوره

وطاب به الحرمان من كل جانب   وظل إليه الفقر تسعى بوادره

فلو رام بحراً زاخراً وهو ظاميٌ   يحاول منه شربة غاص زاخره

وله نظم حسن، قال الصفدي: (كان له نظم ليس بطائل، وكان ربما عرض علي القصيدة وطلب مني تنقيحها، فأغير منها كثيراً)[3] وقال: (وكان ذكياً، وعبارته حلوة، ما تمل محاضرته)[4]

شيوخه وتلاميذه: لم يعرف لشيخ الربوة شيوخ تلقى عنهم غير جدّه أبي طالب ولم يسجل في تلاميذه غير النجم الحطيني! ومن المستبعد أن لا يكون قد أخذ عن

---

[1] () تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري 2/449.
[2] () أعيان العصر 4/479.
[3] () الوافي بالوفيات 3/136، وينظر: أعيان العصر 4/477.
[4] () أعيان العصر 4/476.

الشيوخ وقابلهم أو لم يتتلمذ عليه ويوخذ عنه؛ وهو قد طاف البلاد الشامية والمصرية، وتولى أعمالاً هي محط نظر العلماء كالحسبة والمشيخة.

ومن أهم من لقيهم شيخ الربوة: مَنْ كانوا يترددون على زاوية جدّه، ويروون أخبار الفقراء والمتصوفة كأخبار الرفاعي التي رواها المؤرخ الجزري عن شيخ الربوة عن جدّه. كما أن كتبه كانت محل إعجاب العلماء وسماعهم، فكتابه السياسة في علم الفراسة أخذه عنه الصفدي وعنه كتبه جملة من العلماء في مصر والشام[1].

ولعدم بروز شيخ الربوة في العلم الشرعي والرواية، واشتغاله بالوظائف، وكثرة تنقله ثم انعزاله، جعله خالياً من سجلات الشيوخ والتلاميذ، وإنما عرف بأعماله ومؤلفاته التي تدل على سعة إطلاع وتنوع، ولهذا يصحّ أن يقال عنه: إن شيوخه كتبه وتلاميذه مؤلفاته!.

[1] () ينظر: أعيان العصر 4/478.

المبحث الثالث: عقيدته ومذهبه.

عاش شيخ الربوة في نشأته الأولى في بيت ينتسب إلى التصوف، وفي بيئة تفشى فيها التمشعر، ولاسيما في الولاة والقضاة والعمّال، وإن وجدت بدع ونحل ضالة أشتاتاً، ونور السنة وبقايا السلف ظاهران مع قلة المعين .. فكان لنشأته وللبيئة أثرهما في بناء عقيدته، وكان لسماته الشخصية والعلمية مغالبة وانفلات من ربقة التقليد أحياناً، قال الصفدي مبيناً حال شيخ الربوة في معتقده: (فكنت يوماً أراه أشعرياً، ويوماً أراه معتزلياً، ويوماً أراه حشوياً، ويوماً أراه يرى رأي ابن سبعين[1] وقد نحا طريقه) وعلل ذلك بقوله: (لأنه لم يكن له علم، وإنما كان ذكياً)[2] .

وفي تحليل ما كتبه شيخ الربوة نجد مبالغة من الصفدي في وصفه؛ فإن غاية أمره أنه لم يكن يتعصب لرأي ولم يخرج عن الحالة العامة للأشاعرة المتصوفة، ويتجلى ذلك فيما يلي:

كان التصوف لشيخ الربوة سلوكاً مظهرياً في شخصه وما تولاه من مشيختي حطين والربوة، ولم يكن عن عقيدة غالية، فكان يروي أخبار الصوفية وأحوالهم من غير تبيّن لواقع غلاتهم؛ إحساناً للظن بهم، وهي من سمات شخصيته، فهو يجلّ الإمام ابن تيمية السلفي وابن عربي الوجودي![3]. وكان ينكر عقيدة وحدة الوجود ويرى أنها من آثار الصابئة، ولهذا شنع على معاصره الحريري

---

[1] () ابن سبعين: عبد الحق بن سبعين الأشبيلي، ت669هـ، وخلف كتباً ورسائل في معتقده في وحدة الوجود. ينظر: بغية المرتاد لابن تيمية ص418، العبر للذهبي 3/320.

[2] () أعيان العصر 4/476، وينظر: الوافي 3/136.

المعروف بابن إسرائيل[1] القائل بوحدة الوجود، ومن شعره:

أنتم حقيقة كل موجود يرى   وجميع هذا الكائنات توهم!! [2]

ولم يكن محتفياً بذكر المتصوفة كثيراً في كتبه، بل حين ذكر الفراسة الإلهامية في كتابه الفراسة وأثبتها للأنبياء والأولياء لم يكن مغالياً فيها كحال غلاة الصوفية[3].

وفي مسائل أصول الدين، سار على طريقة المتكلمين الأشاعرة في الجملة ، ولاسيما في منهج الاستدلال، وتأويل الصفات.

ففي منهج الاستدلال: زعم أن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن، ولا يستدل به في اليقينيات ولاسيما العقائد[4]، واستخدم الألفاظ المجملة والمصطلحات الكلامية في

---

[3]() ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص (الرد على النصارى) ل: 2 ص88، ل64 ص273.

[1]() ابن إسرائيل: محمد بن سوار بن إسرائيل الشيباني، ولد عام 603 وتوفي 677هـ وهو على طريقة ابن الفارض في القول بوحدة الوجود، وله شعر في ذلك. ينظر: البداية والنهاية 7/282 .

[2]() نخبة الدهر ص45، وينظر في إبطاله القول بوحدة الوجود في كتابه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص (الرد على النصارى) ل: ب/88 ص332، والتعليق عليه في ذلك الموضع.

[3]() ينظر: السياسة في علم الفراسة ص 4 ط. الوطن.

[4]() ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: ب/67 ص265، وقد تعقبته في ذلك الموضع، وأبنت منهج السلف في تلقي الأخبار.

إثبات المسائل العقدية عوضاً عن الألفاظ الشرعية، كلفظ: التجسيم، وواجب الوجود، والكمية[1].

وفي ردّه على قول الفلاسفة بالموجب الذاتي أو العلة الأولى أو أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، استعمل طريقة المتكلمين المتأخرين كالرازي والآمدي ولم يخرج عن دلائلهم، ومثل ذلك في إثبات واجب الوجود أو إبطال القول بالتسلسل[2] .

وفي نصوص الصفات: جرى على طريقة المتأولة الأشاعرة، فأول النصوص وزعم أن ظاهرها غير مراد، وإنما هو على سبيل المجاز والاستعارة، فأول صفة المجيء، والاستواء، والوجه، واليدين، والعينين[3] .

وفي مسائل التوحيد كان على قول السلف فيما وقفت عليه: فأبطل قول الصابئة والشرك بالنجوم والأفلاك، وبيّن أن حقيقة قولهم: تقديس مخلوط بشرك، ولم ينقل شيء من

ذلك عن الأنبياء، وأن الزعم بأنها صور عن الملائكة باطل. وقال فيمن زعم تأثير الكواكب ونحوها بالسعود والنحوس : (وقد كذبوا فيما زعموه)[4].

---

[1] () ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: 67/أ ص281. وقد تعقبته في ذلك الموضع.

[2] () ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: 103 وما بعدها ص397، وقد تعقبته في ذلك الموضع.

[3] () ينظر: جواب رسالة أهل جزيرة قبرص ل: 90، 91، ص353 وقد تعقبته في ذلك الموضع، وأبنت معتقد السلف في إثبات الصفات وما يجب من الإيمان فيها.

[4] () نخبة الدهر ص 45.

وفي مسائل القضاء والقدر: فلم يخرج عن قول السلف فيه، ولم يوافق الأشاعرة في قولهم بالكسب[1]، قال رحمه الله: (إن الإنسان كاسب، مثاب ومعاقب، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وأن الله سبحانه أراد من العالمين ما هم فاعلوه، ولم يجبرهم، ولو عصمهم ما خالفوه، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولم يخرج أحد منهم عما قدّره)[2].

ومما لا يمكن تجاوزه عند ذكر عقيدة شيخ الربوة: ما تميّز فيه من تفصيل مذاهب الباطنية وإبطالها، وأن حقيقة قولهم: إسلام في الظاهر وكفر في الباطن وإبطال للشرائع. وخلاصة ما هم عليه: توفية الطبع حقه من الأكل والشرب والنكاح لا غير ذلك.[3]

وبعد، فإن شيخ الربوة وإن وافق المتصوفة والأشاعرة في الجملة فأنه لم يكن متمسكاً برأي طائفة أو شيخ يتعصب له، بل كان يتبع ما وصله من العلم والدين، ولكن ضعف بضاعته في علوم السنة وآثار السلف أوقعه في أغلاط زمانه.

وأما مذهبه الفقهي: فلم ينتسب إلى شيء من المذاهب أو يُنسب إليها، ولم يكن له جهود فقهية يعرف بها، لكن هناك ما يدل على قربه من المذهب الشافعي، من ذلك: أنه نشأ في بيت جده الصوفي الرفاعي الشافعي. وأيضاً: تولى أعمالاً تسند غالباً في زمن

---

[1] () ينظر في قول الأشاعرة بالكسب وتطوره: الملل والنحل للشهرستاني 1/155، وفي إبطاله ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 8/403.

[2] () نخبة الدهر ص 270.

[3] () ينظر: نخبة الدهر ص 203.

المماليك إلى الشافعية. وفي كتابه (الفراسة) اعتنى بكلام الشافعي وترضى عليه على طريقة الشافعية. وهذه الأمور غير كافية في القطع بنسبته إلى الشافعية، ولاسيما وأن كتب تراجم الشافعية لم تذكر له ترجمة.

المبحث الرابع: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه.

من خلال تتبع أقوال العلماء الذين قابلوا شيخ الربوة نجد ثناءاً وإعجاباً بشخصيته وقدراته العلمية. وممن اجتمع به مرات عديدة ومدة مديدة الصفدي في صفد، وقد وصفه بأنه من (أذكياء العالم، وأقوياء الفهم، وله قدرة على الدخول في كل فن)[1]. وأيضاً: ابن الجزري ووصفه بقوله (عنده فضائل في علوم كثيرة)[2].

وبمقارنة ما قيل فيه وما تولاه من أعمال وما وصلنا من مؤلفاته تظهر مكانته العلمية، ومن أهم ما يمكن رصده في شخصيته العلمية ما يلي:

- أنه كان ذكياً قوي الفهم، ويظهر ذلك أن دخوله في العلوم برأيه وعقله أكثر منه بنقله وعلمه، كما في رده على النصارى.
- أنه كان عالماً بأقوال الناس والفرق فيما عاصره كأحوال الفرق الباطنية بالشام، ولم يكن ينقلها عمّن كتب في الفرق، ولذا لم يكن له خبرة بأقوال الفرق في أصول الدين على جهة التفصيل، وقلّ سياق ذلك في مؤلفاته، كما لم يكن ذا خبرة

---

[1] ينظر: أعيان العصر 4/475، ونقله عنه ابن حجر في الدرر الكامنة 3/458.

[2] ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري 2/449.

بالآثار والمرويات، فقلّت الآثار في كتبه، وراج عليه ما لا يصح منها.

- أن معرفته بعلوم الصوفية لم يكن عميقاً، ولذا لم يكن حاضراً في مؤلفاته، لاسيما كتاب الفراسة الذي جرى فيه على أقوال المتفرسين بالنظر في صفات الإنسان وخلقته، لا على الطريقة الصوفية القائمة على التجلي والكشف! وعنايته بالتصوف كانت بأخبار المتصوفة وأحوالهم وأشعارهم كما نقل ذلك عنه ابن الجزري[1].
- وله إطلاع على علم الكلام، والفلسفة وأقوال الفلاسفة، ومعرفته بالفلسفة الإلهية أقل منها معرفة بالفلسفة الطبيعية[2] التي كان ملماً بها، ولهذا حين ينقل أقوال الفلاسفة في الإلهيات ربما اختلطت عليه أقوالهم، كما في آخر رده على النصارى.
- ومعرفته وجودته وتمكّنه بالطبيعيات المتعلقة بالإنسان وسماته، أو الحيوان وطبائعه، أو النبات والأرض والمعادن ظهرت في كتبه: الفراسة ونخبة الدهر والدر الملتقط، قال كراتشكوفسكي عن مؤلفاته: (يكشف بعضها عن اهتمام ومعرفة جيدة بالعلوم الدنيوية)[3] وساعده على ذلك تنقله في

---

[1] () ينظر: تأريخ حوادث الزمان لابن الجزري 2/449.

[2] () تنقسم الفلسفة إلى نظرية وعملية، والفلسفة النظرية تشمل ثلاثة علوم: العلم الطبيعي وموضوعه: الأجسام وما يلحق بها من الحركة والسكون، وهو من أوسع علوم الفلاسفة القدماء. والعلم الرياضي وموضوعه: المقادير والأعداد. والعلم الإلهي وموضوعه: الوجود المطلق! ولواحقه. والفلسفة العملية تشمل: تدبير نفسه بالأخلاق، والخاصة وأهل المنزل، والعامة بالسياسة. ينظر: في الفلسفة الأولى للكندي ص30، أبجد العلوم ص466. وينظر تعليق ابن تيمية على التقسيم في مجموع الفتاوى 9/123.

[3] () تأريخ الأدب الجغرافي العربي 2/386.

بلدان الشام ومصر، وتوليه أعمال الحسبة في بعض نواحيها.

المبحث الخامس: وفاته وآثاره.

أصيب شيخ الربوة في العشر سنوات الأخيرة من حياته بصمم وألم، وكان به انفتاق في أنثييه يثور به كل قليل ويقاسي منه شدة، وكان قد كبر سنه وأنقى شيبه، وأضر من عينه الواحدة، مع قلة وفقر ووحدة[1]، فانعزل في بيمارستان صفد[2]، وظل فيه إلى أن توفي سنة 727هـ[3].

لم يخلّف شيخ الربوة ذرية، ولم تذكر المصادر أن له زوجاً، وإنما خلف آثاراً علمية، ومؤلفات تنسب إليه، وبالغ في تقديرها الصفدي بقوله: (رأيت له عدة من التصانيف في كل علم حتى في الأطعمة ...وكان من أفراد العالم، وله في كل شيء يتحدث فيه مصنف)[4]، ولم تذكر المصادر من أسماء مؤلفاته ما يتجاوز حدود اليد الواحدة![5]، وهي ما يلي:

أولاً: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر[6]

---

[1]() ينظر: الوافي بالوفيات 3/137، أعيان العصر 4/477.

[2]() بناه تنكز الناصري (ت741) نائب السلطنة في دمشق، وكان مليحاً. ينظر: الوافي بالوفيات 8/341، تأريخ البيمارستانات في الإسلام لأحمد عيسى ص234.

[3]() ذكر ذلك البرزالي المحدث الثبت فيما نقله عنه الصفدي في أعيان العصر 4/476، وعنه ابن حجر في الدرر 3/459، وعليه غالب المترجمين.

وذكر الصفدي في الشعور بالعور ص211 وفي الوافي بالوفيات 3/137: أنه توفي عام 725هـ وقال: (فيما أظن). وأرخ ابن الجزري في تأريخه حوادث الزمان 2/449 وفاته في عام 731هـ، ولم يذكر ذلك غيره.

[4]() أعيان العصر 4/475، 478. وفي: الوافي بالوفيات 3/137.

[5]() في تقديري أن المؤرخ الصفدي توهم في ذلك؛ ربما لرؤيته الكتاب مفرقاً فظنه عدة كتب، ولاسيما كتاب نخبة الدهر أو الدر الملتقط، أو ربما رأى ما نسخه بيده فظنه من تصنيفه.

نسبه إليه متأخرو المترجمين له كحاجي خليفة وكحالة والرزكلي والبغدادي وغيرهم[1].

وهو من أشهر كتبه وأوسعها، وقد ألفه بعد 723هـ، حيث أشار فيه إلى زلزلة وقعت في الشام في تلك السنة[2].

وموضوعه: في الكوزموغرافيا[3] والجغرافيا البشرية. وقال عنه محمد علي كرد: (وقد أجاد في وصف جغرافية الشام، فصور حالتها في القرن السابع والثامن، والأرجح أنه طافها كلها، ولم يقصر في جغرافية مصر... ووصف بلاد السودان والزنج والبربر وغيرهم في أواسط أفريقية مما لم يطلع عليه علماء الجغرافيا إلا في العهد الأخير)[4]. بينما أشار كراتشكوفسكي إلى تحفظ العلماء الأوربيين في تقدير قيمة الكتاب، وأنه دون المؤلفات الأخرى في الموضوع نفسه، لكنه أثنى على تبويب الكتاب وترتيبه، واهتمامه بالنبات والحيوان والمعادن وطبقات الأرض،

---

[6]() أول طبعة له خرجت عن أكاديمية العلوم الروسية، بعناية مهرن (mehren) في بطرسبرغ سنة 1866م، عن نسخة مخطوطة في كوبنهاجن، وعن طبعة نادرة لجزء منه بعناية فرين (fiahn). ينظر: تأريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان 1/388. ثم طبع اعتماداً على الطبعة الأولى في دار إحياء التراث في دمشق عام 1988م. وله نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة. ينظر: المنتخب من مخطوطات المدينة لكحالة (جغرافية4).

[1]() ينظر: كشف الظنون ص365 وسماه (تحفة الدهر)، معجم المؤلفين 3/362، الأعلام 4/170، هدية العارفين 2/145، اكتفاء القنوع لأدواردافا 1/129، معجم المطبوعات العربية والمعربة ص881..

[2]() ينظر: نخبة الدهر ص84.

[3]() الكوزموغرافيا: علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه، ويشمل علم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا.

[4]() كنوز الأجداد لكرد، ترجمة رقم (46) ص350.

كما أنه يفوق غيره في وصف الشام وفلسطين ومعرفته[1]. ومما يميز الكتاب وصفه للفرق المبتدعة، وأماكنها، ولاسيما الباطنية في الشام[2].

وشيخ الربوة في نخبة الدهر يشير إلى مصادره غالباً، ومن أهمها: كتب الأقدمين، كالمجسطي لبطليموس، والأحجار لأرسطو. ومنها: كتب التأريخ والرحلات، ككتب الخوارزمي والبلخي أحمد بن سهل، وأبو الفرج بن قدامة، والمسعودي، وابن الأثير، والبكري، وابن حوقل. ومنها: كتب المعادن، ككتب جابر بن حيان وابن وحشية. ومن أشهر من نقل عنه: الوطواط ويلقبه أحياناً بأحمد الطيني والمصري والوراق[3]، وقد توافق معه في كثير من المصادر والمباحث، حتى زُعم أن شيخ الربوة ناقل عنه! ولم يرتضِ هذا كراتشكوفسكي[4]، وأنه يخالف واقع الكتابين.

ثانياً: الفراسة أو السياسة في علم الفراسة[5].

---

[1] () ينظر: تأريخ الأدب الجغرافي العربي 2/387.

[2] () ينظر مثلاً: نخبة الدهر ص 203.

[3] () الوطواط: جمال الدين محمد بن إبراهيم الكتبي، ت718هـ، وكتابه باسم (مباهج الفكر ومناهج العبر) ولا يعرف عن حاله شيء كثير. ينظر: المخطوطات الجغرافية العربية د.الغنيم ص 127، مجلة المشرق السنة (10) ص723 مقالة جرجس الماروني الحلبي.

[4] () ينظر:تأريخ الأدب الجغرافي العربي 2/388.

[5] () طبع سنة 1299هـ/ 1882م في مطبعة الوطن في مصر، وهي طبعة جيدة، وللكتاب عدة نسخ مخطوطة: في معهد المخطوطات العربية في القاهرة، وفي مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.
وهو غير كتاب شمس الدين محمد بن إبراهيم الأكفاني المعروف باسم (أساس الرياسة في علم الفراسة) مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس رقم 2726، ولابد أنه أفاد من

نسبه إلى شيخ الربوة غالب من ترجم له، قال الصفدي: (كتبته بخطي من خطه، وتناولته منه بصفد، ولم أرَ في كتب الفراسة مثله، وقد نقله مني جماعة أفاضل بمصر والشام، منهم الشيخ شمس الدين الأكفاني، لأنه جمع فيه كلام الشافعي رضي الله عنه، وكلام ابن عربي، وكلام صاحب المنصوري، وكلام أفلاطون، وكلام أرسطو، فجاء حسناً إلى الغاية)[1]

هذا الاستحسان إنما وقع؛ لحسن ترتيبه وتبويبه، ولجمعه ما تفرق من كلام المتقدمين في الفراسة، حيث إن عمدته في الكتاب على سبعة مصادر، وجعل لكل واحد

كتاب شيخ الربوة فقد نقله عن الصفدي، وفيهما تقارب في المصادر. ينظر: الفراسة عند العرب ليوسف مراد ص47.
وجاء في معجم المؤلفين لكحالة 3/362 تسمية (نهاية الكياسة) من مؤلفات شيخ الربوة، ولا أظنه إلا اسم آخر لكتاب الفراسة.

[1] () أعيان العصر 4/478، ووهم في ذكر أفلاطون، وصوابه أفليمون.

رمزاً، وهم: أفليمون[1]، وأرسطو[2]، والرازي الطبيب[3]، والرازي المتكلم[4]، وإيلاووس[5]،

والشافعي[6]، وابن عربي الطائي[7].

لكن يؤخذ عليه: نقله الحرفي من الفراسة للفخر الرازي[8]، ولم يُشر له!، كما نسب إلى الإمام الشافعي ما نقل عنه في الفراسة من غير نظر وتدقيق، وجمع كل ما

---

[1] () أفليمون (أفليون): خبير في الفراسة، وله مصنف فيها، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. ينظر:عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1/27، تاريخ الحكماء للقفطي ص60، الأعلام 7/439.

[2] () أرسطو: عاش بين 384- 322 ق.م. كتب في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والسياسة والأخلاق والشعر، وله كلام في الفراسة في كتابة سر الأسرار. ينظر: أرسطو عند العرب د.بدوي ص58، إغاثة اللهفان لابن القيم 2/255، الفراسة عند العرب د.مراد ص63.

[3] () الرازي: هو أبو بكر بن زكريا، صاحب كتاب المنصوري في الطب، وفيه فصول في الفراسة، نسب إلى الإلحاد وإنكار النبوات، ت311هـ. ينظر: السير للذهبي 14/355، إغاثة اللهفان 2/179، من تأريخ الإلحاد د.بدوي ص163، الفراسة عند العرب ص67.

[4] () الرازي: الفخر محمد بن عمر القرشي البكري، ابن خطيب الري، الأشعري المتكلم، له كتاب في الفراسة لخص فيه كلام أرسطو وزاد عليه، حققه د.يوسف مراد على ثلاث نسخ خطية. ينظر: السير للذهبي 20/500،

[5] () إيلاووس لم أجد له ترجمة، ولم يكن لرمزه إشارة في الكتاب!. وذكر د.يوسف مراد في كتابه الفراسة عند العرب ص 46 احتمالين هما: إيلاوس بروميطس الطبيب ولم يعرف بالفراسة أو أبوليوس سوفسطائي في القرن الثاني الميلادي نسب إليه رسالة في الفراسة، ورجح أنه أبقراط اليوناني بدليل ذكره في الكتاب. لكن شيخ الربوة أشار إلى أبقراط صريحاً باسمه من غير رمز، مما يضعف أنه المراد، فربما الاسم ورمزه كان في بداية أمره ثم أعرض عنه، ولم يشر له الصفدي.

قيل من غير تعقّب ولا تحقيق، ويعتذر له في ذلك فيما أشار إليه في مقدمته: من قصده جمع ما كان من باب الفراسة المكتسبة[1] التي تؤخذ بالعلم والتعليم، وهي محل التجارب كحال الطب وإن كانت دلالتها أضعف، ولهذا نقل كل ما وقف عليه ورتّبه، وفي الجملة؛ فالكتاب يدل على سعة إطلاعه، ومعرفته بالعلوم الطبيعية.

ثالثاً: الدر الملتقط من علم فلاحتي الروم والنبط[2].

6() الإمام الشافعي: محمد بن إدريس القرشي المطلبي، ت 204، ذكر ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي وآدابه ص96، والذهبي في السير 10/38: أن الشافعي رحل إلى اليمن وجمع كتاباً في الفراسة. وأشار ابن القيم في مفتاح دار السعادة 2/219: إلى كثرة ما نسب إلى الشافعي في الفراسة ولا يصح أكثره، وأصله ما رواه الحاكم وابن أبي حاتم، كما أبطل دعوى نسبة التنجيم إلى الشافعي، وإنما المأثور عنه قوة الفراسة وجمعه لها.

7() ابن عربي الطائي له كتاب مخطوط في الفراسة باسم التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، وله كلام في الفراسة في كتابه المشؤوم الفتوحات المكية 3/350 (فتح 148) وغالب كلامه على طريقة المتصوفة من ذكر المخاريق بدعوى الإلهام والكشف!.

8() قارن بين المقالة الأولى عند الرازي والمقالات الثلاث الأُول عند شيخ الربوة.

1() الفراسة نوعان: الأول: مكتسب، وهو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة. والثاني: إلهامي، وهو ما يقع في قلوب المؤمنين من المعاني والحقائق من غير برهان، وهذا بالغ فيه المتصوفة وأسسوا عليه قواعد باطلة من الاستدلال بالذوق والكشف. ينظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية 11/205، 20/42، مدارج السالكين لابن القيم 2/52، السياسة في علم الفراسة ص4.

2() مخطوط، له في دار الكتب المصرية نسختان، الأولى: رقم 21 زراعة، من غير تأريخ نسخ، ويبدو أنها في القرن الثامن. والثانية: برقم 84 زراعة، نسخت عن الأولى في 20 جمادى

نسبه إليه الزركلي[1] وأحمد عيسى[2]

ويبدو أنه من أول ما ألف، ففي أول المخطوط نسب إلى مشيخة حطين حيث أول أعماله.

وهو يحتوي على مقدمة كالفهرس له، و29 باباً، وفيها: ذكر الشهور الأعجمية وما ينيغي أن يعلمه الفلاح منها، وقواعد حسابية فلاحية، وما يؤثر في النباتات، والأرض صالحها وفاسدها وما يصلحها، وحفر الآبار، وأحوال أهل القرى، والسموم والأدوية، والحشرات وتربية النحل، وتربية الداجن والأنعام..

ومصادره في هذا الكتاب: أشار إليها في المقدمة، وهي كتب بابلية نبطية أو رومية، مترجمة[3] عن طريق ابن وحشية[4] والزيات[5] وثابت بن قرة[6]. ويغلب على الظن أنه استفاد ونقل أغلب مباحث الكتاب من ابن وحشية في

الثانية سنة 1336هـ، بيد إبراهيم يوسف مبروك النساخ. ينظر: تاريخ النبات عند العرب لأحمد عيسى ص124.

(1) الأعلام للزركلي 4/170، وأشار أنه مخطوط في دار الكتب.

(2) تأريخ النبات عند العرب لأحمد عيسى ص 124.

(3) قال ابن خلدون في مقدمته ص652 عن الفلاحة: (هذه الصناعة من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشؤه بالسقي والعلاج واستجادة المنبت وصلاحية الفصل وتعاهده بما يصلحه ويتمه من ذلك كله. وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة، وكان النظر فيها عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر، فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك. وترجم من كتب اليونانيين، كتاب الفلاحة النبطية، منسوبة لعلماء النبط، مشتملة من ذلك على علم كبير. ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً، فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملةً).

كتابه الفلاحة النبطية[1]، وأغفل ما لا تعلق له في الفلاحة والنبات فكان تهذيباً لبعض ما فيه مما يخص الفلاحة والنبات.

رابعاً: كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص. محل التحقيق، وسيأتي الحديث عنه.

خامساً: مقامة في وصف الربوة.

ذكرها المؤرخ ابن الجزري في تأريخه[2]، ولم أجد لها ذكر عند غيره.

سادساً: تصنيف في أصول الدين.

---

[4]() ابن وحشية: أبو بكر أحمد بن علي بن قيس النبطي الكلداني، اختلف في مولده ووفاته، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث ومطلع القرن الرابع، قومه من الصابئة، له مؤلفات في الطب والكيمياء والسموم والفلاحة والنجوم وغيرها، أغلبها مترجم عن الكلدانية. ينظر: الفهرست لابن النديم ص433، 504، الأعلام 1/170.

[5]() الزيات: أبو طالب أحمد بن الحسين بن علي، صاحب ابن وحشية، وأخذ عنه بعض ترجماته. ينظر: الفهرست ص433.

[6]() ثابت بن قرة الحراني، أبو الحسن الصابئ، رفع شأنه الخليفة المعتضد، ماهر في الطب والفلسفة والهندسة والحساب ومعرفة باللسان السرياني، وله مؤلفات وترجمات عدة، ت288هـ. ينظر: السير للذهبي 13/486، أخبار العلماء بأخيار الحكماء للقفطي ص93.

[1]() كتاب الفلاحة النبطية، مشهور، كبير الحجم ذو أجزاء، بعضها مخطوط وبعضها مفقود، فيه خلط للفلاحة بالتنجيم، نشر صوراً منه فؤاد سزكين سنة 1984، له طبعة مشهورة حقّقها د.توفيق فهد، صدرت عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق 1988م، اختلف في مؤلفه الأصلي، وترجمَه ابن وحشية وأملاه على تلميذه ابن الزيات سنة 318هـ. ينظر: الفهرست ص433.

[2]() تأريخ حوادث الزمان وأنبائه 2/404.

ذكره الصفدي، وعنه كحالة[3]، ولم أجد له أثر.

سابعاً: نظم لطيف.

ذكر بعضاً منه الصفدي[2]، ومن ذلك قوله:

للنفس وجهان لا تنفك قابلةً مما تقابل من عال ومستفل

كنحلة طرفاها في مقابلة فيها من اللسع ما فيها من العسل

وقوله:

نظر الهلال إليه أول ليلة فرآه أحسن منظراً فتزيدا

ورآه أحسن وهو بدر فهو من غم يذوب ويضمحل كما بدا

[3] () ينظر: أعيان العصر 4/475، معجم المؤلفين 3/362.

[2] () أعيان العصر 4/479، وينظر: الدرر الكامنة 3/459.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب.

وفيه تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: التعريف بالرسالة المردود عليها، ومحتوياتها، وقيمتها عند النصارى.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه وتأريخه.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية، وموارد المؤلف فيه.

المبحث الرابع: الملحوظات على الكتاب.

المبحث الخامس: المقارنة بينه وبين كتاب (الأجوبة الفاخرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية.

المبحث السادس: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها.

التمهيد: التعريف بالرسالة المردود عليها، ومحتوياتها، وقيمتها عند النصارى.

الرسالة المردود عليها هي: رسالة أهل جزيرة قبرص، وقد أرسل منها نسختان:

الأولى: إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانت قبل سنة 720هـ. [1]

---

[1] () ذكر الصفدي في نصرة الثائر ص91: أن رسالة أهل قبرص وصلت إلى يد كليام التاجر الفرنجي سنة 720هـ، وأن الإمام ابن تيمية أجاب عنها بمجلدين. وهذا يدل على وصولها إليه قبل ذلك، ويقدر أن الجواب الصحيح كتب سنة 717هـ، وفي مخطوط الرسالة ن3: أن الرسالة بعثت إلى ابن تيمية في شهور سنة 716هـ. ينظر: مقدمة د.الطويان لكتاب النبوات ص88. وبعث الرسالة من القبارصة إلى شيخ الإسلام لا غرابة فيه؛ فالرسالة القبرصية لشيخ الإسلام والتي كتبها في مطلع السبعمائة الهجرية يطلب من ملك قبرص فكاك أسارى المسلمين والإحسان إليهم كانت محل تعارف بين الإمام والقبارصة، وبين الرسالة والجواب الصحيح قريب من خمس عشرة سنة.

والثانية: إلى شيخ الربوة الدمشقي، وصلت إليه عن طريق كليام[1]، في سنة 721هـ[2] .

وقد أختلف العلماء في مؤلفها، فالأكثرون ينسبونها إلى بولس الأنطاكي[3]، حيث ينسب إليه رسالة إلى

---

[1] () ترجمته في مقدمة الجواب، وقد توهم شيخ الربوة فجعل كليام مشاركاً في محاورة علماء النصارى في الاستفصال عن بعض ما يعتقدونه، فكليام هو المرسل للنسخة فقط، وأما المحاور: فمخطوطات الرسالة تشير إليه بصيغة المجهول، وفي رسالة بولس الأنطاكي تشير إلى أنه المحاور لهم، وأن بولس قد قابل أكابر النصارى من بلاد الروم والقسطنطينية والأفرنج ورومية وغيرها وكتب ما يعتقدونه في النبي عليه الصلاة والسلام والقرآن والإسلام.

وفي النفس شيء من صدق ذلك؛ فإن صياغة هذه الشبهات والاستدلال لها من القرآن ونصوص الكتب السابقة بترجمة عربية مشهورة لا يتقنها إلا من خالط أهل الإسلام وعرف علومهم ولسانهم، وهذا لا يكون إلا من نصارى المشرق، ونصارى الغرب في ذلك الزمن يستبعد أن يصدر منهم مثل ذلك؛ فهم أقل معرفة ودراية بالعلوم والفلسفة.

[2] () يحتمل وصولها إلى شيخ الربوة عن طريق المؤرخ الصفدي الذي اطلع عليها سنة 720هـ، ولما بينهما من لقاءات في صفد.

[3] () بولس الأنطاكي: لا يعرف من سيرته إلا نزر قليل، راهب من أنطاكية، واختير أسقفاً لصيدا، ملكاني المذهب، له رسائل فلسفية على طريقة أرسطو في إثبات العقائد النصرانية، منها: رسالة مختصرة عقلية، والفرق المتعارفة من النصارى واتفاقها واختلافها، وشرح التوحيد والاتحاد، وغيرها. وقد اختلف في عصره، فقيل: في القرن الثالث عشر الميلادي، قاله الآب لويس شيخو، وغراف. وقيل: في الرابع عشر الميلادي، قاله الآب جورج قنواتي وسهيل قاشا. واختار د. عبد الراضي أنه عاش في القرن العاشر. ويقرب أنه عاش في الثالث عشر أو قريب منه. ينظر: مجلة المشرق الكاثوليكية 1/840، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو ص69، تاريخ الأدب

بعض أصدقائه من المسلمين في صيدا[1]، وموضوعهما وأفكارهما وكثير من ألفاظهما متوافقة[2].
وقد نقل القبطي الصفي بن العسال في كتابه الصحائح[3] رسالة قريبة من رسالة القبارصة ونسبها إلى ملوك النصارى[4].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرسالة: (إن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى... وما

العربي المسيحي لغراف 2/72، أدب الجدل والدفاع في العربية لموريتس ص85، المسيحية والحضارة العربية للآب جورج قنواتي ص268، تأريخ التراث العربي المسيحي للأقباط للآب سهيل قاشا ص336، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبد الراضي عبد المحسن ص63.

[1] () رسالة بولس الأنطاكي إلى بعض أصدقائه من المسلمين في صيدا، لها عدة نسخ خطية، محفوظة في مكتبة الفاتيكان وغيرها. ينظر: أدب الجدل والدفاع في العربية ص86. نشرت أولاً في باريس سنة 1903م، ثم نشرها لويس شيخو في مجموع مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى، ثم حققها بولس خوري مع ترجمة إلى الفرنسية سنة 1964م وطبعها معهد الآداب الشرقية في بيروت.

[2] () ينظر: المسيحية والحضارة العربية للآب جورج قنواتي ص 268، تأريخ التراث العربي المسيحي للأقباط للآب سهيل قاشا ص337.

[3] () صفي الدولة بن العسال، من أسرة العسال القبطية المشهورة في القرن السابع الهجري، كاتب في ديوان الجيش ت1260م، جمع قوانين الكنيسة القبطية، وله مجادلات في نصرة العقائد النصرانية، منها: الصحائح في جواب النصائح، ألفه تلبية لطلب البطريك كيرلس بن لقلق، ووهم شيخو في ظنه أن النصائح لابن سيد الكل القفطي ت697هـ فإن القفطي له النصائح في الرد على الرافضة لا النصارى. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي8/390. ينظر: في ترجمة ابن العسال: المخطوطات العربية لكتبة النصارى ص 12، المسيحية والحضارة العربية لقنواتي ص216.

[4] () ينظر: الصحائح في جواب النصائح لابن العسال ص 37.

ذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة، وهي مضافة إلى بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، كتبها إلى بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصرانية، .. وقد عظم هذه الرسالة، وسماها: الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم)[1].

رجح شيخنا د. عبدالراضي أن رسالة أهل قبرص هي رسالة بولس الأنطاكي المختلف في عصره، وأنها في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، وأن ابن العسال نقل منها، وأن رسالة المهتدي الحسن بن أيوب[2] إلى أخيه كانت ردّا على رسالة بولس، ويستدل لرأيه: بتطابق مباحثهما، وبعض ألفاظهما، واحتفاء الإمام ابن تيمية برسالة الحسن ونقله لأغلبها، لكون المردود عليه واحد.

---

[1]() الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 1/98. وتسميته بالكتاب المنطيقي لم أجده عند غيره.

[2]() الحسن بن أيوب كان نصرانياً فأسلم وكتب لأخيه علي يبين له سبب إسلامه وفساد النصرانية وصحة الإسلام، ويقدر أنه عاش في القرن الرابع الهجري، ولا تعرف له ترجمة سوى الإشارة إليه في الفهرست للنديم ص221، وذكره فيمن لا يعرف أمره من متكلمة المعتزلة، ونقل شيخ الإسلام في الجواب الصحيح كتاب الحسن إلى أخيه، وهو يدل على تبحره في النصرانية وأن إسلامه كان عن معرفة وبصيرة. ينظر: الجواب الصحيح 4/88، أدب الجدل والدفاع في العربية ص 165.

وفي تقديري أن الاستنتاج في نظر؛ لأن القرن العاشر فيه الكثير من الجدل الكلامي والفلسفي بين المسلمين والنصارى الذي لا يمكن معه إغفال بولس أو رسالته لما يحمله من قيمة فلسفية عند النصارى، ومع ذلك لم يشر له أحد بأدنى إشارة! مما يدل على تأخره عن ذلك، وأنه عاش في عصر الحروب الصليبية أو بعدها بقليل، زمن لا يحتفى بشرقي مثله، وابن العسال القبطي نقل مثل رسالة بولس ولم ينسبها إليه، فلو كانت من تأليفه لما خفي على مهتم بجمع تراث النصارى مثله.

وأما تطابق المباحث بين رسالة بولس ورسالة الحسن فليس أمراً مرجحاً؛ لكون المسائل المثارة من النصارى تكاد تكون واحدة، ينقلها المتأخر عن المتقدم.

والمختار: أن الرسالة قديمة ومنشأها من نصارى المشرق الملكانيين، واحتفى بها ملوك الروم، وتناقلها النصارى بينهم، يزيدون وينقصون فيها، ويظهرونها لمواجهة المسلمين بالتشكيك في دينهم، وبولس الأنطاكي أرسلها إلى بعض أصدقائه المسلمين في صيدا، وأهل قبرص أرسلوها إلى الإمامين: ابن تيمية وشيخ الربوة عن طريق كليام التاجر الفرنجي، ويدل على ذلك أمور:

- وجودها بأزمنة أقدم من زمن بولس الأنطاكي، كما ذكر الإمام ابن تيمية، ويحتمل أن الحسن بن أيوب استفاد منها في كتابه إلى أخيه.
- أن الصفي بن العسال نسبها إلى ملوك النصارى، لا شخص معين.

- أن بولس الأنطاكي نسب إليه رسائل وكتب فاقت العشرين، وما صح نسبته إليه على التحقيق خمس مؤلفات![1] مما يجعل الانتحال عليه كثير؛ مما يضعف أن يكون أصل الرسالة من تأليفه.
- أن رسالة أهل جزيرة قبرص لم تنسب إلى بولس الأنطاكي في أي من المخطوطات، وقد عثرت على ثلاث نسخ مختلفة أقدمها سنة 737هـ، واثنتين منها مصدرة باسم رسالة أهل جزيرة قبرص إلى ابن تيمية.
- وجود فوارق بين الرسالتين، وهي طفيفة في الشبهات والحوارات، لكن توجد زيادة ونقص في بعض الألفاظ، وزيادة في الأدلة القرآنية والنصوص الكتابية وبعض المعاني في رسالة أهل قبرص، وهذا يدل على تغاير بين الرسالتين، وأن أصلهما واحد.

وأما محتوى رسالة أهل جزيرة قبرص: فقد احتوت بطريقة سردية شبهات موجهة لأهل الإسلام ودفاع عن دين النصرانية، ولخصها شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه بقوله: (ومضمون ذلك ستة فصول:
الفصل الأول: دعواهم أن محمداً لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك.
الفصل الثاني: دعواهم أن محمداً أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.
الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين، كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوات، تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك، بأنه حق وصواب، فيجب التمسك

---
[1] () عن حاشية محقق الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 1/99.

به، ولا يجوز العدول عنه إذا لم يعارضه شرع يرفعه، ولا عقل يدفعه.
والفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافق للأصول.
والفصل الخامس: دعواهم أنهم موحدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة، كألفاظ الأقانيم; فإن ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.
والفصل السادس: أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع يزيد على الغاية ، بل يكون ما بعد ذلك شرعا غير مقبول)[1]
ويضاف : محاولتهم نفي التحريف والتغيير عن كتبهم، ومدافعتهم عن تسميته الله تعالى جوهراً.
وبالجملة؛ فالرسالة تكذيب برسالة النبي ، ومحاولة لتثبيت عقائد النصارى بالمنقول والمعقول.
وأهمية هذه الرسالة عند النصارى كبيرة، فقد أخذوها بالقبول مع جهالة كاتبها! فلا زالوا يتناقلونها، ويقتبسون منها[2]، فهي عمدته في القديم كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية، ولم تخرج شبهاتهم غالبا عنها، ولهذا اكتفى بها ابن العسال القبطي في بيان

[1] () الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 1/104.
[2] () ينظر: مقدمة لويس شيخو للرسالة في مقالات دينية قديمة ص1، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبد الراضي ص .

موقف النصارى من أهل الإسلام[3]، وتظهر خطورتها بما يلي:

- أنها جمعت الشبهات المثارة ضد الإسلام والقرآن والنبي ، فكانت عمدة كل نصراني مشكك.
- أنها اعتمدت على الآيات القرآنية ونصوص الكتب السابقة المجملة في الاستدلال.
- أن لغتها سهلة وترتيبها منطقي في الجملة، مع اعتمادها على التفلسف ودعوى الدلالة العقلية في معضلات العقائد النصرانية كالتجسد والتثليث.
- ما تحمله من سمات جعلتها محل وفاق في الجملة بين طوائف النصارى المختلفة، ومن أهم تلك السمات:
  - o أنها تتجه لإثارة الشبهات ضد عقائد أهل الإسلام في الله عز وجل، والقرآن، والنبي ، ومحاولة تصحيح دين النصارى جملة.
  - o أن الرسالة ذكرت أصول العقائد النصرانية المتفق عليها من غير تفصيل لاختلافات الفرق النصرانية.

فرسالة بهذه الأهمية جعلها محل أجوبة العلماء، وإبطالها إبطال لما دونها من كتب النصارى ورسائلهم.

---

(3) الصحائح في النصائح لابن العسال ص40.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه وتأريخه.

اسم الكتاب:

(كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص)

كذا جاء في الصفحة الأولى من المخطوط.

ولم أجد من أسماه بغير ذلك غير موريتس أسماه: الجواب بالنفثات السبوحية عن رسالة أهل الملة المسيحية. ونسبه إلى أبي بكر بن علي التروحي[1].

وهذا وهم ظاهر، فإنه أخذ العنوان من آخر المخطوط، وأبو بكر التروحي هو الناسخ.

نسبته إلى مؤلفه:

نسب الجواب في الصفحة الأولى من المخطوط إلى شيخ الربوة الدمشقي، ونسبه إليه بعض المتأخرين من المستشرقين، اعتماداً على ذلك، ومنهم: أردمان فريتش[2]، وموريتس شتينشيدر[3]، وكراتشكوفسكي[4] وغيرهم.

ومما يدعم صحة نسبة المخطوط إلى شيخ الربوة ما يلي:

- ورود أبيات شعرية في المخطوط نسبها الصفدي إلى شيخ الربوة، وهي قوله:

يا من تعالى أن يجوز بذاته   وصفاته التلويح والتصريح[5]

---

[1] أدب الجدل والدفاع في العربية ص57.
[2] الإسلام والمسيحية في العصر الوسيط ط.1930م.
[3] أدب الجدل والدفاع في العربية ص173.
[4] تأريخ الأدب الجغرافي العربي ص287.
[5] ينظر: ل أ/87 ص344.

- مطلع الجواب في قوله: (أجاب به العبد بالذات والصفات الفقير إلى الله من كل الوجوه والجهات) كأنه مطلع كتاب السياسة في علم الفراسة.
- أسلوب الجواب ولغته تدل على تشابه مع مؤلفات شيخ الربوة كنخبة الدهر.

ولما سبق، مع نسبة المخطوط في مطلعه إلى شيخ الربوة، ولكونه لم ينسب إلى غيره، صح الاطمئنان بنسبة المخطوط إلى شيخ الربوة الدمشقي.

سبب تأليف الجواب وتأريخه:

الباعث على تأليف هذا الجواب هو وقوف المؤلف على الرسالة النصرانية المشككة، فكتب جوابه حمية للدين، وطلباً للثواب، ودعوة إلى الإسلام. كما جاء في مقدمة الجواب.

وكان تأريخ وصول رسالة أهل جزيرة قبرص إلى شيخ الربوة في صفر سنة 721هـ وكمل جوابه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه.

لقد كـان الكتـاب جوابـاً لرسـالة بعث بهـا النصـارى، فهـو متقيد بمـا ورد في الرسـالة من مواضـيع، ينقضـها فصـلاً فصلاً، من أولها إلى آخرها، فجـاء جوابـه شـاملاً لشـبهات النصارى واستدلالاتهم الـواردة في الرسـالة، وهي غـالب ما يستدل بها النصارى على أهل الإسلام.

ففي خطبة الكتـاب: بعـد الثنـاء على اللـه بمـا هـو أهلـه، وتنزيهه عن الإشراك والحلول والاتحاد، ثم الشهادة لنبيــه بالرسالة، وأنه بشارة الأنبياء -عليهم السلام-قبله، ذكــر سبب تأليفه.

ثم شرع في جواب أولى مسـائل الرسـالة، وهي دعـوى النصارى: أن رسـالة النـبي خاصـة بـالعرب. ثم أعقبهـا بــذكر البشــارة بنبــوة نبينــا محمد في الكتب الســابقة وأخبار الكهان وغيرهم، ثم ذكر نكتاً في: رد بعض ما عليه النصارى كعقيدة الصلب والفداء، وفرقهم، وحال المسـيح وحوارييه، وقسطنطين الملـك وعقـده مجمعـاً للنصـارى، وأشار إلى وسطية هذه الأمـة، وتفسـير بعض البشـارات، وختم بإبطال ما احتج به النصارى على خصوصية الرسالة المحمدية.

ثم عقــد اثــني عشــر فصــلاً، في كــل فصــل يســوق كلام صاحب الرسالة ويجيب عليه.

الفصــل الأول: أجــاب عن دعــوى النصــارى: أن القــران صـحح مـا هم عليـه بتعظيم المسـيح وأمـه، وأنـه صـحح الأناجيل، وهذا أوجب لهم عدم ترك ما هم عليه.

الفصــل الثــاني: بيّن حجج القــرآن وبراهينــه الدالــة على بطلان اعتقاد النصارى، وتحريف التوراة واختلاف نسخها،

وحال الأناجيل، واختلافها، وضرب مثالاً في: مولد المسيح ونسبه.

الفصـل الثـالث: أجـاب عن دعـوى النصـارى: أن القـرآن أثــنى على المســيح وأتباعــه، وأمــر نبيــه محمــداً أن يسألهم، وهذا يدل على نفي تهمة تحريف أناجيلهم. كيـف وقد كتبت باثنين وسبعين لساناً؟ فأبطـل كـل ذلـك ببيـان التبديل ونفي التواتر، وبيـان كيـف تقـررت الأناجيـل، كمـا بين ابتــداع النصــارى لشــرائعهم من الصــلوات والصــيام والحلال والحرام.

الفصــل الرابــع: أجــاب عن دعــوى النصــارى: أن الكتب السابقة صححت ما هو عليـه من اعتقـادات، وأن القـرآن أمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن، وأنه أثنى على سلوكهم. فــبين شــرك النصــارى، والحاجــة إلى بعث الرســل وختم النبــوة، كمــا أبطــل زعمهم أن تلاميــذ المســيح رســل معصومون، وأبطل ما يزعمونه من مخاريق.

الفصــل الخــامس: أجــاب عن دعــوى النصــارى: أنهم موحــدون، وأن تثليثهم من جنس مـا عنـد المسـلمين من نصـوص الصـفات، واسـتدلالهم بمـا في القـرآن والكتب السابقة على التثليث، ففسر ما جـاء في القـرآن والكتب السابقة ودلالته على التوحيد لا التثليث.

الفصـــل الســـادس: أجــاب عن دعــوى النصــارى: أن اعتقـادهم بالتجسـد ثـابت، في كتب الأنبيـاء المتقـدمين، كالتوراة والزبور.

الفصل السابع: أجاب عن دعوى النصارى: أن القرآن إنما ذم اليهــود لانحــرافهم عمّــا جــاءت بــه الرســل، وهم متمسكون بما جاءت به الرسل. وذكر مناظرة وقعت له، كما أبطل زعمهم بنوة المسيح وأنه إله من إله، كما أشار

إلى قضـــية الصـــلب، وســـيرة بـــولس ومـــا أحدثـــه في النصرانية.
الفصل الثامن: أجاب عمّا استدل به النصارى على صــحة التثليث (كالتتمة لما سبق) وبيّن فساد الأمثلـة المضـروبة له، وأشار إلى بطلان التجسد والاتحاد.
الفصل التاسع: أجاب عن دعوى النصارى: أن المسـلمين يثبتون الصفات، وهذا يـوهم التجسـيم وأن التثليث مثلـه. فبين أن لا حجة للنصارى في ذلك.
الفصل العاشر: أجاب عن اعـتراض النصـارى على إنكـار المسلمين قولهم بالجوهر.
الفصـل الحـادي عشـر: أجـاب عن دعـوى النصـارى: أن موسى –عليه السلام- جاء بشريعة العدل، وعيسى –عليه السلام- جاء بشريعة الفضل، ولا حاجة للرسل بعد ذلك.
الفصل الثاني عشر: أجـاب عن خاتمـة رسـالة النصـارى، ودعـوتهم إلى الإسـلام، ونبـذة في رسـالة المسـيح عليـه السلام وحـال قومـه معـه، ثم سـاق عقيـدة مجملـة على طريقـــة المتكلمين في إثبـــات واجب الوجـــود، وإبطـــال الحلول والاتحاد، وتنزيه الله تعالى.
هذا مجمل ما جاء في جواب شيخ الربوة الدمشقي على رسالة أهل جزيرة قبرص.

ومنهج المؤلف في جوابه:

فإنه لما كان جواباً لرسالة اقتضى أن يتتبع مزاعم الرسالة وينقضها بعد أن يوردها، وأن يكون محصوراً بها. فكان **منهجه العام في الجواب:** تقسيم الرسالة إلى فصول حسب مواضيعها، وفي كل فصل يوضح مسائله ويظهر بطلانها ثم يجيب عما أوردوه من استدلالات.
ربما تكرر الجواب لتكراره في الرسالة، ولما كانت الرسالة شاملة لاعتقادات النصارى الكبرى (ألوهية

المسيح، والصلب والفداء، والتثليث، والتجسد، والشرائع المبتدعة، وتكذيب رسالة محمد) كان جوابه مفنداً لها، مكرراً لها بالنقض والإبطال.

ومنهجه في الرد والإبطال ما يلي:

- تعدد الاستدلال وتنوعه، فكان يورد الآيات القرآنية، ونصوص أهل الكتاب، والوقائع التاريخية، وما قاله أهل اللغة، إلا أن استشهاده بالأحاديث النبوية كان نادراً وبالمعنى، مما يؤكد أنه قليل البضاعة منها.
- كثرة الهجوم على العقائد النصرانية وإبطالها قبل أن يدفع ما استدلوا به، ولهذا كان يغلب في أسلوبه: الوصف والشرح التهكمي لإظهار بطلان عقائدهم، مما جعل الأسلوب الوصفي يظهر جلياً في ردّه[1].

وظهر **ثانياً:** الأسلوب العقلي، والمتمثل في: إظهار التناقض بين العقائد[2]، وضرب الأمثلة والتشبيهات[3]، وقياس الأولى[4] وإبراز المحالات في عقائدهم[5]، والتنزل في الجدل والتسليم الافتراضي كما في ظهور المسيح بعد حادثة الصلب[6]، والسبر والتقسيم لإبطال عقائدهم[7]، وقلب ما استدلوا فيه عليهم[8].

---

[1] () ينظر مثلاً: ل أ/36 ص204، ل ب/53 ص252.
[2] () ينظر مثلاً: ل ب/31 ص188، ل ب/62ص 280.
[3] () ينظر مثلاً: ل أ/4 ص92، ل أ/43 ص226، ل ب/46 ص 236، ل ب/88 ص348.
[4] () ينظر مثلاً: ل أ/19 ص148، ل أ/55 ص258.
[5] () ينظر مثلاً: ل ب/39 ص216، ل أ/53 ص252.
[6] () ينظر مثلاً: ل أ/74 ص310، ل ب/86 ص343.
[7] () ينظر مثلاً: ل أ/72 ص306.
[8] () ينظر مثلاً: ل أ/38 ص212 ، ل ب/44 ص232، ل ب/56 ص261.

وثالثاً: استخدم الأسلوب النقلي، المتمثل باستحضار الآيات القرآنية وتفسيرها وتصحيح الفهم الخاطئ لها، والاستعانة بالنصوص الكتايبة، وشي من التأريخ وأحوال الناس، ورد الشبهة إلى أصلها كقولهم بالاستغناء عن الشريعة المحمدية وأن أصله من السامرة وبراهمة الهنود[1]. وأحسن في توظيف النصوص الكتابية الواردة في الرسالة بما ينقض مراد النصارى منها[2].

رابعاً: استخدم الأسلوب العاطفي، وهذا يظهر بين ثنايا وصفه لعقائد النصارى، وفي إظهار الشفقة عليهم بما هم فيه من ضلال، ودعوته لهم، وإظهار النصح والصدق معهم، كقوله : (وأغلظنا القول عليكم وصدعنا بالحق شفقة عليكم ومحبة للنوع الإنساني ورحمة وبياناً لبطلان هذه الدعوى وإنذاراً لكم من الشرك؛ فإنه ظلم عظيم)[3].

ومن ذلك: إيراد الأبيات الشعرية والمقطوعات الأدبية، وبعضها من إنشائه.

وفي لغة الكتاب الجواب: غلب عليه الوضوح، والمباشرة في الخطاب، والبعد عن التكلف والسجع والغموض، وقد يكون فيه ضعف أحياناً في العبارة والتراكيب.

ويظهر في لغته العبارات الكلامية والمصطلحات الفلسفية كما في الفصل العاشر[4]، أو في تعقيبه

---

[1] () ينظر مثلاً: ل أ/96 ص380.

[2] () ينظر مثلاً: ل أ/58 ص265، ل ب/62 ص280، ل أ/64 ص 247.

[3] () ينظر مثلاً: ل ب/84 ص337، ل ب/96 ص381.

[4] () ينظر مثلاً: ل ب/92 ص366.

الأجوبة في خاتمته بإثبات واجب الوجود وإبطال الاتحاد.
ومما يظهر في لغته: استخدام بعض الأساليب غير المشهورة، كاستخدامه اللغة

المعروفة بـ (أكلوني البراغيث)[1]، واستخدام (لاسيما) بدون (لا)، وجمع الإنجيل بالإنجيلات بدل الأناجيل.
وفي الجملة، كان الجواب متوسطاً في كثير من نواحيه: في حجمه، وقوة حججه، وتنوع أساليبه، وجمال بيانه.
وقد جاء الجواب إثر الرسالة بأربعة أشهر فكان يحمل مشاعر مؤلفه من الغيرة لدين الله والحماس للدفاع عنه، من غير مراجعة وتأنٍ، فنثر كنانته لا يولي على شيء غير ما تذرع به النصارى من الشبهات فكشفها ونقضها، وعينهُ على إبطال ما أحدثوه من الشرك والقول بالتثليث.

[1] () ينظر مثلاً: ل ب/52 ص250، ل ب/32 ص192.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية، وموارد المؤلف فيه.

ظل جواب الدمشقي متوارياً عن أنظار العلماء كحال مؤلفه، فلم يذكره أحد إلا في العصر الحديث كحال مؤلفاته! ولعل زمنه استغنى بالقامات العلمية المتوافرة فنسي ولم يذكر إلا عبر المخطوطات.
وقيمة الشيء تعرف بما يحدثه من أثر، وفي جواب شيخ الربوة على النصارى تظهر القيمة من ناحيتين:
أحدهما: قيامه بواجب الوقت، من الرد على شبهات النصارى في زمنه، الذي شهد انكساراً للنصارى؛ فالصليبيون يخرجون من ديار الإسلام خائبين، وحلفاؤهم من نصارى المشرق والتتار في اختلافٍ من أمرهم، فتأتي أجوبة العلماء على شبهات النصارى قوة للمسلمين ونصرة للحق وإزهاقاً للباطل، يقول ابن القيم في فوائد قصة وفد نجران: (فيه جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل واستحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحة من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة)[1].
الثاني: جواب الشمس الدمشقي يأتي ضمن جهود العلماء في مجال الرد على النصارى ومقارنة الأديان، تلك الجهود التي اتسمت بالشمول في قضايا الجدل بين المسلمين والنصارى، وإن كان يحمل قيمة خاصة تظهر فيه أكثر من غيره، وهي:
القيمة الوصفية لعقائد النصارى الدالة على عمق تصور أهل الإسلام لما عليه النصارى من ضلال، كما

---
[1]() زاد المعاد 3/63.

إنه يمثل حالة من الحوار والجدال بالتي هي أحسن، وفي الكتاب استنباطات جيدة، مثل: الفرق بين المشرك والكتابي، وسبب تكرار طلب المؤمن للهداية، وحاجة البشرية للرسل، وختم النبوة، وغيرها.

موارد المؤلف في كتابه:

لم يشر المؤلف إلى شيء من موارده، خلاف ما عليه في كتبه الأخرى، ويبدو أن المؤلف كتب الجواب ولم تكن بين يديه كتب ينقل منها، وإنما يستحضر ذلك من قلبه، بدليل وقوعه في أوهام لا تصدر إلا مع غفلة وبعد عن النظر في الكتب كالغلط في أسماء أو تواريخ مشهورة أو اختصار في سياق حادثة[1].

هناك ما يشير إلى أنه اطلع على مراجع واستفاد منها، وهي ما يلي:

- نسخ من التوراة والأناجيل وشي من تواريخ النصارى، لم يصرح بأسمائها[2].
- كتاب الأعلام للقرطبي، وقد اشتركا في أغلاط معينة، مثل قصة بولس وعلاقته في نشأة الفرق النصرانية[3]، كما اشترك معه في ذلك كتاب الأجوبة الفاخرة للقرافي، والذي لم يشر إلى شيء من موارده كحال الدمشقي في كتابه.
- أخذ في تقديري عن جملة من العلماء، منهم: الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ولاسيما في الحيل النصرانية، والجعفري في تخجيل من حرّف الإنجيل في البشارات، وهؤلاء قد أخذوا عمن سبقهم: كعلي بن ربن الطبري في الدين والدولة في إثبات النبوة، والقاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة، والسموأل في بذل المجهود، وغيرها، وربما اطلع مباشرة على تلك الكتب من غير واسطة، وأخذ اللاحق عن السابق سمة لا يكاد يخلو منها تأليف مشترك في فن معين.

---

(1) سيأتي أمثلته في المبحث التالي.
(2) ينظر: ل أ/77 ص318.
(3) ينظر: ل ب/78 ص320.

وأما الجواب الصحيح للإمام ابن تيمية فيبدو أن الدمشقي لم يقف عليه، لأنه لا يظهر اشتراك بينهما، ولو وقف عليه لكان كتابه أجود، ولسلم مما وقع فيه من أغلاط.

المبحث الرابع: الملحوظات على الكتاب.

كل جهد بشري لا يخلو من تقصير وخلل، فيستدرك بعضهم على بعض، ولا يغضي ذلك من منزلة قائله، إذ النقص لازم لجميع الخلق، ولئن كان لشيخ الربوة في جوابه فضائل فإن عليه ملحوظات يستوجب التنبيه إليها، والعلم رحم بين أهله، وهذه الملحوظات على ضربين:

الأول: ما كان شكلياً لا يؤثر على مقصد الجواب ولكنه ينقص تمامه، كالغلط في أسماء الأشخاص ونحوه.

الثاني: ما كان له أثر في مقصد الجواب والمحاجة ويضعفها، كأن يقول قولاً يصح جواباً في المحاجّة وهو في نفسه غير صحيح، ومثاله: تأويل نصوص الصفات على غير ظاهرها. والمؤلف وغيره من المتكلمين وإن وقعوا في الغلط في تحقيق القول الحق إلا إن النصارى أضعف في الحجة منهم، ولا يستطيعون لهم جواباً، فالنصارى أشد تحريفاً لنصوصهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: (وإن كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء، إذ كان ما يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الأجسام طرقاً ضعيفة، لا تثبت على المعيار العقلي...)[1]

وهذا الخطأ لابد من بيانه وتقويمه، فهو مؤثر على أهل الإسلام، وإن كان قد يحمد لصاحبه دفاعه عن الإسلام بما يستطيعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل: الكلابية،

---

[1]() الجواب الصحيح 4/432. وينظر: 2/177.

والكرامية، والأشعرية إنما قُبلوا واتّبعوا واستحمدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان، من إثبات الصانع وصفاته، وإثبات النبوة، والرد على الكفار والمشركين وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم)[1].

ومن أهم ما يلحظ على شيخ الربوة في كتابه ما يلي:

أولاً: سلوكه مسلك المتكلمين في جوابه، ويظهر ذلك في : رده لخبر الآحاد في العقائد، واستخدام الألفاظ المجملة والمبتدعة في تقرير العقائد، وتأويل بعض نصوص الصفات.[2]

ثانياً: وقوعه في أغلاط علمية، وهي:

- الغلط في القول بإرسال عيسى عليه السلام إلى جميع أهل زمانه، والصواب أن رسالته خاصة في بني إسرائيل[3].
- الغلط في تنزيل كل ذكر في (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) على نبي من أولي العزم، وهو مما لا دليل عليه[4].
- الغلط في سياق بعض سيرة بولس، والزعم بأنه أول من أحدث الفرق الثلاث عند النصارى[5].

ثالثاً: وقوعه في أوهام أو سبق قلم، سببه عدم توفر المصادر بين يديه، وهذه الأوهام هي:

---

[1] () مجموع الفتاوى 4/12.
[2] () وقد تعقبته في هذا المسلك، ينظر: ل أ/63 ص281، ل ب/67 ص295، ل 90 ص352 وما بعدها، ل ب/98 ص385.
[3] () ينظر: ل ب/15 ص135، ل أ/97 ص383.
[4] () ينظر: ل أ/60 ص272.
[5] () ينظر: ل ب/78 ص320.

الوهم بنسبة رؤيا بختنصر الملك إلى سنحاريب[1]، الوهم في فتح صقلية[2]، الوهم في مدد ملوك الفرس[3]، الوهم بتسمية يهوذا بهيرودس[4]، الوهم في زمن قسطنطين[5].

رابعاً: ترجيح قول ضعيف أو غير مشهور، وذلك في تفسير (حياً) في قوله تعالى (□ □ □ **ى**) [6] .

وكذلك القول بنسخ آيات العفو بآية السيف[7].

خامساً: شيخ الربوة لم يشر إلى موارده، مع ما في الإشارة إلى الموارد من زيادة الثقة في المكتوب، ولعله لما كان جواباً لنصارى رأى أن لا فائدة من ذكر مراجعه مع تشكيكهم بالقرآن أصح الكتب على الإطلاق، أو لعله لما لم تكن بين يديه لم يشر إليها خشية أن ينسب إليها ما لا يصح.

وأخيراً، فالملاحظات لا تفسد قيمة الجواب، ولاسيما بعد تصويبها، وفي الكتاب أجوبة سديدة، ومجادلة لأهل الكتاب بالاهتمام جديرة، فعفا الله عنا وعن شيخ الربوة الخطأ والزلل.

---

(1) ينظر: ل أ/8 ص110 .

(2) ينظر: ل ب/8 ص115.

(3) ينظر: ل ب/8 ص114.

(4) ينظر: ل ب/18 ص147.

(5) ينظر: ل أ/11 ص122.

(6) ينظر: ل ب/25 ص164.

(7) ينظر: ل ب/49 ص243.

المبحث الخامس: المقارنة بينه وبين كتاب (الأجوبة الفاخرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية.

لما ظهرت رسالة النصارى المشككة في دين الإسلام والمصححة لدين النصارى انبرى لها أهل العلم بالرد والإبطال، **فكان أول ما وصل إلينا:**

كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة[1] **لشهاب الدين القرافي**[2] وقد صدر كتابه بقوله: (فإن

---

[1]() له عدة نسخ خطية، والكتاب مطبوع، وقد نُشر أولاً على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، في مطبعة الموسوعات بمصر سنة (1322هـ) ثم حَقق قسماً منه (الباب الأول والثاني) د.سالم القرني، في رسالة ماجستير بجامعة الإمام بالرياض سنة 1404هـ. وحققه كاملاً د.ناجي سلامة في رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى سنة 1404هـ، ونشر بتحقيق د.بكر عوض، عن مكتبة وهبة بالقاهرة سنة 1407ه. والإحالة على ط.الثالثة 1430هـ.
ونسب إلى القرافي ردّ على النصارى باسم (أدلة الوحدانية) ولا تصح نسبته إليه، لأن الكتاب أهدي إلى الملك الأيوبي الكامل كما في مقدمته، وقد توفي الكامل سنة 635هـ وولادة القرافي سنة 626هـ فهو ابن عشر سنين! وأيضاً: في خاتمة الكتاب وعد بتأليف رد على اليهود، فلو كان للقرافي لأشار لوعده في الأجوبة الفاخرة، ولم توجد أدنى إشارة للكتاب في مصنفات القرافي كحال بقية كتبه. وقد حققت أ.فاطمة آل معافا الكتاب في جامعة الملك سعود ونسبته إلى الخطيب الإسكندراني.

[2]() أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المالكي المعروف بالقرافي نسبة لموضع في القاهرة، عاش بمصر بين (626- 684هـ) وأخذ عن العز بن عبدالسلام وابن الحاجب وغيرهم، وتتلمذ عليه كثيرون، أشعري المعتقد، له تآليف مشهورة، أغلبها في الفقه وأصوله، ومنها: الذخيرة في الفقه المالكي، والفصول في اختصار المحصول للرازي، والفروق، وغيرها. ينظر: الوافي بالوفيات 6/233، الأعلام 1/94.

بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل)[1] ثم قسّم كتابه إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: تتبع فيه ما جاء في رسالة النصارى، وبيّن ما التبس فيها من القرآن الكريم، وذكر فيه خمس عشرة شبهة وأجاب عنها.

الباب الثاني: في أسئلة لأهل الكتاب يتولعون بإيرادها غير أسئلتهم المذكورة في الرسالة، وهي عشرون سؤالا وأجاب عنها.

الباب الثالث: في معارضة أسئلتهم بأسئلة يتعذر عليهم الجواب عنها، وأورد سبعة ومائة سؤال.

الباب الرابع: في إظهار ما في كتب اليهود والنصارى مما يدل على صحة ديننا الإسلامي، وإثبات نبوة نبينا عليه السلام، وأورد إحدى وخمسون بشارة.

وعند المقارنة بين الأجوبة الفاخرة وجواب شيخ الربوة يظهر اشتراكهما في أمور:

أولاً: الباعث على التأليف، وهو الرد على الرسالة النصرانية.

ثانياً: مصادرهما متقاربة، ويكاد يكون كتاب الإعلام للقرطبي هو القاسم المشترك بينهما[2].

---

[1] () الأجوبة الفاخرة ص49. لم يصرح بالاسم، فيحتمل أنه أراد رسالة بولس الأنطاكي أو رسالة أهل جزيرة قبرص، وما نقل من الرسالة كان انتقاءً وبالمعنى.

[2] () لم يشر القرافي إلى مصادره سوى تأريخ المسيحي والصحاح للجوهري! ولا شك أنه نقل من كتاب الإعلام للقرطبي، كما يظهر في المقارنة بينها. ينظر: مقدمة تحقيق الأجوبة الفاخرة د.ناجي 1/111 (رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى غير منشورة).

ثالثاً: اشتركا في بعض الأغلاط العلمية، وأهمها: اعتماد العقيدة الكلامية الأشعرية في ردّ حجج النصارى العقلية، فتأولا الصفات وردّا خبر الآحاد في إثبات العقائد.

كما اشتركا في قلة البضاعة الحديثية، والغلط في بعض المسائل، منها: الغلط في حياة بولس وتأسيس فرق النصارى.

رابعاً: اشتركا في استخدام الأسلوب الوصفي التهكمي في تصوير عقائد النصارى، وقد استخدمه قبلهما القرطبي في الإعلام، وهو عند القرافي أشد قسوة وأغلظ في اللفظ[1]. كما استخدم القرافي أساليب أخرى كالأسلوب العقلي والنقلي والعاطفي، وهو في الأسلوب العقلي أكثر بياناً وتنوعاً من شيخ الربوة في جوابه.

وافترقت أجوبة القرافي في الأجوبة الفاخرة عن جواب شيخ الربوة بما يلي:

أولاً: انتقى القرافي في الأجوبة من رسالة النصارى خمس عشرة شبهة ورد عليها باختصار وتركيز سوى استطراده في الشبهة السادسة والخامسة عشرة، ثم أعقب ذلك بالأبواب الثلاثة التي هي تتمة للرد وزيادة في الحجة، فلم يكن القرافي مكتفياً بالرسالة وحدها، بل كان يرد كل ما يعلمه من اعتقادات باطلة لأهل الكتاب. في حين كان شيخ الربوة متقيداً بما في رسالة النصارى ولم يزد عليها.

ثانياً: كثرة التفريعات، والإيرادات الناقضة لشبهات النصارى، والدخول في تفاصيل مذاهبهم عند القرافي، بينما لا تجد مثل تلك الكثرة عند شيخ الربوة.

ومن أمثلة ذلك: في عقائد النصارى: أورد القرافي تقريباً في إثبات عبودية المسيح اثني عشر سؤالاً، وفي

[1] ينظر مثلاً: ص 53، 66، 118، 144.

ردّ عقيدة الصلب سبعة أسئلة، وفي رد عقيدة التجسد خمسة أسئلة، ومثلها في التثليث، وفي إبطال وثيقة أمانة النصارى اثنين وعشرين سؤالاً، وفي تفاصيل عباداتهم وشعائرهم خمسة وعشرين سؤالاً. في حين كانت إشارة شيخ الربوة إلى بعض ذلك باختصار. وفي ذكر البشارة بالنبي ، فالقرافي ذكر ثنتين وخمسين بشارة، وعند شيخ الربوة لم تتجاوز الخمس عشرة.

ثالثاً: اشتمل ردّ القرافي على اليهود، فقد أورد خمسة وعشرين سؤالاً موجهاً إليهم، بينما لم يعتن شيخ الربوة في الرد على اليهود.

رابعاً: تميز كتاب الأجوبة الفاخرة بحسن الترتيب وسلامة العبارة وبساطة الأسلوب وكثرة الموضوعات، وتنقله بين الأدلة العقلية والنقلية، وغلبة اللغة الفقهية الأصولية على كثير من ردوده، وكان متفوقاً على شيخ الربوة في ذلك، حيث كانت عبارة شيخ الربوة متوسطة ومواضيعه أقل، وغلب عليه اللغة الكلامية.

وفي الجملة؛ كان القرافي في الأجوبة يرد على أهل الكتاب مستحضراً ما يعرفه عنهم، بينما كان شيخ الربوة يرد على الرسالة النصرانية، فكان كتاب القرافي ضعف كتاب شيخ الربوة[1].

الكتاب الثاني في الرد على رسالة أهل جزيرة قبرص:

[1] بلغت صفحات الأجوبة الفاخرة في طبعة د.بكر عوض 350 صفحة بخط دقيق، وهي في تحقيق د.ناجي 650 صفحة. بينما بلغت صفحات جواب الدمشقي في هذا التحقيق 350 صفحة.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[1] لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني[2]، وهو أوسع ردوده على النصارى، وله ردود آخرى، منها: الرسالة القبرصية، ومسألة الكنائس، ورسالة كلمة الله عيسى ابن مريم، كما له كلام مبثوث في بعض مؤلفاته[3].

كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، من أواخر ما ألفه شيخ الإسلام في الرد على النصارى وبعد جدال طويل مع المقالات الفلسفية والكلامية، فكأنه أراد بالجواب أن يكون عاماً لجميع الطوائف النصرانية، ومن شابهها في المقالات من الفلاسفة والمتكلمين،فتسمية جوابه بالصحيح يشعر بأن ثمت أجوبة دون ذلك، فكان جوابه مبطلاً لأقوال النصارى وأقوال الحلولية والاتحادية والباطنية والفرق الكلامية فيما أخطؤوا فيه.

بدأ الجواب الصحيح بذكر مقدمات عامة بين يدي الرد على رسالة أهل قبرص، ثم التعريف بالرسالة، وبعد ذلك عقد فصولاً وجزأ كلام النصارى وتتبعه بالجواب حرفاً حرفاً، ويطيل في الأجوبة، ويستطرد في إبطال شبهات أخرى تناسب السياق، وقد أبطل كل ما يحتجون به من الشبهات النقلية والعقلية على دعوى خصوصية الرسالة المحمدية، أو الاستغناء عنها، أو نفي التبديل عن كتبهم،

[1] () له نسخ خطية، والكتاب مطبوع، طبع أولا في مطبعة النيل عام 1905م ثم في مطبعة المدني عام 1961م في مجلدين، ثم حقق في رسائل علمية في جامعة الإمام سنة 1406هـ، حققه د.علي بن حسن ود.عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان، وطبع في دار العاصمة بالرياض، والإحالة على ط.الثانية 1419هـ.

[2] () ستأتي ترجمته في ص88.

[3] () ينظر في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على النصرانية: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبد الراضي ص85.

أو التثليث، أو دعوى التجسد وألوهية المسيح. ثم أعقب ذلك بذكر شاهدين على بطلان ذلك[1]:

الشاهد الأول: كتاب الحسن بن أيوب بعد إسلامه إلى أخيه، وفيه يبطل ما استدل به النصارى على أصول معتقداتهم كالتثليث والتجسد ونحوها بالدلائل العقلية، وعلق عليه شيخ الإسلام شارحاً ومصوباً. وهذا من الاستعانة بكتابات المهتدين إلى الإسلام.

الشاهد الثاني: ما كتبه المؤرخ ابن البطريق الملكي[2] في تاريخه المسمى بنظم الجوهر[3]، والذي جعله ابن تيمية شاهداً على ما ابتدعه آباء الكنيسة خلال تاريخها، كما أنه استعان بردّه على طائفتي النساطرة واليعاقبة، وعلق عليه بإلزام طائفة الملكية بما لزم الطوائف الأخرى، وهذا من إبطال أقوال النصارى بضرب الباطل بباطل مثله أو أدنى منه، ثم بيان أن الصواب خارج عن أقوالهم جميعاً. وفي هذا الشاهد: استثمار للجدل الداخلي بين الفرق النصرانية، وفيه إلزام النصارى كاتبي الرسالة بقول الموافق لطائفتهم الملكية فيما يظهر باطلهم، ليكون أقطع للحجة.

---

[1] () ينظر: الجواب الصحيح 4/88، 4/183.

[2] () ابن البطريق: سعيد بن البطريق، طبيب ومؤرخ، ثم بطريقاً للاسكندرية سنة 321هـ، حتى توفي سنة 328هـ 940م، وله مؤلفات في التاريخ والجدل النصراني. ينظر: طبقات الأطباء 2/86، الأعلام للزركلي 3/144.

[3] () طبع باسم: كتاب التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق تأليف افتيشيوس المكنى سعيد ابن البطريق، كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية. طبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة 1905م. ينظر: المخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو ص 4.

فكان الشاهد الأول مظهر لفساد عقائدهم بقول أحد علمائهم، وكان الشاهد الثاني دليلاً على فساد ما ابتدعوه بقول مؤرخهم، وهذا جماع إبطال حجة الخصم: بقطع سندها عن المعصوم، وإظهار فسادها في نفسها.

ولما انتهى من مناقشة الرسالة النصرانية وأبطل آخر شبهاتهم، وهي دعوى الاستغناء عن رسالة النبي محمد تلاه بذكر دلائل النبوة لخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وطرق العلم ببشارة الأنبياء قبله به ، فساق قريباً من ثلاثين بشارة من الكتب السابقة، وشرحها ودلل عليها بما يوافقها من النصوص الإسلامية، ثم ختم الجواب الصحيح في ذكر دلائل النبوة، والفرق بين النبي الصادق والدّعي، وساق بعضاً من أعلام نبوته .

وبالجملة، فالجواب الصحيح موسوعة علمية في الدرس المقارن في الأديان، أتى على معاقد الشبهات النصرانية، وعند مقارنته بجواب شيخ الربوة الدمشقي يظهر اشتراكهما فيما يلي:

- أن موضوع الدعوى متفق بينهما، وهو رسالة أهل جزيرة قبرص.
- أن طريقتهما في سياق الدعوى والجواب عليها متقاربة، فهما يذكران جزءاً من نص رسالة النصارى ثم الجواب عليه إلى آخرها. وقد ذكرا رسالة النصارى كاملة، وإن وقع بينهما اختلافات لفظية طفيفة، لاختلاف نسّاخ الرسالة النصرانية.
- قد استوعبا في جوابهما على جميع شبهات النصارى الواردة في الرسالة وهي غالب ما تقع فيه مجادلة النصارى، وكان جواب شيخ الإسلام مطولاً مفصلاً،

بينما كان جواب الدمشقي مختصراً، ولم يكن الرد على اليهود غرضاً في كتابيهما[1].

هذا، وإن سمات الاشتراك بينهما تكاد تتلاشى إذا ما اطلعنا على محاسن الجواب الصحيح، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: أنه جمع صحيح دلالتي المعقول والمنقول، واستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث والآثار السليمة، وبما يوافقها من نصوص الكتب السابقة، مع تنقيح للدلالة ونظر في الأسانيد.

ولم يقتصر على ما يستدل به النصارى بل أضاف إليه ما شابهه مما يظن أن لهم به حجة، وذكر من أخبار ونصوص كتبهم عن أحبارهم أو من أسلم منهم مما لا يحسن أن يأتي بمثله النصارى.

كما استدل بما يقوله عظماء النصارى وملوكهم، كالنجاشي وهرقل وغيرهم، ممن خبروا دين النصرانية وعاصروا زمن بعثة النبي ﷺ.

وفي استدلاله بالمعقول كان يردّ بصحيحه على كل غالط فيه، من النصارى أو ممن شابههم من أهل الإسلام.

---

[1] () بلغت صفحات الجواب الصحيح أكثر من 2500صفحة في ستة مجلدات في الطبعة المحققة، ووصفه ابن القيم الكافية الشافية بقوله:

وكذا جواب للنصارى فيه ما يشفي الصدور، وإنه سِفران

(رقم البيت 3660)

ومثله عن ابن رجب في الذيل2/400 وعند أكثر مترجميه: أنه في مجلدين، وعن الصفدي في الوافي 7/17: في ثلاث مجلدات.

بينما بلغت صفحات جواب الدمشقي قريب من 350 صفحة، في 107 لوحات، بما يعادل نصف مجلد أو مجلد لطيف، أي: بما يعادل سدس الجواب الصحيح.

ثانياً: في مصادره في الجواب[1]، كان يذكرها على كثرتها وتنوعها من كتب أهل الإسلام وغيرهم، ويشير إلى المصدر بما يناسبه من الكلام، ففي تفسير القرآن ينقل عن أئمة المفسرين، وفي الأحاديث والآثار لا يتركها مرسلة عن مصادرها وأقوال أهل الصنعة عليها، وفي تأريخ النصارى والوقائع ينقل عن المؤرخين من المسلمين وأهل الكتاب إلى غير ذلك، وفي مصادره الشفهية يعززها بما يوافقها مما في الكتب.

ثالثاً: في الجواب الصحيح يظهر كثرة الاستشهاد بالمنقول من القرآن والآثار، مع تفسير الآيات القرآنية والتحقيق في بعض ما يذكره المفسرون حول الآية[2].

رابعاً: فيه ذكر لمقالات الفرق الإسلامية، ولاسيما فيما شابهوا فيه بعض أقوال النصارى.

خامساً: في أجوبته تظهر سمات يتفوق فيها شيخ الإسلام على من كتب في الرد على النصارى، أهمها:

- أنه يهتم بتأصيل المسألة شرعاً وعقلاً، وبيان باطل الناس وصوابهم فيها، ومن أمثلة ذلك: مسألة المضافات إلى الله سبحانه، والحيل الشيطانية والكرامات والمعجزات[3].
- أنه يقيم أدلته من المعقول على وفق دلالة الآيات القرآنية، فلا يستصحب المذاهب الكلامية، أو المذهبية، ولهذا سلم من أغلاط المتكلمين في ردودهم على تثليث النصارى، أو غلاط المتصوفة في ردودهم على تجسد المسيح، ونحوها. وكانت

---

(1) ينظر في تعدادها: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ص39.

(2) كتفسيره لآيات سورة يس 2/250.

(3) ينظر: الجواب الصحيح 2/155، 2/338.

حجته ظاهرة لا تنقض ولا تتناقض، وجواباً لمؤولة النصوص أو من قصر في فهمها[1].

- تفسيره للمصطلحات كالتثليث والحلول ونحوها، وبيانه المعاني الصحيحة من الباطلة، ومراد النصارى منها.
- أنه يستطرد في الجواب إلى مسائل تناسب المقام، ويجيب عن إشكالات لم تذكر في رسالة النصارى، كما في استطراده في ذكر الحواريين، أو في بدعة الرهبانية[2].
- أنه اهتم بذكر الكليات والأصول الجامعة التي تصح بها الدلالة وتستصحب في المناظرة، ومن تلك الكليات:

1/ قول شيخ الإسلام: (أن كفرهم وضلالهم - أي: النصارى – من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب بالرسول الثاني)[3] فكان يبين تبديلهم وتكذيبهم في أغلب ردوده.

2/ بيانه: أن الكلام على صدق الرسول وكذبه متقدم على الكلام على خصوصية رسالته أو عمومها[4].

3/ بيانه: أن الاحتجاج بكلام الأنبياء يحتاج إلى ثلاثة أمور: ثبوته عنهم، وصحة ترجمته إلى اللسان العربي، ومعرفة معناه وتفسيره[5].

4/ بيانه: التلازم بين صدق الأنبياء جميعاً، وتنوع دلائل صدقهم[6].

---

(1) ينظر: الجواب الصحيح الجزء الثالث كاملاً.
(2) ينظر: الجواب الصحيح 2/193، 1/137.
(3) ينظر: الجواب الصحيح 1/110.
(4) ينظر: الجواب الصحيح 1/124.
(5) ينظر: الجواب الصحيح 2/388.
(6) ينظر: الجواب الصحيح 1/81، 1/127.

5/ بيانه: أن سبب ضلال الغلاة: ألفاظ متشابه، أو خوارق شيطانية ظنوها كرامات، أو أخبار كاذبة[7]. إلى غير ذلك من الأصول والكليات.

سادساً: كانت عبارة شيخ الإسلام محررة وواضحة ، وأسلوبه متين، وترتيب فصوله وطولها حسن، مع سلامة من الأغلاط العلمية واللغوية، وهو من أحسن مؤلفاته، وكلها حسن، ولا غرو فهو إمام في المنقول والمعقول، وجامع للفروع والأصول.

وهذا جملة مما تميز به الجواب الصحيح، وبه تعرف صورة المقارنة بينه وبين شيخ الربوة الدمشقي أو الأجوبة الفاخرة للقرافي، فالجواب الصحيح أحسنها وأحكمها وأوسعها، ويليه الأجوبة الفاخرة للقرافي، ثم جواب شيخ الربوة الدمشقي.

[7]() ينظر: الجواب الصحيح 2/315.

المبحث السادس: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها.

النسخة الخطية لجواب شيخ الربوة الدمشقي، وحيدة محفوظة في مكتبة جامعة أوتريخت في هولندا (***Utrecht***) تحت رقم (40) شرقي.

وهي نسخة كاملة، مكتوبة بخط نسخي واضح حسن، سالمة من الخرم والنقص إلا في موضع كلمة واحدة، كتب بالحمرة بداية الفصل أو الجواب، ووضع خط أحمر فوق بداية كل فقرة.

وقع فيها بعض الأغلاط الإملائية، ككتابة بعض الأعداد أو اختلاف محل النقط.

وفي أولى صفحاتها هوامش ترجمة لبعض نصوص التوراة والإنجيل بلغة لاتينية من تصرف المتأخرين.

ناسخها: أبو بكر بن علي بن عوض التروحي، انتهى من النسخ في الخامس عشر من شهر ربيع الأول من سنة 773هـ، أي بعد وفاة المؤلف بـ(46 سنة) ويبدو من حواشي الناسخ أنها معارضة على أصل صحيح للمؤلف.

عدد الأوراق: (107) أي: بمجموع (214 صفحة) في كل صفحة من 15 إلى 17 سطر. متوسط كلمات السطر: 10 كلمات.

ورمزت لها بـــ (الأصل).

أما نسخ رسالة أهل جزيرة قبرص (المردود عليها): فوقفت على ثلاث نسخ خطية كاملة، ونسخة رابعة ضمن الجواب الصحيح لابن تيمية.

والنسخ الثلاث كلها محفوظة في المكتبة الوطنية (الأهلية) في باريس في فرنسا.

النسخة الأولى: محفوظة ضمن مجموع رقم 204 ، وناسـخها: صـليبا بن يوحنـا القس الموصـلي، في الماغوصة من أعمال قـبرص، سـنة 737ه. وهي أقـدم النسخ، وكتبت بخط نسخ عـادي، مصـححة، سـالمة من النقص، وعدد أوراقها (18).

ورمزت لها بـ (الرسالة ن1)

النسخة الثانية: محفوظة ضمن مجموع رقم 214، ولا يعرف ناسخها ولا تـأريخ النسـخ، وكتبت بخـط الثلث الجميل، وسـالمة من النقص والخـرم، وعـدد أوراقهـا (18).

وذكر في بدايتها بأنها مرسلة إلى الشيخ الفاضل تقي الدين ابن تيمية في دمشق، وهي أقـرب النسـخ الثلاث عند المقارنة إلى النص المثبت في الجواب الصحيح.

ورمزت لها بـ (الرسالة ن2)

النسخة الثالثة: محفوظة ضمن مجموع رقم 215، ولا يعرف ناسخها ولا تأريخ النسخ، وكتبت بخـط النسـخ العـادي، وسـالمة من النقص والخـرم، وعـدد أوراقهـا (21).

وذكر في بدايتها بأنها مرسلة إلى الشيخ الفاضل تقي الدين ابن تيمية في دمشـق سـنة 716هـ، وهي أقـرب النسخ للنص المثبت في جواب الدمشقي.

ورمزت لها بـ (الرسالة ن3)

عند اتفاق النسخ الثلاث اكتفي بـ (الرسالة)

النسخة الرابعة: هي التي ساقها الإمـام ابن تيميـة في الجواب الصـحيح، وقـد اعتمـدت الطبعـة المحققـة التي أخرجتها دار العاصمة في الريـاض بتحقيـق د.علي حسن ود.عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان. وقـد عـارض المحققـون مـا أثبتـه الإمـام ابن تيميـة بنسـخة

محفوظة بمكتبة المتحـف القبطي في القـاهرة بـرقم (95)، وهي ناقصة.

ورمزت لها بـ (الجواب).

وفيما يلي صوراً لها مرتبة:



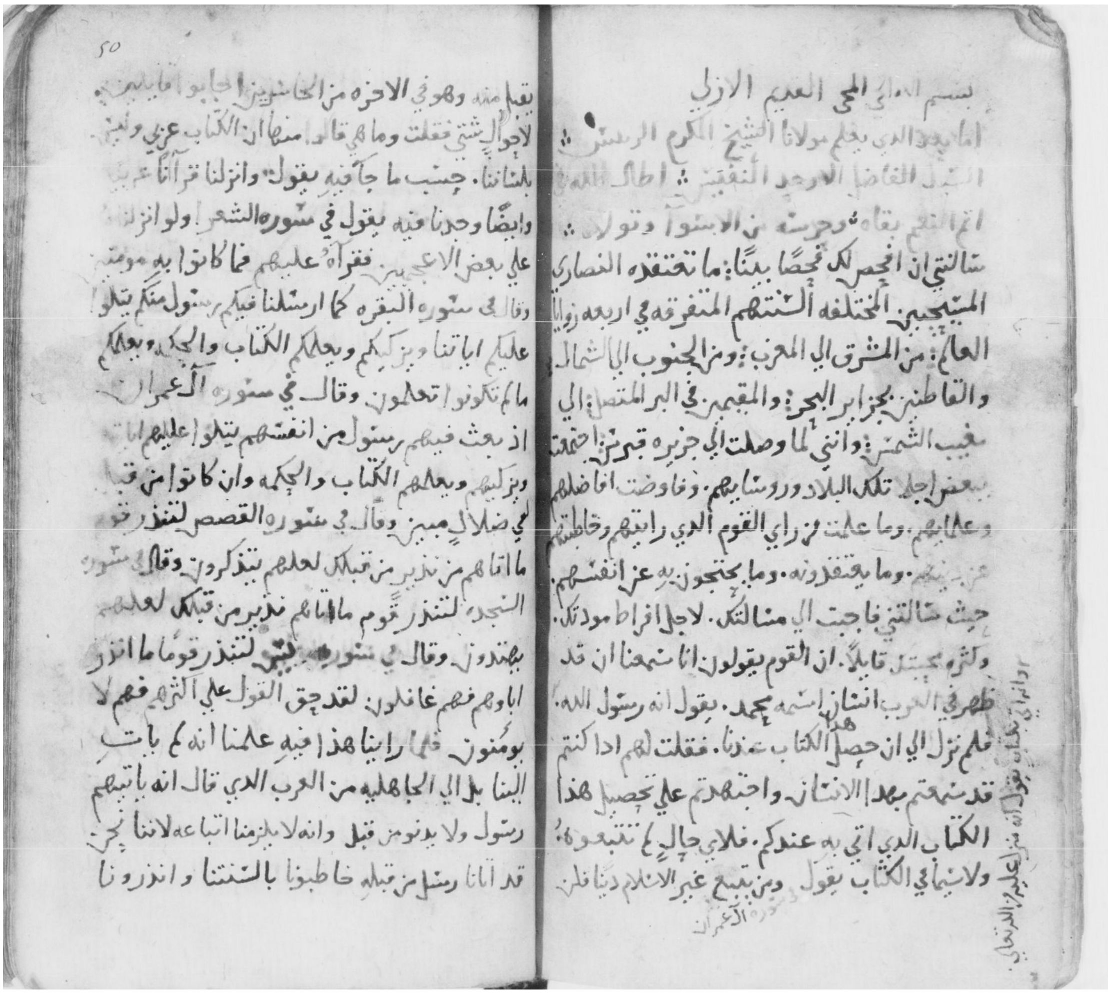
صورة اللوحة الأولى من الأصل

م



ولا المعطلة ولا المشبهة ولا المجسمة ولا الدهرية ولا أهل الحيرة
والوقف بل قلنا كما قال أبونا وأبوكم إبراهيم عليه السلام وجهنا وجوهنا
للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلمين وما نحن من المشركين وقال
كل واحد منا ما أمر الله سبحانه لنبيه محمد صلعم أن يقوله بقلبه
ولسانه ونقوله نحن كذلك قل إن صلاتي ونسكي إلى تمام القصة
الكلام في معرفة الله جل جلاله من حيث المعقول والرأي البادي
للعقل السليم وما يجب لله من الوصف وما يجوز وما يستحيل
وقد احتججنا عليكم أيها النصارى الإخوان في النوعية والشخصية
لو أنكم تعقلون هذا القول الذي ذكرته لكم ودللت به وأوضحته
وأرجو إن شاء الله تعالى أنكم تعقلوه ليتبين لكم ما بان لنا وتعلمون
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن كان لكم محرجا و...
مخالفا للحق ... ولا برهان لكم ولا مستند ولا أثارة علم ولا
سابقة ممن تقدمكم من الأمم تجعلون لأنفسكم فيها أسوة والدين
لكم والسلام على من اتبع الهدى ۞ تم الجواب على النفثات السبعية
عن ... أهل الملة المسيحية على يد العبد الفقير إلى من بيده العفو
جديري أبي الحسن علي بن عوض الترويجي في خامس عشر ربيع الأول عام ٧٧٢

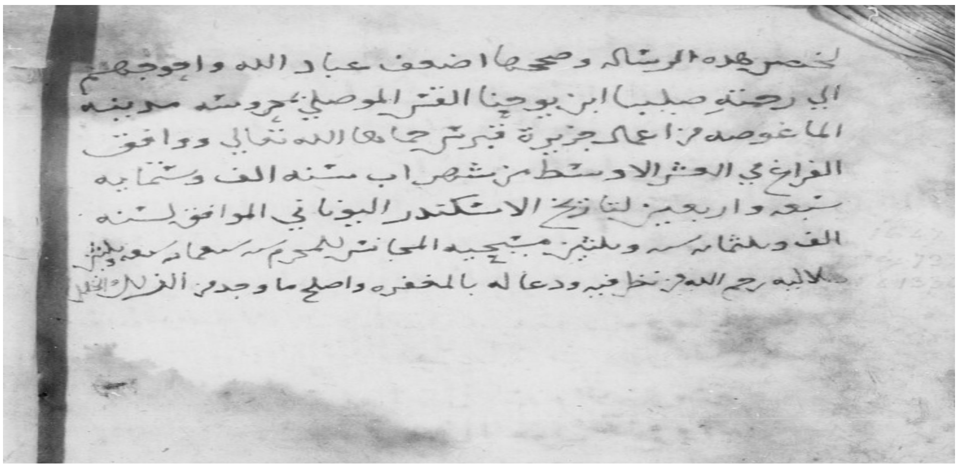
صورة اللوحة الأخيرة من الأصل



بسم الله الحي العظيم الازلي
اما بعد الذي يعلم مولانا الشيخ الكريم الرئيس
النبيل الفاضل الاوحد الانفقير اطال الله في
اتم النعم بقاه وحرسه من الاسوا وتولاه
سالتني ان افحص لك فحصًا بينًا: ما تعتقده النصارى
المسيحيين المختلفه السنتهم المتفرقه في اربعه زوايا
العالم: من المشرق الى المغرب؛ ومن الجنوب الى الشمال
والقاطنين بجزاير البحر؛ والمقيمين في البر المتصل: الى
مغيب الشمس؛ وانني لما وصلت الى جزيره قبرس اجتمعت
بعض اجلا تلك البلاد وروسايهم. وفاوضت افاضلهم
وعلمايهم. وما علمت من راي القوم الذي رايتهم وخاطبتهم
عن دينهم. وما يعتقدونه. وما يحتجون به عن انفسهم.
حيث سالتني فاجبت الى مسالتك. لاجل افراط مودتك.
ولتزم بجميل قابلا. ان القوم يقولون انا سمعنا ان قد
ظهر في العرب انسان اسمه محمد. يقول انه رسول الله.
فلم نزل الى ان حصل هذا الكتاب عندنا. فقلت لهم اذا كنتم
قد سمعتم بهذا الانسان. واجتهدتم على تحصيل هذا
الكتاب الذي اتى به عندكم. فلاي حال لم تتبعوه.
ولاسيما في الكتاب يقول ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن
في سورة آل عمران

50
يقبل منه وهو في الاخره من الخاسرين اجابوا قايلين
لاجل اشيا فعلت وما هي قالوا منها ان الكتاب عربي وليس
بلساننا. حسب ما جا فيه بقوله وانزلنا قرآنا عربيا
وايضا وجدنا فيه يقول في سوره الشعرا ولو انزلنا
على بعض الاعجمين. فقراه عليهم فما كانوا به مومنين
وقال في سوره البقره كما ارسلنا فيكم رسول منكم يتلوا
عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمه ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون. وقال في سوره آل عمران
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين وقال في سوره القصص لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون وقال في سوره
السجده لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يهتدون. وقال في سوره يس لتنذر قوما ما انذر
اباوهم فهم غافلون. لقد حق القول على اكثرهم فهم لا
يومنون. فلما راينا هذا فيه علمنا انه لم يات
الينا بل الى الجاهليه من العرب الذي قال انه ياتيهم
رسول ولا يدنو من قبل وانه لا يلزمنا اتباعه لاننا نحن
قد اتانا رسل من قبله خاطبونا بالسنتنا وانذرونا

صورة اللوحة الأولى من النسخة الأولى من الرسالة



نجز هذه الرساله وصحيحها اضعف عباد الله واحوجهم
الى رحمته صليبا ابن يوحنا القس الموصلي بحروسه مدينه
الماغوصه من اعمال جزيرة قبرس حماها الله تعالى ووافق
الفراغ في العشر الاوسط من شهر اب سنه الف وثمانيه
سبعه واربعين لتاريخ الاسكندر اليوناني الموافق لسنه
الف وثلثماية سته وثلثين مسيحيه المحانثر للمحرم سنه سبعمايه سبعه وثلثين
لاليه رحم الله من نظر فيه ودعا له بالمغفره واصلح ما وجد من الزلل والخلل

صورة خاتمة النسخة الأولى من الرسالة

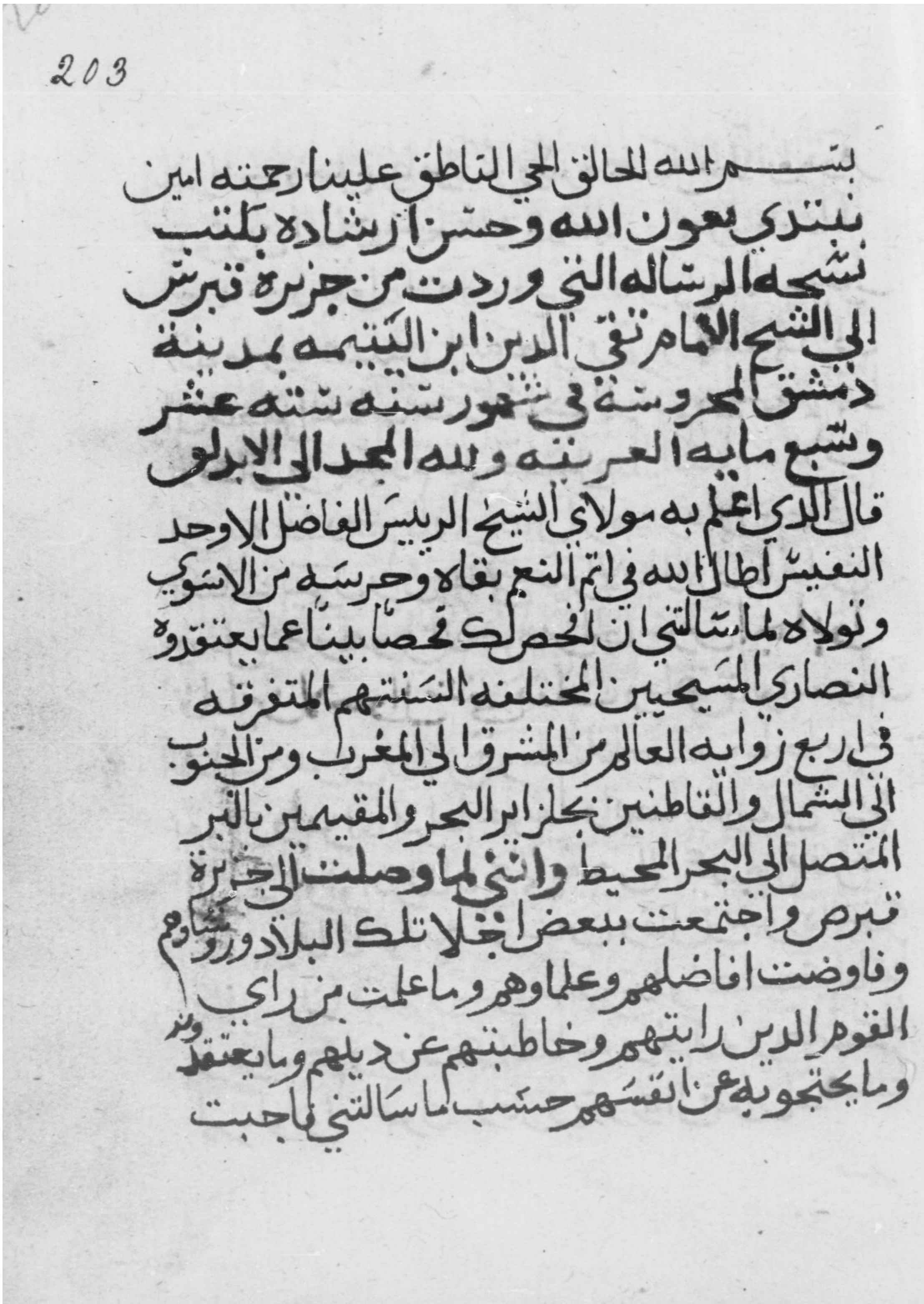
78

85 بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه بنسخ
الرسالة التي وردت من جزيرة قبرص الى
الشيخ الفاضل تقي الدين ابن التيمية بدمشق
المحروسة قال

الذي يعلم به مولاي الشيخ الرئيس الفاضل الاوحد النفيس
اطال الله في النعم بقاه وحرسه من الاسوا وتولاه سالني ان
احصل لك تبيينا لما يعتقده النصارى المسيحيين المختلفة
السنتهم المتفرقة في اربع زوايا العالم من المشرق الى المغرب
ومن الجنوب الى الشمال والقاطنين بجزاير البحر والمقيمين
بالبر المتصل الى البحر المحيط واني لما وصلت الى جزيرة قبرص
واجتمعت ببعض اجلا تلك البلاد ورؤساهم وافاضلهم
وعلماهم وما علمت من راي القوم الذين رايتهم وخاطبتهم عن
دينهم وما يعتقدوه وما يحتجون به عن نفسهم حسب ما سالتني
واحببت سوالك لاجل فرط مودتك وكثرة محبتك فانا ان
القوم يقولون اننا سمعنا ان قد ظهر في العرب انسانا اسمه
محمد يقول انه رسول الله واتى بكتاب يقول انه منزل عليه من

صورة الوجه الأول في اللوحة الأولى من النسخة الثانية من الرسالة



203

بسم الله الخالق الحي الناطق علينا رحمته امين
بشري بعون الله وحسن ارشاده بكتب
نسخه الرساله التي وردت من جزيره قبرس
الي الشيخ الامام تقي الدين ابن التيميه بمدينة
دمشق المحروسه في شهور سنه سته عشر
وسبع مايه العربيه ولله المجد الي الابد
قال الذي اعلم به مولاي الشيخ الرييس الفاضل الاوحد
النفيس اطال الله في اتم النعم بقاه وحرسه من الاسوي
وتولاه لما سالتني ان افحص لك فحصا بينا عما يعتقده
النصاري المسيحيين المختلفه السنتهم المتفرقه
في ربع زوايه العالم من المشرق الي المغرب ومن الجنوب
الي الشمال والقاطنين بجزاير البحر والمقيمين بالبر
المتصل الي البحر المحيط واني لما وصلت الي جزيرة
قبرص واجتمعت ببعض اجلا تلك البلاد ورؤساهم
وفاوضت افاضلهم وعلماوهم وما علمت من راي
القوم الذين رايتهم وخاطبتهم عن دينهم وما يعتقدونه
وما يحتجون به عن انفسهم حسب ما سالتني لما اجبت

صورة الوجه الأول من اللوحة الأولى في النسخة الثالثة من الرسالة

القسم الثاني: النص المحقق

كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرس[1]
أجاب به العبد بالذات والصفات، الفقير إلى الله تعالى من كل الوجوه والجهات،
محمد بن أبي طالب[2] الأنصاري الصوفي الدمشقي،
أثابه الله وأيده بعون منه بمَنه ويُمنه.
وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله.
أرسلت في أيام من صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة،

---

[1] قبرس: بالسين المهملة عند غالب المتقدمين وبالصاد في المعاجم المتأخرة، مترجمة عن الإغريقية: kypros، وأصل معناها: النحاس الجيد، وهي: جزيرة كبيرة في بحر الروم (الأبيض المتوسط) في شماله الشرقي، وتعد مركز التقاء بين الشرق والغرب، دخلتها المسيحية مبكراً قبل منتصف القرن الأول المسيحي، ومن أهلها: برنابا (المنسوب إليه الإنجيل)، فتحها المسلمون أكثر من مرة وأول من غزاها معاوية رضي الله عنه في زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه سنة 28هـ وهادن أهلها، وفيها توفيت أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها (وقبرها مشهور حتى الآن).

وأهلها نصارى، وهي في عصر المؤلف بأيدي النصارى الأرثوذكس، وفرسان الهيكل الصليبيين (الأسبتارية) وكانت مركزاً لشن حملاتهم على الشام ومصر، ثم تحولت إلى الكاثوليك، حتى استردها الحاكم المملوكي برسباي سنة 829 هـ ثم دخلت في طاعة الدولة العثمانية سنة 979هـ ونزح إليها الأتراك، ثم خضعت للاحتلال البريطاني عام 1878م، واستقلت منه عام 1945م، وشعبها يتألف من أتراك مسلمين ويونان نصارى.

ينظر: معجم البلدان لياقوت 4/305، نخبة الدهر للدمشقي 142، تأريخ الطبري 2/600، دائرة المعارف الكتابية (مادة: قبرس)، قبرس والحروب الصليبية د.سعيد عاشور.

[2] هكذا في الأصل منسوباً إلى جده، وينظر في تحقيق ذلك في قسم الدراسة.

ورجع الجواب إليهم في سلخ جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

غفر الله لمصنفها ولكاتبها ولقارئها ولسامعها ولجميع المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ضوّأ بمصباح التوحيد قلوب المصطفَين من العباد، وزحزح عنها ظلمات الشرك، فتألق كوكبها في أوج الشرف والإسعاد، واستبصرت بأنوار الرسالة المحمدية فنطقت ألسنتها بتنزيه مبدعها عن الشركاء والأنداد، ونفث روح القدس[1] في روعها فقدسته عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، سبحانه وتعالى عن الحلول بذوات الممكنات والاتحاد، والتشبث بناسوتٍ تركب عن مجموع عناصر قضى العقل عليه بالاستحالة والنفاد، وجلّ جلاله الأكمل عن الاستعانة بمن خلقه وسواه على تنفيذ مشيئة وتحصيل مراد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي انبهرت العقول في ضياء مجده، وغرقت أفكار
المقدسين في بحار معرفته وخرت عقولها ساجدة لعلو 1/أ
جدّه[2].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي بشرت برسالته التوراة / والإنجيل[3]، وسطعت أشعة براهينها لمّا اتضح

---

[1] روح القدس: الرُّوح (بضم الراء) تطلق في القرآن والسنة على ستة أوجه، وهي: الأول: الوحي الإلهي. الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها المؤمنين. الثالث: بمعنى جبريل عليه السلام. الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود وأجيبوا بأنها من أمر الله، في قوله تعالى: (□ □ □) سورة الإسراء: آية 85. الخامس: بمعنى عيسى عليه السلام. السادس: الروح التي بها حياة الأبدان. ينظر: الروح لابن القيم ص: 370. والمراد به هنا جبريل عليه السلام، الموصوف بالقدس، كما قال تعالى: (□ □ □ □ □ □) النحل: آية 102. وسيأتي بيان معنى الروح عند النصارى في ل أ/11 ص125.

[2] الجدّ: الجلال والعظمة، ومنه قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) الجن: 3. معجم مقاييس اللغة لابن فارس 1/364.

[3] التوراة: كلمة عبرانية بمعنى: الشريعة أو القانون، وفي اصطلاح اليهود: هي الأسفار الخمسة من العهد القديم: (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية)، التي يعتقد اليهود

لأولي الألباب من معجزها الباهر الدليل، وأشرقت بأنوار بعثته[1] المغارب والمشارق، وخفقت بالبر والبحر أعلامُ كمال النفوس البشرية لمّا نزهت عن النقائص الواحد الخالق، وارتسم في جواهرها بحِكَم كتابه المنير رسوم المعارف والتعاليم، ومحت آثار ما أدى إلى الشرك الصريح في الربوبية من القول بالأقانيم، فكانت رسالته - بحمد الله - هدىً ورحمةً للعالمين، وبرهاناً قاطعاً حجج الجاحدين والمعاندين، وسلطاناً قاهراً لمن تمادى في كفره وألحد، وتبياناً أوضح فساد قول من جعل أن الواحد الأحد تجزأ وتعدد، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى من اتبع هداه، وآمن بمن أرسله لإقامة منار التوحيد وارتضاه، وبعد.

فإنه لما كان اليوم العاشر من شهر صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة للهجرة النبوية الشريفة المحمدية[2]،

أن موسى عليه السلام كتبها بيده، تطلق على أسفار العهد القديم مجازاً. وفي اصطلاح المسلمين: هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل. وقد دخلها التبديل والتحريف. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: توراة)، دراسات في اليهودية والنصرانية د.الخلف ص: 57.

الإنجيل: كلمة عبرانية أو يونانية بمعنى: البشارة، وهو عند النصارى: ما كتب عن المسيح وحياته ومناقبه في البشارات الأربع المنسوبة إلى لوقا ومتّى ومرقس ويوحنّا، وهي التي اختارها مجمع نيقية (325م) ورفض ما سواها. ويطلق مجازاً على أسفار العهد الجديد، وليس فيه تشريعات؛ لأن عيسى جاء متمماً لرسالة موسى عليهما السلام. وأما في اصطلاح المسلمين: فهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى هدى لبني إسرائيل. ينظر: المدخل إلى العهد الجديد للقس فهيم عزيز ص: 158، البشارة بنبي الإسلام 1/66.

[1] في الأصل: (بغيته).

[2] التأريخ الهجري وضعه الخليفة الراشد الفاروق سنة سبع عشرة من الهجرة، وبدأه بالمحرم الموافق لـ 16/ يوليو / 622م، وهو من شعار أهل الإسلام، ويعتمد الأهلة في إثبات الشهور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الأنبياء ما وقّتوا العبادات إلا بالهلال، وإنما اليهود والنصارى حرّفوا الشرائع) اقتضاء الصراط المستقيم

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والثاني والعشرين[1] ب/1
من مارس[2] وآذار سنة ألف / وستمائة واثنتين وثلاثين
للإسكندر ذي القرنين اليوناني[3]، والسادس عشر من
برمهات سنة ألف وسبع وثلاثين لدقلطيانوس القبطي[4]،
والسابع عشر من خرداذماه[5] سنة ستمائة وتسعين

1/532، وينظر: تأريخ الطبري 4/38، ولمعرفة أثر الوثنية في تواريخ النصارى وأعيادهم ينظر: كتاب الأصول الوثنية للمسيحية لـ: أندريه وأدغار وكارل غوستاف، ترجمة: سميرة عزمي، ص: 49.

وتأريخ 10/2 (صفر) /721 هـ يوافق 11/ 3 (مارس) / 1321 م.

(1) في الأصل (الثاني عشرين).

(2) في الأصل: (مرس).

(3) الإسكندر: اسم يوناني بمعنى: حامي البشر. والإسكندر الأكبر هو: ابن فليفوس المقدوني، اليوناني، المصري، عاش بين (356 ق. م – 323 ق. م) باني الإسكندرية، ملك بلاد الروم وفارس فلقب بذي القرنين، وليس هو المذكور في القرآن، قال ابن تيمية: (وهذا كان مشركاً يعبد هو وقومه الأصنام، ولم يكن يسمى ذا القرنين. . . ولا وصل هذا المقدوني إلى أرض الترك ولا بنى السد، وإنما وصل إلى بلاد فارس) الجواب الصحيح 1/345، وينظر: أعلام المورد ص:56، تأريخ الطبري 1/573، قاموس الكتاب المقدس (مادة: إسكندر)، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص: 57.

وإلى الإسكندر ينسب التأريخ السرياني أو اليوناني، ويبدأ من الاثنين الأول من تشرين الأول (أكتوبر) سنة 312 ق. م، وهو تقويم شمسي، ومارس هو الشهر الثالث منه بالتسمية الغربية اليونانية ويقابله آذار بالتسمية الشرقية السريانية.

(4) في الأصل (سبعة). دقلديانوس: (ديوقليتيانوس) أحد ملوك الرومان، عاش بين (284م – 305م) أعاد تقسيم الدولة الرومانية إلى أربعة أقاليم، اضطهد في عصره نصارى مصر واستشهد منهم خلق كثير فسمي بعصر الشهداء، ثم ملك بعده قسطنطين الذي رفع الظلم عن النصارى، وقد اتخذ الأقباط عصره بداية للتقويم القبطي، ولهذا نسب إليه، وهو يعتمد على التقويم المصري الشمسي القديم، وأوله: 29 آب (أغسطس) عام 284م، وأسماء الشهور مشتقة من أسماء الآلهة أو الأعياد،

ليزدجرد بن شهريار بن كسرى أنوشروان الفرسي[1]، وردت على يد الأرتب الأديب كليام التاجر، وزير المرقب كان أدام الله مسرته[2]، رسالة حسنة التلطف، غريبة المغزى، عجيبة المرمى، كما قيل[3]:

مريضةٌ في حواشي مرطها بَلَل. . . يُهدى لكل عليل منه إبلال

وبرهمات: الشهر السادس منه. ينظر: الجواب الصحيح 4/206، أعلام المورد ص: 198، قصة الحضارة 11/379، مختصر تأريخ الدول ص: 77.

[5] في الأصل: (خرداذاماه).

[1] يزدجرد بن شهريار، آخر الملوك الساسانيين في بلاد فارس، سقط حكمه في عهد الخليفة عمر سنة 15هـ = 636م، وقتل في مرو سنة 31هـ، وإليه ينسب التأريخ الفارسي، وهو تأريخ شمسي، وبدايته في: 16 حزيران (يونيه) عام 632م = 22/3/11هـ، وخرداذماه: الشهر الثالث من الشهور الفارسية. ينظر: أعلام المورد ص504، البداية والنهاية لابن كثير 7/179. وفي تفاصيل التقاويم ينظر: الآثار الباقية للبيروني ص: 13 وما بعدها، والموسوعة العربية العالمية (مادة: تقاويم).

[2] كليام: اسم غربي ينطقه العرب كما رسمه المؤلف، وهو يختلف رسمه في الغرب فيقال: فيللم أوغليوم أو غليام أو وليم أو ويليام. قاله الزركلي في الأعلام 1/15. وبحثت عن شخصية المراد، فوجدت في التاريخ الإسلامي المعاصر للمؤلف عدداً ممن تسمى بهذا الاسم، أشهرهم: كليام التاجر الجنوي –نسبة إلى جنوة على ساحل إيطاليا– والذي اتصل بالملك العادل الأيوبي سنة 606هـ ويبعد أن يكون المراد. والأقرب أن المراد: هو وزير قلعة الشقيف، ذكر في حوادث سنة 666هـ كما في نهاية الأرب للنويري 30/192، أو هو مقدم الداوية (فرقة عسكرية صليبية كالأسبتار) الذي كتب معه السلطان المملوكي المنصور قلاوون هدنة في عام 682هـ. ينظر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ص: 34، وصبح الأعشى للقلقشندي 14/63.

قال الصفدي في نصرة الثائر على المثل السائر ص91: (وقد وردت رسالة من جزيرة قبرص على يد كليام الفرنجي التاجر في سنة عشرين وسبعمائة تقريباً، ووقفت عليها بمدينة صفد. . . أجاب عنها الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في مجلدين).

متحلّية بقلادة من جواهر كلِمٍ من آيات القرآن المجيد، الميسر للذكر، والشفاء لما في الصدور، تنزيل الحكيم الحميد، أرسلها الأساقفة والبطارقة والقسيسون[1] والرهابنة[2]، أماثل الملة المسيحية، وأكابر الأمة العيسوية، من جزيرة قبرس، نسختان: إحداهما[3]، إلى

والمرقب: قلعة حصينة منيعة تشرف على البحر المتوسط، شرق مدينة بانياس في سورية، بناها الخليفة الرشيد، واستولى عليها النصارى سنة 510هـ، قال عنها ابن الأثير: (وهي من حصونهم التي لا ترام، ولا تحدث نفسه بملكه؛ لعلوه وامتناعه، وهو للأسبتار) استعادها المنصور قلاوون سنة 684هـ بالأمان والهدنة. ينظر: معجم البلدان 5/108، الكامل في التاريخ 10/167، صبح الأعشى 14/48.

(3) البيت لأبي إسحاق الغزي (ت 523هـ) لكن كلمة (عليل) بدلها (مريض)، من قصيدة مطلعها:

هبت لنا وبرود الليل أسمال　　　صباً لها من جيوب الغيد أذيال

ومعنى مرطها: الكساء. كما في لسان العرب 7/399. إبلال: شفاء. كما في معجم مقاييس اللغة 1/186. ينظر: ديوان أبي إسحاق الغزي، ص: 424، ت: د. عبد الرزاق حسين ط. مركز جمعة الماجد.

(1) الأساقفة: جمع أسقف، معربة عن اليونانية، بمعنى: مشرف، وهي رتبة دينية فوق القس ودون البطرك، وهو رئيس القسوس، وراعٍ لأبرشية مكونة من عدّة كنائس أو منطقة معينة، وفي العصور الأولى من المسيحية لم يكن فرق بين القس والأسقف.

البطارقة: جمع بطريق، بالكاف أو القاف، معربة عن اليونانية، بمعنى: الأب الرئيس، ولم تعرف مرتبة البطريق إلا بعد القرن الثالث الميلادي، وهي أعلى مرتبة كهنوتية.

القسيسون: جمع قسيس وقس، معربة عن اليونانية، بمعنى: شيخ، وهو المفتي في دين النصارى، ورتبته في الكهنوت بين الأسقف والشماس، ويكون راعياً لقرية أو حيّ. ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص72، دائرة المعارف الكتابية 1/260، الموسوعة العربية الميسرة 999، 1158، 1492، أسرار الكنيسة السبعة ص184.

وهذه المراتب من بدع النصرانية التي لم ترد عن أنبيائهم ولا في كتبهم المقدّسة، وإنما هي من تواضعهم عليها، ومن خرج عنها سمي: خارجيّاً أو كافراً أو مهرطقاً، وفرق النصارى

الشيخ الإمام قدوة الأنام أبي العباس أحمد بن تيمية، أدام الله النفع به، وأمتع ببقائه[1].

والثانية، إلى من ظنوا أن عنده علماً، فلما وقف العبد 2/أ
الفقير المشار إليه عليها / وتدبرها، علم أنهم التمسوا عما تضمنته جواباً، فاتحين بذلك في طلب المناظرة أبواباً، ظانّين بأنهم قد ظفروا بما يؤيد لهم مقالة، أو يسدد لدينهم بذكره دلالة، ووجد العبد الفقير المشار إليه جميع ما تمسكوا به هباءً، أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، فحسن عندي رد الأجوبة عمّا أوردوه، وإظهار البرهان على بطلان ما اعتقدوه، بعد أن فصلت رسالتهم تفصيلاً، وأوضحت بإثبات الحق الجواب عن كل فصل لمن أراد إلى الحق سبيلاً، ذبّاً عن دين الله واتباعَ رضوانه، راجياً أن يبوئني الله بذلك دار أمانه، فاستخرت الله تعالى وسألته العصمة من الخطأ في الجواب، وحسن التوفيق والهديَ إلى الحق والصواب، فقلت مبتدياً، وبالله تعالى مهتدياً:

مختلفون فيها وفي شرائطها. ينظر: الجواب الصحيح 4/188، الأعلام للقرطبي 1/405 ت. السقا، صبح الأعشى 13/276، المسيحية د. عبد الحليم محمود ص: 171، وقد أشار إلى أن المراتب من تأثير الجماعات الوثنية والنظم اليهودية.

(2) الرهابنة: جمع رهبان (المفرد) لا جمع راهب، وأصل الرهبنة: الخوف والرهبة، وهي وصف للمنقطع للعبادة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري 2/330، ولسان العرب 1/436.

(3) في الأصل (نسختين: أحدهما) وهو غلط.

(1) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية تقي الدين، النميري، الحرّاني، الحنبلي، عاش بين (661 – 728هـ) شهرته طبقت الآفاق، تبحر في علوم كثيرة، وناظر وكتب في مسائل الفقه والكلام والأديان، وأوذي وسجن مرات ومات في سجنه بالقلعة في دمشق، ومن مؤلفاته: درء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، والجواب الصحيح وغيرها، ينظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي، سير أعلام النبلاء 22/288، الجامع لسيرة شيخ الإسلام خلال سبعة قرون لعزيز شمس.

أرسلتم أيها الآباء الأفاضل، والمعلمون الأماثل، والرؤساء الكهان، جاثليقية[1] هذا الزمان، ألهمكم الله رشدكم، وهدى إلى الحق قصدكم، تقولون بطريق الإخبار[2]:

إننا لمّا / سمعنا أن قد ظهر إنسان في العرب اسمه محمد يقول: إنه رسول الله. وأتى بكتاب يذكر فيه: أنه منزل عليه من عند الله. فلم نزل إلى أن حصّلنا الكتاب عندنا[3]، وقرأناه وفهمناه وتدبرناه، فتحققنا منه: أن محمداً ب/2

---

1) الجاثليق: معرب عن اليونانية، بمعنى: شامل وعام، وهو مقدم الأساقفة بمنزلة البطريك. ينظر: المعجم الوسيط 1/ 107.

2) أغفل المؤلف ذكر مقدمة رسالة أهل جزيرة قبرص، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح 1/119، وهي مذكورة في مخطوطات الرسالة (وفي تصديرها خلاف بين النسخ)، وهي في ن 1: بسم الله الحي المحيي القديم الأزلي (وفي ن 2: بسم الآب والابن وروح القدس إله واحد، وفي ن 3: بسم الله الخالق **(في النسخ الثلاث: بسم، وصوابه: باسم) الحي الناطق علينا رحمته آمين) (وفي ن 3: نبتدئ بعون الله وحسن إرشاده بكتب نسخة الرسالة التي وردت من جزيرة قبرص إلى الشيخ الإمام تقي الدين ابن التيمية بمدينة دمشق المحروسة في شهور سنة ست عشرة (في الأصل: ستة عشر) وسبعمائة العربية، ولله المجد إلى الأبد)** (ونحوه في ن 2 بدون تأريخ). أما بعد، الذي يعلم مولانا الشيخ المكرم الرئيس السيد الفاضل الأوحد النفيس، أطال الله بقاءه، وحرسه من الأسواء وتولاه. (من هنا بداية ما في الجواب الصحيح) سألتني أن أفحص لك فحصاً بيناً ما يعتقده النصارى المسيحيون، المختلفة ألسنتهم، المتفرقة في أربع زوايا العالم، من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، والقاطنون بجزائر البحر، والمقيمون في البر المتصل إلى مغيب الشمس، وإنني (في الجواب الصحيح: وإن الأسقف دميان الملكي الرومي) لما وصلت إلى جزيرة قبرص، اجتمعت ببعض أجلاء تلك البلاد ورؤسائهم، وفاوضت أفاضلهم وعلماءهم، وما علمت من رأي القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم عن دينهم وما يعتقدونه، وما يحتجون به عن أنفسهم، حيث سألتني فأجبت إلى مساءلتك؛ لأجل إفراط مودتك وكثرة محبتك، قائلاً: إن القوم يقولون: **إنا سمعنا. . .).**

3) في الجواب الصحيح 1/120 والرسالة بعد هذا، ما نصه: (فقلت لهم: إذا كنتم قد سمعتم بهذا الإنسان، واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب الذي أتى به عندكم، فلأي حال لم تتبعوه؟ ولا سيما في الكتاب يقول في سورة آل عمران: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ). أجابوا: لأحوال شتى. فقلت: ما هي؟ قالوا: منها: أن الكتاب عربي وليس بلساننا. . .).

أرسل إلى العرب دوننا؛ إذ هو عربي وليس بلسانا، حسب ما جاء فيه[1]، وهو قوله في سورة الشعراء: (ۇ ۆ ۈ ۉ ۋ) الآيات[2]، وقوله في سورة البقرة: (ۇ ۆ ۈ ۉ ۋ) الآيات[3]، وقوله في سورة آل عمران: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ) الآية[4]، وقوله في القصص: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) الآية[5]، وكذلك في سورة السجدة[6]، وقوله في سورة يس: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ) الآية[7].

فلما رأينا هذا فيه علمنا: أنه لم يرسل إلينا، بل إلى جاهلية العرب الذي[8] قال: إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله. وأنه لا يلزمنا اتباعه؛ لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله: خاطبونا 3/أ
بألسنتنا، وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا، / وسلّموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هذا، حيث يقول في سورة إبراهيم: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ

---

1) في الجواب الصحيح 1/121 والرسالة استدلال بآيتين لم يذكرهما المؤلف قبل ما ذكره من الآيات، وهما قوله تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ) سورة يوسف: 2، وقوله تعالى: (﮳ ﮴ ﮵) سورة الشعراء: 195.

2) سورة الشعراء: آية 198 – 199.

3) سورة البقرة: آية 151.

4) سورة آل عمران: آية 164.

5) سورة القصص: آية 46.

6) في الرسالة والجواب الصحيح ذكرت الآية بلفظها وهو قوله تعالى: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) ينظر: سورة السجدة: آية 3.

7) سورة يس: آية 6.

8) في الرسالة: (**إلى الجاهلية من العرب الذي قال. . .**) وفي الجواب الصحيح 1/122: (الذين قال).

ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ) الآية[1]، وقوله في سورة النحل (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)[2]، وقوله في سورة الروم: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ) الآية[3]، فقد صح في هذا الكتاب أنه لم يأت إلا إلى جاهلية العرب.

وأما قوله: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) الآية[4]، فيريد بحسب مقتضى العدل: الذي جاءهم به بلغتهم، لا غيرهم ممن لم يأتهم ما جاء فيه[5].

فغاب عنكم الصواب لمعنيين:

أحدهما: ترك الاقتداء بذوي الأدب، مع أنكم أهل أدب ومعارف ورتب.

وثانيهما: عدم اللحاق بذوي الألباب، مع صحة أذهانكم وانقيادكم للحق إذا ظهر لكم.

أما ترككم الأدب: فكونكم لم تمجّدوا رسول الله ﷺ بما يليق بجليل قدره، وكرامته عند ذكره، وخاطبتم الواصلة رسالتكم إليه بالتمجيد لاسمه، وهو ذرّة من ذرّات وجود الرسول / وواحد من مئين ألوف ألوف شعوب ربوات من أمته، وتابعيه وخدام شريعته، ولأن العادة الجارية في سنة المخاطبة والمكاتبة - ولو بين الأعداء والمجهول بعضهم عند بعض - استعمال الأدب، 3/ب

---

[1] سورة إبراهيم: آية 4.

[2] سورة النحل: آية 36.

[3] سورة الروم: آية 47.

[4] سورة آل عمران: آية 85.

[5] في الجواب الصحيح 1/123 والرسالة: (**فيريد بحسب مقتضى العدل: قومه الذين. . . ممن لم يأتهم بما جاء فيه**).
وهذه الشبهة: (رسالة النبي ﷺ خاصة بالعرب) ذكرها أيضاً: ابن العسال النصراني في القرن السابع الهجري في كتابه الصحائح ص: 37، وأسندها إلى الملوك النصارى. ومن المعاصرين السير وليم كما ذكر المستشرق أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام ص: 50.

مع أن اسم الرسول يقتضي المدح والحمد من مسمّيه، سواء قصد مسميّه ذلك أو لم يقصده؛ فإن الاسم محمد، ومحمد ضد مذمم، فمن سمّاه بمجرد اسمه مدحه وحمده ومجّده طوعاً وكرهاً.

وإننا معشر المسلمين لا نذكر نبيّاً من الأنبياء ولا نسمع بذكره إلا ونصلي عليه ونسلم[1]، ونمجّد الرب تعالى بذكر أسمائه المقدسة عن مزاحمة اشتراك الأسماء المتخلق بها العباد في التسمية[2]، كالاسم الذي افتتحتم به رسالتكم، وهو قولكم: (باسم الإله الناطق)[3].

---

[1]) الصلاة على نبينا محمد اختلف العلماء في حكمها، مع إجماعهم على مشروعيتها، قال ابن حجر في فتح الباري 11/183: (أما حكمها فحاصل ما وقفت عليها عشرة أقوال) ثم ساقها. وحاصل الأقوال: أنها تجب في مواضع كالتشهد الأخير في الصلاة، وتتأكد في مواضع كيوم الجمعة، وتستحب مطلقاً حسب الطاقة. ينظر: الشفا للقاضي عياض 3/446، والتمهيد لابن عبد البر 16/191، والمغني لابن قدامة 1/579. وكذلك يستحب الصلاة والسلام على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال ابن القيم: (وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة، منهم الشيخ محيي الدين النووي وغيره) جلاء الأفهام ص: 545 ت: النشيري، وينظر: الأذكار للنووي ص: 99 ت: الأرناؤوط.

[2]) أسماء الله تعالى توقيفية، ولا يسمّى سبحانه إلا بما سمّى به نفسه، في كتابه أو سنة نبيه ، وأسماؤه سبحانه على قسمين:

الأول: ما كان مختصّاً به سبحانه، كلفظ الجلالة (الله) أو الرحمن ونحوه، فلا يجوز تسمية غيره به، لأنه لا يقبل الشركة.

والثاني: ما كان من الأسماء له معنى كلّي تتفاوت أفراده، كالملك والجبّار والعزيز والرحيم ونحوها، فهذا يجوز إطلاقه على الله وعلى غيره، وهو مختص فيما أضيف إليه، فإذا أضيف إلى الله اختص به بما يليق به سبحانه من الكمال والجلال، وإذا أضيف إلى المخلوق اختص به بما يليق به من النقص والضعف. ينظر: تفسير ابن كثير 1/36، مجموع فتاوى ابن تيمية 12/97، بدائع الفوائد لابن القيم 1/149.

[3]) كما في مخطوطة رسالة النصارى النسخة 3، وهذا يرجح أن المؤلف اطلع عليها دون غيرها.

والنطق إن أردتم به العلم والإدراك، أو الكلام النفساني، أو الكلام اللساني، أو المسموع من المتكلم بأدوات جسمية أو غير جسمية، فإنه اسم مشترك، وليس من الأسماء المقدسة الحسنى[1].

وما مثلنا نحن وأنتم وسائر المليّين في تمجيدنا / 4/أ
للرسل والأنبياء عليهم السلام إلا كمثل من يمدح الشمس فيقول: إنها مشرقة الضياء نيّرة. سواء قال ذلك أو لم يقله فإن الشمس في عزها أغنى عن قوله. وإنما تمجيدنا وصلاتنا وسلامنا على الأنبياء شرف لنا في الدنيا والآخرة[2]، وسيّما[3] السيّد المسيح المهجور ذكره من النصارى الغالين فيه، ومن اليهود القالين له، إذ هؤلاء يقولون عند ذكره: له منا السجود. وهؤلاء لا يذكرونه إلا بالسوء وبالجحود[4]. فإنا نصلي عليه ونسلم، ونقول فيه

---

(1) (الناطق) ليس من الأسماء الحسنى المقدّسة؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة، وليس لكونه مشتركاً، بل جعله مشتركاً وأنه يدل على العلم والإدراك أو الكلام النفسي ... إلخ غير مسلم به، فإن النطق: هو الصوت المسموع، والصوت في حق الباري سبحانه لا يماثله شيء، ولا يطلق النطق على العلم أو الكلام النفسي إلا مقيداً بما يدل عليه. ينظر: التسعينية لابن تيمية 3/951، مجموع الفتاوى 6/296، شرح المواقف للجرجاني 8/103، شرح النونية لابن عيسى 1/279.

(2) ذكر ابن القيم أربعين فائدة من فوائد الصلاة على النبي ﷺ في جلاء الأفهام ص: 612.

(3) كذا في الأصل. وأكثر أهل اللغة على منع حذف (لا) من (لا سيّما)، قال أبو حيان في الارتشاف 3/1552: (وحذف (لا) من (لا سِيَّما) إنما يوجد في كلام الأدباء الْمُوَلَّدِين، لا في كـلام مَنْ يُحْتَجُّ بكلامـه). وأجازه الرضيّ في شرحه للكافية 2/793. وسيأتي الحذف في مواضع أخرى.

(4) رفع النصارى المسيح فوق قدره حتى صرفوا له العبادة من دون الله، ولم ينزلوه المنزلة التي يستحقها بكونه رسول الله وكلمته، ثم أهانوه بالصفات التي نسبوها إليه من الصلب والذل ونحوه. ينظر: هداية الحيارى لابن القيم ص: 342. بينما وصف اليهود المسيح عليه السلام بأبشع الصفات، كقولهم عنه: إنه ابن زنى، وساحر، كذّاب. ينظر مثلاً: إنجيل

ما قال ربنا عز وجل: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ
ﭵ) الآية[1].

وأما عدم اللحاق بذوي الألباب الذين أوحى الله إليهم وحيه وأسمعهم كلامه بألسنة رسله فآمنوا به وبكتبه وبرسله: فلكونكم زعمتم أن ظهور سيدنا محمد كان بغتة، مفاجأة للناس من غير أن يبشر به نبي متقدم، ولا رسول من الرسل، ولا هتفت بنعته الجانّ، وسجعت بوصفه الكهان[2]، ولا كان اسمه ونعته مكتوباً في التوراة في / سبعة[3] مواضع، وفي الإنجيل مثل ذلك[4].

يوحنا 8/41 وفيه: (إننا لم نولد من زنى، لنا أب واحد هو الله) تعريضاً بالمسيح، وانظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص: 105، فضح التلمود للأب. برانايتس، ترجمة: زهدي الفاتح ص: 55، موقف اليهود والنصارى من المسيح د. سارة العبادي.

1) سورة النساء: آية 171.

2) الكهان: جمع كاهن، وهو: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنة يتحاكمون إليهم، ومنهم من يزعم أن له رئيّاً من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يستدل بها. ينظر: النهاية لابن الأثير 4/214. وقد هتفت الجانّ بخبر بعثة النبي ، وأخبرت بذلك الكهّان، وقد جمع العلماء أخبارهم كما في: كتاب هواتف الجانّ للخرائطي، وكتاب الهواتف لابن أبي الدنيا، أو في كتب السيرة ودلائل النبوة.

3) في الأصل (سبع) وهو غلط.

4) ذكر المؤلف اثنتي عشرة بشارة، وهي أكثر من ذلك، مع ما في نسخ التوراة والإنجيل المتداولة من التحريف، وقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى خمسة أوجه لمعرفة البشارة بالنبي ، وهي:

الأول: ما ذكر في كتبهم، وهو كثير. والثاني: إخبار من وقف على كتبهم، ممن أسلم أو لم يسلم، بذكره فيها. والثالث: إخباره أنه مذكور في كتبهم في القرآن والسنة. والرابع: أعلام نبوته مع إخباره بأنه مذكور في الكتب المتقدمة تدل على صحة البشارات. والخامس: ما في الكتب السابقة من البشارة من الأحداث المستقبلية وأهمها نبي عظيم يخرج في آخر الزمان، ولا يكون إلا هو . وقال: (والطريق الأول هو من

مع أنكم واليهود تقرؤون يومنا هذا في التوراة ما ترجمته بالعربية: (جاء الله من

أظهر الحجج على أهل الكتاب، وأظهر الأعلام على نبوته).
ينظر: الجواب الصحيح 5/187، وهداية الحيارى ص: 414 ت: د. الحاج. ولعلماء المسلمين جهود كثيرة في إبراز ما في التوراة والإنجيل من التبشير بالنبي تفسيراً لقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) سورة الأعراف: آية 157.
في هامش الأصل عند كل بشارة كلام باللاتينية بخط مغاير ومتأخر في الزمن، كأنه توضيحات وترجمة.

سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى بجبال فاران)[1] وتعلمون أن المراد بسيناء[2]: موسى والتوراة، فإن سيناء طور المخاطبة، وأن المراد بساعير[3]: المسيح والإنجيل، إذ ساعير مدينة الناصرة موضع البشارة بالمسيح، وأن المراد بجبال فاران[4]: محمد والقرآن، فإن فاران مكة، وجبال فاران جبال الحجاز.

---

1) سفر التثنية: 33/2. وهذه البشارة نظير قوله تعالى في سورة التين: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ) ينظر في تفسيرها ورد الشبهات حولها: الجواب الصحيح 5/200 – 210، تخجيل من حرف الإنجيل للجعفري 2/654.

2) سيناء: اسم موضع في شبه جزيرة سيناء يضاف إليه الطور (الجبل) فيقال: طور سيناء، ويسمّى: حوريب، وهو الموضع الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام، واختلف الكتّاب النصارى في تحديده، فقيل: هو في وادي فيران. وقيل: هو جبل موسى. وقال البلادي في معجم المعالم الجغرافية ص: 189: (هو جبل ما زال معروفاً، إذا وقفت في آخر شمال الحجاز رأيته شامخاً، ليس بينك وبينه غير خليج العقبة، وبه بلدة عامرة تسمى: الطور) وينظر: قاموس الكتاب المقدس ص: 497، ودائرة المعارف الكتابية (مادة: جبل سيناء).

3) ساعير: (سعير) اسم لجبال فلسطين، واسم لقرية من قرى الناصرة بين عكا وطبرية، وفي قاموس الكتاب المقدس ص: 466 ما يدل على أنها جنوب البحر الميّت جنوب فلسطين. ينظر: معجم البلدان 1/171، نخبة الدهر للمؤلف ص: 212.

4) فاران: كلمة عبرانية بمعنى: الجبل المغور، وقيل: المزيّن، وقيل: الظليل. وهو اسم لمكة أو لجبالها، أو لجبال الحجاز كلها، وفي قاموس الكتاب المقدس ص: 667: أنها بين سيناء وسعير بوادي فيران. وهو موضع معروف لكن تفسير نصوص التوراة به غلط بيّن. ويرده ما جاء في التوراة: أن إسماعيل سكن في بريّة فاران كما في سفر التكوين 21/21. قال ابن قتيبة: ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادّعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم) نقله ابن تيمية في الجواب الصحيح 5/200. وينظر: إفحام اليهود للسموءل ت: الشرقاوي ص: 60، 118، معجم البلدان 4/225،

وكذلك تقرؤون أنتم واليهود في التوراة ما ترجمته: (قال الله لموسى: قل لهم – يعني: بني إسرائيل -: نبي يقيمه الله لكم من إخوتكم مثلي، ويجعل الله كلامه في فيه)[1]، ويعلمون أن بني إسرائيل ليس لهم إخوة إلا بنو إسماعيل[2]، ولم يقم في بني إسماعيل وبني قيدر[3] 5/أ
قائم بناموس[4] عام وشريعة عظمى مثل موسى غيرُ محمد، ولما كان في التوراة أنه لا يأتي في بني إسرائيل نبي مثل موسى[5] قال الله: (أقيم نبيّاً من إخوتكم) ولم

البحث الصريح للشيخ زيادة الراسي ت: د. الخلف ص: 225.

1) سفر التثنية: 18/ 18، 19 والنص فيه (فانديك): (أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه). كما وردت هذه البشارة على لسان بطرس الحواري كما في أعمال الرسل: 3/22. وانظر نموذج تحريف النصارى لهذه البشارة في: إظهار الحق 4/1128.

2) في الأصل (بني) والصواب (بنو).

3) قيدر: (بالدال المهملة والمعجمة، وقيدار) قال السهيلي: (تفسيره: صاحب الإبل) وروي وجه آخر: بمعنى الملك. كما في الروض الأنف 1/31، 41. وفي قاموس الكتاب المقدس ص: 751 بمعنى: أسود. وهو من أبناء إسماعيل عليه السلام، وهو جدّ العرب، وأرضهم تسمى: أرض قيدار. كما في سفر التكوين 25/12 وسفر أشعياء: 42/11، وفي سفر أرميا: 2/10 ما يدلّ على أن بني قيدار (العرب) كانوا على التوحيد ملة إبراهيم، وهذا يوافق ما في صحيح البخاري رقم (2484) وغيره: أن أول من غير ملة إبراهيم عمرو بن لحي في عصر كنانة. ينظر: تأريخ الطبري 2/193، المفصل في تأريخ العرب لجواد علي 2/91.

4) ناموس: اسم يوناني بمعنى: شريعة أو قانون. وقد يخص بشريعة موسى عليه السلام، قاموس الكتاب المقدس (مادة: ناموس) وفي اللغة العربية: الناموس: صاحب السر، وما يستر به. معجم مقاييس اللغة 5/481، صحيح البخاري رقم (3212).

5) جاء في سفر التثنية: 34 /10: (ولم يقم من بعدُ في بني إسرائيل نبي كموسى. . .) وقد ذكر رحمت الله في: إظهار الحق 4/1122 عشرين وجهاً في المماثلة بين نبينا محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، ومصداقه في قوله تعالى: (ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) المزمل: آية 15.

يقل: (منكم) لئلا يتناقض القول، فكان نبينا القائم من بني إسماعيل، وكان كلام الله في فيه / يقوله قولاً[1]، وهو أمي: لا تعلّم ولا كتب ولا ســـافر؛ فيظنّ الظانّ أنه تعلّم في السفر[2].

وكذلك في التوراة أيضاً ما ترجمته: (قال الله لإسماعيل: سمعتك[3]، ها أنا نمّيْته وباركته، وجعلته لأمة عظيمة، مُذمَذ، يولد اثني عشر شريفاً)[4] وأنتم واليهود تعلمون: أنه لم ينمَّ ويبارك ويبعث للأمة العظيمة ويولد

---

1) ذكر رحمت الله الهندي عشرة أوجه تبين مطابقة هذه البشارة لحال نبينا محمد ﷺ في إظهار الحق 4/1116.

2) لم يسافر ﷺ للتعلم قط، وإنما سافر قبل بعثته مرتين: في صحبة عمه أبي طالب وهو صغير، وللتجارة وهو شاب لم يبلغ الثلاثين، ولم يكن يفارق صَحبه في سفره. ينظر: الجواب الصحيح 1/400، وأما بعد بعثته فكثير، قال ابن القيم: (كانت أسفاره ﷺ دائرةً بين أربعة أسفار: سفره لهجرته، وسفره للجهاد وهو أكثرها، وسفره للعمرة، وسفره للحج) زاد المعاد 1/462.

3) في الأصل: سمعتد.

4) سفر التكوين: 17/20 والنص فيه (الكاثوليكية): (وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه. وها أنا ذا أباركه وأنميه وأكثره جدّاً جدّاً، ويلد اثني عشر رئيساً، وأجعله أمة عظيمة). وفي ترجمة (فانديك): (وأكثره كثيراً جدّاً)، وتكثير نسل إسماعيل عليه السلام ومباركته ذكر في أكثر من موضع في التوراة مثل: سفر التكوين: 16/9، 21/17.

اثني عشر شريفاً سوى محمد، والمسمى مُذمَذ[1] والمبارك جِدّاً جِدّاً .

وكذلك جاء في السفر الخامس من التوراة ما ترجمته: (قال الله لموسى: سأقيم لبني إسرائيل نبيّاً مثلك، فليسمعوا له ويطيعوه، ومن خالفه فإني أعاقبه وأعرض عنه)[1] وهذا يقرؤه السامرة[2] واليهود، وتعلمونه

---

1) على هامش الأصل تعليق بخط مغاير بالتالي: (مع أن عدده بالعبراني 92، فهو يطابق عدد محمد) مذمذ: كلمة عبرانية، وردت في بعض المصادر العربية: بماد ماد، ومؤدمؤد (بوزن عمر)، ومئذمئذ (بكسر الميم والهمزة). قال ابن القيم في هداية الحيارى ص: 335: (اختلف في معناها علماء أهل الكتاب، فطائفة تقول: معناها جدّاً جدّاً، أي: كثيراً كثيراً ... وقالت طائفة أخرى: بل هي صريح اسم محمد، ويدل عليه: أن الألفاظ العبرانية قريبة من العربية) واختار المهتدي السموءل في كتابه إفحام اليهود ص: 115: أنها بمعنى: جدّاً جدّاً، وأنها دالة على محمد بحساب الجمل. وقال القاضي عياض في الشفا 1/234: ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه: طيب طيب) وينظر: الأعلام للقرطبي ص: 265، تخجيل من حرف الإنجيل 2/652، الجواب الصحيح 5/219، إظهار الحق 4/1136، وينظر شهادة المؤرخ ابن العبري المسيحي لهذه النبوءة في: تأريخ مختصر الدول ص: 23.

2) سفر التثنية: 18/ 15 (الكاثوليكية): (يقيم لك الرب إلهك نبيّاً مثلك من وسطك، من إخوتك، فله تسمعون) وفي فقرة 19: (وأي رجل لم بسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي فإني أحاسبه عليه). وفي التوراة السامرية: (فأنا أطالبه). انظر: التعليق على البشارة ما قبل السابقة.

3) السامرة: اسم عبراني بمعنى: مركز الحارس، وأصلها: نسبة إلى مدينة السامرة (القديمة) وقامت على أنقاضها مدينة نابلس، وهي المملكة الشمالية حين انقسام مملكة إسرائيل، ومن فرق اليهود، ويعرفون أيضاً باسم: الشكيميين نسبة إلى بلدة شكيم، وهم جيل توالد في السبي الآشوري، ولذا يحتقرهم اليهود، واتهموا المسيح بأنه سامري لذلك كما في يوحنا: 8/48، والسامريون يبطلون نبوة غير موسى عليه السلام، ولا يؤمنون بغير توراتهم (الأسفار الخمسة وسفري يوشع والقضاة) ويعظمون جبل جرزيم ويتوجهون إليه. وهم الآن جماعات قليلة. ينظر: الفصل لابن حزم 1/82، دائرة المعارف اليهودية 14/725، قاموس الكتاب المقدس ص: 258، مقدمة د. السقا للتوراة السامرية.

أنتم، وأنه ما جعله في آخر التوراة إلا للتوكيد والعهد[1]، ولم يأت مثل موسى سوى محمد ﷺ .

ومما جاء من وصفه والتبشير به من المسيح عليه السلام: قوله في الأناجيل الأربعة للتلاميذ ليلة الفصح[2] ما معناه: (إني ذاهب عنكم وخير لكم أن أذهب، لأن البارقليطس يرسله الله إليكم)[3] (يعلمكم كل شيء)[4] ب/5

---

1) أي: في سفر التثنية. وهو آخر الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، وفيه تأكيد لخضوع أهل الكتاب للتعاليم و الوصايا الواردة في سفر الخروج: 20. ينظر: مقدمة سفر التثنية في طبعة دار المشرق في بيروت للكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية (مادة: الأسفار الخمسة).

2) الفصح: عيد النصارى بعد الصيام الكبير، ذكرى لقيام المسيح بعد الصلب، يقع بين (22/ مارس - 25/ أبريل) على خلاف بين كنائسهم فيه، وهو عند اليهود ذكرى خروجهم من مصر، ويقع في 15/ نيسان، وعيد الفصح يعتمد التقويم العبري لذا هو ثابت عند اليهود دون النصارى. ينظر: تاريخ الطبري 1/735، هداية الحيارى ص: 556، مجموعة الشرع الكنسي للنصراني حنانيا إلياس ص: 115.

3) إنجيل يوحنا: 16/7. ولكن لفظ (البارقلطيس) أبدل إلى (المعزى) أو (المؤيد) ونحوهما، وهذا من التحريف والتبديل، فإن لفظ (البارقليط) نقله الأثبات من علماء المسلمين والنصارى، ولا يزال محققوهم يعلمون التبديل، كما في شهادة من أسلم منهم كـ: عبد الله الترجمان (أنسلم تورميدا)، وهي سبب إسلامه كما في كتابه: تحفة الأريب ص: 42، وعبد الأحد داود في كتابه: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص: 194 وفي طبعات الأناجيل المعربة القديمة كنسخة لندن 1831 م يوجد لفظ البارقليط، كما أشار إلى ذلك رحمت الله الهندي في إظهار الحق 4/1185، وقد أشار شيخنا د. محمود قدح، في تحقيقه لكتاب: تخجيل من حرف الإنجيل 2/703، إلى اطلاعه على مخطوط للإنجيل في إسطنبول يحتوي على هذا اللفظ. وسواء ثبت لفظ البارقليط أو المعزى أو المؤيد فإن الصفات الواردة معه تدل على صفات نبينا محمد ﷺ . ينظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس ص: 181، بيركليت اسم نبي الإسلام د. السقا ص: 26.

4) إنجيل يوحنا: 14/26.

والبارقليطس / معناه: الرسول[5].

وقال أيضاً ما ترجمته: (إذا أنا ذهبت فإن أركون العالم يأتي إليكم)[2] (يوبّخ العالم على العدل، وعلى الخطيئة من أجلي، وعلى الحكم)[3] ولم يأت بعد المسيح من وبّخ العالم على هذه الثلاثة وكان أركون العالم سوى محمد [4].

---

5) البارقليطس: كلمة يونانية وأصلها (periqlutos) وجرى لها تحريفات، ومعناها: الحمد أو المحمود أو حسن الذكر، وعلماء أهل الكتاب مختلفون في إثبات لفظها وتفسير معناها، وحاصل أقوالهم في معناها: المخلّص، أو المعزّى، أو الحمّاد، أو المحامي، أو الشفيع. والأكثرون على الأول، وهذه الأقوال لا تخرج النص عن كونه بشارة بنبينا محمد ، وقد ذكر رحمت الله الهندي ثلاثة عشر وجهاً في انطباقها عليه في إظهار الحق 4/1191، وينظر: تخجيل من حرف الإنجيل 2/702، الجواب الصحيح 5/287، الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: 424، الجواب الفسيح للآلوسي 1/277، محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد ص: 194.

في هامش الأصل كتب بخط مغاير بتوقيع كاتب التعليق السابق عبارة، وهي: (فيه بحث، يا ليته لم يكتب هذا حتى لا يضحكون النصارى الكلاب). لعله ظن أن لا حجة في هذا اللفظ على النصارى.

2) إنجيل يوحنا: 14/ 30، ولكن ورد بلفظ (رئيس) كما في ترجمة فانديك مثلاً، أو (سيد) كما في الترجمة الكاثوليكية.

3) إنجيل يوحنا: 16/8 والنص فيه (المشتركة): (ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة، والبر، والدينونة) وفي بعض النسخ (يبكت) و (أخزى) بدل (وبخ)، وينظر: إظهار الحق 4/1195.

4) التوبيخ على الثلاثة فسر في النص بعده: 16/9 - 11 (أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بـي، وأما على البر فلأني ذاهب إلى الآب ولن تروني، وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم أدين وحكم عليه) فالتوبيخ للعالم أجمع دليل على عموم رسالة النبي ، ومعنى التوبيخ على الخطيئة: بالتحذير من الشرك والمعاصي، وقد جاء نبينا بالتحذير منها، والتوبيخ على البر: على عدم الإيمان بالنبي وقيل: سيوبخ القائلين بصلبه،

وقال المسيح أيضاً ما معناه: (حق حق أقول لكم أن البارقليط الآتي بعدي ينبثق من فيه روح الحق، ويوبخ العالم لكونهم اتخذوني هزؤاً أو بغضوني مجاناً، فاسمعوا له وأطيعوا)[1].

المنكرين لنجاته، والتوبيخ على الدّينونة: بفضح رئيس العالم الشيطان وكشف ألاعيبه، والدينونة: من الديّان بمعنى الحكم على الناس ومحاسبتهم، والنصارى يزعمون أن الله أوكل للمسيح الحكم على الناس وحسابهم. ينظر: التخجيل 2/711، الجواب الصحيح 5/292، محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد ص: 201، البشارة بنبي الإسلام د. السقا 2/286، محاضرات في النصرانية ص: 100.

وأما الأركون فمعناه: العظيم القدر، ووصف النبي ﷺ في سفر إشعياء 9/5 بـ (أركون السلام). ينظر: التخجيل 2/675، 714، الجواب الصحيح 5/305، هداية الحيارى ص: 340 وفيه تفصيل ومقارنة بما ورد في السنة النبوية.

(1) إنجيل يوحنا: 15/ 25 – 26 بلفظ مقارب وفيه تقديم وتأخير والنص فيه (فانديك): (إنهم أبغضوني بلا سبب، ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً) وفي يوحنا: 16/13 (فانديك): (لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به). وانظر: التعليق السابق على البشارة ما قبل السابقة.

وقال المسيح أيضاً حين كان مارّاً ببيت عيانا[1] وسأله رئيسها قائلاً: أنت إيليّا[2] أو أكمد؟ فقال: (لست إيليّا ولا أكمد، وإنما أنا ابن للبشر الوحيد)[3] وأنتم تعلمون أن أكمد: أحمد باللغة اللاتينية[4]، فإن حرف الحاء لا يوجد

---

[1] بيت عيانا: (بيت عينا) يطلق في الإنجيل على مكانين، أحدهما: قرية صغيرة جنوب شرق بيت المقدس، تعرف الآن بالعازرية، وفيها بيت لعازر كان يتردد عليه المسيح في آخر حياته كما في إنجيل متى: 21/17 ويوحنا: 11/18، والثاني: في عبر الأردنّ حيث كان يوحنا المعمداني (شرق نهر الأردنّ الآن)، ولهذا يرى بعض علماء النصارى أن ذكر بيت عينا غلط أو سهو من الناسخ، وإن كان هو المشهور في كثير من نسخ إنجيل يوحنا، وأن الصواب هو بيت عبرة، المعروفة في عبر الأردن. وأن المكان الثاني غلط ولا يستقيم مع رحلات المسيح عليه السلام. ينظر: قاموس جورج للكتاب المقدس 1/267، دائرة المعارف الكتابية (مادة: بيت عبرة) تفسير إنجيل يوحنا للأب متى المسكين 2/136.

[2] في الأصل كتبت في الموضعين: (أالوليا).

[3] إنجيل يوحنا: 1/19 - 28، ولكن لم يذكر (أكمد) بل ذكر بدلها (النبي)، والقائل يوحنا المعمداني (يحيى) وليس المسيح عليهما السلام، والنص فيه (الكاثوليكية): (وهذه شهادة يوحنا، إذ أرسل إليه اليهود من أورشليم بعض الكهنة واللاويين يسألونه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، اعترف: لست المسيح. فسألوه: من أنت إذاً؟ أأنت إيليا؟ قال: لست إياه. أأنت النبي؟ أجاب: لا! فقالوا له: من أنت فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا؟ ماذا تقول في نفسك؟ قال: أنا صوت مناد في البرية: قوموا طريق الرب. كما قال النبي أشعيا، وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه أيضاً: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا النبي، فلم تعمد إذاً؟ أجابهم يوحنا: أنا أعمد في الماء، وبينكم من لا تعرفونه، ذاك الآتي بعدي، من لست أهلاً لأن أفك رباط حذائه، وجرى ذلك في بيت عينا عبر الأردن، حيث كان يوحنا يعمد) وهذا النص يبطل قول النصارى إن المراد بـ (إيليا المنتظر) هو يوحنا

فيها. وهذا معنى ما جاء في كتابنا من قول المسيح: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ)[1].

ومما جاء في وصفه في المزامير وكتب النبوات[2] التي تقرؤونها وتصدّقون بها:

قول داود عليه السلام[3] الذي معناه بالعربية: (اللهم أيد عبدك / الذي جعلته ملكاً ونبيّاً مباركاً، كالشمس نوراً، 6/أ

المعمداني، لأن يوحنا نفى ذلك عن نفسه، ولأن إيليا يأتي بعد ذلك، ويوحنا في عصر المسيح وقبله. وانظر في البشارة بنبي آتٍ يسمى (إيليّا) في: إنجيلي متى: 11/15، 17/10 ومرقس: 9/12، وهو غير إيليا (إلياس) النبي في بني إسرائيل في القرن التاسع ق. م. وانظر: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص: 149، والبشارة بنبي الإسلام د. السقا 2/370 وأشار إلى أن (إيليّا) تدل على (أحمد) في حساب الجمل.

(4) في الأصل (اللاتيه).

(1) سورة الصف: آية 6.

(2) المزامير: وفي العبرية يسمى: تهاليم، أحد الأسفار اليهودية المعروفة بالأناشيد أو الكتابات، ويغلب عليها الطابع الأدبي في الحكم والمواعظ، وهي خمسة أقسام، وعددها مائة وخمسون مزموراً، أغلبها منسوب إلى داود عليه السلام، وبعضها لمؤلفين معروفين كسليمان وآساف وموسى، ومنها ما هو مجهول المؤلف ويسمّونها: المزامير اليتيمة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: مزمور) ص: 513. ولهذا لا يصح تفسير الزبور المذكور في القرآن الكريم بأنه المزامير. وإنما داود عليه السلام أوتي زبوراً (قطعاً من الكتب)، لا أن الزبور هو المزامير المعروفة المحرّفة، وقد أشار ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/50 إلى أنه اطلع على نسخة من الزبور فيها تصريح بنبوة محمد ، واطلع على نسخة أخرى ليس فيها شيء من ذلك.

وكتب النبوات: هي أسفار الأنبياء، وهي قسمان: الأنبياء المتقدمون (الكبار)، والمتأخرون (الصغار). ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس حبيب سعيد ص: 91، اليهودية د. شلبي ص: 238.

(3) داود: اسم عبري بمعنى: محبوب، وهو ابن يسي (إيشي)، من أنبياء بني إسرائيل وثاني ملوكهم، ووردت سيرته في سفر صموئيل الأول وسفر الملوك الأول، ولم يقدّره كتبة الأسفار فنسبوا إليه ارتكاب الفواحش (حاشاه) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص: 361، وقد ورد ذكره في القرآن في 16 موضعاً، ووصفه الله

وكالمطر رحمة، وكالبحر علماً، تأتي[1] به من الأمة الوحشية، يملأ الأرض علماً وعدلاً، بيده السيف ذو الحدين[2]، وكلامك الحق في فمه، يدعى الأمين في بني قيدر، تخرّ له ملوك سبأ، تهدي إليه ملوك الحبشة هدايا من الجزائر، يسبّح الله بالتسبيحة الجديدة، يدعو إلى الله وحده لا شريك له، يكون نوره في الأرض كضياء الشمس والقمر، طوبى لبيت الرب المسكينة المضطهدة يطهّرها من كل الأنجاس، ولا تبقي عليها صنماً، طوبى لك يا

بالعلم والحكمة والحكم والأوبة. ينظر: تاريخ الطبري 1/336.

(1) في الأصل: (يأتي).

(2) في الأصل (ذا الحدين).

يثربا، يقوم مجدك به إلى دهر الداهرين، آمين)[1] وهذه بمجموعها صفات نبينا ونعوته.

وبيت الرب: مكة[2]، ويثربا: أرض مدينته التي هاجر إليها[3]، وسبأ: بلدة باليمن[4]، ولم يقم في اليمن وجزيرة العرب قائم دعا إلى الله تعالى وملأ الأرض علوماً وعدلاً،

ب/6

[1] المزامير، مزمور: 72 /1 - 19، بلفظ مشابه، والنص فيه (فانديك): (اللهم أعط أحكامك للملك وبرّك لابن الملك، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. . . ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض، يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له. . . ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين). ملوك ترشيش: ملوك شعوب البحر المتوسط كما يظهر من دائرة المعارف الكتابية (مادة: ترشيش)، والجزائر: ذكر ابن تيمية المراد: جزيرة العرب، والجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وجزيرة قبرص، وجزيرة أهل الأندلس، وملوك شبا: الحبشة أو بمعنى سبأ، كما في دائرة المعارف الكتابية (مادتي: شبا، سبا).

وفي مزمور: 149 / 5: (تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم) قال القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 170: (والسيوف العربية ذوات شفرتين، والعجمية لها شفرة واحدة).

وفي سفر إشعياء: 42/10 - 12: (غنّوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملئه والجزائر وسكانها. لترفع البريّة ومدنها صوتها والديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر). وقد نقل الآلوسي في الجواب الفسيح هذه البشارة من طبعتين في زمانه وقارنهما بنقل القرافي في الأجوبة الفاخرة ليبين مدى

وخرّت له ملوك الحبشة[1] طائعة وملوك سبأ والعرب العرباء، وطهّر الكعبة من الأصنام والشرك، وأخلى جزيرة العرب / من الأصنام، ودعا إلى الإسلام عشر سنين بالقرآن والمعجزات، وثلاث[2] عشرة سنة بالقرآن والمعجزات والسيف ذي الحدين، ومات عن مائة ألف

التحريف في الأناجيل. والمراد بالديار التي سكنها قيدار: أرض مكة، كما في سفر التكوين 25/12 وسفر أشعياء: 42/11، وسالع: (سلع) جبل صغير شمال غرب المسجد النبوي في المدينة المنورة، كما في معجم البلدان 3/236، وليس كما يزعم قاموس الكتاب المقدس (مادة: سلع): أنها يحتمل أن تكون في سفح جبل هور، بين أريحا وجبل سينا، مدينة البتراء في الأردنّ؛ لأن سياق النص وارد في أرض قيدار (أرض العرب). ينظر في شرح البشارة: الدين والدولة لابن ربن ص: 142، الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: 171، التخجيل 2/663، الجواب الصحيح 5/246.

(2) بيت الرب: يطلق في التوراة على مواضع العبادة، وأطلق على الكعبة المشرفة في مكة في مواضع، كما في سفر ميخا: 4/1، 2، ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: بيت الله).

(3) يثرب: من أسماء المدينة قبل الهجرة، نسبة إلى: يثرب بن قاينة من نسل سام بن نوح، وبه عرفت في الكتابات التأريخية عند غير العرب قديماً، وسماها النبي بطيبة وطابة، ولها أسماء أخر، مُهاجَر النبي ، ورد في فضلها أحاديث صحيحة. ينظر: معجم البلدان 5/82، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي 2/119.

(4) سبأ: نسبة إلى عامرها: سبأ بن يشجب، بلدة في أقاصي اليمن، مدينتها: مأرب، وكان لها دولة وملوك حتى سلط الله عليهم سيل العرم، ويقسم المؤرخون ملوك سبأ إلى أربع فترات: (المكاربة، ثم السبئيين، ثم الحميرية الأولى، ثم الحميرية الثانية). ينظر: معجم البلدان 3/181، الكامل في التاريخ 2/161، دراسات في تأريخ العرب القديم د. بيومي ص: 240.

(1) الحبشة: أرض واسعة في القرن الأفريقي، ساحلها مقابل لبلاد اليمن، وتعرف في التوراة باسم: كوش، وهي الآن: تضم دول أثيوبيا وجيبوتي وأريتريا. ومُلوكها تسمى: النجاشي، ومنهم: أصحمة الذي عاصر بعثة النبي وآمن به. ينظر: دلائل النبوة للبيهقي 2/285، المسالك والممالك للبكري

صحابي وأربعة عشر ألف صحابي، كلهم كالتلاميذ وكأنبياء بني إسرائيل سوى نبينا محمد ﷺ [1].

وكذا قول أرميا[2] في تنبئه بالمسيح وبه صلى الله عليهما حيث يقول: (قال لي ملاك الله: قم فانظر ماذا ترى؟ فرأيت رجلاً أبيض أحمر راكباً حماراً وبين يديه شعوب شعوب وربوات ربوات. ثم قال لي ملاك الله: قم فانظر ماذا ترى ثانية؟ فنظرت فإذا رجل أسمر أحمر راكباً جملاً، كأن وجهه القمر، وبين يديه ربوات وشعوب مئين وألوف، يسبحون الله تسبيحاً جديداً، يدعون الله وحده وينادون في كل سنة بالبريّة الموحشة من رؤوس الجبال وبطون الأودية: أتيناك أتيناك ليتني معهم، إلى

1/326، دائرة المعارف الكتابية (مادة: أثيوبيا).

(2) في الأصل (ثلاثة). وهو غلط.

(1) سيرته ﷺ عَلَم على نبوته، فلم تخضع الملوك والشعوب له طائعة ويكثر أتباعه إلا لظهور صدقه. قال السعدي في تفسيره ص: 46: (فمن عرف النبي ﷺ معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك، قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأنه تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم) ينظر: الشفا للقاضي عياض 1/176.

(2) أرميا: اسم عبري بمعنى (الرب يؤسس)، وهو ابن حلقيا الكاهن، عاش في القرن السابع قبل الميلاد، اضطهده اليهود حتى قتلوه، ينسب إليه سفر باسمه من أسفار العهد القديم، يحتوي على (52) إصحاحاً، فيه: نبوءات وشيء من تأريخ بني إسرائيل، كتبه صديقه باروخ ونسبه إليه، وفيه ما ليس منه قطعاً كالإصحاح (52)، كما ينسب إليه مراثي من أسفار العهد القديم، تحتوي على (5) إصحاحات، فيها: تأريخ خراب القدس وغزوها. كما ينسب إليه رسالة غير قانونية (الأبوكريفا). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إرميا) إظهار الحق 1/148.

دهر الداهرين)[1] فالذي رآه أرميا أولاً هو المسيح عليه السـلام،
والذي رآه ثانياً هو نبينا محمد [2] / والتسبيح الجديد (أتيناك أتيناك) هو معنى قولنا في الحجّ: (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) . والأمة الوحشية هي العَرب العُرب العرباء 7/أ

[1] معنى هذه البشارة ورد في سفر إشعياء: 21/6 - 8، وليس في إرميا، والنص فيه (الكاثوليكية) وقد كثر تحريفه: (قال لي السيد: اذهب فأقم الرقيب وليخبر بما يرى. فيرى ركباً، أزواج فرسان ركاب حمير وركاب جمال فيصغي إصغاء شديداً. ثم يصرخ الرقيب: إني قائم على المرصد دائماً في النهار وواقف على المحرس طول الليالي. فإذا بركب من الرجال وأزواج فرسان قد أقبلوا. ثم عاد وقال: سقطت سقطت بابل وحطمت إلى الأرض جميع منحوتات آلهتها). وهي توافق ما جاء عن النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه، حين بعث إليه النبي عمرو بن أمية يدعوه إلى الإسلام، فقال: (أشهد بالله إنه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان ليس بأشفى من الخبر) ينظر: السيرة النبوية لابن إسحاق 2/607، زاد المعاد لابن القيم 5/603.

وينظر في تتمة البشارة: سفر إشعياء: 42، 60 ففيه وصف لمكة والحج إليها والتسبيحة الجديدة (التلبية) قال الجعفري في التخجيل 2/680: (وقد أكثر أشعيا عليه السلام من ذكر محمد وأحمد ووصف أرضه وبلاده وبيته ومنازل أبيه إسماعيل، فلم يبقَ لجاحد علة ولا لمنكر ريبة).

[2] قال ابن تيمية في الجواب الصحيح 5/250: (ومما ينبغي أن يعرف: أن الكتب المتقدمة بشرت بالمسيح كما بشرت بمحمد ، وأنذرت بالمسيح الدجال).

والمستعربة[3]، أهل مكة والمدينة ومن حولهما من العرب.

وكذا قول إشعيا[1] عـــــــن الله تعـــــــالى يخـــــــبر عن <أمة>[2] محمد ﷺ قائلاً: (ويحجّون في كل شهر ومن سنة إلى سنة إلى بيت الله الحرام، ويقربون لله ربهم قرابين زكية نقية، وينظرون إلى الأمة الخبيثة المارِدة بني إسرائيل، لا يبلى حزنها، ولا ينقطع بلاها إلى الأبد)[3].

---

[3] العرب ينقسمون إلى: العرب الأُول، ويسمّون: عاربة أو عُرْباء، وهم المتكلمون بالعربية ابتداءً، كعاد وثمود والعمالقة. والعرب المستعربة، وهم الداخلون في العربية بعد العجمة، كإسماعيل وأبنائه، ومنهم أهل مكة: قريش، وأهل المدينة: الأوس والخزرج. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص: 11.

[1] إشعياء: اسم عبري بمعنى (خلاص الرب)، وهو ابن آموص، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، ويعده أهل الكتاب من الأنبياء الكبار، ويلقبه النصارى بالإنجيلي لكثرة تنبؤاته بالمسيح، وهو ممن قتلته اليهود. ويُنسب إليه أحد أسفار العهد القديم، ويحتوي على (66) إصحاحاً، فيه: وصايا الأنبياء لبني إسرائيل وشيء من تأريخهم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أشعيا). قال رحمة الله الهندي في إظهار الحق 1/150 نقلاً عن علماء النصارى قولهم: (إنه لا يمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده إلى الباب السادس والستين من كتاب إشعيا من تصنيفه).

[2] كلمة (أمة) من هامش الأصل.

[3] ينظر معناه في: سفر إشعياء: 60 /4، 7، 12 (فانديك): (قد اجتمعوا كلهم، جاؤوا إليك، يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي. . . كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت

وقول إشعيا أيضاً: (في ذلك اليوم سأبطل السبوت والأعياد كلها، وأعطي المؤمنين بي سنة جديدة مختارة، كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي يوم حوريب يوم الجمع الكبير، سنة جديدة مختارة آمر بها، وأخرجها من صهيون)[1].

تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي. . . لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد، وخراباً تخرب الأمم) وسيأتي النص من كلام النصارى في رسالتهم في ل أ/42 ص226.

[1] لم أجدها في إشعياء، وستأتي في نص رسالة أهل جزيرة قبرص في: ل أ/70 ص305، مما يدل على تسليمهم بها، وكما نقلها ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/432. وجاء معناها في سفر إشعياء: 2/2، 3 (فانديك): (ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب). وفي سفر ميخا: 4/ 2، وينظر: التخجيل 2/689.
ومصطلح (آخر الأيام) يراد به: أيام مستقبلية. وهذه الفقرات ينزلها النصارى على المسيح، وأنها تدل على نهاية شعب الله (اليهود) وظهور شريعة جديدة. ينظر: تفسير سفر إشعياء وقاموس الكتاب المقدس (مادة: إشعياء). وهذا يخالف ما جاء عن المسيح من أنه لم يأت ليبطل الناموس كما في إنجيل متّى: 5/ 17، وإنما الذي جاء بالشريعة الجديدة نبينا محمد ﷺ .

ومثلها في سفر ملاخي: 4/4 -ـ 6: (اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام. ها أنا ذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن) وشريعة موسى التي أمر بها في حوريب يوم الاجتماع: أنه يقيم لهم نبيّاً من إخوتهم، كما في سفر التثنية: 18/ 18، وسبق بيان البشارة بإيليا، والتوافق بين موسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام. وحوريب: هي سيناء، مكان تكليم الله لموسى عليه السلام.

وهذا القول من إشعيا ليس عن المسيح، لأنه لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى[1]، ولأن الله تعالى قال على لسان إشعيا: (إنه يأمر بالسنة الجديدة أمراً من عنده) [2] / وليس دين النصرانية كذلك بل هو تقنين أهل المجامع أيام قسطنطين، كما نبين بعد إن شاء الله تعالى. ب/7

وكثير مثل ذلك في كتب النبوات وسفر الملوك ما لو أوردته لزاد عن المقصود.

ومنه: رؤيا سنحاريب [3] أول ملوك بابل للصنم الذي رآه، وعبّر له رؤياه دانيال النبي[4] قائلاً: (أما رؤيا الملك

ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سيناء). وينظر: نص آخر في سفر إرميا: 31/31 - 37.

[1] انظر في الفرق بين موسى وعيسى عليهما السلام: إظهار الحق 4/1117 ومما قال رحمه الله: (شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات، بخلاف شريعة عيسى عليه السلام ...).

[2] لم أجد هذا النص في سفر إشعياء بهذا اللفظ، وفيه 42/10 - 12: (غنّوا للرب أغنية جديدة) قال رحمت الله في إظهار الحق 4/1157: (والتسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية).

[3] سنحاريب: اسم آكادي، ملك آشوري (704 - 682 ق. م) ابن عم بختنصر، سار بجيشه لبيت المقدس فأسره ملكُ بني إسرائيل حزقيا، ثم أطلقه بمشورة النبي إشعياء. ينظر: تأريخ الطبري 2/532، قاموس الكتاب المقدس (مادة: سنحاريب).

وقد وهم المؤلف فأسند هذه الرؤيا إلى سنحاريب وإنما هي لبختنصر الذي هو أعظم ملوك بابل وليس أولهم (605 - 563 ق. م).

[4] دانيال النبي: معنى الاسم في العبرانية: الله قضى. أحد الأنبياء الكبار عند بني إسرائيل، وهو من سبط يهوذا، ويرتفع نسبه إلى داود، عاش في السبي البابلي، نال مكانة رفيعة عند بختنصر بعد تفسيره لرؤياه، وهو يُشبّه بيوسف عليه السلام في

رأس الصنم وعنقه من الذهب الخالص فهي دولتك ودولة بنيك، وأما كون صدره ويديه فضّة خالصة فهي دولة ثانية دون الدولة الأولى، وأما كون بطنه وفخذيه[1] من حديد فهي دولة شغبة عسوفة جائرة، وأما كون ساقيه وقدميه من فخّار فهي دولة تأتي باضطراب وضعف وبها انقراض دولة الفرس، وأما الحجر الذي أتى من الحجاز ودق قوائم الصنم فحطّمها وحطّم الصنم كله ونَما حتى بلغ السماء وانتشر حتى ستر الأفق فهو نبي يبعث من جزيرة العرب لا يقوم له شيء، وتنشر دعوته في مجموع الأرض، ويزول به دولة المخالفين له، يملأ الأرض عدلاً وعلماً وخيراً) [2]

حاله وسيرته، توفي في عصر كورش ملك الفرس. وروي في أخباره آثار مرسلة. وله سفر منسوب إليه، يحتوي على (12) إصحاحاً، فيه: شيء من تأريخ بني إسرائيل في عصر الاضطهاد وتنبؤات مستقبلية، وأكثر المحققين من النصارى ينفون أن يكون كتبه بنفسه وإنما كتبه شخص مجهول ولا سيما الإصحاحات السبعة الأولى منه. ينظر: المصنف لابن أبي شيبة 8/28، البداية والنهاية لابن كثير 2/42، قاموس الكتاب المقدس (مادة: دانيال)، رسالة في اللاهوت لسبينوزا ص: 316.

[1] في الأصل (يداه ... فخذاه).

[2] سفر دانيال: 2/38 – 45. وقد توهم المؤلف في سياق بعض ألفاظها، ونص تعبير الرؤيا كالآتي (فانديك): (فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء.
وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويّاً والبعض قصماً، وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط

8/أ وهذه الرؤيا / <تعبيرها>[1] عند اليهود والفرس.

وفي كتاب الأنسيا لزرادشت[2] الذي أخبر الفرس أيضاً في كتابه المسمى بالأنسيا[3]: أن من علامات إتيان النبي العربي المشار إليه خمود النار الموقودة بفارس للعبادة من المجوس بولادته،

بـالخزف، وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب). وقد فسر غالب أهل الكتاب والمسلمون الرؤيا: بأن المراد بالدولة الأولى: مملكة بابل (رأس من ذهب). والثانية: مملكة فارس (صدر وذراعان من فضة). والثالثة: مملكة اليونان (بطن وفخذان من نحاس). والرابعة: مملكة الرومان (ساقان من حديد) وقد انقسمت إلى شرقية (بيزنطة) وغربية (روما) (رجلان من حديد وخزف) ثم الحجر الذي يسحق جميع الممالك وهو المملكة الخامسة، فاختلفوا فيه: فزعم اليهود أنه المنتظر الآتي لخلاصهم بينما النصارى جعلوه في المسيح! وإنما تصدق هذه الرؤيا على ظهور دولة الإسلام، لأنها هي التي سحقت الممالك الأخرى. ينظر: إظهار الحق 4/1167، محمد ﷺ لإبراهيم خليل ص: 69، الماضي والحاضر والمستقبل في نبوءات دانيال لإبراهيم صبري ص: 34، سفر دانيال آية آية للقس ناشد حنا ص: 52.

(1) بين المعقوفتين بياض بمقدار كلمة، والمثبت لما يقتضيه السياق، وربما يصح تقديرها أيضاً: مثلها.

(2) كتاب الأنسيا: (الأفستا) نقل إلى العربية باسم (الأبتساق) وهو الكتاب المنسوب إلى زرادشت، ولم يبق منه بيد المجوس إلا جزء واحد، وينقسم إلى خمسة أقسام: 1. الفنديداد = الشرائع. 2. الفسبرد = أدعية المواسم. 3. اليسنا =العبادة والتسابيح. 4. اليشتا = ابتهالات الملائكة. 5. خوردة أفستا = الأبتساق الصغير. ينظر: قصة الحضارة 3/440، الإعلام بمناقب الإسلام للعامري ص: 159، الأسفار المقدسة د. وافي ص: 156، إيران في عهد الساسانيين لكرستنسن ترجمة

وغور بحيرة ساوة، وفيض وادي السهاوة بالماء، وانشقاق إيوان كسرى[1].

فكان ذلك كما قال دانيال وزرادشت، وسقطت منه أربع عشرة شُرّافة[2]، وفسّرها سطيح الكاهن لابن أخته عبد المسيح[3] رسول كسرى بأن دليل النبوة الخاتمة وظهور الملة الحنيفية بعد أربعة عشر ملكاً يملكون من

الخشاب ص: 41.

أما زرادشت: فهو ابن بوراشاسب، من أصل آري، ولد في أذربيجان، عاش في القرن السادس قبل الميلاد على الأرجح، اختلف في شخصيته، ونسج حوله كثيرٌ من الخوارق، انتسب إليه المجوس، واختلف في نبوته كما اختلف في المجوس هل لهم كتاب إلهي؟ فقيل: إنه نبي أرسل إلى ملك إيران (كشتاسب) وأوحي إليه كتاب الأبتساق، ولكن الزرادشتية انحرفت عن تعاليمه إلى الوثنية وعبادة النيران كما انحرف النصارى عن تعاليم المسيح. وممن قال بنبوّته: الشهرستاني وابن حزم والمسعودي وغيرهم. وقيل: إنه حكيم قومه، وتعاليمه قائمة على مبدأ الأصلين: النور والظلمة مصدرين للخير والشر، وعلى عبادة النار والتوجه إليها. واختاره جماعة كالجاحظ والطبري والعامري وابن الجوزي. وهو الأقرب؛ لأن الراجح أن المجوس ليسوا بأهل كتاب، فلو كان زرادشت نبيّاً لكانوا أهل كتاب، ولذكرهم الله في الذين فيهم سعيد في قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) البقرة: آية 62، وإنما ذكرهم مع المشركين في الملل الست في سورة الحج: آية 17: (ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ) ينظر: تاريخ الطبري 2/98، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص62، الفصل لابن حزم 1/91، الملل والنحل للشهرستاني 1/283، الفتاوى الكبرى لابن تيمية 3/108، إيران في عهد الساسانيين لكرستنسن ترجمة الخشاب ص: 41.

(3) نقل جماعة من العلماء أن نبيّنا محمداً مذكور في كتب المجوس، ولهذا بحثوا فيها عن البشارات بالنبي ، وهذا مبني على القول بأن للمجوس كتاباً، وممن نقل البشارات: الشهرستاني في الملل والنحل 1/239، ابن الأثير في الكامل في التأريخ 1/259، القادياني عبد الحق فديارتي في كتابه الذي

الفرس، فملكوا الأربعة عشر في مدّة عشر سنين، وانقرضوا بالإسلام[1]. وقصة ذلك مشهورة في العرب والعجم[2].

وكذلك أيضاً: لما وصلت مراكب المسلمين إلى جزيرة صِقلِّيَّة[3] وصاروا بها منازلين أهلها أرسل ملكها إلى أمير المسلمين بملاءة مرقومة خمس صور تماثيل، وقال لهم:

ألفه بالإنجليزية وترجم إلى لغات عدة: محمد في الأسفار العالمية، ومن بعده عالة عليه، عباس العقاد في كتابه: مطلع النور ص: 19، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند ص: 305، محمود الشريف في كتابه: الأديان في القرآن ص: 271، د. الشفيع الماحي في بحثه: محمد ﷺ في أسفار المجوس الزرادشتيين نشره في مجلة العلوم التربوية في جامعة الملك سعود 2/ 1414 هـ، هشام طلبة في كتابه: محمد ﷺ في الترجوم والتلمود والتوراة ص: 42. ومن جملة ما نقل: تنبؤ زرادشت بانطفاء نار المجوس، وغور بحيرة ساوة، وتساقط فروع الشجرة التي وصفها زرادشت كما سقط التمثال في نبوة دانيال، وغيرها. ينظر: المراجع السابقة، وأيضاً: محمد ﷺ في الكتب المقدسة لسامي عامري ص: 464.

لكن أغفل نقل هذه البشارات من كتب المجوس كثير من المتقدمين الذين كتبوا عن حضارات الهند وفارس كالبيروني في كتابه: تحقيق ما للهند، مع محاولته استقصاء مقالات أديان الهند وعاداتهم، وإنما ذكرها بعض المتأخرين، لذا قيل: إنها مما استفاده المجوس وغيرهم من أهل الأديان في زمانهم، ويؤيده ما قد قيل: إن زرادشت صحب أرميا النبي. وقيل: إنها مما أدخل في كتبهم بعد اختلاطهم مع الحضارة الإسلامية، ولا سيما في زمن المأمون حين نشطت الترجمة. وهذا القول مال إليه د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه: فصول في أديان الهند ص: 197 وكتابه: دراسات. . . ص: 306، ويحتمل الأمرين معاً. وينظر: تأريخ ابن خلدون 2/161، تأريخ مختصر الدول لابن العبري ص: 82.

[1] غور بحيرة ساوة: ذهاب مائها كما في لسان العرب 7/201، وساوة مدينة بين الري وهمذان، جنوب غربي طهران

سمّوا لنا أسماء من هذه تماثيلهم؟ فسمّوا اسم نبيّنا لمعرفتهم لمثاله[1]، وسمّوا أسماء خلفائه الأربعة.
فسألهم الملك عن / الثالث؟ فقالوا: هو الخليفة.
فوادعهم على ما أرادوا وسلّم إليهم الجزيرة، وبنوا بها المساجد والمآذن وأقاموا الصلاة وشعائر الإسلام بها.

في إيران. معجم البلدان 3/179. وفيض وادي السهاوة: ارتفاع مائه، ووادي السهاوة (السماوة: كذا وقع في المصادر): جنوب غرب بغداد في العراق. وإيوان كسرى: كلمة فارسية بمعنى: الصّفة العظيمة. كما في لسان العرب 13/40. وكسرى: هو أنو شروان بن قباذ حكم بين (526 – 579 م) وفي عهده ولد المصطفى .

[2] في الأصل (أربعة عشر). شرافة: من الشرفة وهي أعلى الشيء، وما يوضع على أعالي القصور حتى يشرف على غيره. لسان العرب 8/63.

[3] سطيح الكاهن: هو ربيع بن ربيعة الغساني من الأزد، سمي سطيحاً لكونه منبسطاً على الأرض لايقوى على القيام والقعود، عمّر طويلاً في الجاهلية، وكانت العرب تتحاكم إليه، وعرف بصحة الرأي، توفي بالجابية سنة 572 م. روي فيه حديث لا أصل له أن النبي قال عنه: (نبي ضيعه قومه) ينظر: السيرة لابن هشام 1/48، البداية والنهاية 2/270، الأعلام للزركلي 3/14. وابن أخته عبد المسيح: ابن عمرو الغساني، شاعر من أهل الحيرة، ومن الدّهاة والمعمرين، أدرك الإسلام وبقي على نصرانيته، توفي سنة 12 هـ. ينظر: السيرة لابن هشام 1/49، الأعلام 4/153.

[1] قوله: فملكوا الأربعة عشر في مدة عشر سنين. وهم من المؤلف، ويخالف ما ذكره أهل التأريخ، والمثبت في مصادر القصة: أن عشرة منهم ملكوا خلال أربع سنين. والملوك الأربعة عشر هم: أنو شروان وحكم 48 سنة، ثم ابنه هرمز وحكم 12 سنة، ثم أبرويز بن هرمز وحكم 38 سنة وفي عهده بعث النبي ، ثم شيرويه (قباذ) بن أبرويز وحكم 8 أشهر، ثم أردشير بن شيرويه وحكم سنة و6 أشهر، ثم شهربراز لم يكن من بيت الملك وحكم 40 يوماً، ثم بوران بنت أبرويز بن هرمز وحكمت

ب/8

وذلك لعلم الملك بظهور سيّدنا رسول الله وإعلاء دينه على كل دين[1].

وقصة بحيرا ونسطور الراهبين ببصرى معه، حين رأياه مع قافلة قريش ومع عمّه أبي طالب وهو دون البلوغ، فنزلا إليه وقبّلا يده، وسألاه عن الشامة التي

سنة و4 أشهر، ثم جشنسيدة من أبناء عم أبرويز الأبعد وحكم أقل من شهر، ثم آزرميدخت بنت أبرويز وحكمت 6 أشهر، ثم كسرى بن مهرجشنس من أبناء أردشير وحكم أياماً، ثم حرزاذخسروا من أبناء أبرويز وملك أياماً وقتل، ثم فيروز ابن مهرجشنس وقتل بعد توليه مباشرة، ثم فرخزاذ خسروا وملك 6 أشهر، ثم يزدجر بن شهريار وبعد توليه بسنتين غزا المسلمون فارس في القادسية سنة 15 هـ وفرّ داخل مملكته إلى أن قتل في خلافة عثمان سنة 31 هـ، ولم يقم بعده كسرى. ينظر: الكامل في التاريخ 1/306، المعارف لابن قتيبة ص: 663.

(2) هذه العلامات وتفسير سطيح الكاهن لها مشهور في كتب السير، قال ابن الأثير في منال الطالب ص: 154: (حديث سطيح هذا مشهور بين الرواة ومذكور في دلائل النبوة).
وأخرجه: أبو نعيم في دلائل النبوة 1/96، والبيهقي في دلائل النبوة 1/126، وابن هشام في سيرته 1/11، والطبري في تأريخه 2/166، كلهم من طريق مخزوم بن هانئ عن أبيه. قال ابن عساكر: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه، تفرد به أبو أيوب البجلي. قال الذهبي في السيرة ص: 35: هذا حديث منكر غريب. وروي من طريق آخر عن بشير بن تيم كما في الخصائص الكبرى للسيوطي 1/51 قال ابن حجر في الإصابة 6/279: مرسل.

وتفسير سطيح قوله: (إذا ظهرت التلاوة، وغارت بحيرة ساوة، وخرج صاحب الهراوة (يعني: النبي) وفاض وادي السماوة، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، ثم تكون هنات وهنات، وكل ما هو آت آت).

(3) في الأصل (اصقلية) والصواب بدون همزة: ضبطت بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء وهو الأشهر، وبفتح الصاد

بكاهله[1]، وعن أشياء أخبرهما بها، وبشّرا عمّه بالنبوة والملك وعظمة الشأن، وعرفا القافلة باخضرار الشجرة التي نزلوا بها من أجله، وبتظليل الغمامة له في جملة سفره، وقالا: إن المسيح بشّر به، وهو أركون العالم، فاحترزوا عليه من اليهود فإنهم أعداؤه[2].

والقاف، وبالسين والصاد. ينظر: معجم البلدان 3/416، الأنساب 8/80، وفيات الأعيان 3/215. وجزيرة صقلية: أكبر جزر بحر الروم (المتوسط)، مثلثة الشكل، بين إيطاليا وتونس، وهي إلى إيطاليا أقرب، وأهلها نصارى أرثوذكس ثم كاثوليك بعد الاسترداد، أول غزو لها كان في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة 32 هـ، ثم تكرر الغزو إلى أن فتحها القاضي أسد بن الفرات في خلافة المأمون سنة 212 هـ، واستمر فيها المسلمون قرنين ونصف القرن، وكان منها علماء وأدباء، وكان النصارى فيها أحسن حالاً من أيام حكم البيزنطيين، ثم استولى عليها النصارى ولا تزال. ينظر: العرب في صقلية د. إحسان عباس، تأريخ صقلية المسلمة د. عزيز أحمد.

[1] يمكن أن تقرأ: لتمثاله.

[1] لم أجد هذه القصة، ويظهر أن المؤلف وهم فيها؛ ولا سيما أن غزو صقلية لم يكن في زمن عمر. ويشبه تلك: ما جاء في خبر جبير بن مطعم فقد رأى صورة النبي وخليفته أبي بكر رضي الله عنه في دير في الشام قبل إسلامه. وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير 1/179، والطبراني في المعجم الكبير 2/125، والبيهقي في دلائل النبوة 1/374، لكن في سنده جهالة، قال الهيثمي في المجمع 8/234: (فيه من لم أعرفهم). ويشبهها أيضاً: ما جاء في خبر هشام بن العاص حين قدم على هرقل في زمن أبي بكر، وفيه: أنه رأى صور الأنبياء، وفي خاتمتهم صورة نبيّنا محمد . أخرجه أبو نعيم في الدلائل 1/50، وضعفه ابن حجر في الإصابة 4/232. وأخرجه من طريق آخر: البيهقي في الدلائل 1/375 عن الحاكم، وقال عنه ابن كثير في تفسيره 3/481: إسناده لا بأس به.

[1] الشامة التي بكاهله بين كتفيه، وتعرف بخاتم النبوة، وجاء وصفه كأنه زر الحجلة وكبيض الحمامة، ويعرفه أهل

وقصة فتح بيت المقدس مشهورة[1]، إذ حاصرها المسلمون وطال الحصار، حتى أرسل البترك[2] والأساقف بها يقولون: لا نسلّم البلد إلا إلى عمر أمير المؤمنين، فلما وصل من الحجاز وعليه ثوب فيه رقع مختلفة، فأنزعوه إياه / أصحابه وألبسوه غيره، وتراءى لأهل بيت المقدس، فقالوا: ليس هو المطلوب، فنزعه 9/أ

الكتاب من كتبهم. ينظر: صحيح البخاري كتاب المناقب باب: خاتم النبوة (ح 3541)، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب: إثبات خاتم النبوة (ح 4335).

(2) الصحيح أن قصة الراهبين بحيرا ونسطور حادثتان منفصلتان، وليستا حادثة واحدة كما أوهم المؤلف.

الأولى: حادثة لقاء الراهب بحيرا بالنبي ، كانت في سفره الأول مع عمه أبي طالب في صغره، ورويت بأسانيد لا تخلو من ضعف، وأجودها ما أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب المناقب، باب: بدء نبوة النبي (ح 3620) وقال: (حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تأريخه 2/278، والحاكم في مستدركه 2/615 وقال: (صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) وتعقبه الذهبي في تلخيصه: بأنه موضوع. وأخرجه البيهقي في الدلائل 2/25 وقال: (وأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة). وابن إسحاق في السيرة 1/236، وغيرهم. وجعلها ابن كثير من مرسلات الصحابة كما في البداية والنهاية 2/286، وقال ابن حجر في الإصابة 1/353: (وقد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري) ومدارها على تفرد أبي نوح قُرّاد (عبد الرحمن بن غزوان) أخرج له البخاري ووثقه جماعة من الأئمة كابن المديني وابن حبان، وقال الدارقطني: ثقة له أفراد كما في تهذيب التهذيب 6/247. لكن بعض ألفاظ القصة منكرة باتفاق الحفّاظ ينظر: زاد المعاد 1/76، وتاريخ الإسلام للذهبي 1/504. وللقصة أسانيد أخر تقوّيها وتدل على أن لها أصلاً. ينظر: الخصائص الكبرى للسيوطي 1/84، وللألباني مقالة في تصحيح القصة باسم: **حادثة الراهب المسمى (بحيرا) حقيقة لا خرافة**. وتسمية الراهب بحيرا وردت في روايات واهية. وبحيرا: اختلف في ضبط اسمه: بالمد والقصر

ولبس الثوب المرقع وتراءى لهم، فقالوا: هذا الذي يفتح البلد وهو أمير المؤمنين وخليفة النبي العربي، ثم وادعوه على الجزية، وسلّموا البيت المقدس لأهله، ولم يكن ذلك إلا عن علم منهم ببعثة محمد إلى الناس كافة، وظهور دينه على الدين كله، وأن خليفته عمر يفتح البيت المقدس من صفته كذا ومن حاله كذا[1].

وبفتح الباء مع كسر المهملة بعده أو ضمها وفتح ما بعدها، وهو راهب نصراني على مذهب أريوس على الأشهر، ونُقل عن الزهري أنه من أحبار اليهود. كما اختلف في عدّه من الصحابة، فذكره في الصحابة ابن منده وأبو نعيم، ولم يعدّه منهم ابن حجر وإن كان آمن بالنبي ، لكن قبل بعثته. ينظر: تجريد أسماء الصحابة للذهبي 1/44، الإصابة 1/183، البداية والنهاية 2/286.

الحادثة الثانية: سفره في شبابه في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة، وفيها ذكر للراهب نسطور ومعرفته بأنه نبي. ونسطور قيل: اسمه سرجيس بن إسكندر، كان ينكر لاهوت المسيح. ينظر: دائرة المعارف للبستاني 5/217. وأخرج هذه الحادثة ابن سعد في الطبقات الكبرى 1/129، وأبو نعيم في الدلائل 1/172، وإسنادهما فيه متروك. وذكرها أهل السير كما في سيرة ابن هشام 1/247، المنتظم لابن الجوزي 2/315. وقد ذكر بعض المؤرخين أن الحادثة الثانية نسبت لبحيرا على مذهب نسطور النصراني، فهما رجل واحد. ينظر: الإصابة 6/506.

[1] بيت المقدس: البيت المبارك، المسجد الواسع في مدينة القدس الواقعة على سلسلة جبال الخليل، متوسطة بين البحر الميت والأبيض المتوسط. ويطلق أيضاً على مدينة القدس، لكونه شرفها، ورد في فضلها آيات وأحاديث، وتحتفظ بمعالم تأريخية قديمة، ولا يزال اليهود يحاولون إلغاء إسلاميتها. وتسمى أيضاً: إيليا في عصر الرومان، ويسميها اليهود: أورشليم، وهو اسم كنعاني وليس عبرانيّاً كما يدّعيه اليهود. ينظر: مراصد الاطلاع 3/1296، الجواب الصحيح 4/192، القدس مدينة الله أم مدينة داود د. ظاظا ص: 9.

ومنه قصة سواد بن قارب <الكاهن>[1] لما دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس خلافته، فقال له عمر: نشدتك الله يا سواد، هل تحسن اليوم من كهانتك[2] شيئاً؟ فخجل سواد، وقال: تالله يا أمير المؤمنين ما استقبلتَ أحداً من جلسائك بمثل ما استقبلتني به، فقال عمر: والله ما أردت إلا أن أسمع ما اتفق وأسمعه، فقال سواد: بينا أنا ذات ليلة نائم ب/9
إذ أتاني نجيّي فأنبهني من نومي، وقال: سواد، اسمع أقل لك، فقلت: هات، فقال:

عجبت للجن وأجناسها /. . . وحملها العيس بأحلاسها[3]

---

[2] كذا في الأصل (البترك) وهذا من إطلاقات العامة على لفظ البطرك. كما في صبح الأعشى 13/276.

[1] فتح بيت المقدس كان ذلك سنة 16 هـ وقيل غير ذلك، وكان أهل الكتاب يعرفون أنها تفتح على يد الخليفة عمر لما يجدون وصفه في كتبهم، جاء في سفر زكريا: 9/9: (ابتهجي جدّاً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هو ذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان) ويزعم النصارى أن النص في دخول المسيح للقدس. ولايصح؛ لكون الصفات الواردة في النص (ملك، سلطانه من البحر إلى البحر. . .) لا تنطبق عليه. ينظر: تأريخ الطبري 3/607، فتوح البلدان للبلاذري ص: 189، الطبقات لابن سعد 3/303، وقصة نزع قميص عمر رضي الله عنه وردت في: تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر 44/306، البداية والنهاية 6/57، كلاهما من طريق ابن أبي الدنيا، وفي سنده عبدالله بن مسلم المكّي وهو ضعيف كما في تهذيب الكمال 6/130.

[1] زيادة من هامش الأصل. سواد بن قارب الأزدي الدوسي أو السدوسي، له صحبة ووفادة، توفي بالبصرة سنة 15 هـ. ينظر: الإصابة لابن حجر 3/149.

[2] في الأصل (كهانيك) والتصويب من دلائل النبوة لأبي نعيم 1/112.

تهوي إلى مكة تبغي الهدى. . . ما مؤمنو الجن كأرجاسها

قال: فلم يحرّك قوله مني شيئاً، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فوكزني برجله، وقال: سواد، اسمع أقل لك، فقلت: هات، فقال:

عجبت للجنّ وتطلابها. . . وحملها العيس بأقتابها [1]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى. . . ما مؤمنو الجن ككذّابها

فحرّك قوله مني شيئاً، فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فوكزني برجله فأيقظني، وقال: سواد، اسمع أقل لك، فقلت: هات، فقال:

عجبت للجن وأدوارها. . . وحملها العيس بأكوارها [2]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى. . . ما مؤمنو الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم. . . بين روابيها وأحجارها [3]

فقمت من ساعتي فشدّيت على قلوص لي[4]، وسرت إلى مكة، فأتيت فسألت عن النبي فأُخبرت أنه في

10/أ

[3] العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة. النهاية لابن الأثير 3/329. الأحلاس: جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. النهاية 1/423.

[1] أقتابها: جمع قتب، وهو رحل صغير على قدر السنام. لسان العرب 1/661.

[2] في الدلائل للبيهقي 2/250: (عجبت للجن وتخبَارها). أكوارها: جمع كُور بالضم، وهو رحل الناقة بأداته. النهاية 4/208.

[3] في الأصل (دوابها) والتصويب من دلائل النبوة لأبي نعيم 1/113. روابيها: ما ارتفع من الأرض. النهاية 2/192.

[4] كذا في الأصل، وفي الدلائل لأبي نعيم 1/113: فشددت على راحلتي.

منزل خديجة[1]، فأتيت إليه فطرقت الباب فخرج إليّ، وقال لي: سواد، إني رسول الله إليك وإلى سائر الناس، فقلت له: وما آيتك؟ فقال: آيتي ما قال لك نجيّك في الثلاث / ليال - وكنتُ يا أمير المؤمنين نظمت قصيدة في الطريق – فاستنشدني سجع نجيّي، وقال لي: قل ما قلت أنت، فقلت:

أتاني نجيّي بعد هَدْوٍ ورقدة. . . ولم أكُ فيما قد بَلَوت بكاذب[2]

ثلاث ليال قوله كل ليلة. . . أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمرت عن ذيلِ الإزار وأدلجت. . . بيَ الذعلب الوجناء بين السباسب[3]

فأعلم أن الله لا رب غيره. . . وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة. . . إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

---

[1] أكثر الروايات كما في الدلائل لأبي نعيم، والدلائل للبيهقي، والمعجم الكبير للطبراني: أنه أتى النبي ﷺ في المدينة في المسجد وحوله أصحابه. وفي البداية والنهاية 3/567 ت. التركي: (فأتيت المدينة يعني مكة) وهذا تفسير من ابن كثير ترجيحاً لرواية سعيد بن جبير، وفيها: حتى أتيت مكة. قال الطبراني عنها: أقرب إلى الصحة. وصنيع البخاري في صحيحه بذكره في إسلام عمر رضي الله عنه يشعر أنه في مكة.

[2] في الأصل (تلوت) والتصويب من الدلائل لأبي نعيم 1/113.

[3] في الأصل (عن ذيلي الإزار وأدلجت. . بي الذعلب الوجناء عبر السباسب) والتصويب من الدلائل لأبي نعيم 1/113. الذعلب الوجناء: الناقة السريعة. النهاية 2/161. السباسب: القَفْر، والمفَازة. النهاية 2/334.

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى. . . ولو كان فيما جاء شَيْب الذوائب [1]

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة. . . سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب [2]

فعرض علي الإسلام فأسلمت، فقال له الإمام: هل تحسن منها شيئاً اليوم، فقال سواد: معاذ الله يا أمير المؤمنين أنسيتها منذ أسلمت[3].

فلم يكن إرسال محمد مفاجأة بغتة من غير تقدّم تبشير به ولا إعلام، بل ظهرت علامات نبوّته وآيات رسالته في أقطار الأرض، وبشّرت به الأنبياء والعلماء والكهان، وهتفت به الجانّ، وكانت اليهود / سكّان الحجاز 10/ب
أشد الناس انتظاراً لظهوره لينتصروا به على العرب

---

[1] في الأصل (يا خير شافع. . . ولو كان فيما جاءك شيب. . .) والتصويب من الدلائل لأبي نعيم 1/113 وهو في عامة المصادر. الذوائب: جمع ذؤابة، الضفيرة في شعر الرأس، وقياسها: الذآئب، كما في الفائق للزمخشري 2/20.

[2] في الأصل (لا ذي شفاعة) وهذا يوافق ما في المستدرك للحاكم 3/ 608. والأكثر على الرفع كما في الدلائل لأبي نعيم 1/113.

[3] حديث سواد بن قارب أخرجه العلماء فيما هتفت به الجانّ بشارة ببعثته ، وله ألفاظ عدّة ولا سيما في الأبيات الشعرية، فأخرجه: البيهقي في الدلائل 2/248، وأبو نعيم في الدلائل 1/111، والطبراني في المعجم الكبير 7/109، والحاكم في المستدرك 3/607، وابن إسحاق كما عند ابن هشام في السيرة 1/236، وله طرق عدة ذكرها ابن حجر في الإصابة 3/149، وهي لا تخلو من ضعف وانقطاع، ولكن قال في الفتح 7/179: (وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض)، وأصل القصة في صحيح البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب: إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ح 3866) كما جزم بذلك ابن حجر في الإصابة 3/149، وابن كثير في البداية 3/566 ت. التركي، وقال البيهقي في الدلائل 2/248: (يشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح).

الجاهلية، فلما ظهر كانوا أول كافر به، وأشد عداوة من كل عدو[1].

وكذلك كان الصدر الأول من النصارى ينتظرون مجيئه، ويعلمون أنه إذا جاء يوبّخ العالم كما قال المسيح، فلما ظهر قسطنطين الملك[2]، ورأى منام النصرة على الأعداء بالملائكة والأعلام والصلبان[3]،

---

[1] أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره 1/325، وأبو نعيم في الدلائل 1/82: عن ابن إسحاق بسنده، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمّد ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته. فقال سلام ابن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ) والأثر حسن بشواهده.

[2] قسطنطين الأول بن قسطنديوس، أمه هيلانة نصرانية من الرّها، إمبراطور روماني حكم بين (312 – 337 م) أول من تنصّر من الأباطرة الرومان، ولم يعمد إلا على فراش موته، أكرم النصارى في زمنه، وأمر ببناء الكنائس، وأعاد بناء بيزنطة وسوّرها وسمّاها القسطنطينية، ومات بالحمى، وأقيم على قبره تمثال يعبده الوثنيون. ينظر: تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر) 1/54، وتاريخ ابن البطريق المسمى (التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ص: 121، تأريخ مختصر الدول لابن العبري ص: 134، أعلام المورد ص: 348.

[3] المنام الذي رآه قسطنطين معروف عند النصارى، تناقله مؤرخوهم كالمؤرخ يوسابيوس القيصري في كتابه: حياة قسطنطين ص: 24، والمؤرخ ابن البطريق في تأريخه ص: 121، والمؤرخ ابن العبري في تأريخ مختصر الدول ص: 134، نقلها القرطبي عن القس حفص بن البر الذي نسبها إلى علماء النصارى، وعلق القرطبي عليها بقوله: (من أين عرفت صدق

وســـــــــــــــــأل عن الصلـــيب، وأخبروه بأهل الناصرة[1] وتعظيمهم للصليب، وأرسل إليهم، وحضر منهم نحو الثمانين رجلاً، وكان ذلك بدء ظهور دين النصرانية، وهو دون المسيح بنحو من مائة عام أو دون ذلك[2]، وحبّب إلى قسطنطين إظهار دين

قسطنطين...؟ لعله كذب! وأراد بذلك صلاح رعيته... ثم لو سلمنا أنه صدق في رؤياه، فمن أين علم أن الذي كلمه ملك؟ فلعله شيطان قصد إضلالكم، وكذلك كان). الإعلام ص: 431. وينظر: الجواب الصحيح 2/323، وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي دعا قسطنطين لإعزاز النصرانية، ويفضل النصارى ذكر رؤيا الصليب للنصر على الأعداء، وغالب المؤرخين يشككون فيها. وقيل: إن تنصره بتأثير والدته عليه، وقيل: إنه لمّا كبر خشي على ملكه، فاستشار من نصحه بأن يحتال على أهل دين ينصرونه، ففعل ذلك في دين المسيحية. ينظر: ما سبق من المراجع، وتأريخ ابن الوردي 1/54، والكامل في التأريخ 1/396، ومروج الذهب للمسعودي 1/141، وقصة الحضارة 11/387.

[1] الناصرة: تقع في منطقة الجليل في فلسطين، قريبة من طبريّة، قال المؤلف في نخبة الدهر ص: 212: (من أعمال صَفَد أيضاً الناصرة، ومنها ظهر المسيح عليه السلام، وموضع البشارة به من الملائكة لأمه مريم معروف ويزوره النصارى وغيرهم. . . وأهل الناصرة كانوا مفتاح دين النصرانية ومنشأه وأساسه، وذلك في زمن قسطنطين) ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص: 277.

[2] الذين حضروا للمجمع الذي دعا إليه قسطنطين اختلف في عددهم، وما يقرّه غالب النصارى أنهم 318 أسقفاً، وأشار ابن البطريق إلى أن الذين اجتمعوا 2048، واختار منهم الملك 318 أسقفاً وافقوا على ما أراد من سنّ للقوانين. وكان ذلك بعد توليه بست سنين، في سنة 325 م أي بعد ثلاثة قرون من المسيح. فما ذكره المؤلف وهم منه. ينظر: تأريخ ابن العبري ص: 136، تأريخ ابن البطريق ص: 126، مروج الذهب للمسعودي 1/141، مجموعة الشرع الكنسي ص: 41، مناظرة

النصرانية، واجتمعت الكلمة من أهل مملكته على ذلك، وترتب الذي في المجامع السبعة[1]، وجُمع الإنجيل من أفواه المخبرين الأربعة: متّى ولوقا ومرقس[2] ويوحنّا[3]. واطلع قسطنطين على ذكر البارقليطس وأركون العالم، والذي ينبثق من فيْه روح الحق، والذي يعلّم التلاميذ ما لم يكن المسيح علّمهم إياه، والذي يوبّخ العالم على

بين الإسلام والنصرانية ص: 243.

[1] المجمع: هو مجلس يُدعى إليه النصارى لمعالجة أمر أو حل مشكلة أو النظر في نصوصهم المقدّسة. والمجامع السبعة: هي التي استقر عليها قول النصارى بأنها مجامع مسكونية، واختلف فيما عداها، وهي تبدأ من مجمع نيقية سنة 325 م وسابعها مجمع نيقية الثاني سنة 787 م. ينظر: مجموعة الشرع الكنسي ص: 2، محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص: 110.

[2] في الأصل: مرقش.

[3] في مجمع نيقية الذي دعا إليه قسطنطين تم اختيار الأناجيل الأربعة من بين سائر الأناجيل:

الأول: إنجيل متى، وهو من الأناجيل القانونية، وأولها وأطولها، يبلغ 28 إصحاحاً، ولم يرتب حسب تأريخ الوقائع، إنما على الموضوعات وتشابهها في حياة المسيح، ويحاول كاتبه إتمام تأريخ إسرائيل. ومتى: من مِتتيا في العبرية بمعنى: عطية يهوه، يزعم النصارى أنه كان جابياً في كفر حانوم، ويذكر له اسم: لاوي بن حلفي، وأنه أحد التلاميذ الاثني عشر، وينسب إليه أحد الأناجيل.

الثاني: إنجيل مرقس، الثاني من الأناجيل القانونية، وأقدمها عند البعض، وأقصرها، فيه 16 إصحاحاً، رتبت أحداثه حسب تأريخ وقوعها. ومرقس: اسم لاتيني بمعنى: مطرقة، ولد في أورشليم، وتعرف على بطرس الحواري، وابن أخت برنابا، وصحب بولس، وقتل سنة 68 م.

الثالث: إنجيل لوقا، الثالث من الأناجيل القانونية، بمثابة رسالة موجهة لشخص، فيه 24 إصحاحاً، وباتفاق النصارى أن كاتبه لم يشاهد الوقائع، لفق غالبه من إنجيلي متى ومرقس. ولوقا: اختصارٌ لـ (لوكانوس) بمعنى: مانح النور. طبيب، واختلف في موطنه، ويظن أنه من الجيل الثاني بعد المسيح،

11/أ العدل / والحكم والخطيئة من أجل المسيح، وأجلِ بغضهم له مجاناً.

ففحص قسطنطين عن هذا الآتي المنتظر من هو؟ فخشي أصحاب القوانين على ما شرعوا فيه أن يتغيّر ويرجع عنه قسطنطين انتظاراً للآتي، فقرّروا في ذهنه أن هذا الآتي هو المشار إليه من المسيح: إنما هو روح القدس[1]، وأنه هو المتكلم بجميع ما نحن قائلوه

ولم يكن من اليهود بل هو أممي، رافق بولس في رحلاته.

الرابع: إنجيل يوحنا، الرابع من الأناجيل القانونية، وفيه 21 إصحاحاً، ويفارق الأناجيل الثلاثة بكونه ليس عرضاً لحياة المسيح إنما عرض للنظرة اللاهوتية بطريقة فلسفيّة بكونه كلمة الله والمخلص للبشر. . إلخ. ويوحنا: هو ابن زبدي الصيّاد، وأمه: سالومة، وهو من التلاميذ الاثني عشر ويعرف بالحبيب، ولد في صيدا، وسكن بعد المسيح أورشليم وأفسس، وهو من آخر الحواريين موتاً، وينسب إليه غير الإنجيل ثلاث رسائل ورؤيا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مواد: متى، مرقس، لوقا، يوحنا).

ونسبة الأناجيل الأربعة إلى أصحابها لا تثبت عند المحققين من النصارى وغيرهم، كما اختلفوا في زمن كتاباتها، وفي اللغة التي كتبت بها، وفي مصادرها. قال ويل ديورانت في قصة الحضارة 11/210: (ملاك القول: أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تأريخية مشكوكاً في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التي وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تأريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها) وينظر: المدخل إلى العهد القديم للقس عزيز فهيم ص: 146، وينظر: إظهار الحق 1/152، المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص: 57، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص: 47، مصادر النصرانية د. عبد الرزاق الأرو ص: 379، محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص: 39.

وفاعلوه[1]، وأنك إنما أنت متكلم به وواجد ما أنت واجده به في نفسك. فاستقرّ ذلك عند قسطنطين، وكان من عبدة الأصنام وروحانيات الكواكب، صابئيّاً[2]، فجوّز ما زعموه من أمر روح القدس لأنس نفسه باعتقاد الروحانيات، وكان هذا مبدأ الضلالة ومنشأ الجهالة.

---

[1] روح القدس عند النصارى: مرّ الاعتقاد به بمراحل: فالمسيح وحواريوه كان اعتقادهم به موافقاً لما جاء عن أنبياء بني إسرائيل بكونه بمعنى الوحي الذي يأتي به جبريل عليه السلام، أو بمعنى التأييد والنصرة للمؤمنين كما تدلّ عليه شواهد من الكتب السابقة، كما جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهـل كورنثوس 3/3: (جبرائيل روح الله الحي) وفي إنجيل لوقا 1/35، قيل لمريم: (إن الروح القدس سينزل عليك وقوّة العلي تظللك)، ثم بعد ثلاثة قرون، في مجمع نيقية سنة 325م قال المجتمعون: (نؤمن بالروح القدس) إيماناً مجملاً، ثم في مجمع القسطنطينية سنة 381م أضافوا الاعتقاد بألوهية الروح القـدس فأصبح ثالث الأقانيم، مع بيان بعض صفاته، فقالوا: (ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق مـن الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق في الأنبـياء) فهو شخصية حقيقة مساوٍ للأب والابن في الذات والجوهر، ويتولى تأييد المؤمنين وتطهيرهم. ثم ظهر اختلاف فرق النصارى القائلين بالأقانيم الثلاثة في ماهية روح القدس ومحل انبثاقه؟.

ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الروح القدس)، مجموعة الشرع الكنسي ص: 245، تأريخ الفكر المسيحي لحنّا الخضري 4/631.

[1] في الأصل (قائلونه وفاعلونه) وجوزه سيبويه وبعض النحاة في الشعر. ينظر: الكتاب 1/96، وشرح التسهيل لابن مالك 3/84.

[2] الصابئة: اختلف في أصل اشتقاقها، قيل: من صبأ، أي: مال عن الحق. وقيل: من صبأ الآرمية بمعنى: يغطس. والصابئة اختلف فيهم، وهم مذاهب مختلفة، فمنهم: من يزعم أنه يتبع نوحاً عليه السلام، ومنهم من يزعم أنه يتبع يحيى عليه السلام، ومنهم: من لفق دينه من اليهودية والمجوسية أو النصرانية.

ولا زال الأمر على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، وأرسل الله محمداً بالهدى ودين الحق الصحيح، وأخذ في توبيخ العالم كما بشّر به المسيح.

فكان من جملة توبيخه للنصارى: قول الله تعالى له في القرآن - الذي قلتم: إنكم حصّلتموه وقرأتموه وفهمتموه -: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ)[1] وكيف يستنكف؟ وهو عبد مقرب عارف بربه، ومن قوله في الإنجيل: (لا تدعوني صالحاً، ليس صالح إلا وحده)[2] وقوله أيضاً: (لست أفعل مشيئتي، وإنما أفعل مشيئة

وذكر ابن تيمية أصنافاً من الصابئة، فمنهم: صابئة حنفاء، وهم في الصابئة بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل، وهؤلاء حمدهم الله تعالى وأثنى عليهم. ونقل عن السلف فيهم أقوالاً، ثم ذكر صابئة: دخلوا في دين أهل الكتاب، وآخرين: يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية وهؤلاء من المشركين، وهم الأكثر. (الرد على المنطقيين ص: 454) وهذا الصنف تأثر بهم قسطنطين مع كونه وثنيّاً، هم الباقون الآن في العراق، ويعرفون بالمندائين. ينظر: المفصل لجواد علي 6/704، الملل والنحل للشهرستاني 2/150، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 1/400، الجواب الصحيح 3/123، مجموع الفتاوى 5/21، تفسير ابن كثير 1/290، تفسير آيات أشكلت لابن تيمية 1/240.

[1] سورة النساء آيتا: 171، 172. في الأصل زيادة (قل) وهذا وهم بآية المائدة:77.

[2] إنجيل متى: 19/17، وإنجيل مرقس: 10/18، وإنجيل لوقا: 18/19.

الرب الذي أرسلني)[1] وفي تضرعه ودعائه وسهره وتعبّده واستغاثته بالله ليلة الفصح كفاية[2].

وكان من التوبيخ على الخطيئة العظمى أيضاً: قوله تعالى على لسان الرسول الحقّ موبّخاً للنصارى، ومهدداً ومتوعداً لهم: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ □ □ □ □ □ □ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ □ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ □ ﯛ ﯜ □ ﯝ ﯞ □ □ □ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □)[3]. /

وكان من توبيخ النصارى أيضاً: قوله تعالى: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ □ □ □ □ □ □ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ □ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ □ ﯛ ﯜ □ □ □ □ ﯝ ﯞ ﯟ)[4]. أ/12

وكان من التوبيخ للنصارى المجسّمة[5]: قوله تعالى: (□ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ □ ﯛ ﯜ □ □ □ □ □ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯣ ﯤ ﯥ

[1] إنجيل يوحنّا: 4/34، 5/30، 6/38، إنجيل مرقس: 14/36. ب/12

[2] قال بولس عن المسيح في رسالته إلى العبرانيين: 5/7: (في أيام بشريته قَرب تضرعات واستغاثات، وصراخ شديد، ودموع ذوارف للقادر، الذي بوسعه أن يخلصه من الموت، فاستجاب له من أجل تقواه) وانظر: أناجيل: متى: 26/40، ومرقس: 14/40، ولوقا: 21/42.

[3] سورة المائدة: آيات 73 – 75. في الأصل: (تتوبون إلى الله وتستغفرونه). نهاية لوحة 12/أ عند قوله تعالى (والله غفور)

[4] سورة المائدة: آية 17.

[5] تجسيم النصارى بنسبة الولد لله تعالى، وهذا ما عليه النصارى القائلون بالتثليث.

ﯿ   ﭑ ﭒ)[1]، وقوله تعالى: (**ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ**)[2].

وكان أيضاً من التوبيخ لعموم جاهلية النصارى القائلين بإلهية المسيح وأمه، كفراً فطيراً [3]، والقائلين في الكنائس ليلة البشارة[4]: (يا أم الإله، يا ستّ، يا حنّونة، يا عروس، يا من لا عرس لها، يا من ولدت الله بلا زرع)[5]:

---

(1) سورة مريم: آيات 88- 95. وفي الأصل: (ينفطرن) بالنون، قرأ بها حمزة وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر. ينظر: تفسير الآية في فتح القدير للشوكاني ص: 901.

(2) سورة الكهف: آيتا 4، 5. في الأصل: (وتنذر) نهاية لوحة 12/ب عند قوله تعالى (أفواههم).

(3) كفراً فطيراً: بمعنى: مخترعاً، من الفطر: الإنشاء والاختراع، أو بمعنى: ملفقاً متناقضاً، من الفطير: العجين الذي لم يختمر. لسان العرب 11/199.

(4) ليلة البشارة: أي بشارة الملَك جبريل لمريم بعيسى عليهما السلام، وتروى في إنجيل لوقا: 1/26 - 38 بما يشبه كثيراً ما جاء في القرآن في سورة مريم (آيات: 16 - 21). وهي عند النصارى يوم عيد البشارة في 25 آذار / مارس (29 من شهر برمهات القبطي). ومريم: هي ابنة عمران، وأمّها حنّة من سبط يهوذا من آل داود، وقصة ولادتها وكفالة زكريا عليه السلام لها في القرآن في سورة آل عمران وبشارتها بعيسى في سورة مريم. وكذا الأناجيل تذكر الحادثتين وتغفل بقية شبابها وحياتها، إلا في إشارات سريعة كما في يوحنّا في قضية الصلب، ويعظّمها النصارى ولا سيما الكاثوليك والأرثوذكس، ولهم باسمها كنائس وصلوات. بينما يذكرها اليهود بأوصاف مشينة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: مريم)، الموسوعة الميسرة ص: 1689.

(5) هذا جزء من ترنيمات النصارى لمريم، ودعائهم إياها، وهي مذكورة في صلواتهم، وقد ظهر تسميتها بوالدة الإله في مجمع أفسس عام 431م، والذي قرّر فيه إطلاق لقب والدة الإله (Theotokos) على مريم عليها السلام، وحرّم فيه نسطوريوس (أسقف القسطنطينية) الذي سمّاها: والدة المسيح الذي حلّ فيه الإله، تعالى الله عن قولهم. ينظر: تأريخ

فقال الله تعالى إخباراً عمّا يقول للمسيح يوم القيامة:
(ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ
گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ □ □ □ □ □ □ □
ھ ھ ھ ھ □ □ □ □ □ ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ □ ۋ ۋ □ □ □ □
□ ې ې ى ى ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)
.[1]

ومن التوبيخ للعالم المذموم - اليهود - وتهديدهم وتوعّدهم[2] بالعذاب والسخط قوله تعالى: (□ □ □ □ □
ھ ھ ھ ھ □ □ □ □ ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ □ ۋ ۋ □ □ □ □ 13/أ
□ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ى ى ي ي □ □ □ □ □ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ
ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ
ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ
ک ک کک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں) [3].

فهذا هو التوبيخ من الرسول الحقّ، الموبّخ للعالم على العدل، وعلى الحكم، وعلى الخطيئة من أجل المسيح.

وهو أركون العالم / المنبثق من فيه روح الحق، أعني: القرآن العظيم، الذي هو روح من أمر الله، كما قال 13/ب
تعالى: (□ ٻ ٻ ٻ پ)[4]، وقال تعالى: (□ □ □ □ ې ې

ابن البطريق 157، مجموعة الشرع الكنسي ص: 331، الأجوبة الفاخرة للقرافي ص: 154، مصادر النصرانية ص: 774، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية للتنير ص: 105، الجواب الفسيح للآلوسي 1/228.

(1) سورة المائدة: آيات 116 – 118.

(2) في الأصل: تهديهم وتواعدهم.

(3) سورة النساء: آيات 153 - 158. نهاية لوحة 13/أ عند قوله (كتاباً).

(4) سورة الشورى: آية 52.

ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ □ □)[1] يعني: يوم القيامة. وقال تعالى: (ﮓ ﮓ ﮓ
ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ □)[2].

والبارقليطس: الرسول الحق، صاحب البيان والتعريف والقول العدل، الذي نصّ عليه المسيح، وليس هو روح القدس؛ فإنها قوة روحيّة روحانيّة ملَكانيّة إلهية، لا جسم لها ولا أعضاء، ولا فم تتكلّم منه وينبثق منه روح الحقّ، ولا لها لسان توبّخ العالم به[3].

ونقول كما قال المسيح عن أركون العالم: الرسول الناطق بكلام الله، والمرسل من عند الله، وموبّخ العالم بلسانه، وموضّح الحقّ لهم ببيانه، وبشر شريف يوحى إليه، ونبي كريم □ ، وليس بقوة متوهمة تشتبه في العقل بقوى كثيرة، وللخصوم عليها إيرادات وطعون.

وإذا / اتضح هذا وظهر برهانه، فلنذكر نكتاً[4] حساناً: 14/أ

---

[1] سورة غافر: آية 15.

[2] سورة النحل: آية 2. وفي الأصل غلط في بدايتها: (يلقي الروح. . .).

[3] للنصارى في تفسير البارقليط (المعزي) أقوالٌ، منها: أنه ألسن نارية نزلت على التلاميذ. ومنها: أنه المسيح. ومنها: أنه روح القدس، وهذا ادعاء الأكثر منهم. ينظر: هامش الكتاب المقدس ط. المشرق (يوحنا: 14/26) دائرة المعارف الكتابية (مادة: باراقليط). وقد ردّ هذه الادعاءات العلماء، كالجعفري في التخجيل 2/707 وقال - عن خبرة بحال النصارى، كما ذكر ابن تيمية عنه في الجواب الصحيح 5/289 -: (ولم أرَ أحداً من النصارى يحسن تحقيق مجيء هذا (الفارقليط) الموعود به) وينظر: ابن تيمية في الجواب 5/290، ورحمت الله الهندي في إظهار الحق 4/1191 وساق ثلاثة عشر وجهاً من ألفاظ البشارة ترد تفسيره بروح القدس، وذكر د. السقا في كتابه أقانيم النصارى ص: 57: أن الأب متّى المسكين ذكر أنه توجد وثيقة في كنيسة فيتّا ليوسابيوس القيصري فيها كلمة البارقليط وصف لشخص بشري.

[4] في الأصل (نكثاً) وصوابه: نكتاً جمع نكتة.

نكتة[1]**:**

قوله: (جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى بجبال <فاران>[2]، وأتى من ربواتٍ قدسٍ)[3] عنى بالمجيء: إلى طول مدة دولة موسى وثبوت شريعته.

وعنى بالإشراق: إلى قصر مدة المسيح، وبَهْر نور ما جاء به من مفهوم قوله:
(كونوا سماويين، وأبونا الذي في السماوات)[4] وقوله: (إنما جُعل السبت من أجلك، ولم تجعل أنت من أجل السبت)[5] وقوله: (إنكم تصيرون إلى حياة أبدية)[6].
وكانت دولته قبل احتجابه ورفعه إلى السماء سنتين

---

[1] في الأصل (فكثة) وما بعدها كذلك.

[2] في الأصل سقط لكلمة (فاران).

[3] سفر التثنية: 33/2. وسبق سياق البشارة في ل أ/5 ص96.

[4] هذا قول المسيح فيما ينقله النصارى عنه في إنجيل متّى: 5/ 48. بلفظ قريب (فانديك): (فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل) ومعنى كاملين عند النصارى: سماويين.

[5] يشير النصارى إلى أن تعظيم السبت إنما هي شريعة يهودية، وأن المسيح بعد قيامته – بزعمهم - لم يعد إلى اجتماع السبت في الهيكل، وقال للتلاميذ كما في إنجيل مرقس: 2/27: (السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت) وعلّل: أن اليهود حرّفوا السبت. وينظر: إنجيل متّى: 12/1 - 7، ولوقا: 6/1 - 5. وإفحام اليهود للسموءل ص: 108.

[6] نقل كتّاب الأناجيل عن المسيح الوعد بالحياة الأبدية في مواضع كثيرة، كما في إنجيل متّى: 19/20، وإنجيل يوحنا: 3/36. وغيرهما.

ونصف، والعمر كله اثنتان[1] وثلاثون سنة ونصف[2]، وذلك شروق ولمع لا مجيء.

وعنى بالاستعلاء: الاستواء على ذروة قوس البناء وأعلى فعل القنطرة[3] في المثال، وأنّ نبيّنا يستعلي دينه وشريعته على كلّ ما سواه، ولا يخرج عن ظله الظليل واستشراقه شيء ممّا قبله.

وعنى بالإتيان من ربوات قدس: أنّ كلّ واحد من الثلاثة يكون من الملوكية والشرف، فكان موسى من بيت بطلميوس فرعون ملك مصر[4]، وكان المسيح من جهة أمّه من / ذرّية داود الملِك النبيّ[5]، وكان محمّد من ب/14

---

(1) في الأصل (اثنان).

(2) اختلف النصارى في المدّة التي قضاها المسيح في الدعوة: فالأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) تحدّدها بعام واحد، وفي إنجيل يوحنّا بثلاثة أعوام، بناءً على أعياد الفصح التي شهدها. قال الشهرستاني في الملل والنحل 1/220: (وأوحي إليه إبلاغاً عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام) ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: المسيح)، قصة الحضارة 11/250. أما عمره عند رفعه: فثلاث وثلاثون سنة عند أكثر المؤرخين، وقيل غير ذلك. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير 2/516.

(3) القنطرة: الجسر، أو ما ارتفع من البنيان. ينظر: لسان العرب 12/202.

(4) بيت بطلميوس: حكمت في مصر ق. م بأربعة قرون بعد الإسكندر الكبير، وتعرف: بالبطالسة، وفرعون: بمعنى البيت الكبير وهو اسم لكل من حكم مصر، والذي تربى موسى عليه السلام في قصره لا يعرف على التحديد، فقد ذكر المؤرخون أقوالاً قائمة على الظنّ والمقاربة، ولكن ما ذكره المؤلف مخالف لما ذكره أغلب المؤرخين من أن فترة موسى كانت ق. م بأكثر من عشرة قرون. ينظر: معجم أعلام المورد ص: 107، قاموس الكتاب المقدس (مادة: فرعون).

(5) يُرفع النصارى نسب المسيح إلى داود من جهة زوج مريم – بزعمهم – يوسف النّجار مع إقرارهم أنه ولد بلا أب! كما في إنجيلي متّى: 1/1 - 17، ولوقا: 3/32 - 38، وبينهما اختلاف في

أشرف قبيلة وأشرف بيت في العرب[1]، فكل واحد منهم أتى من ربواتٍ شرفٍ وقدسٍ، لا ما زعمته اليهود أنه آتٍ يأتي من أرض بيت المقدس، وهو المسيح عندهم ينتظرونه[2]، وذلك محال.

نكتة:

السلسلة والنصارى مختلفون في توجيه ذلك، والأشهر عندهم أن متّى أثبت نسب يوسف ولوقا أثبت نسب مريم، وهذا غلط بيّنه رحمت الله الهندي. ينظر: الفصل لابن حزم 2/32، إظهار الحق 1/187، قاموس الكتاب المقدس (مادة: مواليد الرب يسوع). ورفع نسب مريم إلى داود عليهما السلام فيه خلاف، ولا خلاف في انتسابها إلى آل عمران المصطفين على العالمين كما في سورة آل عمران: آية 33: (ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﮔ). وعمران على الأرجح أنه من سلالة داود. ينظر: تفسير ابن كثير لهذه الآية 2/33 ت. السلامة.

(1) جاء في الحديث الصحيح: (إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم (ح 2276). وينظر: الشفا 1/165.

(2) يعتقد كثير من اليهود بظهور المسيح المخلِّص في آخر الزمان يختلف عن مسيح النصارى، ويعيشون في حياة هانئة سعيدة في زمنه، وعلى يديه استرداد بيت المقدس، ومن نسل داود عليه السلام، ويستدلون عليه بما جاء في سفر إشعياء: 45/17: (وأما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبديّاً، لا تخزون ولا تخجلون إلى دهور الأبد) وغيرها، قال السموءل المغربي – وقد كان يهوديّاً فأسلم - في إفحام اليهود ص: 126: (ينتظرون قائماً يأتيهم، من آل داود النبي. . . ويعتقدون أيضاً: أن هذا المنتظر متى جاء يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم دولة، ويخلو العالم من سواهم، ويحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة) قال ابن القيم في هداية الحيارى ص: 423: (وقد عوّضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجّال، فإنه هو الذي ينتظرونه حقّاً، وهم عساكره، وأتبع الناس له). ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للمسيري

لما كان عند اليهود من كلام التوراة: إنه لا يأتي في بني إسرائيل نبي مثل موسى[1]. وجاء المسيح بما جاء به من حلّ السبت[2] ومن التشريع الجديد أنكره الفرِّيسيُّون[3]، وقالوا: لا يأتي في بني إسرائيل مثل موسى نبيّ مرسل، ولا يقوم فيهم غيره ـ وفاتهم أن المسيح ليس من بني إسرائيل؛ بل بشر وحيد، مثله كمثل آدم في الخلق، قال الله له: كن فكان. وذلك[4] لتمام النعمة وكمال القسمة الرباعية المقتضية

.5/294

(1) ينظر: ما سبق في ل أ/5 ص97.

(2) تعظيم السبت شريعة يهودية، أصلها: كما في سفري التكوين: 2/3 والخروج: 31/12 - 18 زعمهم أن الله استراح بعد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأمرهم أن يسبتوا، أي: يستريحوا. تعالى الله عن إفكهم، وكذبهم الله في القرآن في سورة ق: آية 38: (ڦ ڤ ڤ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ) ولم يلتزم اليهود بالسبت ويحفظوا فيه العهد! كما ذكر الله تعالى عنهم في القرآن في سورة البقرة: آية 65: (ڈ ژ ژ ژ ژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ). وقد نقم اليهود على المسيح عيسى أنه لم يحترم السبت ونقض ناموس موسى عليه السلام مع أنه وعظ في يوم السبت وبيّن أنه ما جاء لينقض بل ليكمل، لذا سعوا في قتله. ينظر: إفحام اليهود ص: 108، موقف اليهود والنصارى من المسيح د. سارة العبادي ص: 51.

(3) الفريسيون: جمع فريسي، في الآرامية بمعنى: المنعزل. وهم إحدى فرق اليهود، وأكثرها، ويسمى علماؤهم: بالكتبة والربانيين، وهم أشد اليهود تمسكاً بتعاليم التوراة التي كتبها عزرا، ويزعمون أنها مخلوقة منذ الأزل، ويعظّمون التلمود، ويعتقدون بمسيح منتظر وباليوم الآخر، وبدأ ظهورهم قبل ميلاد المسيح بمائة سنة وهم من سعى باضطهاد المسيح وأتباعه، وقد قاومهم المسيح كما تصور ذلك الأناجيل كإنجيل متّى: 23. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: فريسي)، ملامح من التأريخ القديم ليهود العراق د. سوسة ص: 165، اليهودية د. شلبي ص: 166، الفرق والمذاهب اليهودية لعبد المجيد همّو ص: 54.

(4) في الأصل (ولذلك).

للحكمة[1]: فإن آدم مخلوق من غير أب ولا أم، وسائر بنيه وذريّته كل منهم مخلوق من أم وأب، وخلقت حواء أم البشر من أب بلا أم وهو آدم، فإنّها خلقت من ضلعه[2]، وخلق المسيح من أم وهي مريم بلا أب. فكملت القسمة الرباعية ولا مزيد عليها[3]. ولما كان ذلك كذلك؛ / كانت[4] مريم وعاءً لخلق المسيح بكلمة كن فكان، فلم يكن من بني إسرائيل مثل موسى. 15/أ

نكتة:

قول أرميا في تنبّئه: (إنّه رأى شعوباً شعوباً وربوات ربوات بين يدي المسيح)[5] إشارة إلى أنه أرسل إلى الأمم الأربع[6] الذين كانوا في زمنه، وهم: المجوس

---

[1] في الأصل (المقتضيها الحكمة).

[2] كما قال تعالى في سورة النساء: آية 1: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ). وفي حديث أبي هريرة في صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم (ح 3153): (فإن المرأة خلقت من ضلع) بيان أن حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم 5/207.

[3] ذكر هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ). قال ابن كثير في تفسيره 5/221: (فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، فلا إله غيره، ولا رب سواه).

[4] تكررت كلمة (كانت) فربّما كانت منقلبة عن (كذلك) كما صوبته.

[5] ينظر: ما سبق في ل أ/7 ص107.

[6] في الأصل (الأربعة).

وهم المؤلف بالقول بأن المسيح أرسل لعموم أهل زمانه؛ فإن رسالة المسيح لم تكن عامة، وإنما هي خاصة لبني إسرائيل، كما قال تعالى في سورة الصف: آية 6: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ)، وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود. . .) رواه مسلم (ح 815). وخصوصية رسالة المسيح

واليهود والصابئة واليونان الفلاسفة[1]، وكذلك رؤيته للشعوب والربوات بين يديْ نبيّنا محمد وعلى المسيح أيضاً، فإنّها إشارة إلى أنه[2] مرسل إلى العالمين كافّة: اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والمشركين الجاهليّة، والثقلين الإنس والجنّ، لأنه خاتم النبيّين،

يدل عليها أمور: منها: أن البشارة بمولده كانت مصحوبة بأنه لبني إسرائيل خاصة، كما في إنجيل متّى: 2/6: (لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل) وفي لوقا: 1/30: (ويعطيه الرب كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلـى الأبد) وبيت يعقوب بنو إسرائيل. ومنها: إشارات في الأناجيل أن المسيح أخبر أنه لم يأت إلا لبني إسرائيل كما في متّى: 15/24: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) ومنها: أن المسيح أمر تلاميذه أن ينشروا دعوته بين بني إسرائيل، ففي إنجيل متّى: 10/5 - 23: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. . . فإني الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان!) وما يستدل به النصارى من قول المسيح كما في خاتمة إنجيل متّى: 28/19: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) ومثلها في خاتمة إنجيل مرقس: 16/15. فلا يسلم لهم؛ فإن نقّاد النص الكتابي من المسيحيين وغيرهم يشككون في إثبات الخاتمتين، ولا يثقون فيهما. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 55، 61. كما أنهما معارضتان بما ذكر عن المسيح عليه السلام، وبواقع دعوته ودعوة تلاميذه، وإنما ابتدع التنصير في غير بني إسرائيل بولس وخالفه التلاميذ. ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص: 104

[1] الفلاسفة: قال ابن القيم في إغاثة اللهفان 2/257: (الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصّاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه) واليونان: منطقة واقعة في الضفّة الشمالية للبحر المتوسط، وعرفت بحضارتها القديمة ومدارسها الفلسفية، وقد دخلها

ومتمّم مكارم الأخلاق، وكما أنه ليس بعد التمام تمام فكذلك ليس بعد الختام ختام.

نكتة:

لما افترقت النصارى في غلوّهم في المسيح إلى أربع[3] فرق[4]:

فرقة ربّعت، فقالت: أب، وابن، وروح قدس، والإنسان القديم، طبيعتان ومشيئة واحدة. ب/15

الرومان عام 168 ق. م، فانتشرت الثقافة واللغة اليونانية في أرجاء مملكة الرومان، وقد بعث الميسح عليه السلام في دولة الرومان، وكان من أتباعه فلاسفة يونان كبولس ويوستنيوس. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يونانيون)، تأريخ الكنيسة ليوسابيوس ص: 57، تحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية ص: 385.

(2) في الأصل تكررت جملة (إشارة إلى أنه) وذلك سهو من النّاسخ.

(3) في الأصل (أربعة).

(4) تقسيم فرق النصارى اختلف فيه الكتّاب، وحديث الافتراق الصحيح المشهور في السنن والمسانيد كما قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 3/245: (وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة) يدل على واقع النصارى من غير تعيين للفرق، وإنما يذكر أجناسها أو أشهرها، والتفرق بين النصارى يدور غالباً حول: التثليث، طبيعة المسيح ومشيئته، ووالدته، انبثاق روح القدس، الصلب. والأشهر ذكر الفرق الأربع المشهورة: اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية، والأريوسية. ومنهم من يغفل الأخيرة لإنكارها للتثليث. ومنهم من يزيد على ذلك.

* ملاحظة: سياق المؤلف للفرق النصرانية يحتمل أمرين: أحدهما: أنه أراد بيان تعدد الآلهة في النصرانية، وعلى هذا تم التعليق. الثاني: أن يريد قول النصارى في المسيح، وعليه؛ فإنه أراد بالمثلّثة (طبيعتان ومشيئتان) النسطورية، والمثنّية (طبيعتان ومشيئة واحدة) الملكانية، والموحدة (طبيعة واحدة ومشيئتان) اليعقوبية وقولهم: مشيئة واحدة، وذكر المشيئتين وهم. فسياق المؤلف للفرق موهم.

وهـــــــــــــــــــــــــــــــؤلاء هـــــــــــــــــــــــــــــــــم البطلانيـــون[1] / فلاسفة النصارى [2]، سمّوا العالَم الأكبر: إنساناً قديماً، ذا ذات كلّية مجرّدة: عقل كلّي ونفس كلّية وصورة الصور[3]. وسمّوا الإنسان: عالمَاً أصغر، ذا روح وعقل

---

[1] هكذا في الأصل، ولم أجد من تسمّى بهذا الاسم. وربما تصحّف عن: الأفلوطونيين. نسبة إلى أفلوطين (205 م – 270 م) وهو شخصية فلسفية مقدّرة عند فلاسفة النّصارى المتقدمين (عصر آباء الكنيسة). واعتبرت فلسفته في: العلة الأولى والعقل (اللوغوس) والنفس، صورة للثالوث عند الكنيسة ثم المادة والموجودات، متأثراً بأفلاطون (427 ق. م). ينظر: موسوعة الفلسفة د. بدوي 1/202، تطور الفكر الديني الغربي د. حنفي ص: 28، تأريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص: 325.

[2] فلاسفة النصارى: هم من استخدم الفلسفة في تقرير العقائد المسيحية. والتحقيق: أن الفلاسفة لم يتخلوا عن فلسفاتهم بل صبغوها بمسميات دينية، وتعود أصول فلاسفة النصارى إلى: وثنية يونانية كالقديس يوستينيوس (ت 165م) أو يهودية يونانية كبولس وأرسطون (ت 140م). وفي عصر آباء الكنيسة (القرون المسيحية الأولى) اشتهرت الفلسفة الأفلوطونية المحدثة (رائدها الفيلسوف اليهودي أفلوطين ت 270 م) وتميز بها القديس أوغسطين (ت 430م) ثم في العصر الوسيط الكنسي اشتهرت فلسفة أرسطو، وتميزت عند القديس توما الأكويني (ت 1274م). ينظر: موسوعة الفلسفة د. بدوي 1/193، روح الفلسفة في العصر الوسيط لإتين جلسون ترجمة د. إمام ص: 453، تحريف رسالة المسيح جستينية ص: 388، تطور الفكر الديني الغربي د. حنفي 28، 43.

[3] الكلّيّ: هو الذي نفس تصور معناه لا يمنع الشركة فيه، وعند الفلاسفة العقل الكليّ: أشرف الموجودات وأعلاها، والمراد به: جملة العالم الذي آخره العقل الفعّال، وهو التالي

ونفس ناطقة وجسد[1]. وقالوا: المظاهر والمباطن الأربعة إله واحد، طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة[2].

وفرقة ثلّثت، فقالت: الأب، والابن، والروح القدس، ثلاثة أقانيم[3] جوهرية إله واحد، فالأب موجود لذاته حيّ بالروح ناطق بالابن، والابن ناطق لذاته موجود بالأب حيّ

للمبدأ الأول (العلة الأولى)، والنفس الكلّيّة: هي أوسط الموجودات، التي تنفعل من العقل بالأجسام وساطة. وصورة الصور: الفكر المطلق وهو ما يقابل أصل المادة (الهيولى)، وكلها كليّات مجرّدة. ينظر: معيار العلم للغزالي ص: 292، 279. المعجم الفلسفي د. صليبا 1/741، 2/84، 238. واختلف الفلاسفة في وجود الكليّات، ومنشأ غلط كثير منهم كأفلاطون وأرسطو: القول بوجود كليّات مجردة في الخارج. قال الإمام ابن تيمية في الصفدية 2/279: (فإن هؤلاء المتفلسفة كثيراً ما يغلطون فيظنون ما هو موجود في الأذهان موجوداً في الخارج. . . ومثل غلط أفلاطون وشيعته في الطبائع الكلّيّة، **كالإنسان الكلّي والحيوان الكلّي، حيث ظنّوا أنها تكون في الخارج كليات مجردة عن الأعيان أ**زلية أبدية لم تزل ولا تزال) ينظر: تأريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ليوسف كرم ص: 70.

[1] ينظر قول الفلاسفة في العالمَين الأكبر والأصغر: المعجم الفلسفي د. صليبا 2/46.

[2] لم يقل أحد من النصارى: إن هناك أربعة أقانيم، وإنما مآل قول فلاسفة النصارى إثبات أربعة: الأول: العلة الأولى عند الفلاسفة تقابل الأب عند النصارى، والثاني والثالث: العقل عند الفلاسفة (اللوغوس بالمصطلح اليوناني)، وهو منقسم إلى: عقل باطن (المثال عند الأفلاطونية، والمحرك الأول عند الأرسطية)، وعقل صادر عنه (العقل الفعّال). وقابله عند النصارى (الكلمة، الابن)، وهي منقسمة إلى: لاهوتية أزلية، كما في مطلع إنجيل يوحنّا: (في البدء كان الكلمة) وناسوتيّة في المسيح (والكلمة صار جسداً). والرابع: النفس أو روح الكون ويقابلها روح القدس عند النصارى. ينظر: تأريخ الفلسفة اليونانية لكرم ص: 297، تأريخ الفكر المسيحي للقس حنّا ص:

بالروح، والروح حيّة لذاتها موجودة بالأب ناطقة بالابن، طبيعتان مشيئتان[1].

وفرقة ثنّت، فقالت: لم يولد المسيح إذ ولد إلا مخلوق إنسان تام، مهيّأ لحلول الإله فيه، فلمّا عمّده يوحنّا المعمداني[2] حلّت فيه روح القدس، وصار من وقت

454، موسوعة الفلسفة 1/174.

[3] الأقانيم: جمع أقنوم، لفظ يوناني، وقيل: سرياني، بمعنى: أصل، أو شخص، وقيل غير ذلك. وهي للتمييز بين الأب والابن وروح القدس في المسيحية. وعرف اللفظ في الفلسفة عند أفلوطين الفيلسوف اليهودي ثم نقل إلى النصرانية، وأول من أطلقه أوريجانوس ت 254 م. ويفضّله النصارى للتعبير عن الثالوث لما يحمله من غموض. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/200: (قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع، لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم، وفي كلام الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها. . . ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم، تارة يقولون أشخاص، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسماً للذات والصفة معاً، وهذا تفسير حذّاقهم) وذكر الأصفهاني النصراني (يعقوبيّ عاش في ق 12 م) في رسالته: أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث ص 42: ثمانية أقوال في تفسير الأقنوم، وضعّف سبعة ورجّح الأخير واعترف أنه مبهم أيضاً!. ينظر: المعجم الفلسفي د. صليبا 1/112، النصرانية من التوحيد إلى التثليث د. الحاج ص: 207، الخلاصة اللاهوتية للقديس توما 1/366.

[1] هذا قول عامة فرق النصارى بعد مجمع نيقية (325 م): التثليث، وقد اختلفوا في طبيعة الميسح إلى فرق ثلاث. حاصل أقوالها ما ذُكر في كتاب أدلة الوحدانية للإسكندري (المنسوب للقرافي) ص 34: (مدار قول هؤلاء الثلاث فرق – أعني: اليعقوبية والنسطورية والملكية – أن يعقوب يقول: إن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد. ونسطورس يقول: هو جوهران وأقنومان. والملكية يقولون: جوهران وأقنوم واحد) وينظر: بولص الأنطاكي في رسالته في الفرق المتعارفة بين النصارى،

التعميد[1] إلهاً تامّاً وإنساناً تامّاً، من جوهر أبيه، وعاين يوحنّا الروح ترفرف عليه، وسمع النداء من السماء وشهد به[2]. وكذلك أمّه كانت ذاتاً حسّاسية مهيأة لقبول حلول / كلمة الله فيها، فلما حلّت الكلمة فيها تجسّدت فيها واتحدت، فكانت كالابن في الإلهية[3]. مشيئة واحدة وطبيعتان[4].

نشرت في مجلة المشرق الكاثوليكية / السنة السابعة ص 702.

[2] يوحنّا المعمداني: مسمّى النبيّ يحيى بن زكريا عليه السلام في الإنجيل، وأصله سرياني، وردت البشارة لزكريا به في سورة آل عمران: آية 39: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ) وهو ابن خالة عيسى عليهما السلام وولد قبله بستة أشهر، وسمي: المعمداني: لتعميده عيسى بنهر الأردن كما في إنجيل متّى: 3/13 - 16، وتعميده التائبين كما في إنجيل لوقا: 3/ 2، ولا يعرف التعميد قبله في اليهود، ولم يذكر في العهد القديم، وقد قتله هيرودس الملك. ينظر: البداية والنهاية 2/393، التخجيل 1/133، قاموس الكتاب المقدس (مادة: يوحنّا).

[1] التعميد: ويسمّى: التغطيس والمعمودية. إحدى بدع النصارى في دينها وأسرارها السبعة، ولا يعرف التعميد قبل يوحنّا في اليهود، وحيث لم يذكر في العهد القديم، وإنما جاء في العهد الجديد كما في إنجيل مرقس: 16/16: (من آمن واعتمد خلص)، مما يدل أنه ليس من شرائع الأنبياء وإنما مصدره وثنيات قديمة، وهو غمس التائب بالماء، وهو علامة على التطهير من الخطيئة أو الانتساب للكنيسة، تختلف الكنائس حول طريقة التعميد وتعميد الصغار،. ينظر: تحفة الأريب للترجمان القس سابقاً ص: 134، العقائد الوثنية ص: 115، أسرار الكنيسة السبعة للقس حبيب جرجس ص: 21، قاموس الكتاب المقدس (مادة: معمودية).

[2] في إنجيل متّى: 3/16، 17 (فانديك): (فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السماوات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

وفرقة قالت بالوحدة وعدم المغايرة، طبيعة واحدة ومشيئتان[1].

فردّ الله تعالى هذه المقالات الأربع، وبيّن كفر قائلها، ووبّخهم بلسان رسوله محمد بقوله في القرآن:

(ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ)[2].

(ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ) [3].

(ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ   ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) الآية[4].

(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ) الآية[5].

---

[3] سيأتي تفسير الاتحاد والتجسد. وقال بألوهية مريم من النصارى طائفة البرابرنية (المريمتيين) وذكر ابن حزم في الفصل 1/110: أنها انقرضت، وينظر: تحفة الأريب ص: 141. وقد اتخذت غالب فرق النصارى لمريم عبادات وصلوات من دون الله، قال القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة 1/146: (وإنما ينكره من لا يعرف أقاويل النصارى وحقيقة النصرانية) وينظر في تحقيق هذا الأمر واشتهاره: مقالٌ للأب. لويس شيخو في مجلة المشرق الكاثوليكية مجلد السنة السابعة ص: 395.

[4] القول بإلهين اثنين متحدين قال به فرق من النصارى: المرقيون (إله خير وإله شرّ)، البرابرنية (ألوهية المسيح ومريم) وأيضاً: قال به بعض النصارى قبل أن تقرّ ألوهية روح القدس في مجمع القسطنطينية سنة 381 م كأتباع مقدونيوس. الفصل 1/109.

[1] القول بإله واحد، قال به طوائف من النصارى، ولا سيما قبل انعقاد مجمع نيقية سنة 325 م، كأتباع أبيون، وبولس الشمشاطي، وآريوس، وغيرهم. ينظر: الفصل لابن حزم 1/109، الملل والنحل للشهرستاني ص: 240.

[2] سورة المائدة: في موضعين: آية 17، 72.

[3] سورة المائدة: آية 73.

[4] سورة الكهف: آيتا 4، 5. وفي الأصل: الرحمن. وهو غلط.

[5] سورة مريم: آيتا 88، 89.

وقوله تعالى: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ) أي: تنزهت وتقدّست (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) [(1)]، [(2)].

نكتة:

لما يقال للمسيح: (ﭾ ﭿ ﮀ) الآية، ويقول: (ﮬ   ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ) ويسوق إلى قوله: (   )[(3)] يكون مثله - صلى الله على نبيّنا / وعليه - كمثل نائب مِلِك عظيم بَلَغه أن النائب دعا إلى طاعة نفسه دون الملك، فقال له الملك تهديداً: أأنت دعوت الناس إلى طاعتك 16/ب

(1) سورة المائدة: آية 116. قال الألوسي في تفسيره روح المعاني 7/65: (واستشكلت الآية: بأنه لا يعلم أن أحدًا من النصارى اتخذ مريم عليها السلام إلهاً. وأجيب عنه بأجوبة. الأول: أنهم لما جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام إلهًا لزمهم أن يجعلوا والدته أيضًا كذلك؛ لأن الولد من جنس من يلده، فذكر (إلهين) على طريق الإلزام لهم. والثاني: أنهم لما عظّموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأحبار والرهبان في قوله تعالى في سورة التوبة: آية 31: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) لما أنهم عظّموهم تعظيم الرب. والتثنية حينئذٍ على حد القلم أحد اللسانين. والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى: أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: : المريمية يعتقدون في مريم أنها إله. وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيرًا ابن الله عز اسمه، وهو أولى الأوجه عندي) وينظر: تفسير القرطبي 6/375.

(2) قال الإمام ابن تيمية في تفسير الآيات التي ذكرت أقوال النصارى: أن عيسى هو الله، أو أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة. في الجواب الصحيح 2/11: (والنصارى قالت الأقوال الثلاثة، فذكر الله عنهم هذه الأقوال، ولكن من الناس من يظنّ أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم. كما ذكره طائفة من المفسرين، كابن جرير الطبري والثعلبي وغيرهما. والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية).

(3) سورة المائدة: آيات 116 - 118.

من دوني؟ فقال: لا، وإن الملك ليعلم مني أنني لم أدعهم إلا إلى طاعته. ثم تحمّله الإذلال والقرب من الملك على الشفاعة فيهم.

فوافق المسيحُ عليه السلام نبيَّنا في الرأفة بالعباد، والرحمة لهم، والشفقة عليهم، وطلب المغفرة لهم والعفو عنهم؛ حيث يقول نبيّنا يومَ وقعة أحد[1]، وقد استشهد عمّه حمزة المسمى أسد الله [2]، وشجّ جبينه وكسر بعض أسنانه، وقتل سبعون من أصحابه، واشتد بأس الكفار على المسلمين، وهو في تلك الحال يقول:

---

[1] وقعة أحد: غزوة وقعت عند جبل أحد (شمال المدينة، يبعد عن المسجد النبوي خمسة أكيال ونصف الكيل تقريباً) في شوال من السنة الثالثة للهجرة حين خرجت قريش وحلفاؤها بثلاثة آلف لردّ هزيمتها يوم بدر. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 2/64.

[2] حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: عم نبيّنا وأخوه من الرضاعة، وأسن منه بسنتين، أسلم في السنة الثانية من البعثة، معدود في شجعان قريش، ولقبه رسول الله بأسد الله، وسيد الشهداء، وقصة استشهاده أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب: قتل حمزة بن عبد المطلب (ح 4072). ينظر: الإصابة 2/37.

(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وهو يكررها مرات[1]، وأصحابه يمسحون دمه عن وجهه[2].

والمسيح يقول - عند سماع التعنيف بقول: ( ) :- ( ) أي: رب العزة المنزّه عمّا يقول الظالمون / الجاهلون، ولم يقل: أنت الغفور الرحيم[3]؛ إجلالاً منه للإله تعالى، وتعريضاً بالعزة التي 17/أ

---

(1) أخرج البخاري في أحاديث الأنبياء (ح 3477) ومسلم في كتاب الجهاد باب: غزوة أحد (ح 1792) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (كأني أنظر إلى النبي يحكي نبيّاً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) قال النووي في شرح مسلم 12/150: (وقد جرى لنبيّنا نحو ذلك يوم أحد) وجاء مصرحاً به في صحيح ابن حبان 2/ 160 (ح 969) وفي المعجم الكبير للطبراني 6/ 120 (ح 5694) وقال عنه الهيثمي في المجمع 6/117: رجاله رجال الصحيح. وينظر: فتح الباري 6/521.

(2) ينظر في شدة ما أصاب النبي ما أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب: ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد. ومسلم في كتاب الجهاد باب: غزوة أحد.

(3) قال ابن القيم في مدارج السالكين 1/40: (ومن ها هنا كان قول المسيح عليه السلام: ( ) أحسن من أن يقول: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، أي: إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة، وهي كمال القدرة، وعن حكمة، وهي كمال العلم، فمن غفر عن عجز وجهل بجرم الجاني، فأنت لا تغفر إلا عن قدرة تامة، وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها، فهذا أحسن من ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع، الدال ذكره على التعريض بطلب المغفرة في غير حينها، وقد فاتت، فإنه لو قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما ينزّه عنه منصب المسيح عليه السلام، لا سيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل لله ولداً، واتخذه إلهاً من دونه، فذكر العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة، وهذا بخلاف

هي الامتناع والرفعة المنزّهة عن كل ما قالوه بأفواههم، وظنّوه بعقولهم، وجهلوه لقصر أفهامهم، وأخطؤوا فيه لقلة العلم منهم، ونسبوه إلى الله تعالى غلطاً وسفهاً بغير علم ولا تعقّل، فلم يصل إلى الله تعالى شيء من مقالتهم، ولا يناله شيء من ادّعائهم وباطلهم. فتعرّض للشفاعة مع حفظ الأدب وملاحظة العزة والحكمة[1].

نكتة:

لمّا أرسل الله نبيّنا بالهدى ودين الحق، ووبّخ العالم على الخطيئة والعدل كما بشّر به المسيح، وأنزل الله الخبر الحق عن طهارته ونزاهته وسلامته وعصمته من الذين كفروا، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبّه لهم، استيقظت فطر أولي الألباب، وقالوا: صدق الله ورسوله، ب/17
وصدق المسيح في خبره وبشارته بهذا الرسول المنبثق

قول الخليل عليه السلام: (ڤ ڨ ڤ ڦ ڤ ڨ ڨ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃڄ ڇ ڇ ڇ ڄ ڃڃ ڃ ڃ ڄ ڇ ڇ) ولم يقل: فإنك عزيز حكيم، لأن المقام مقام استعطاف وتعريض بالدعاء، أي: إن تغفر لهم وترحمهم، بأن توفقهم للرجوع من الشرك إلى التوحيد، ومن المعصية إلى الطاعة، كما في الحديث: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). وينظر: تفسير القرطبي 6/292.

[1] أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب: دعاء النبي لأمته وبكائه شفقة عليهم (ح 202) عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن النبي تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: (ڨ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ) وقال عيسى عليه السلام: (   ) فرفع يديه، وقال: (اللهم، أمتي أمتي) وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله. فأخبره رسول الله بما قال. وهو أعلم. فقال الله: (يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنّا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك). وهذا من تمام شفقته على أمّته، وموافقته لدعوة عيسى عليه السلام.

من فيه روح الحق، وما ينبغي للمسيح المصطفى المقرّب المنتقى الذي سمّاه الله: كلمته / وروحاً منه، أن يعذّب ويهان، ويربط وتخلع ثيابه، ويكلّل بالشوك بدلاً من تاج الملك، ويحمّلونه ويحمله الأرذال خشبته ليصلب عليها، ويسحبونه سحباً، ويلطمونه بأيديهم لطماً مبرحاً، قائلين له: أنت ملك يهوذا! أنت كلمة الله! أنت ابن الله! أنت رسول الله!. ويلطمونه ويقولون له: إن كنت نبيّاً فقل لنا: من لطمك؟ ثم لم يزالوا معه على ذلك حتى أوصلوه إلى موضع الصلب، فصلبوه. وشنقوا عن يمينه ويساره شخصين.

وبقي مصلوباً طول نهار الجمعة إلى العصر، وبات عطشانَ يتلظى، ويسأل أن يُسقى شربة ماء، فبلّوا له إسفنجة بخلّ وماء حنظل حارق[1] ورفعوها إليه في رأس قصبة، فلما امتصّ منها سعر وجهه ومات، ولم يسمع من كلامه شيء سوى عند الموت، قالت مريم المجدلانية[2] وهي مع أمّه تحت صليبه وهما تبكيان: سمعته يقول وقد اسودّت الدنيا
وأظلمت: (ليماثا فاختاني؟)[3] الذي ترجمته بالعربية: (يا 18/أ

---

[1] في الأصل (حاذق).

[2] مريم المجدلانية: نسبة إلى مجدلة (محلة واقعة على الشاطئ الغربي لبحيرة طبريّة، تبعد عن مدينة طبرية 5 أكيال شمالاً)، وصفتها الأناجيل: بأنها مريضة وأخرج منها المسيح سبعة شياطين، وأنها شاهدة لحادثة الصلب والدفن، وشرّفها المسيح بحديثه معها بعد قيامته!. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: مريم)، الموسوعة العربية الميسرة ص: 1690.

[3] كذا في الأصل. ونقل قريباً منها الغزالي في الردّ الجميل ت. الشرقاوي ص: 120، وقال: (وهذه كلمات عبرانية).

إلهي، لماذا تركتني؟)[1]. وأمّه وخالته ومريم المذكورة وجماعة نسوة / تحت خشبته يبكين ويندبن[2].

فلما كان آخر النهار أنزلوه إلى والي الشرطة، بعد أن طعنوه بحربة في جنبه، وضربوه بخشبة على ساقيه كسروهما، ثم لفّوه في لفافة ودفنوه ببستان يعرف بالفاخوري موضع العمارة المعروفة الآن بالقيامة بالبيت

[1] اختلفت الأناجيل في آخر ما قاله المسيح: في إنجيل متى: 27/ 46: (إِيلِي، إِيلِي، لِمَ شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إلهي، إلهي، لِمَاذا تركتنِي؟) وقريب منه في إنجيل مرقس: 15/34، وفي إنجيل لوقا: 23/46: (يا أبتاه، في يديك أستودع روحي) وفي إنجيل يوحنّا: 15/30: (قَدْ أُكْمِل)، كما اختلفت الأناجيل في ساعة الصلب.

[2] الذي شهد في حادثة الصلب كما تزعم النصارى - غير أعدائه اليهود –: في الأناجيل الثلاثة: (متّى ومرقس ولوقا) كما في متى: 27/55، 56: (وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد، وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه، وبينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسي، وأم ابني زبدي) فهن نسوة وينظرن من بعيد. بينما خالف في إنجيل يوحنّا: 19/25، 26: (وكانت واقفات عند صليب يسوع: أمّه، وأخت أمّه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية. . . والتلميذ الذي كان يحبّه واقفاً) أما تلاميذ المسيح فقد تركوه وهربوا كلهم، كما في متّى: 26/56.

المقدس[1]، كما هو مكتوب مؤرّخ عند اليهود والنصارى[2].

ثم فحص العلماء الربّانيون عن الذي ألقى الله عليه شبه المسيح، من هو؟

فوجدوا: المسيح ليلة الفصح والعهد سهر سهراً طويلاً وتضرّع إلى الله كثيراً، وكان من جملة مسألته: أسألك يا إلهي، أنت تصرف عني هذا الكأس، فإنك القادر لا غيرك،

---

[1] قبر المسيح بزعم النصارى: ببستان. كما في إنجيل يوحنّا: 19/41 ووصفته رسالة العبرانيين: 13/12: خارج باب أورشليم. وأول من شيّد القبر وأظهره هيلانة أمّ قسطنطين سنة 326 م، وبُني عليه كنائس عرفت بالقيامة نسبة لقيامة المسيح من قبره بزعمهم، أو القمامة لكونها موضع مزبلة عند اليهود. وهي في البلدة القديمة في القدس، جوار مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/140: (وإنما يحجّون إلى قمامة الخارجة عن بيت الله الذي كانت الأنبياء تقصده وتصلي فيه، فإن الأنبياء إنما كانوا يصلون في بيت المقدس، ويزورون بيت المقدس نفسه، وأما قمامة فليس لها ذكر في كتب الأنبياء عليهم السلام، بل إنما ظهرت قمامة في زمن قسطنطين الملك، لما أظهرتها أمه هيلانة الحرانية لما جاءت بيت المقدس). ينظر: تأريخ ابن البطريق ص: 129، الكامل في التأريخ 1/300.

[2] حادثة الصلب مذكورة في أناجيل: متى: 27، مرقس: 15، لوقا: 23، يوحنا: 19، وفي سياقها تناقضات واختلافات تبطل الحادثة من أصلها، وقد انتقدها علماء المسلمين وبينوا تناقضها وفنّدوا شبهات النصارى في إثباتها، كالقاضي الجعفري في التخجيل 1/331 مع تعليق شيخنا د. محمود قدح، وابن تيمية في الجواب 2/108، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 54، 106. وللمحققين من النصارى كلام في التشكيك فيها، قال د. حنّا الخضري النصراني في تأريخ الفكر المسيحي 1/338: (الوثائق التأريخية غير الإنجيلية التي تتكلم عن يسوع وموته قليلة جدّاً! الأمر الذي أدهش المؤرخين كثيراً، بل يعتبر حجر عثرة بالنسبة لهم) وينظر: قصة الحضارة 11/239، المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص: 127.

وأنت الربّ لا سواك، والمشيئة مشيئتك لا مشيئتي. ثم أوصى تلاميذه ولوّح لهم بأنه ذاهب عنهم. وقال لبطرس[1]: أنت تنكرني، وتحلف أنك ما تعرفني ولا صحبتني. وقال ليهوذا[2] الأسخريوطي التلميذ أيضاً[3]: وأنت تدلّهم عليّ، ويا شقاوتك. وذلك يكون عند السحر، إذا سمعتم صياح الديكة صوتها / الأول. فلما جاء ذلك الوقت وأحاط بهم الفريسيون أنكر بطرسُ المسيحَ، والتزم يهوذا بالدلالة لهم عليه. ومن ذلك الحين لم يُرَ

---

(1) بطرس: اسم يوناني بمعنى: صخرة وتسمى بالآرامية: كيفا، وبه سمّاه المسيح، وعرف بشمعون الصفا، واسمه الأصلي: سمعان بن لوقا، أحد تلاميذ المسيح عليه السلام المقربين إليه ورئيس الحواريين، وشيء من حياته مذكور في الأناجيل، قام بالدعوة بعد المسيح حتى قتل مصلوباً في زمن الملك نيرون سنة 67 م. وينسب إليه رسالتان من رسائل الحواريين في الكتاب المقدس. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: بطرس) الموسوعة العربية الميسرة ص: 378، رجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار 3/73.

(2) في الأصل: (هيرودس). في جميع المواضع القادمة. وهو غلط، والتصويب في جميع المواضع. وهيرودس اسم للحاكم الروماني على الجليل في زمن المسيح.

(3) يهوذا الأسخريوطي: يهوذا اسم عبراني بمعنى حمد، وهو ابن سمعان، والأسخريوطي نسبة إلى خريوت اسم قرية ف؟ ؟ ، بمعنى رجل تمييزاً عن يهوذا آخر من التلاميذ، وفي الأناجيل القانونية: وصف له بأنه الخائن لدلالته على المسيح، وبأنه سارق، ومراءٍ، وأن الشيطان دخله، وأن نهايته الانتحار. بينما ورد في إنجيل برنابا: 216 أن الله عاقبه لخيانته بإلقاء الشبه عليه وصلبه. ويعترف محققو النصارى بغموض مسألة خيانته ونهايته، وهم مختلفون في صدقه: فيرى القس توما الأكويني وغيره صدقه وأن دلالته على المسيح ليرى سلطانه ولاهوته! ويخالفه الأكثرون. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يهوذا)، رجال الكتاب المقدس 3/199.

 ب/18

ليهوذا صورة ولا أثر، ولا علم عالم ما فعل الله به وإلى يوم القيامة [1].

فلم يرتَبِ الفاحصون في أنه هو المصلوب المهان المعذَّب المقتول الشقي دون المسيح[2].

---

[1] تضرّع المسيح عليه السلام وإنكار بطرس ودلالة يهوذا مذكورة في أناجيل: متّى: 26، ومرقس: 14، ولوقا: 22، ويوحنّا: 18. وينظر في تحليل أحداثها وتناقضها: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 132.

[2] اختلف العلماء في مرجع الضمير في قوله تعالى في سورة النساء: آية 157: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) فقيل: شبّه للذين زعموا أنهم صلبوه، بشبيه للمسيح، وهذا يؤيده سياق الآيات، وهو قول جماهير المفسرين. وقيل: شبّه بمعنى: اشتبه والتبس على اليهود والنصارى الذين نقلت لهم حادثة الصلب. ينظر: الجواب الصحيح 2/304، هداية الحيارى لابن القيم ص: 540. وعلى قول الأكثر بإلقاء الشبه، فإنه لم يرد في الكتاب والسنة الصحيحة تحديد مَن ألقي عليه شبه المسيح، ولذا تلمس العلماء من مصادر تأريخية وإنجيليّة إسرائيليّة استئناساً في ذلك، فذكر العلماء أقوالاً: فقيل: ألقي على شاب من الحواريين انتدب نفسه لذلك، قاله قتادة والسدي وابن جريج وغيرهم واختاره ابن كثير ونقله عن ابن عباس رضي الله عنه بسند صحيح. وقيل: ألقي علي جميع مَنْ كان مع المسيح من الحواريين في البيت، وقُبض على أول مَنْ خرج إليهم، قاله وهب بن منبه في إحدى روايتيه، ورجحّه ابن جرير. وقيل: ألقي على يهوذا الأسخريوطي لخيانته المسيح، قاله وهب وكعب، وهو ما يطابق رواية إنجيل برنابا: 216. وهذا القول وإن صح في الردّ على النصارى لروايتهم لحادثة الصلب إلا أنه لا يستقيم مع تزكية وإخلاص الحواريين وثناء الله عليهم من غير استثناء لأحد منهم. فهو يصح في مقام الردّ لا الترجيح. وقيل: ألقي على رقيبه من اليهود. وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري 6/16، تفسير ابن كثير 1/574، التفسير الكبير للرازي 11/ 100، البحر المحيط 3/290، الكامل 1/284، التخجيل 1/392.

ومما يوضح ذلك ويؤيده: مسألة العاقب وكوز الأخوين[3] أسقفي نجران اليمن[4] وحاكميها، حين سألا نبيّنا عن المسيح وما جرى له في كـــــــــــــلام طـــــــــــــــويل، فأجابهما[3].

أما معنى المسيح: فهو ممسوح بالدهن، وماسح الأرض سياحة بنفسه وبحوارِيِّيه، والمسيح: الصدّيق[4].

---

[3] وقع في الأصل (كور). والتصويب من دلائل النبوة للبيهقي 5/383 وفي زاد المعاد لابن القيم 3/630: كرز. قال ابن حجر في الإصابة 5/299: (كرز، ويقال: كوز). وهو ابن علقمة أخو الأسقف أبي حارثة بن علقمة من بني بكر بن وائل. وقد قدم على النبي في وفد نجران من أشرافهم: الأسقف أبو حارثة بن علقمة، وكان قد شرف في أهل نجران وقرأ كتب النصرانية وكانت ملوك الروم تموّله لاجتهاده في خدمة دينها. والعاقب، وهو أميرهم واسمه عبد المسيح. والسيد، وهو عالمهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم. ينظر في حادثة وفد نجران: السيرة لابن هشام 1/573، تفسير الطبري 6/ 151، زاد المعاد 3/629، دلائل النبوة للبيهقي 5/382.

[4] نجران اليمن: نسبة إلى نجران من ولد قحطان، من مخاليف اليمن، هي الآن مدينة مشهورة في جنوب شرقي مكة على بعد 910 أكيال تقريباً، وكان أهلها قبل الإسلام دخلوا في النصرانية، وفيهم وردت قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج. ينظر: معجم البلدان 5/266.

[3] سؤال نصارى نجران للنبي عن المسيح ورد في سبب نزول قوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ) الآيات 59 – 63 في سورة آل عمران. وينظر: دلائل النبوة للبيهقي 5/383، تفسير الطبري 6/151، تفسير ابن كثير 1/369 وقال: فيه غرابة. الدر المنثور للسيوطي 3/601، وفي بعض رواياتها: أن كوزاً سأل أخاه الأسقف عن النبي ، فأخبره بأنه هو من ينتظره النصارى فأسلم كوز وهاجر. وينظر: السيرة لابن هشام 2/204.

[4] اختلف العلماء في اشتقاقه ومعناه، قال القرطبي في التذكرة ص: 564: (اختلف في لفظة المسيح على ثلاثة

ومعنى الحواريين: المخلصون الخالصون[1].

وأما الرسالة لهم: فبعدما رفع وصلب الذي شبّه به فجاءت مريم الصدّيقة والمرأة التي كانت مجنونة وأبرأها المسيح[2]، وقعدتا عند الجذع تبكيان، وقد أصاب أمّه عليه من الحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فأُهبط المسيح إليهما، وقال: علام / تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إني لم أقتل ولم أصلب ولكنّ الله رفعني وكرمني وشبّه عليهم في أمري، أبلغا عنّي الحواريين أمري، وأن يلقوني في موضع كذا ليلاً. فجاء الحواريون ذلك الموضع فإذا الجبل قد اشتعل نوراً لنزوله به، ثم أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه وعبادة ربهم، فوجههم إلى الأمم، ثم كُسي كسوة الملائكة فعرج معهم، فصار مَلَكيّاً إنسيّاً، سماويّاً أرضيّاً[3]. 19/أ

وعشرين قولاً ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه مجمع البحرين، وقال: (ولم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال) ثم ذكر الأقوال، ومرجعها إلى أنه: اسم علم لعيسى عليه السلام، أو هو فعيل بمعنى مفعول أي: ممسوح إما بالدهن أو بالبركة، أو هو فعيل بمعنى فاعل أي: ماسح إما للأرض بمشيه عليها أو لذي علة للشفاء أو لكونه جميل الخِلقة. وردّ ابن جرير في تفسيره 9/418 قول من قال إن أصل الكلمة غير عربي. وينظر: البحر المحيط 2/459، وفي لسان العرب 14/70: والمسيح الصدّيق، ونقله عن الأزهري ونقل عن أبي بكر قوله: (واللغويون لا يعرفون هذا. . . ولعل هذا كان يستعمل في بعض الأزمان فدرس فيما درس من الكلام).

(1) الحواريين: جمع حواري بفتح الحاء وتخفيف الواو، وأصله من الحور: شدة البياض، وسمّي به أصحاب عيسى لأنهم كانوا يبيّضون الثياب، ثم قيل لكل ناصر حواري كما ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة 2/117. وقيل: من الحور بمعنى الرجوع، لأنهم نقّوا مرة بعد أخرى. وفي لسان العرب 4/267: الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونقّوا من كل عيب.

(2) هي مريم المجدلانية.

(3) ساق المؤلف بقية حادثة الصلب بعد إنكاره صلب المسيح وأنه صلب شبهه، وأن المسيح أهبط بعد رفعه وظهر للتلاميذ؟

فآمن كوز وجماعة من أهل نجران، واتّضح ما كان مشكوكاً ومنكوراً وقوعه في العقل.

فإنّ الله عدل محسن قادر صادق الوعد لا يظلم مثقال ذرة، والمسيح عبده وصفيّه ورسوله المؤيد بروح القدس، والمنعم عليه بتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، والمجعول هو وأمّه آية للعالمين، والمسمّى: كلمة الله وروحاً منه، والمتكلِّم في المهد صبيّاً، والمبرئُ

وهي عند النصارى قيامته من قبره بعد موته ودفنه وظهوره! ب/19
وهي مذكورة في الأناجيل كما في متّى: 28، ومرقس: 16، ولوقا: 24، ويوحنّا: 20. وهي روايات مختلفة متناقضة، ومن أمثلة التناقض:

الاختلاف في من جاء إلى القبر؟ ففي متى: أنهما اثنتان، وفي مرقس: أنهن ثلاث نسوة، وفي لوقا: أنهن جمع نسوة، وفي يوحنّا: أنها مريم المجدلية بمفردها! والاختلاف في من خاطب النسوة اللاتي زرن القبر؟ ففي متّى: ملاك، وفي مرقس: شاب، وفي لوقا: رجلان، وفي يوحنّا: ملاكان!. والاختلاف في من ظهر له المسيح أولاً؟ ففي مرقس ويوحنا: يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية. ويضيف متّى: مريم الأخرى. وفي لوقا: أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس. وغيرها. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 293.

وكون المسيح أهبط بعد رفعه وظهر للتلاميذ فليس عليه دليل صحيح، ويخالف ظاهر القرآن بأن المسيح لا يعلم شيئاً بعد وفاته ورفعه كما قال تعالى في سورة المائدة: آية 117: (ۏ ۏ [illegible] ۋ ۋ [illegible] [illegible] [illegible] ې ې ې ې) وإنما اعتمد على ما جاء في الأناجيل من أنه ظهر للتلاميذ أكثر من مرّة، وما ورد في الأناجيل متناقض، وينقضه أيضاً: أنهم يزعمون أنه مات على الصليب، وفي الأناجيل كلوقا: 13/5، ويوحنّا: 16/1 (من مات لا يرى) فكيف يظهر؟!. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 2/325: (من ذكر أن المسيح جاءه في اليقظة وخاطبه بأمور، كما يذكر عن بولس، فإنه إذا كان صادقاً كان ذلك الذي رآه في اليقظة وقال: إنه المسيح، شيطاناً من الشياطين، كما جرى مثل ذلك لغير واحد).

الأكمه والأبرص والمحيي الموتى بإذن الله، والخالق من الطين كهيئة الطير والنافخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، والمنبئُ الناس بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم وما يعملون من عمل حتى / كأنه شهيد عليهم في خلواتهم، والمعصوم عصمة أولي العزم الرسل الكرام[1]، فحاشاه من الهوان و العذاب والصلب والقتل، حاشا الله وحاشا المسيح، وما الله بغافلٍ ولا ناسٍ ولا مهملٍ ولا فاعلٍ فعلاً عبثاً، ولا يصيب عبداً بمصيبة إلا بما كسبت يدا ذلك العبد ما أوجبها، فحاشا الله أن يبلى المسيح بذلك عبثاً، أو لأجل درجة لا ينالها إلا بذلك، فيكون القادر على كل شيء سبحانه عاجزاً عن إيصال المسيح إلى تلك الدرجة إلا بهذا الهوان من غير استحقاق ولا سابقة توجبه! والله أكرم وأعزّ وأرحم[2].

ومما يدلّ على أن المصلوب يهوذا اللابس شبه المسيح: أن المسيح عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالتوراة والحكمة، وأحجّهم جدلاً، وأعرفهم بمواقع الكلام،

---

[1] ينظر في وصف القرآن للمسيح عليه السلام فيما ذكره المؤلف: في سورة آل عمران: آيات 48 - 51، وسورة النساء: آية 171، وسورة المائدة: آية 110، وسورة الأنبياء: آية 91.

[2] هذا الدليل العقلي في تفنيد صلب المسيح يشير إلى عقيدة الفداء عند النصارى، وهي: أن المسيح صلب فداءً للبشرية من خطيئة آدم التي انتقلت لأولاده بالوراثة!. وقد ذكر هذا الدليل غير واحد من العلماء، منهم: أبو عبيدة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 172، والقرطبي في الإعلام ص: 417، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 57، وزيادة الراسي في البحث الصريح ص: 118، ورشيد رضا في تفسيره المنار 6/26 وغيرهم، كما أومأ إلى مثله ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص: 57، بل الإنجيل في رسالة بولس إلى كورنثوس الأولى: 2/6 - 8 ذكر نحواً من هذا الدليل: حيث بيّن مقتضى حكمة الربّ والتي جهلها عظماء ذلك الزمن! ثم قال: (لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد) فالصلب نقيض الحكمة.

وأعظمهم صولة ومهابة، لمّا مسكته اليهود وشحطوه للصلب - على ما تقدم ذكره من الهوان - لم يسمع منه كلمة واحدة! ولا مدافعة! وإنما انقاد معهم حقيراً ذليلاً، لا يملك خطاباً ولا يردّ جواباً، مع أشد الهوان هوناً[1]، وأفحش الهلاك هلكة![2]. وشهادة العقول: بأن هذا لا يحسن أن / يُنسب فعله إلى الله تعالى، ولا أنّ للمسيح ذنباً استحق به ذلك. 20/أ

ولا يقال: إنه إنما وقع لمصلحة المسيح، ولفائدة يعود إليه نفعها؟[3] فإن الله ليس بعاجز ولا محجور عليه، ولا لأحد معه حكم، ولا خلق ولا أمر إلا له، وهو الحكيم العليم.

فثبت بذلك أنّ المصلوب غير المسيح وهو يهوذا، وأن الله حجب المسيح عن أعين اليهود، وألقى شبهه على يهوذا بغتة، وشعر يهوذا بذلك فاعترفت نفسه بالذنب،

---

[1] يمكن أن تقرأ: هواناً.

[2] صرحت الأناجيل بأن المسيح لما أمسكوه لم يدافع ولم يجب ولا بكلمة واحدة عن اتهاماتهم، كما في متّى: 27/12، 14. مع كونه معروفاً بالتعليم في الهيكل كل يوم كما في متّى: 26/55: (كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل)! وقد استدلّ بهذا القاضي الجعفري في التخجيل 1/341: بأن المصلوب غير المسيح، وأن المسيح إنما جاء لبثّ الحقّ ونشر الصّدق فكيف تجشَّم لشيء ثم يكتمه؟! وينظر: الأجوبة الفاخرة ص: 82.

[3] هذا ما يدعيه النصارى، ويفتخرون بالصلب! كما قال بولس في رسالته إلى غلاطية: 6/14: (فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح) وقد نقل القرافي في الأجوبة ص: 137 قول النصارى: (إن فخرتنا إنما هو بالصليب الذي ذهب به سلطان الموت وصيرنا إلى الأمل والنجاة! وينبغي لهم أن يمدحوا اليهود ويعظّموهم؛ لأنهم سبب فخرتهم) وينظر: التخجيل 1/396 وفيه تفنيد لدعوى النصارى الانتفاع من الصلب.

وسكت مقهوراً محيّراً[1]، وبقي أهل الكتاب الفريقان – أعني: اليهود والنصارى – في شكٍّ وفي خلاف وظنون فاسدة، حتى نزل القرآن المجيد بالخبر الحقّ عن المسيح، وعن اختلاف الفريقين في أمره، وشهد بنزاهته وطهارته، وسلامته من الصلب والقتل، وبإجلاله ورفعه[2]، وعصمته من أن يكون ملعوناً مبعوداً من الرحمة بشهادة موسى بن عمران عليه السلام حيث يقول: (إن خشبة الصلب ملعونة، والمصلوب عليها ملعون)[3] وذلك هو اللائق الذي ينبغي أن يكون.

---

[1] علّل القاضي الجعفري في التخجيل 1/341 سكوت يهوذا – المصلوب – بأمرين: أحدهما: أنه أدركته دهشة منعته الكلام. والثاني: أنه آثر المسيح بنفسه طلباً للشهادة لصديقيته.

[2] رفع المسيح إلى السماء مما اتفق المسلمون والنصارى عليه، إلا أن النصارى زعموا أنه صعد إلى السماء بعد صلبه وقيامته من القبر! كما زعموا أنه جلس عن يمين الربّ! وأعطاه سلطان السماوات والأرض! وتوج ملكاً! كما في إنجيل مرقس: 16/19، وأعمال الرسل: 1/9، أما المسلمون: فإن الله حفظ نبيّه المسيح ونجّاه من مكر اليهود، فلم يقتل ولم يصلب بل رفعه إليه بعد أن توفاه، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: آية 55: (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) واختلف المفسرون في الوفاة: فقيل: بمعنى قابضك ورافعك، ورجّحه ابن جرير. وقيل: بمعنى الموت، وفي الآية تقديم وتأخير رافعك ثم مميتك، واختاره ابن حزم. وقيل: بمعنى وفاة النوم، كما قال الله تعالى في سورة الأنعام: آية 60: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ)، حكاه ابن كثير عن الأكثر واختاره الشنقيطي. وهو الراجح؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، وموافق للسياق القرآني. ينظر: تفسير الطبري 6/455، تفسير ابن كثير 2/65، أضواء البيان 1/116، المحلى لابن حزم 1/23.

[3] ورد نحوه في سفر التثنية: 21/32. وقد وصف بولسُ المسيحَ في رسالته إلى غلاطية: 3/13 بقوله: (صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة)!.

ب/20

ولعمري إن طائفة من اليهود أنكرت الصلب جملة واحدة، / وقالوا: لم يقع ذلك ولم يكن. ولكن الفريسيون لمّا أنكروا ما أنكروا على المسيح وسجنوه وأرادوا صلبه لم يجدوه في السجن، ووجدوا تلاميذه الذين سجنوا معه فأخرجوهم وودّروهم[1] نفياً وتغييباً، ثم أخرجوا من السجن ثلاثة أنفار أحدهم عليه شبه بالمسيح، فصلبوه وشنقوا الاثنين عن يمينه ويساره، وسكتوا عن اختفاء المسيح وغيبته؛ لئلا يكون ذلك سبباً لافتتان بني إسرائيل به[2]. ويكاد هذا يقرب من الصحيح، والله أعلم.

نكتة:

ذهبت النصارى أصحاب القوانين إلى أن المسيح إنما صلب وقتل وذاق العذاب والهوان والموت لأجل خلاص آدم وذريته من الجحيم، فقتل وغلب بزعمهم ولم يخلّصهم ولا خلّص واحداً منهم![3] والذي حملهم على القول بذلك:

---

[1] كذا في الأصل، بمعنى: أوقعوهم في الهلكة. ينظر: لسان العرب 15/197.

[2] الذي سعى بقتل المسيح هم طائفة الفريسيين كما في إنجيل متى: 12/14، وليس مقصدهم إلا دعوة المسيح لا شخصه، وأيضاً هم أعداؤه فكيف يعتمد على قولهم؟! وهم فرقة من اليهود أشاعوا قتله، ولم يذكر عن الفرق الأخرى شيء يدلّ على الصلب! وأما النصارى: ففي الأناجيل الأربعة ذكرت حادثة الصلب وهو مما دخل على كتّابها من الشفويات التي روّجها يهودُ ذلك الزمن وأدخلها بولس - وكان يهوديّاً فريسيّاً – في العقيدة النصرانية، وإلا ففي فرق المسيحية من أنكر الصلب، ولا سيما قبل مجمع نيقية، كالباسيليديين والكورنثيين وغيرهم، وكما جاء عن برنابا الحواري في إنجيله: 216 أن المصلوب يهوذا، وأيضاً مخطوطات نجع حمادي المكتشفة مؤخراً ليس فيها صلب المسيح بل صلب غيره. ينظر: هل افتدانا المسيح على الصليب د. منقذ السقار ص: 31، المسيحية لساجد مير ص: 162.

أن قسطنطين وأهل مملكته وأصحاب القوانين وأهل المجامع السبعة بجملتهم كانوا قريبي[1] العهد بدِين الصابئة، ومذهبهم كمذهب الثنوية القائلين بإلهين اثنين، 21/أ
إله السماء وإله الأرض، فالخيرات والأنوار والسعادات من إله السماء والشرور والظلمات والشقاوات / من إله الأرض، وزعمهم مشهور[2]، وقسطنطين قد أظهر دين النصرانية وأدخل الناس فيه طوعاً وكرهاً، وقد بلغهم: ما نُسب إلى المسيح من الصلب والقتل والعذاب والهوان، وما زعمته أصحاب القوانين من الأبوة والبنوة والحلول والاتحاد والوحدة في الأقنومية، وما نقلته رواة الأناجيل الأربعة وشهدت به. فأنكرت العقول والفكر الجمع بين النقائض، وقال العقلاء: كيف يتفق ويليق بهذا المسمى إلهاً وابناً للإله أن يُبلى بمثل هذا البلاء؟ ولأي معنى كان ذلك؟ وفطن أصحاب القوانين وأهل المجامع الرواة لذلك الإنكار من العقلاء، فقرروا: أن ذلك إنما كان لخلاص آدم وذريته من الجحيم! ولخلاصنا[3] معشر البشر النصارى! واستدلوا بقول المسيح: (أبونا الذي في السماوات)[4] و (افعلوا الخير يفرح بكم أبوكم الذي في السماء)[5] و

---

[3] هذه عقيدة الفداء عند النصارى، وفي إنجيل يوحنّا: 1/7: (ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطيئة). وينظر في بيانها والرد عليها: مقامع هامات الصلبان للخزرجي ص: 33، 174، التخجيل 1/371، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص: 410، الأجوبة الفاخرة ص: 106.

[1] في الأصل: قريبين. وهو غلط.

[2] أصل مذهب الثنوية من المجوس، وقد انتحله فرق متعددة كالمانوية والمزدكية وغيرهم. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني 1/618، والفصل لابن حزم 1/86.

[3] في الأصل: ولا خلاصنا. وهو غلط.

[4] إنجيل متّى: 6/9.

(إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[1] ومثل ذلك.
ثم رتّبوا كلاماً كالعقيدة وسمّوه الأمانة الكبيرة، فقالوا في أولها: (نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكلّ، خالق السماوات والأرض / صانع ما يُرى وما لا يُرى) ، ثم قالوا: (نؤمن بيسوع المسيح ابن الله الوحيد، وأنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه) ، ثم قالوا: (وأنه جاء لخلاصنا معشر البشر، وخلاص آدم وذريته من الجحيم) ، ثم قالوا: (وأنه صلب وأُلمَ وذاق الموت كما هو مكتوب في كتب النبوّات) ، ثم قالوا: (نؤمن بقيامة أبداننا، وأننا نصير إلى الحياة الأبدية) ، ثم قالوا عن المسيح: (ونؤمن أنه قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وأنه سيأتي مرة ثانية ليفصل بين الأحياء والأموات)[2]. ب/21

ولمّا قرروا هذه الأمانة سخر من تقريرها العقلاء، وحكى بعضهم لبعض حكاية كالمثل وكالأضحوكة، المحزنة

---

(5) ورد قريب من معناه في إنجيل متّى: 6/14: (فإن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم).

(1) إنجيل يوحنّا: 20/17.

(2) الأمانة عند النصارى هي أصل دينهم الذي تتفق عليه طوائفهم في الجملة، وقد رتّبوا أولها في مجمع نيقية سنة 325 م وطوروها في المجامع التالية، واستقرت على اثنتي عشرة فقرة، ويختلف النصارى في بعض ألفاظها. وليس لها صيغة عربية موحدة! ، ينظر نصها في: تأريخ ابن البطريق ص: 127، مجموعة الشرع الكنسي ص: 254. وقد أبطلها العلماء وبيّنوا تناقضها ومن هؤلاء: القاضي الجعفري في التخجيل 2/499 (وهو من أوسعها)، وابن تيمية فيما نقله عن الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح 4/97، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 130، والترجمان في تحفة الأريب ص: 174، وينظر: أقانيم النصارى د. السقا ص: 59.

المبكية من وجه والمضحكة المعجبة من وجه، فقال في جملتها:

زعم النصارى أن آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وسائر المرسلين وجميع بني آدم وذريته قهرهم الشيطان الرجيم، وسلّط عليهم جنده، وحبسهم في جحيمه، وأنهم استغاثوا بإله السماء وسألوه خلاصهم من يد الشيطان الحاكم في الأرض، ففكر إله السماء طويلاً، وأوسع / الحيلة حتى اختار امرأة من البشر اسمها مريم، فنفخ فيها من روحه نفخة لا خالقة ولا مخلوقة، فامتزج لاهوته بناسوتها، وتركب من هذا المَزاج مولودٌ من طبيعتين ومشيئتين إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ يسمى المسيح، ولمّا بلغ أشده قصد إلى جحيم الشيطان لإخراج آدم والذرية من الجحيم، فعندما فتحه ومدّ يده ليخرجهم فطن الشيطان به فنهض إليه وسلّط عليه اليهود، فمسكوه وصلبوه وقتلوه، وذاق الموت لاهوته وناسوته المتّحد الغير منفصل هذا عن هذا، كما زعمت النصارى[1]. 22/أ

---

[1] القول بأن المسيح نزل إلى الجحيم لتخليص آدم والأنبياء وغيرهم: هو ما نص عليه قانون الإيمان للرسل في روما في القرن الثاني قبل مجمع نيقية عام 325 م، ولا يزال يعتقده النصارى، وتصوّره أساطيرهم الشعبية كما في الكوميديا الإلهية لدانتي الإيطالي 1321م (الجحيم / الأنشودة الرابعة)، وقد نقل الشيخ رحمت الله الهندي في إظهار الحق 3/742 هذا القول عن كتبهم، وناقش القساوسة فيها فأقروها. ومما يستدلون عليه: ما جاء في أعمال الرسل: 2/31: من قول داود: (ولم تُترك نفسه في الهاوية، ولا رأى جسده فساداً) والهاوية في الأصول اليونانية (الجحيم)، ويتأولها بعض النصارى بالموت. لكن يبطله قول بطرس في رسالته الأولى: 3/19: (ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً) وظاهر قول داود: أن المسيح مكرَه على النزول للهاوية (الجحيم)! ومن شؤم هذه العقيدة: جعل مصير الأنبياء كمصير الأشقياء! ثم كيف لمن لم يستطع أن يخلّص نفسه من الصلب والهوان أن يخلص من كان

قال الحاكي: وكان مع المسيح روح القدس وملائكة السماء فهربوا إليها صاعدين، فوجدوا إله السماء قد علم ووصل إليه الألم من لاهوته المتحد بناسوت المسيح، ووجدوا ملائكة العرش والسماوات حزانى باكين، يقولون بالحال: صلب ابن الإله، قتل ابن الإله. وعجز الأب عن خلاص الابن من أيدي اليهود! وبقي آدم وذريته في ب/22
الجحيم على ما كانوا عليه من العذاب وأشر مما كانوا! [1].

قال الحاكي لهذه الأضحوكة / المبكية: ثم إن الشيطان - بزعم النصارى - لمّا علم بأن المسيح قد سرقته ملائكة السماء بعد الموت وأحياه أبوه وأطلعه إليه خفية من اليهود، قال الشيطان في نفسه: لا بد أن أُعرف أهل الأرض كلهم بما فعلت اليهود بهذا الابن. فظهر للنصارى في صورة عالم من علمائهم وزيّن لهم تصوير تمثال المسيح مصلوباً مقتولاً مسلوباً كل شيء، فصوّروه على الحوائط والألواح وفي الكنائس، وانتشر ذلك في الأرض مبالغة في الهوان وفي الاشتهار، ولم يستنكفوا من هذه الشهرة الشنيعة والحالة الفظيعة، واستمرّوا على ذلك، وإلى الآن[2].

في جهنم؟! ينظر: تحفة الأريب للترجمان ص: 144، أقانيم النصارى ص: 67.

(1) ينظر: النصيحة الإيمانية ص: 92، تثبيت دلائل النبوة لعبد الجبار 1/166.

(2) اتخاذ النصارى لصور المسيح وأمّه والقدّيسين ونصب التماثيل لهم: كان في أول النصرانية مكروهاً وتعده الكنيسة من بقايا الوثنية، وجاء في التوراة نصوص كثيرة مانعة من التصوير، كما في سفر الخروج: 20/4: (لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض). ولكن بعد نصرة قسطنطين للنصرانية بوثنيته دخلت الصور والتماثيل، ولا سيما الصليب الذي

فالتفت ذوو العقول والرحمة للنصارى وقالوا لهم تعريفاً وتعنيفاً:

يا هؤلاء، لو حكى لكم حاكٍ عن قوم آخرين بعض هذه الأضحوكة المبكية، وأخبر أنهم بزاوية من زوايا الأرض منفردين فيها عن الناس، وأن هذا المذهب مذهبهم، وهذه الأمانة أمانتهم، وهذا الظنّ ظنّهم برب العالمين، أفكنتم تعدّونهم من العقلاء؟ أو تسمّونهم أهل دين؟ أو / تقولون: إنهم متمسّكون بدين نبي من الأنبياء؟ أو هم على شيء؟ 23/أ

لا والله، بل كنتم تعجبون من حلم الله وإمهاله لهم، وتجزمون بضلالهم وجهلهم، وتقولون تنزيهاً: سبحان ربّنا وتعالى عما يشركون هؤلاء وعمّا يصفون[1].

أظهرته والدته هيلانة، ثم ظهرت صور القدّيسين من عصر آباء الكنيسة، لكن جدلاً كبيراً دار حولها في المجامع الكنسيّة، فقد حرّمه المجمع الذي دعا إليه قسطنطين الخامس عام 754 م، ثم عورض بمجمع نيقية عام 787 م بالدعوة إلى عبادة الصور، ولا يزال الجدل قائماً، ففي الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية يظهر تعظيم الصور والتماثيل، ولا تحتفي الكنيسة البروتستانتية بها. ويقرّ القس أبو قرة الملكي (ت 825 م) بأن الصور ليس لها سند في الكتب المعتبرة، ويقول: إن كثيراً من عظيم ما في أيدينا إنما أصبناه ووصل إلينا توارثاً من غير أن نجد له ثبتاً في مصحف من مصاحف العتيقة أو الحديثة التي أسلم إلينا التلاميذ، وأول ذلك: الكلامُ الذي نقوله على قرباننا وبه يصير لحم المسيح ودمه، وقدّاس المعمودية والميرون، وتقديس الهياكل، والشرطونية، وضرب الناقوس، وسجود الصليب وما شاكل ذلك، فمن لا يقبل منا السجود لصور القديسين حتى يجد له ثبتاً... فليعطل ما قد ذكرنا من غير هذا أجمع، ولينظر حينئذ أي شيء يبقى في يديه من النصرانية؟!) ينظر كتابه ميمر في إكرام الأيقونات ص: 112، وينظر: قصة الحضارة 14/154، التخجيل 2/601، الأجوبة الفاخرة ص: 131، محاضرات في النصرانية ص: 133.

وتعلمون من ذلك الخبر: من هو الرسول الذي بشّر به المسيح وأخبرهم عنه بأنه يوبّخ العالم على الخطيئة والحكم والعدل معرفة لا جهالة معها، وتشهدون أنه محمد، وليس هو ما زعم أهل القوانين في روح القدس المتوهمة الغير محسوسة، كما تقدم القول فيها[1]، وتتحققون أنه مرسل إلى العرب الجاهلية، وأهل الكتاب الضالين والمغضوب عليهم، وسائر العالمين الجنّ والإنس أجمعين.

نكتة:

لمّا كان لكل شيء وسط وطرفان[2]، كما المشرق والمغرب ووسط السماء، كان للنصارى جهة المشرق، وفيها: إشارة إلى أنهم قاصدون الحق والخير والطاعة والاستسلام لكل ما يظنّونه حقّاً وأنه من أمر الله، ولكنّهم ب/23
في حضيض الأفق وأول التوجه إلى / الشرف والعلو، لم يبلغوا الغاية. وكانت اليهود جهة المغرب، وفيها: إشارة إلى إدبارهم وإعراضهم عن الحقّ والخير والطاعة، وإشارة أيضاً إلى اليأس من روح الله ومن الفلاح. وكانت القبلة وسط السماء لنا معشر المسلمين، وهي موضع

---

[1] هذه الحكاية التي سردها المؤلف هي تمثيل لما جاء في كتبهم بياناً لشناعته وفساده، كعادة المؤلف في ضرب الأمثلة. وينظر في استعمال العلماء للحكايات في إبطال الصلب والفداء: مقامع هامات الصلبان ص: 174، الأجوبة الفاخرة ص: 122، وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي في تثبيت دلائل النبوة 1/105 بعد سياق مذهب النصارى وفظاعته: (فلولا أن رأينا قوماً عقلاء يقولون هذا. . . لما صدق الناس أن في الدنيا من قال هذا أو نطق به).

[1] ينظر: ل أ/11 ص126.

[2] في الأصل: وسطاً وطرفين، وهو غلط.

الوسط والاستعلاء على الطرفين[1]، ولذلك قال الله تعالى في القرآن: (ٺ ٻ ٻ ٽ ٿ ٿ ٹ ٹ ٺ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ)[2] وقال تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ) [3] فالوسط الخيار، وقد قيل: خير الأمور أوسطها[4].

ومما يوضح توسّطنا واستقامتنا على الطريقة المثلى، وانحراف الأمتين عن الحق والتوسط[5]:

---

[1] قال القرطبي في الجامع 2/144: (وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها). وقال ابن عطية في المحرر والوجيز 3/418: (وأم القرى مكة سميت بذلك لوجوه أربعة: منها أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دحيت، ومنها أنها وسط الأرض وكالنقطة للقرى، ومنه ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم وسائر القرى بنات). وقوله تعالى: (المشرق والمغرب) في آيات تحويل القبلة في سورة البقرة إشارة للنصارى الذين استقبلوا شرق بيت المقدس ولليهود الذين استقبلوا غربيه. ينظر: تفسير البحر المحيط 1/421، 2/4، فتح القدير 1/113، تفسير النسفي 1/334، وينظر في تحرير قبلتي اليهود والنصارى: التحرير والتنوير للطاهر 2/10، التخجيل 2/592.

[2] سورة آل عمران: آية 110.

[3] سورة البقرة: آية 143.

[4] جاء في تفسير معنى الوسط ثلاثة معان: الأول: العدل، وفسّرها النبيّ بذلك في حديث أبي سعيد الخدري، رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب: (ڤ ڤ ڦ ڦ) (ح 4487). والثاني: الخيار. كقوله تعالى: (ٺ ٺ ٿ). والثالث: الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط، واختاره ابن جرير، ينظر: تفسير الطبري 3/142. وكلها صحيحة متلازمة، وينظر في بيانها: وسطية أهل السنة بين الفرق د. محمد با كريم ص: 162.

[5] الاعتدال في شريعة الإسلام دليل على صدق النبوة وسلامة الوحي من التحريف، وانحراف شرائع أهل الكتاب نتيجة

أن اليهود حرّمت على أنفسها طيّبات أحلّت لها، وكلَّ ما ذبح بيد مستبيح السبت، أو ذبحوه ولم يجدوا فيه شرائط لهم كثيرة مما يطول شرحه، كاللحم مع اللبن ولحوم كل ذي ظفر[1]. فقابلت النصارى هذا التحريم / بأن أكلت لحم الخنزير، ولحوم كل حيوان فيما بين الدودة والفيل، وأكلت المقتول قتلاً، والمذبوح ذبحاً، والمنحور نحراً، والمخنوق خنقاً[2]. 24/أ

وأن اليهود بالغت في التنجيس حتى حبست النساء عزلة في مدّة حيضهن، واختتنوا طلباً للطهارة، ونجّسوا الهواء المحيط بالميت إذا كان في بيت[3]. فقابلت النصارى ذلك بإباحة وطء الحائض من غير طهر، وتركوا

لتركهم ما جاءت به الأنبياء واتّباعهم الأهواء كما قال تعالى – بعد أن ذكر اختلاف بني إسرائيل على العلم المنزل على أنبيائهم-: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ) فسمّى شرائعهم أهواء من غير علم. ينظر في وسطية الإسلام بين الأديان ووسطية أهل السنة بين الفرق: الجواب الصحيح 1/69، 2/135، ورسالة وسطية أهل السنة د. با كريم.

(1) ينظر في التشديد على اليهود في تحريم الطيبات بسبب ظلمهم وبغيهم: تفسير آيتي النساء: 160، والأنعام: 146. . ونماذج المحرمات في سفر التثنية: 14، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للمسيري 5/315.

(2) أحلَّ للنصارى ما كان محرماً عليهم في التوراة رهبانُهم ومجامعهم، وكان عيسى عليه السلام والحواريون على شريعة التوراة، ومن أمثلة تحليل ما كان محرماً: لحم الخنزير والمخنوق ونحوه، وأول من قال بحلّه بولس المحرّف لكثير من تعاليم المسيح، ففي رسالته إلى تيطس: 1/15: (كل شيء طاهر للطاهرين) وفي رومية: 14/14: (إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته، إلا من يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجس). ينظر: الإعلام للقرطبي ص: 398، التخجيل 2/609.

(3) ينظر في مبالغة اليهود في التنجيس: تفسير آية البقرة: 222، وفي اعتزال الحائض والاختتان ونجاسة الميت ينظر: أسفار العدد: 19، التكوين: 17/10، اللاويين: 12، 15.

الختان، وتركوا استعمال الماء من الجنابة والوطء، واكتفوا بالتعميد طهراً[4].

وأن اليهود عطّلت معاشها وأسبابها يوم كلّ سبت، فجعلته النصارى يوم لعبها وانفساحها ودخولها الحمّام وتنعيمها بالملاذ كله يوم السبت[3].

وأن اليهود بالغت في تكذيب الأنبياء وقتلهم وعصيانهم لله تعالى وكثرة العنت، فبالغت النصارى في الغلو في الأنبياء وإفراط المحبة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله، وتضرّعوا إلى تماثيلهم في الكنائس، وانقادوا لكل مخبر

---

[4] مخالفة النصارى لشريعة التوراة وما عليه المسيح عليه السلام في إتيان النجاسات ظاهر، كإتيان الحائض وترك التطهر من البول والجنابة ونحوها، يقول ابن القيم في هداية الحيارى ص: 483: (فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة ويوجب غسل الحائض، وطوائف النصارى عندهم أن ذلك غير واجب..) وأما الاختتان (قطع القلفة عند الذكر) فترك النصارى له من بدع بولس في النصرانية وهي أولى المسائل التي خالف فيها الحواريين، كما في سفر الأعمال: 15، واستبدل به التعميد. ينظر: التخجيل 1/228، 2/588، الإعلام للقرطبي ص: 420 وذكر أربع فوائد للختان.

[3] تعظيم يوم السبت شريعة توراتية وانتهاك حرمته عقوبته القتل كما في سفر الخروج: 31/15: (ستة أيام يصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب. كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً)، وقد شدّد الله على اليهود بتحريم السبت، كما قال تعالى في سورة النحل: آية 124: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) ينظر: التحرير والتنوير 15/322. ولما جاء المسيح عليه السلام لم يزل محافظاً على السبت إلا أنه خفف بعض تشديدات اليهود فيه، وقد اتهموه بانتهاك حرمة السبت! كما في إنجيل متّى: 12، ثم حدث ترك السبت من بولس كما في رسالته إلى كولوسي: 2/16، ثم تحول النصارى تدريجيّاً إلى الأحد حتى تقرر في مجمع نيقية عام 325 م. ينظر: التخجيل 2/554، هداية الحيارى ص: 557، مجموعة الشرع الكنسي ص: 115.

يخبر عن الله، سواء كان الخبر حقّاً أو باطلاً، وغلوا أشد غلوٍّ في المسيح حتى أخرجوه عن البشرية، واتخذوه / إلهاً[1]. ب/24

وقالت اليهود عند استماع كل حق وباطل: لا نسلّم، فقالت النصارى عند استماع كل باطل وكذب: آمنا وصدقنا[2].

فجاء الله بالأمّة الوسط بين هؤلاء وهؤلاء، وجعلها شاهدة على أفعال هؤلاء وهؤلاء، ومفضّلة عند هؤلاء وهؤلاء، قائمة بالقسط، معروفة في الأمم الأُوَل: بالحمّادين، أهل الختان، أناجيلهم في صدورهم، وقرابينهم دماؤهم[3].

---

(1) ينظر: في تفسير قوله تعالى في سورة المائدة: آية 77: (ﭑ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ).

(2) تلاعب في دين النصرانية رهبانهم سواء عن طريق المجامع الكنسية وتشريعاتها، أو عن طريق سلطة رجال الكنيسة أو البابوية ودعوى عصمتها. نقل الخزرجي عن القسيس الذي ردّ عليه قوله: (وقد جعل الله في أيدي المطارين ما لم يجعله في يد أحد! وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله في السماء!) ينظر: مقامع الصلبان ص: 170.

(3) رويت هذه الأوصاف في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 10/281، وضعّفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (ح 3770). ورويت عن وهب بن منبّه وكعب الأحبار وهي من الإسرائيليات، وأخرجها أبو نعيم في الدلائل 1/72 (ح 33) والبيهقي في الدلائل 1/380 والسيوطي في الخصائص 1/30. ومعنى الحمّادين: نسبة لنبيّنا أحمد ﷺ ، ولكثرة حمدهم لله تعالى، ولحمد العالمين لهم، وقد جاء هذا الوصف في التوراة كما في سفر حبقوق: 3/3. ينظر: الجواب الصحيح 5/270. ومعنى أناجيلهم في صدورهم: يتلون كتاب الله ظاهراً ويجمعونه في صدورهم حفظاً خلافاً لأهل الكتاب الذين يقرؤونه من الكتب، ويدلّ عليه قوله تعالى في سورة العنكبوت: آية 49: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) وحديث عياض المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه:

أولئك المحمّديون الإبراهيميون، أهل الله وخاصته، الذين أكمل لهم الدين وأتمم وأتمّ عليهم النّعمة ورضي لهم الإسلام ديناً، وحبّب إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون.

[1] < وعلى الجملة، قد لزمكم اتّباع هذا النبيّ العربي بمقتضى قولكم: (إنكم علمتم أنه لم يأتِ إليكم بل إلى جاهلية العرب) فأقررتم بأن الله أرسله إلى العرب، والنبي ثابت الصدق والتصديق، وقد أخبر هذا النبي العربي الثابت الصدق والتصديق الذي علمتم أنه رسول 25/أ
من عند الله إلى العرب أن الله تعالى أرسله إلى النّاس كافة فلزمكم اتّباعه / بمقتضى قولكم[2].

وثبتت عليكم الحجة بما استدللتم به من الآيات الكريمة على تخصيص الرسالة المحمدية على زعمكم الكاذب:

(وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله ماء) رواه مسلم (ح 2865). ومعنى قرابينهم دماؤهم: يتقربون إلى الله بإراقة دمائهم في الجهاد. ينظر: النهاية لابن الأثير 4/32، غريب الحديث للخطابي 2/55.

1) في هامش الأصل تعليق: (من قوله: (وعلى الجملة) إلى (الفصل) زيادة من الناسخ ليس من الأصل). وهذا يشير إلى كونها فرعاً عن الأصل أو أنها معارضة بأصل أعلى منها. وهذه الزيادة مهمة في تكملة الردّ على رسالة النصارى.

2) ذكر هذا الردّ كثير من العلماء، منهم: القاضي الجعفري في التخجيل 2/540 في ردّه على اليهود الذين يثبتون نبوة النبي ﷺ خاصةً بالعرب! والقرافي في الأجوبة ص: 9، وابن تيمية في الجواب الصحيح 1/131، والرازي في التفسير الكبير 4/30.

لأنكم توهمتم أن الأعجمين في قوله تعالى: (ۆ ۇ ۆ ۈ ۋ) الآية[1] من عدا العرب فيكون الإنزال خاصّاً [2] بالعرب، وليس كذلك، فإن الأعجمين: جمع أعجم، والأعجم: كل من كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب، والعجميّ: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً[3].

وأن قوله تعالى: (ۆ ۇ ۆ ۈ ۋ)[4] خطاب خاص بالعرب، وليس كذلك، بل الميم في "فيكم" ضمير الجمع المخاطبين، وهم الناس كافّة، ومعنى ميم "منكم" أي: إنسان من جنسكم ليس بملَك ولا جني[5].

وكذلك قوله: (ﯓ ﯔ   ) ويعضد ذلك قراءة من قرأ: "من أنفَسهم" بفتح الفاء، أي: من أشرفهم[6].

---

1) سورة الشعراء: آية 198.

2) في الأصل: خاص.

3) التفريق بين الأعجم والعجم اختاره ابن جرير الطبري ورجّح الشنقيطي هذا التفسير للآية. ينظر: تفسير الطبري 19/399، أضواء البيان 2/455، لسان العرب 10/50. والقول الآخر: أن المراد بالأعجمي هو غير العربي ولا فرق بين الأعجم والعجم، فتدلّ على الامتنان على العرب ولو نزّل على غيرهم لامتنعوا أنفة وكبراً. ينظر: الجامع للقرطبي 13/129. ثم كيف تستقيم هذه الشبهة عند النصارى مع شبهتهم: أن محمداً تعلّم القرآن من النصارى! فالشبهتان لا تجتمعان، وإنما ترتفعان لبطلانهما، كما قال تعالى في سورة النحل: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ).

4) سورة البقرة: آية 151.

5) قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 1/440 (بتصرف): (في عمومه نزاع، فإنه إما أن يكون خطاباً لجميع الناس، ويكون المراد أنا بعثنا إليكم رسولاً من البشر. . . وإما أن يكون الخطاب للعرب، وعلى التقديرين، فالأول لا يمنع أن يكون مرسلاً للجن، فكذلك الثاني لا يمنع أن يكون مرسلاً لغير العرب) وينظر: الأجوبة الفاخرة ص: 10.

وأن قوله تعالى: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)[1] هم العرب خاصة، وليس كذلك، بل القوم كل حيّ كان في زمن بعثته ، بدليل قوله تعالى: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ)[2] و[3] يصدق على كل حيّ في زمنه أنه لم يأته نذير، إذ كان بعثه على فترة من الرسل.

وكذلك قوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) الآية[4]، لأنه يصدق على آبائهم الحقيقيين[5] / أنهم لم ينذرهم نبيّ بلسانه، ب/25
هذا إذا سلّمنا أن "ما" للنفي، فإن لم نسلّم ذلك كانت للإثبات، فيكون معناها "الذي" وتقدير الكلام: لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم، لتنذر قوماً الذي أتتهم به النذر من قبلك[6]. وتعدى الفعل بنفسه من غير حرف جر، ويصدق على آدم فمن بعده أنهم آباءٌ لهم، فيكون ذلك تصديقاً للرسل وتوكيداً لمَا جاؤوا به بدليل قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ)[7] ونحو ذلك.

---

6) القراءة (بفتح الفاء) من الشواذ عند القرّاء، فقرأ بها أبو العالية والضحاك وابن محيصن، ورويت عن ابن عباس وفاطمة وعائشة رضي الله عنهم، وقرأ الباقون بالضم. ينظر: البحر المحيط 5/119، الجامع للقرطبي 4/249. وعلى القراءة المتواترة معنى أنفسهم: جنسهم. ينظر: التحرير والتنوير 2/49.

1) سورة السجدة: آية 3.

2) سورة يس: آية 70. وتفسير (حيّاً) بمعنى: حيّ القلب. ولم أجد من فسّر الآية على ما ذهب إليه المؤلف، ولكن ليس في تفسير الحياة بحياة القلب ما يمنع أن يعمّ الإنذار غير العرب. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي 7/37.

3) في الهامش زيادة: (أيضاً) ويصح المعنى بدونها.

4) سورة يس: آية 6.

5) في الأصل (الحقيقية).

6) التقدير الأول إشارة إلى آية 6 من سورة يس، والتقدير الثاني إشارة إلى آية 3 من سورة السجدة.

7) سورة آل عمران: آيات 1 – 3.

سلّمنا أن "القوم" هنا هم العرب، لكن لا يلزم من ذلك أن يكون إنما أرسل إليهم خاصة، لأنه لم يأتِ في ذلك بأداة من أدوات الحصر[1]، وكيف وقد قال تعالى: < (ﯓ ﯔ ﯕ   ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) [2] (ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) [3] (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ) [4] <[5] (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ) [6] (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) [7] وغير ذلك من الآيات الدّالة على عموم دعوته؟!.

---

(1) تفسير (القوم) بالعرب هو قول جمهور المفسرين، لكن اختلفوا في الآية هل هي إثبات أو نفي لإنذارهم برسول سابق؟ قال الشنقيطي في أضواء البيان 6/710: (لفظة " ما " في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ) قيل: نافية، وهو الصحيح. وقيل: موصولة، وعليه فهو المفعول الثاني لتنذر، وقيل: مصدرية). ينظر: تفسير الطبري 20/492، زاد المسير 7/5. وليس في الآية حجة لأهل الكتاب، قال الفخر الرازي في مفاتيح الغيب 26/43: (يقتضي (أي: ظاهر الآية) أن لا يكون النبي ﷺ مأموراً بإنذار اليهود؛ لأن آباءهم أنذروا، نقول: ليس كذلك، أما على قولنا: " ما " للإثبات لا للنفي فظاهر، وأما على قولنا: هي نافية فكذلك. . . أي ما أنذروا بعدما ضلوا عن طريق الرسول المتقدم، واليهود والنصارى دخلوا فيه؛ لأنهم لم تنذر آباؤهم الأدنون بعدما ضلوا، فهذا دليل على كون النبي ﷺ مبعوثاً بالحق إلى الخلق كافة) وينظر: 25/168. فالآية لا تدلّ على التخصيص وإنما ذكر العرب لأن المنّة عليهم أكثر، ولابن تيمية جواب آخر: أن النبي لم يبعث لمجرّد الإنذار بل وللبشارة وغيرها من الحِكَم، فكذلك لم يبعث للعرب خاصة. ينظر: الجواب الصحيح 1/432، الأجوبة الفاخرة ص: 10.

(2) سورة النساء: آية 170.

(3) سورة الأعراف: آية 158.

(4) سورة سبأ: آية 28.

(5) الآيات الثلاث زيادة من هامش الأصل.

(6) سورة المائدة: آية 15. وفي الأصل: (وتعفوا) وهو غلط.

(7) سورة المائدة: آية 19.

وأما قوله تعالى: (ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ)[1] وقوله تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[2] وقوله تعالى: (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ)[3] فهو إخبار / من الله تعالى عن ما تقدّم، ليس لكم فيه دليل بل هو حجّة عليكم[4]، لأن مما جاءت به الرسل التبشير بمحمد ﷺ والتحريض على اتّباع دينه إذا ظهر - على ما تقدّم - بدليل قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)[5] و"من" للعموم في كل من يعقل بالاتفاق لا لما ادّعيتموه من التخصيص بالاختلاق[6]>[7]. 26/أ

---

[1] سورة إبراهيم: آية 4. الآية لا تفيد التخصيص، ولابن تيمية والقرافي أجوبة لفهم النصارى للآية، منها: أنه سبحانه وتعالى لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه. حتى يستفاد منها التخصيص، وأن بعث الرسل بلسان أقوامهم أقرب لفهومهم، وإذا لم يمكن أقوامهم مدافعة ما جاءت به الرسل مع قربهم منهم فغيرهم أولى. ولمزيد من الأجوبة ينظر: الجواب الصحيح 2/52، الأجوبة الفاخرة ص: 11.

[2] سورة النحل: آية 36.

[3] سورة الروم: آية 47.

[4] الآيات حجة عليهم، حيث كانت رسالة مَن سبق من الأنبياء خاصة بأقوامهم، كما قال المسيح كما في متّى: 15/24: (ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضّالّة من بني إسرائيل) بخلاف رسالة نبيّنا محمد ﷺ فهي عامة بدليل فعله وقوله الدالين على عموم رسالته، وأيضاً: لم تكن التوراة والإنجيل إلا بالعبريّة واليهود والنصارى ليس كلهم يعرفون اللسان العبري وإنما ترجم لأكثرهم. ينظر: الجواب الصحيح 2/54، الأجوبة الفاخرة ص: 12.

[5] سورة آل عمران: آية 85.

[6] أجاب ابن تيمية في الجواب الصحيح 2/123 عن استدلالهم بالآية: أن الآية واردة في سياق محاجّة نصارى نجران فهم أولى من دخل في عمومها، وأيضاً: الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، وهو ما جاء به النبيّ الخاتم ﷺ ، وقد أمر أن يقول لأهل الكتاب وغيرهم: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) سورة آل عمران: آية 20.

فصل

ثم قلتم في رسالتكم: **وليعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب قوماً أو أمة من الأمم يوم القيامة باتّباع إنسان لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داعٍ من قِبَله.**

---

[7] لم يردّ المؤلف على جميع ما ذكروه من آيات.

وقد ذكر ابن تيمية والقرافي: أن الكلام في صدق مدّعي الرسالة وكذبه متقدم على الكلام في عموم رسالته وخصوصها. ينظر: الجواب الصحيح 1/124، والأجوبة الفاخرة ص: 11.

وأجاب القرافي جواباً عامّاً في كل ما يستدل به النصارى من القرآن فيقول: (وبالجملة، فهذه الألفاظ لغتنا، ونحن أعلم بها، وإذا كان عليه السلام هو المتكلم بها لم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من أهل زمانه لم يدّعوا ذلك ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليه، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك، فما فهمه النصراني الذي ساء سمعاً وفهماً فساء إجابة) الأجوبة ص: 12.

ومن أجوبة ابن تيمية: أن النصارى وغيرهم في استدلالهم إما أن يدعوا أنه لم يرسل إلا إلى العرب، أو أن رسالته عامة لكن كذّبوه كسائر المشركين، فإن قالوا: صحّت رسالته للعرب. فقد تناقضوا؛ لأن صدق الرسالة يمنع التكذيب، وإن قالوا: كذب في رسالته. فهذا يبطل استدلالهم بشيء مما جاء به، بل ويبطل احتجاجهم بشيء مما جاءت به الرسل عموماً، وهذا يبطل دينهم؛ لأن طريق معرفة نبوّته كطريق معرفة نبوة من سبق بل أكمل، فما يبطلون به نبوة محمد ﷺ تبطل به نبوة غيره، وما تقوم به نبوة غيره تقوم به نبوته ﷺ ، وكذا معرفتنا بنبوة غيره من لازم تصديقنا بنبوته، فثبت أن حجتهم داحضة؛ لأنهم إن صدقوا النبي بطل دينهم لأنه دعاهم إلى الإيمان به، وإن كذبوه بطل دينهم لأن صدق الأنبياء السابقين فرع عن التصديق به ﷺ . الجواب الصحيح 2/5.

وأجاب أيضاً: الآيات التي استدلوا بها إما أن يكون لها معانٍ توافق الآيات الدالة على عموم دعوته للعالمين، أو أن تكون

ثم وجدنا أيضاً في هذا الكتاب من تعظيم[1] السيّد المسيح وأمّه، حيث يقول في سورة الأنبياء: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ) [2] وقال في سورة آل عمران: (ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ) الآية [3].

مع الشهادات للمسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمّه لا من مباضعة بل ببشارة ملاك الله لأمّه، وأنه تكلّم في المهد، وأَحيا الموتى، وأَبرأَ 26/ب
الأكمه، ونقّى الأبرص، وأنه خلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله [4]، / وأن الله رفعه إليه، لقوله في سورة النساء: (گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ) الآية[5]، وقوله في سورة آل عمران: (ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ) الآية[6]، وقوله في سورة البقرة: (ڭ ڭ ڭ ڭ ڭ) الآية[7]، وقوله

منسوخة، وليست منسوخة اتفاقاً فدل على أنها لا تفيد التخصيص. الجواب الصحيح 1/372.

فإن قيل: هذا يدلّ على التناقض في القرآن؟ أجيب: هذا باطل قطعاً؛ لأنه يبطل النبوة، وذلك مبطل للاحتجاج. الجواب الصحيح 2/38. وينظر في أدلة عموم رسالة النبي ﷺ: الجواب الصحيح 1/163.

(1) في الأصل: يعظّم، والتصويب من الجواب الصحيح 1/133، والرسالة.

(2) سورة الأنبياء: آية 91.

(3) سورة آل عمران: آية 42.

(4) في الجواب 2/133 وفي الرسالة ن 2: ن 3: (**أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتّحدة في الناسوت، ووجدنا أيضاً في الكتاب أن الله رفعه. . .**).

(5) سورة النساء: آيتا 157، 158. في الأصل: ذكر آية المائدة: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) وهو وهم ظاهر، والتصويب من الجواب 2/134. وفي الرسالة لم تذكر آية النساء، وفي الرسالة ن 3 غلط بنسبة آية آل عمران إلى النساء.

(6) سورة آل عمران: آية 55.

(7) سورة البقرة: آية 87.

في سورة الحديد: (ڈ ڈ ڎ ڎ ژ ڑ) الآية [1]، وقوله في سورة آل عمران: (ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ) الآية [2].

ثم وجدناه يعظّم إنجيلنا، ويقدّم صوامعنا، ويشرّف مساجدنا، ويشهد بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً، وذلك قوله في سورة الحج: (ٹ ڤ ڤ ڤ) الآية [3]؛ وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديننا.

فالجواب: لا شك أن الله عدل، ولا يطالب قوماً ولا أمة باتّباع رسول لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، هذا صحيح في دعوة الأنبياء الخاصة، المبعوثين إلى قوم بعينهم دون غيرهم، وأمّا الرسول المرسل إلى الناس كافة، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، وكل ذي رأي ونحلة وكتاب وملة، وبشّرت به التوراة والإنجيل والزبور وكتب النبوات / وأسفار الملوك، كما تقدم من 27/أ
القول، فإن دعوته شملت وعمّت وبلغت زوايا العالم[4].

وقد أقررتم بتحصيل كتابه عندكم، وأنكم قرأتموه وتدبّرتموه وشهدتم أنه أخبر عن المسيح وأمّه بالتعظيم، وأنه ذكر صوامعكم ومعابدكم، واستشهدتم ببعضه دون بعض، فدخلتم بذلك مدخل اليهود لما أُرسل إليهم

---

(1) سورة الحديد: آية 27.

(2) سورة آل عمران: آية 113.

(3) سورة الحج: آية 40.

(4) أجاب الإمام ابن تيمية عن قولهم: (ليس من عدله أن يطالب أمة. . .) بأربعة أوجه، أحدها: أن مطالبتهم هي مقتضى العدل، وطلبهم لمن يُفهمهم خطاب الرسالة هو مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما يقع بين المخلوقين من المراسلات إذا اختلفت اللغة يُطلب من يترجم المقصود. ينظر: الجواب الصحيح 2/102.

المسيح فقالوا: لا نسمع منه ولا نصدّقه وحسبنا التوراة وشريعة موسى. فذمهم الله في كتابنا بقوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) الآية < إلى قوله: (ﭫ ﭬ) >[1]، وأُعيذكم من ذلك؛ فإنكم أقرب إلينا - معشر المؤمنين - مودة، كما قال الله تعالى عن أصحمة[2] النجاشي ملك الحبشة وأهل مملكته حين آمنوا وبكوا لمّا سمعوا القرآن، وشهدوا أنه كلام الله تعالى[3].

فإن كنتم كما قلتم: مصدّقين بهذا الكتاب الكريم وهو عندكم. فاقرؤوا ما في سورة الأعراف من ذكر موسى وهارون، وسؤال موسى لربه بقوله: (   ) إلى قوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯙ ﯚ   )[4]

واقرؤوا أيضاً قوله /: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) الآية ب/27
<إلى قوله: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)>[5]، وقوله تعالى لليهود، الذين هم أقدم شريعة منكم وأكثر علماً واحتجاجاً: (ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ)

---

[1] سورة البقرة: آيتا 85، 86. وما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

[2] في الأصل (أضحوى) وهو غلط. وهو أصحمة بن أبجر، والنجاشي لقب لكل من ملك الحبشة، آمن بالنبي ، وصلى عليه النبي حين موته في السنة 9هـ ووصفه بالصلاح والعدل، معدود في الصحابة ولم تكن له رؤية فهو تابعي من هذا الوجه. ينظر: البداية والنهاية 3/83، سير أعلام النبلاء 1/428.

[3] بكى البطارقة لمّا سمعوا قراءة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لصدر من سورة مريم، ولم يؤمنوا. والقصة رواها: الإمام أحمد في مسنده 1/202، وأبو نعيم في الدلائل 1/246 (ح 194) قال الهيثمي في المجمع 6/27: رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

[4] سورة الأعراف: آيات 155 – 158.

[5] سورة آل عمران: آيتا 85، 86. وما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

إلى قوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ)[1]، وقوله تعالى: (ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) إلى قوله: ( )[2]، وقوله تعالى: (ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ) إلى قوله: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)[3].

ومعنى الإسلام: الانقياد لأمر الله والطاعة له والاستسلام والدخول في السلم من غير مجاذبة ولا ممانعة ولا تردد[4]، كما تردّدت اليهود في ذبح البقرة مرات، وذمّهم الله على ذلك بقوله: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ)[5].

وكم من آية في هذا الكتاب العزيز شاهدة بأن رسول الله مرسل إلى جميع العالم.

وقد قرأتموه وتدبّرتموه واطّلعتم منه[6] – كما قلتم – على ذكر المسيح وأمّه، ووصفهما بأوصاف الكمال والشرف والاصطفاء والقرب من الله عز وجل، واطّلعتم

---

[1] سورة البقرة: آيات 40 – 42.

[2] سورة البينة: آيات 1 - 5.

[3] سورة آل عمران: آيتا 18 – 19.

[4] ذكر الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 7/637: أن الإسلام يجمع معنيين: أحدهما: الانقياد والاستسلام. والثاني: إخلاص ذلك وإفراده، وعنوانه قول: لا إله إلا الله، وله معنيان:

الأول: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بُعث به جميع الأنبياء؛ كما دلّ على اتحاد دينهم نصوصُ الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختُص به محمد من الدين والشريعة والمنهاج، وله مرتبتان:

إحداهما: الظاهر من القول والعمل، وهي المباني الخمس.

والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن. وقد يراد به معنى ثالث هو كماله وهو قوله : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه البخاري (ح 10). اهـ باختصار.

وينظر في معنى الإسلام: معارج القبول 2/595، لسان العرب 7/244، والأصل الثاني من الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشروحه.

[5] سورة البقرة: آية 71.

[6] في الأصل زيادة (على) مشطوبة.

فيه أيضاً على / قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة، ولو 28/أ
تمعقلتم وتدبّرتم بغير زيغ ولا تحريف لوجدتم فيه:

خبر ما كان ونبأ ما يكون، وتعريف الأمّة بما هو كائن لها من ظهور دين الإسلام على الدين كله، ومن هلاك الكفرة والمشركين، الجاهلية الجهلاء، ومن خلو جزيرة العرب من الأصنام، ومن دخول النّاس في دين الله أفواجاً، ومن إرث الأمة الأرض، مشرقها ومغربها، ومن استخلاف الله لهم فيها، ومن أخذ الجزية من أهل الكتاب المخالفين المجاورين، وغير ذلك مما وقع ومما سيقع كما أخبر فيه به.

ولعلمتم أيضاً من صولة ألفاظه وخطابه العليّ فيه - تارة للنبي وتارة للأمة وتارة للناس كافة - عظمة الإلهية، وصولة كبرياء المتكلِّم به وجلَاله، كقوله تعالى: (ٱ ب ٻ ٻ) إلى آخرها[1]، وقوله: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) الآية[2]، وقوله: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ) الآية[3]، وقوله: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ) الآية[4]، وقوله: (ﮪ ﮫ ﮬ) الآية[5]، وقوله: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) الآية[6]، وهكذا من أوله إلى آخره يخاطب عباده: / 28/ب

طوراً يصف جلَاله وعظمته ونعوت الكمال الأكمل والكبرياء الأعظم، وطوراً يسمّي نفسه بأسمائه الحسنى الذاتية التي منها اسمه: الله الإله الحقّ [7]، وبأسمائه

---

(1) سورة الإخلاص.
(2) سورة المائدة: آية 67.
(3) سورة النور: آية 30.
(4) سورة آل عمران: آية 64.
(5) سورة الأنعام: آية 130، وسورة الرحمن: آية 33.
(6) سورة يس: آية 60.
(7) الأسماء الذاتية: هي الدالة على نفس الذات. ينظر: بدائع الفوائد 1/280.

الصفاتية التي منها اسمه: الحيّ القيّوم العليّ العظيم [1]، وبأسمائه الفعلية التي منها اسمه: الخالق البارئ المصوّر الرزّاق[2]، وبأسمائه الإضافية التي منها اسمه: الأوّل الآخر الظاهر الباطن[3]، وبأسمائه النسبيّة المتخلِّق بمسمّياتها عبادُه طلباً لكمالهم التي منها: الحنّان[4]

---

[1] الأسماء الصفاتية: هي الدالة على الصفات المتعلقة بالذات، وتسمى المعنوية. ينظر: بدائع الفوائد 1/281.

[2] الأسماء الفعلية: هي الدالة على الصفات المتعلقة بمشيئة الربّ سبحانه. ينظر: بدائع الفوائد 1/281.

[3] الأسماء الإضافية: هي التي تقترن بما يقابلها، وتجري كالاسم الواحد ولكل منهما معنى مختص به. ينظر: بدائع الفوائد 1/331.

[4] اختلف العلماء في إثبات (الحنّان) اسماً لله تعالى: فأثبته الحليمي كما في المنهاج 1/207، والبيهقي في الأسماء والصفات ص: 84، وابن الأثير كما في النهاية 1/453، ولم يثبته الأكثرون كابن حجر والقرطبي وابن عثيمين وغيرهم، وهو الأقرب إذ جميع ما وري في إثباته لا يصح، ومنها: ما أخرجه الحاكم في مستدركه 1/17، والبيهقي في الأسماء والصفات ص: 84، من حديث أبي هريرة في سرد الأسماء الحسنى، وهو لا يصح؛ لأنه من طريق عبد العزيز بن الحصين قال فيه ابن حجر في التلخيص 4/190: متفق على تضعيفه. ومنها: ما روي في بعض نسخ مسند الإمام أحمد 3/158 من حديث أنس، وفيه: (أنت الحنّان المنان) والحديث بطرقه صحيح، لكنّ لفظة الحنّان غلط من النساخ، فاللفظة لم تأت إلا من طريق واحد مع تعدد طرقه ورواته مما يدل على غلطها، كما بيّنه الألباني في الصحيحة 7/1209 (ح 3411) وينظر في نسخ المسند ط. الرسالة 20/61. وروي بأحاديث أخر أشد ضعفاً. وبالجملة: لم يثبت كونه اسماً لله تعالى على الأرجح، وصفة الحنَان – من غير تشديد – بمعنى الرحمة ثبتت لله تعالى بقوله تعالى في سورة مريم: آية 13: (ٻ ٻ ٻ). وينظر: الفتوى رقم (18955) من فتاوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية، معجم المناهي اللفظية د. بكر أبو زيد ص: 240.

المنّان الرؤوف الرحيم الودود الشكور الغفور[1]، وبأسمائه الأفعلية للمبالغة التي منها اسمه: الأعزّ الأكرم الأرحم[2].

وتارة ينعت لهم تنزيهه وعزّته ووحدانيته وأحديته، ويحذّر[3] من الشرك به وأنه مما لا يغفره ولا يسامح به.

وتارة يعرّف الأمّة أمر دينهم وكيفية الصوم والصلاة والحج والزكاة.

وتارة يأمر بالعدل والإحسان والمعروف، ويحذّر من الظلم والبغي وينهى عن الفحشاء والمنكر، ويندب إلى أدب الدين والدنيا وإلى مكارم الأخلاق، ويدعو إلى دار 29/أ
السعادة، ويذكر ما أعد الله لأهل الطاعة من الكرامة والنعيم الدائم، / مفصّلاً موضّحاً للذي أجمله المسيح

---

(1) الأسماء النسبيّة: هي الدالة على معنى كليّ يتفاوت، ويختص بحسب ما يضاف إليه. ينظر: بدائع الفوائد 1/290.

(2) الأسماء الأفعلية: هي الدالة على الصفات بلفظ التفضيل. وأسماء الله كلها حسنى، وما ذكره المؤلف من تقسيم للأسماء الحسنى، هو نوع من الاجتهاد في النظر في النصوص، ولغيره من العلماء تقسيم آخر للأسماء الحسنى، كالحليمي في المنهاج 1/187، وابن القيم في بدائع الفوائد 1/280، والقرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص: 78، ونقل ابن حجر عدداً من التقسيمات في فتح الباري 10/571، 11/223.
ويلاحظ في الأقسام التي ذكرها المؤلف: أنها لم تقم على أساس واحد في التقسيم فربما دخل الوهم بأنها متباينة، ولرفع الوهم أشير لقواعد في أسماء الله وصفاته:
1/ أسماء الله أعلام وأوصاف 2/ دلالة أسماء الله على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام 3/ صفات الله وأسماؤه مختصة به، واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات 4/ أسماء الله مترادفة باعتبار دلالتها على الذات ومتباينة باعتبار دلالتها على الصفات. وينظر للاستزادة: بدائع الفوائد 1/284، القواعد المثلى لابن عثيمين.

(3) في الأصل: (وتحذر).

بقوله في الإنجيل: (إنكم صائرون إلى حياة أبدية)[1] ولم يذكر كيفيتها، بل أحال التفصيل[2] والبيان على نبيّنا المسمّى منه " أركون العالم " كما تقدم ذكره[3]، فإن نبيّنا القائل في الدار الآخرة وفي وصف الجنّة والنار ما لم ينقله المسيح فيها؛ لأن المسيح كان عالماً بقصور أذهان أهل زمنه واليهود وتكذيبهم وكثرة جدلهم ومحاجّتهم واختلافهم على أنبيائهم بالاعتراضات كما بيّناه قبل[4].

---

1) إنجيل متّى: 19/20، وينظر ما سبق: ل ب/13 ص130.

2) في الأصل: (أحال على تفصيل). ولا يستقيم المعنى.

3) ينظر: ل أ/6 ص102.

4) ذكر أحوال الآخرة والجنة والنار في كتب النصارى جاء مجملاً وفي فقرات محدودة، ففي العهد القديم: لم يذكر شيء من ذلك في الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى! وجاء في أسفار الأنبياء إشارات قليلة مجملة كما في إشعيا، في إصحاحاته الأخيرة التي هي مما أُلحق متأخراً بشهادة علماء النصارى! (قاموس الكتاب المقدس مادة: إشعيا)، قد شهد علماء أهل الكتاب بخلو العهد القديم من ذكر للآخرة، كما ذكر ذلك اليهودي ابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص: 26، 40 وأشار إلى أن ذكر ذلك في اليهودية من وضع الأحبار! وينظر: مقامع هامات الصلبان للخزرجي ص: 279، وأما العهد الجديد: ففيه ذكر لذلك لكنه قليل، وكثير منه عن قيامة المسيح لمحاسبة الناس! مع إنكارهم للنعيم والعذاب الحسي، وزعمهم أنه روحي كما تزعم الفلاسفة! واليوم الآخر عند النصارى بعرف باسخاتولوجي، ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: آخرة). وينظر ردود علماء المسلمين عليهم في: مقامع هامات الصلبان ص: 106، 279، الأعلام للقرطبي ص: 432، التخجيل 1/211، تحفة الأريب ص: 247، مجموع الفتاوى 13/280.

وقد علل القرطبي في الإعلام ص: 436 سبب قلة ذكر أحوال الآخرة في بني إسرائيل بأوجه أربعة: لتمردهم وكلالة أفهامهم، أو لبعد زمان ذلك عنهم، أو تعجيلاً لجزائهم في الدنيا، أو ادّخر بيانه لنبي آخر الزمان ، قال: (وهذا أقرب الوجوه). وزاد القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 77 وجهاً

وتارة يبيّن في هذا الكتاب أمر الحلال والحرام والمشتبه، وتبيين أحوال النساء والرضاع والولادة وقسمة المواريث، وكلّ ما هو في زبر الأولين من التشريع، وكل ما يقتضيه العقل السليم من تكملة[1] النفوس البشرية بأمر المعاش والمعاد ومثل ذلك.

خامساً: أن هذه الأمة أوفر نصيباً في نعيم الآخرة فناسبها التفصيل في أحوال الآخرة. ونقل الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 279 تعليل النصارى في أن موسى لم يصرح بالبعث: بأن ذلك مخافة أن يكذّبه بنو إسرائيل جملة! ، بينما يذهب ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص: 40: إلى أنه لا يجوز السؤال والمعارضة في الأمور الإلهية، فربما كانت لحكمة مجهولة! أو لأن اليهود في زمن موسى لم يكونوا منكرين لذلك فلم يحتج إلى ذكرها! وهي تعاليل باطلة؛ يكذب بعضها بعضاً، إذ مهمة الرسل بيان ما يجب على الناس اعتقاده، فكيف يصح كتمانه مخافة؟! وسؤال المعارضة في الأمور الإلهية لا يصح بعد بيانها لا في حالة كتمان ما يحب بيانه! والصحيح أن قلة ذكر أحوال الآخرة في الكتب السابقة لما اعتراها من تحريف وتبديل وكتمان، وليس لأن الأنبياء لم يذكروها. ففي دعاء إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة: آية 126: (□ □ □ □ □ □ □) وفي قول يوسف عليه السلام في سورة يوسف: آية 37: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) وفي مخاطبة الله تعالى لموسى عليه السلام في سورة طه: آية 15: (ٺ ٿ ٹ ٹ) ما يدل على ذكر الأنبياء السابقين لها. وقد جاء النبيّ □ بتفصيلٍ وبيانٍ لأحوال الآخرة لقربها وكمال رسالته وحفظها، قال ابن القيم في هداية الحيارى ص: 331: (ولهذا كان في القرآن تفصيل أمر الآخرة، وذكر الجنة والنار، فهو يأتي بأمور كثيرة لا توجد في التوراة والإنجيل).

[1] في الأصل: تكلمة.

فصل

في هذا الكتاب العزيز مع ذلك حجج قطعيّة مُسْكتة، وبراهين قطعية مبْهتة، وإلزامات مفْحمة ومبكتة، ودلالات واضحة، يعجز عن الإتيان بمثلها الفيلسوف المبرهن، والجدلي المحتجّ، ولا يوجد في التوراة ولا الإنجيل مثلها، لا في الإيجاز والبلاغة والجمع للمعاني، ولا في الإعجاز والعزة والصولة. ب/29

فمن ذلك: إخباره للنبي عن اليهود المنكرين بنزول الإنجيل / والقرآن من السماء بقوله: (ٻ ٻ ٻ ٻ) أي: عرفوه حق معرفته (ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٿ) إلى قوله: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)[1] أي: بالمقاييس الفاسدة والعقول المُكادّة المحجوبة بالنظر في الأصوات والحروف والأدوات الجسميّة والكيفيّة والفارع والمتفرع والتجويز، وكل ما هو من صفات المخلوقين، فإن القياس به باطل، والحكم به لعب، وما هو فوق أطوار العقول فإنه لا يتعقّل[2].

---

[1]) سورة الأنعام: آية 91. قال ابن كثير في تفسيره 3/301: (قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير: نزلت في قريش. واختاره ابن جرير، وقيل: نزلت في طائفة من اليهود؛ وقيل: في فنحاص رجل منهم، وقيل: في مالك بن الصيف. . . والأول هو الأظهر). وينظر: هداية الحيارى ص: 579. وفي مختصر الصواعق لابن القيم 2/530: (فجحدوا ذلك الحق وأنكروه، وما قاموا بذلك الحق معرفة ولا إقراراً ولا عبودية).

[2]) الأقيسة نوعان: قياس الشمول وهو عند المناطقة: قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزم عنها لذاتها قول آخر، وقياس التمثيل وهو عند الأصوليين: حمل فرع على أصله لعلة مشتركة بينهما. ينظر: المعجم الفلسفي 2/207. قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 12/347: (واستعمال كلا القياسين في الأمور الإلهية لا يكون إلا على وجه الأولى والأحرى. وبهذه الطريقة جاء القرآن، وهي طريقة سلف الأمة وأئمتها، فإن الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل، ولا أن يدخل في قياس شمول تتماثل أفراده، بل ما ثبت لغيره من الكمال

ومن ذلك: قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ) الآية[1].

ومن ذلك: قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) إلى قوله: (ﭥ).[2]

وقوله تعالى: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) إلى آخر السورة[3].

وقوله تعالى: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ) إلى قوله: ()[4].

وقوله: (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) إلى قوله: (ﭻ ﭼ ﭽ)[5].

وقوله: (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ   )[6]، إذ من المستحيل عقلاً وشرعاً أن يكون للعالم إلهان اثنان قديمان واجبا [7] الوجود معاً، أو يكون أحدهما محدثاً فلا يكون إلهاً[8].

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام لمّا كسر الأصنام، وقال له قومه: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) الآية، فرجعوا إلى أنفسهم ونكّسوا رؤوسهم /

الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به، وما نزّه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالتنزيه منه، كما قال تعالى: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) وينظر: شرح العقيدة الطحاوية 1/88.

(1) سورة البقرة: آية 258.

(2) سورة الملك: آيتا 13، 14.

(3) سورة يس: آيات 78 - 83.

(4) سورة الأنبياء: آيات 21 – 24.

(5) سورة المؤمنون: آيتا 91، 92.

(6) سورة التوبة: آية 31.

(7) في الأصل (إلهين اثنين قديمين واجبي).

(8) هذا دليل التمانع الذي فيه تقرير: امتناع وجود إله مستحق للعبادة غير الله تعالى، كما امتنع وجود رب خالق مدبّر غيره تعالى، ودليل هذا الامتناع صلاح السماوات والأرض وعدم فسادهما. ينظر: منهاج السنة لابن تيمية 3/304، بحث التمانع د. محمد الجهني نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة عدد (45).

حياءً واعترافاً، وقالوا: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) الآية[1]، [2].

وقوله تعالى: ( ) الآية[3].

وقوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)[4].

< وقوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) إلى آخر تلك الوصية التي جمعت ما في سائر الكتب المتقدمة >[5].

وقوله تعالى: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) إلى قوله: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ)[6].

وقوله تعالى: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) إلى قوله: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ)[7]، وكثير مثل هذه الآيات البيّنات في هذا الكتاب المجيد.

ثم فيه للأمّة من التشريع والتعاليم والتعريفات ما وصّى به الله سبحانه وتعالى

رسله الكرام: نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى[8].

---

(1) سورة الأنبياء: آيات 62 - 66.

(2) في الأصل: (أفتعبدون ما تنحتون) وهو غلط ووهم بآية 95 من سورة الصافات.

(3) سورة ق: آية 15.

(4) سورة المؤمنون: آية 117.

(5) سورة الإسراء: آيات 23 – 38. وما بين المعقوفتين زيادة من الهامش. وقد تكررت هذه الوصية في سورة الأنعام: آيات 151 – 153.

(6) سورة الحج: آيات 5 – 7.

(7) سورة المؤمنون: آيات 12 - 14.

(8) إشارة إلى قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) فسّرها الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 1/14 بقوله: (فتضمن الكلام أشياء: أحدها: أنه شرعَ لنا الدين المشترك وهو الإسلام والإيمان العام، والدين المختص بنا وهو الإسلام والإيمان الخاص. الثاني: أنه أمرنا

ونادى منادي إعجازه على رؤوس الأشهاد: قل يا محمد لأهل الكتاب والجحود والعناد، وجمع الكفرة والأضداد: ائتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة من مثله، (ۆ ۈ ۇ) الآية، فلو (ٹ ٺ ٿ) الآية، فعجزوا وأفحموا وخسئوا وخسروا خسراناً مبيناً[1].

فتدبّروه، أيها المدّعون أنهم قد حصّلوه عندهم وطالعوه وفهموه بحسب مبلغهم من العلم به، وأنصفوا لأنفسكم من أنفسكم فيما ذكرته وبيّنته لكم من بعض ما في القرآن المجيد:

هل إذا قرأتم التوراة والإنجيل وتدبّرتم ألفاظهما / بأي
لغة شئتم تجدونهما مثل ما وَصفتُ في كتابنا أو قريباً منه؟[2] 30/ب

بل تجدون التوراة حكاياتٍ مِن حاكٍ يحكي عن الله تعالى عن موسى في حياته وبعد موته! وعن أشياء منكورة لا ينبغي أن تحكى[3] عن الأنبياء، كفلان وزناه

بإقامة هذا الدين كله المشترك والمختص ونهانا عن التفرق فيه. الثالث: أنه أمر المرسلين بإقامة الدين المشترك، ونهاهم عن التفرق فيه. الرابع: أنه لما فصل بقوله: (ڍ ڌ ڎ) وبين قوله: (ڇ ڇ ڇ ڇ) وقوله: (ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ) أفاد ذلك).

(1) ورد التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن في سورة الإسراء: آية 88، وفي سورة الطور: آية 34، والتحدي بعشر سور في سورة هود: آية 13، والتحدي بسورة في سورة البقرة: آية 23 - 24، وفي سورة يونس: آية 38.

(2) قال الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 197 بعد ذكر بعض وجوه إعجاز القرآن: (فقد استبان أن العرب لم تدفع قط في إعجاز كتابه، فكيف يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء الجاعلين مع الله إلهاً آخر؟) وينظر أيضاً: ردّ رحمت الله الهندي على مَن زعم من النصارى خلو القرآن من الإعجاز والبلاغة والبيان في إظهار الحق 3/829.

(3) في الأصل (يحكى).

بابنته[1]، وفلان وفعله[2]، ومع ذلك ففيها من كلام الله تعالى متفرق ومحرّف[3]، وسبب ذلك:

خيانة اليهود وتحريفهم الكلم عن مواضعه بحسب أغراضهم، ولأن بخت نصّر الذي هو بوخذ ناصر الكلداني البابلي المخرّب[4] أحرق التوراة عند خراب البيت المقدس، وقتل اليهود حتى إنه لم يبق منهم يحفظ

---

[1] في الأصل (وزنايه). وهو يشير إلى القصة الأثيمة في التوراة المنسوبة إلى لوط مع ابنتيه – حاشاهم – في سفر الخروج: 19/30 - 37. وينظر مثالاً لتفنيد العلماء لها: إفحام اليهود للسموءل ص: 150، التخجيل 2/565.

[2] ما تحكيه التوراة من شناعات عن الأنبياء – نجلّ كتابنا كما فعل المؤلف - عن أن نذكر نماذجه وحسبي أن أشير إلى مرجع في فضح الشناعات، مثل: الحسام الممدود لعبد الحق الإسلامي ص: 172، والتخجيل 2/523، بل أصبحت ظاهرة لكل دارس للأديان ومثالاً للقصص المحرمة، كما في كتاب: قصص محرمة في التوراة لكريتش ترجمة. جزماتي. وعلماء النصارى لا يستطيعون دفعها، قال رحمت الله الهندي في إظهار الحق 3/837 - بعد ذكره لشيء من الشناعات -: (وهذا القدر مسلّم عند اليهود والنصارى، ومصرّح في كتب العهد العتيق المسلمة عند الفريقين).

[3] التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام من كلام الله، وقد فقدت باعتراف أهل الكتاب وغيرهم ويكاد يكون إجماعاً؛ لأسباب، منها: أن شيوعها لم يكن ظاهراً في زمن موسى عليه السلام، ومنها: انحراف سيرة بني إسرائيل مع أنبيائهم ودخول الوثنية فيهم، ومنها: الاضطهادات التي أصابت اليهود ولا سيما السبي البابلي، ومنها: الترجمات المتتابعة التي حرفت الأصل. ينظر: الفصل لابن حزم 1/201، إفحام اليهود ص: 137، الأجوبة الفاخرة ص: 205. وينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص: 282.

أما التوراة التي بأيدي أهل الكتاب فهي محرفة متناقضة، يزعمون أن كاتبها عزرا الكاهن، وبينه وبين موسى عليه السلام ثمانية قرون! ولو صح؛ فأحسن أحواله أن يكون كتب ما توارثته الأجيال، فهو عمل بشري يعتريه الخلل والقصور، ويكون فيه

التوراة إلا رجل واحد[1] أملاها من صدره[2]، وكذلك الملك أنطيوخس[3] أحرقها أيضاً وأقام صنمه بالقدس[4]، ولأن موسى عليه السلام ألقى الألواح من يده غضباً على قومه بني إسرائيل حين عبدوا العجل، فغاص بعضها في أرض البيت المقدس وصار بعضها إلى السماء[5]، ولأن اليهود جاءتهم العشر كلمات الوصايا بدلاً مما ذهب من

شيء من الوحي المنزل على أنبياء بني إسرائيل، لكنّه مفرّق لا يُميز إلا بوحي صادق. ينظر: إظهار الحق 1/112، شفاء الغليل للجويني ص: 31، قال شيخ الإسلام في الجواب 2/449: (والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي فيهما ما أنزله الله عز وجل. . . وإنما يعلم مثل هذا بالوحي).

[4] اسم بابلي معناه: حامي الحدود، وهو ابن نبوبلاسر وخليفته، حكم الإمبراطورية البابلية سنة 605 ق. م، عاش في زمن أرميا وسبى اليهود وأحرق هيكلهم أربع مرات سنة 605، 597، 587، 582 ق. م، وأخباره مذكورة في أسفار الملوك والأخبار وعزرا ونحميا وأرميا ودانيال، توفي عام 562 ق. م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: نبوخذ)، أعلام المورد ص: 452.

[1] في الأصل (رجلاً واحداً). والصواب الرفع.

[2] ينظر في واقعة الإحراق والتخريب: سفر الملوك الثاني: 25، وسفر الأخبار الثاني: 36. وينظر: تأريخ الطبري 1/538، الكامل لابن الأثير 1/172، والذي أملاها من صدره: هو عزرا الكاهن، كما في سفر عزرا: 7، وينظر: إفحام اليهود للسموءل ص: 139، الجواب الصحيح 2/395.

[3] في الأصل (انطهيوس). والمراد (أنطيوخس الرابع) أبيفانيس: من ملوك السلوقيين حكم بين (175 – 164ق.م) غزا بيت المقدس عام 168ق.م، وأراد أن يمحو الديانة اليهودية ويصبغ فلسطين بوثنية اليونان فاضطهد اليهود وقتل كثيراً منهم ونهب الهيكل، فثار عليه يهوذا المكابي واستردها منه عام 164ق.م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أنطيوكس)، أعلام المورد ص: 70.

التوراة[1]، ولأنه بين توراة السامرة[2] وتوراة اليهود اختلاف في اللفظ والمعنى[3]،
وهم يزعمون أن التوراة التي بأيديكم مبدّلة مغيّرة[4]،
ولأن اليهود يزعمون أن عزرا الكاهن[5]
استجدّ[6] لهم التوراة وكتبها بأرض بابل[7]، ويزعم
السامرة: أن عزرا المذكور كتبت الملائكة / بيده التوراة 31/أ
بلا اختياره، وأن الذين كانوا حوله ينظرون إلى أصابعه

---

4) ينظر في واقعة استيلاء أنطيوخس على بيت المقدس واضطهاد اليهود وإحراق نسخ التوراة: سفر المكابيين الأول: 1/41، دائرة المعارف الكتابية (مادة: أنطيوكس) الموسوعة الميسرة ص: 247، قال رحمت الله الهندي في إظهار الحق 1/112: (ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم، ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس).

5) إلقاء الألواح ورد في سورة الأعراف: آية 150، ألقاها موسى عليه السلام غضباً على عبادة بني إسرائيل للعجل كما قاله جماهير المفسرين سلفاً وخلفاً، ووصفت بقوله تعالى في سورة الأعراف: آية 145: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ) ولم يبقَ منها إلا الهدى والرحمة المشار إليهما بقوله تعالى في سورة الأعراف: آية 154: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ) وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعطاء. ينظر: تفسير الطبري 13/127، تفسير ابن كثير 3/152. وفي سنن أبي داود (ح 1459) وصححه الألباني، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطول، وأوتي موسى عليه السلام ستّاً فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي أربع). وظاهر القرآن: أن الألواح هي التوراة (كتاب موسى) لأن الله تعالى وصفهما بوصف واحد، وهو أن فيها تفصيل كل شيء وهدى ورحمة، ففي سورة الأنعام: آية 154 قوله تعالى: (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ) وقارنه بما سبق في سورة الأعراف: آية 154.

وأما التوراة المحرّفة ففيها: أن الألواح لوحان، وفيهما الكلمات العشر فقط، كما في سفر الخروج: 34/28 أو سفر التثنية: 4/13، ويختلفان عن التوراة التي فيها الشريعة، كما في سفر التثنية: 31/24 - 30.

تتحرك رقماً للحروف وهم ينقلونها أولاً فأولاً[1]، ولأن في تواريخ اليهود أيضاً: أن التوراة لمّا عدمت جاءهم بالتوراة ناسٌ من مدينة ماسة - بأقصى المغرب – كانت في مغارة هناك على ما يزعمون[2].

---

[1] في سفر الخروج: 25/16، وسفر التثنية: 10/4: أن الله سبحانه أبدل موسى عليه السلام لوحين مكانهما بعد كسرهما.

[2] في الأصل (السمرة).

[3] الاختلاف بين نص التوراة السامرية واليهودية (العبرانية) لا مرية فيه عند علماء الملل الثلاث، ففي قاموس الكتاب المقدس (مادة: السامريون): أن الاختلاف يقرب من ستة آلاف موضع! وأن التوراة السامرية تتفق مع التوراة اليونانية (السبعينية) في ألف وتسعمائة موضع. أي: إنهما تختلفان بأكثر من أربعة آلاف موضع. وقال ابن حزم في الفصل 1/127: (بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون إن التي بأيدي السامرة محرفة مبدلة)، وينظر: شفاء الغليل للجويني ص: 37، وهذا يناقض ما ذكره ابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص: 31: من أن الاختلاف يسير، وسببه عدم عناية السامرة والنصارى بقراءة التوراة والتعبد بها! وينظر: من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني د. السقا.

[4] التوراة التي بأيدي النصارى هي اليونانية، وتسمى الترجمة السبعينية لزعمهم أنه ترجمها عن الأصل العبري 72 حبراً من اليهود في عهد بطليموس الثاني في القرن الثالث قبل الميلاد! وفي مدخل الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت ص: 49: اعتبار تلك الترجمة السبعينية أسطورة خالية من القيمة التأريخية. وفي دائرة المعارف البريطانية 2/879 ط 15، 1982 نقلاً عن المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د. البار ص: 140: (النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيّناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار، ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد) وهذه التوراة اليونانية هي

ومثل هذه الأشياء التي ينبغي السكوت عنها إجلالاً لما في التوراة[1] يومنا هذا من بقيّة كلام الله تعالى[2].

وكذلك إذا طالعتم الإنجيل المجموع من البشارات الأربع، وليس لكم اليوم إنجيل غيره، تجدونه أربعة[3] تواريخ، أرّخها[4] متّى ولوقا ومرقس ويوحنّا[5].

المعتمدة عند نصارى الكاثوليك والأرثوذكس، وأصولها: مدونة الفاتيكان، ومدونة سينا (كلاهما من القرن 4م)، وترجمة جيروم في القرن الخامس الميلادي (الفولجات). ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص: 137، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث د. موريس ص: 20 خلافاً لما عند نصارى البروتستانت (طائفة وجدت بعد زمن المؤلف) من اعتبار التوراة العبرانية. واليهود يقولون بتحريف توراة النصارى أيضاً كتوراة السامرة! وقد بيّن الجويني في شفاء الغليل ص: 33 نماذج من الاختلاف بين توراة النصارى واليهود، وقال: (فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، وكل طائفة تجعله صفداً في عنق الأخرى) ينظر: الفصل لابن حزم 2/8، البحث الصريح للراسي ص: 252، إظهار الحق 2/429.

[5] عزرا: اسم عبري بمعنى: عون، وهو اختصار لعزريا، ابن سرايا، يعرف بالكاهن والكاتب، عمل موظفاً في بلاط ملك الفرس (أرتحشسيا) ومستشاراً له ونال منه السماح لليهود بالعودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي عام 398 ق. م، أعاد كتابة التوراة بعد فقدها، يعظمه عامة اليهود، وأخباره في سفري عزرا ونحميا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: عزرا) وتنقيح الأبحاث لابن كمونة اليهودي ص: 32، لكن وصفه السموءل - الذي كان يهوديّاً فأسلم - في إفحام اليهود ص: 140: بأنه لفّق التوراة لليهود، ولهذا بالغوا في تعظيمه، وزعموا أن النور ما زال يخرج من قبره! وهو رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية؛ لذا نسب إلى الله ما لا يليق. وقد اختلف العلماء: هل عزير المذكور في القرآن (في سورة التوبة: آية 30) هو عزرا الكاتب أو غيره؟ عند جماهير المفسرين: أنهما لمسمى واحد، وأنه رجل صالح آتاه الله التوراة بعد ضياعها، ينظر: تفسير الطبري 10/111، والدر المنثور للسيوطي 4/172، والمنار

فأمّا متّى، فابتدأ بذكر مولد المسيح ونسبه إلى داود، وذكر بشارة الملَك لمريم عليها السلام به، وساق بعض ما جاء في كتابنا في سورة مريم، ثم ذكر وصايا ووقائع، وبلغ إلى ذكر ليلة الفِصْح وسهر المسيح ووصيته للتلاميذ، ثم ذكر الصلب والقتل والهوان والدفن والقيام بعد

لرشيد رضا 10/283، وغيرها من التفاسير حول آية التوبة، واختاره الجويني في شفاء الغليل ص: 30، ورحمت الله الهندي كما في إظهار الحق 2/450، ود. السقا كما في تحقيقه لشفاء الغليل، ونصره محققو اليهود كابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص: 32. والقول الآخر: أنهما شخصان مختلفان، فعزير عابد صالح وعزرا كاهن محرّف، ونصره السموءل بن يحيى في إفحام اليهود ص: 153 واستدل باختلاف تعريب الاسمين، وأيده المحقق للكتاب د. الشرقاوي، ومال إليه ابن القيم في هداية الحيارى ص: 422، والأقرب القول الأول؛ لأمور، منها: أن تعظيم عزير في اليهودية لكونه جددِ التوراة، ولا يعرف في التأريخ من جدّد التوراة غير عزرا، وأيضاً: أنه لا يوجد في التوراة اسم عزير والذي تعرفه العرب، وإنما هو عزرا بلسان اليهود، وما استدل به السموءل يخالفه غيره في ذلك، ويرى صحة تعريب عزرا لعزير، كما في الأعلام د. ف عبد الرحيم ص: 129، ولا يشكل على هذا الترجيح قول السموءل أو غيره في وصفه فإنه مؤسس على أن التوراة الموجودة كاتبها عزرا، وهو لا يصح؛ لأن التوراة المنسوبة إليه حرفت وضاع كثير منها، فلا يصح نسبة ما ورد من المخازي إلى عزير. ينظر: إظهار الحق 1/112.

(6) كذا في الأصل، والمعنى: جدد.

(7) كتابة عزرا للتوراة مما لا يختلف فيه المؤرخون، وينظر: سفر نحميا: 8/2، وفي تأريخ مختصر الدول لابن العبري ص: 52.

بابل: مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين، ينسب إليها السحر والخمر، قرب الحلة، على مسافة 80 كم جنوب شرقي بغداد، سكنها الآموريون (البابليون) وبلغت ذروة مجدها في زمن حمورابي القرن 18 ق. م ثم زمن بختنصر في القرن 6 ق. م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: بابل) المنجد في

الموت، والترائي لبعض التلاميذ في العلِّية وفي مركب الصيد ببحر طبرية أو البحر[1]، وختم كلامه.

وأمّا لوقا ومرقس، فإنهما تقاربا في حكايتهما عن المسيح ونسبه ووصاياه وما جرى له، وساقاه إلى السهر ليلة الفصح والتضرّع إلى الله تعالى، والعهد إلى التلاميذ وتعريفهم بأنه ذاهب عنهم، ثم أبلغاه إلى الصلب والقتل ب/31

الأعلام ص: 106، معجم البلدان 1/310.

(1) اختلف في كيفية كتابة عزرا للتوراة: فقيل: إلهام إلهي. ينظر: تأريخ مختصر الدول ص: 52، وقيل: جمعها من محفوظاته ومما يحفظه الكهنة. ينظر: إفحام اليهود ص: 139، والمشهور أن السامريين اتهموا عزرا بتحريف التوراة. ينظر: التأريخ مما تقدم عن الآباء للسامري أبي الفتح بن أبي الحسن ص: 74 ط. 1865 م.

(2) مدينة ماسة: تتكون من ثلاث مدن صغيرة تطل على البحر الأطلنطي، على وادٍ في أقصى بلاد السوس، وهي الآن ضمن إقليم (سوس ماسة درعة) في وسط دولة المغرب الحديثة. ينظر: وصف أفريقيا للحسن الفاسي 1/113. وهجرات اليهود إلى بلاد المغرب ولا سيما الأقصى منه مشهورة، أوائلها كانت في القرن الثالث قبل الميلاد. ينظر: تأريخ ابن خلدون (العبر) 6/107، تأريخ اليهود في المغرب العربي د. عبد الرحمن بشير ص: 53، وما ذكره المؤلف من وجود نسخة للتوراة في المغرب أشار إلى مثله الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 2/396.

(1) في الأصل رسمت (التورية) والناسخ يرسمها تارة التورية وتارة التوراة.

(2) ما ذكره المؤلف من السكوت عن ذكر المخازي الواردة في التوراة؛ لأن في التوراة ما يجب إجلاله من بقايا كلام الله، فيه نظر؛ لأن في ذكر المخازي بياناً لتحريف التوراة وإظهاراً لتلبيس اليهود، لكن ينبغي أن يقدّر بالحاجة؛ صيانة لجناب الإيمان الحقّ بالله تعالى ورسله. ينظر: الشفا للقاضي عياض 2/244. وأما إجلال التوراة لما فيها من كلام الله، فهذا إن عُلم تحريف بعينه فالتحريف لا يستحق شيئاً من الإجلال. وإن لم يُعلم تحريف بعينه أو كان فيها اسم معظّم فتحترم ولا يجوز أن تهان؛

والقيام، / كما ذهب إليه متّى مع اختلاف ومناقضات في الشهادة والخبر[1].

وأمّا يوحنّا، فإنه ابتدأ كلامه بما معناه: إنه في البدء كانت الكلمة. وأن الكلمة صفة تابعة للموصوف، والموصوف قديم خالق، فالكلمة كذلك. يريد بقوله:

لما قد يكون فيها من الحق، ولذا من أجاز من العلماء الاستنجاء بتوراة وإنجيل شرطه بأن يعلم تبديلهما وخلوهما من اسم معظّم وإلا فيحرم. ينظر: نهاية المحتاج للرملي الشافعي 1/147، المغني لابن قدامة الحنبلي 1/216، حاشية ابن عابدين الحنفي 1/367.

[3] في الأصل (البشارات الأربعة. . . تجدونه أربع تواريخ). وهو غلط.

[4] في الأصل (ورخها).

[5] قال الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 157: (فأناجيلكم ما هي إلا حكايات وتواريخ، وكلام كهنة وتلاميذ وغيرهم، حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تأريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر. . . وتقولون مع ذلك: إن الإنجيل كلام الله أنزله إلينا، وأمر المسيح باتّباعه! فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزّل من عند الله؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات؟ إن الذي تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظاً - وهو قليل - لا يلزم أن يكون منزّلاً من عند الله، لأن المسيح كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية، وغير ذلك. فهذا كله ليس من عند الله). وينظر حكاية إجماع النصارى أن الأناجيل تواريخ مؤلفة وليست كلام الله في: الفصل لابن حزم 2/13. وفي تراجم الأربعة ما سبق في: ل أ/10 ص124 في الحاشية.

[1] العلِّية: حجرة تكون أعلى المنزل، وفيها سهر المسيح ليلة الفصح، ويُظنّ أن المنزل في جنوب أورشليم قرب باب صهيون، ومنها ظهر للتلاميذ. ينظر: أعمال الرسل: 1/13، دائرة المعارف الكتابية (مادة: علية). وبحر طبرية: يسمى أيضاً بحر الجليل، ويعرف الآن ببحيرة طبريّة لمجاورتها لمدينة طبرية الواقعة في الجزء الشرقي من الجليل (في فلسطين المحتلّة)، بُنيت عام

(الكلمة) أنها المسيح [1]. ثم ساق من الخبر قريباً مما ساقوه الثلاثة قبله، بزيادة في القول ونقص ومناقضة فيه، ثم لما بلغ الصلب والموت والدفن والقيام قال - ما معناه -: إن مريم المجدلانية قامت يوم الأحد على مدفن المسيح بعد الصلب فرأت الحجر مرفوعاً [2] ولم ترَ جسد المسيح فبكت، وقالت: أين ربي؟ من أخذ ربي؟ أين

26م في زمن الحاكم الروماني طيباريوس فحملت اسمه. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: طبرية). والترائي للتلاميذ في العلّية وردت إشارة له غير صريحة في إنجيل لوقا: 24/33، وأما في بحر طبرية فورد في إنجيل يوحنّا: 21. وأما في إنجيل متّى: 28، فإن الترائي كان في جبل الجليل، وليس في بحر طبرية، وربما وهم المؤلف بما ورد في إصحاح: 4/18 من لقاء المسيح ببطرس وأخيه في مركب الصيد في البحر. ويزعم النصارى أن المسيح ظهر أكثر من مرّة للتلاميذ!. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: القيامة) وما سبق: ل أ/10 ص125.

(1) الأناجيل الثلاثة (متّى، مرقس، لوقا) تسمّى: الإزائية، أو المشتركة. وذلك لاشتراك مصادرها وتقارب حكايتها لحياة المسيح ودعوته، ويختلف علماء النصارى في مصادر كتبة الأناجيل، واشتهرت نظريتان:

الأولى: نظرية المصدرين، وأن متّى ولوقا أخذا من مرقس (الأقدم كتابة) ومن وثيقة أخرى مجهولة اشتركا فيها. ينظر: قصة الحضارة 3/209، المدخل إلى العهد الجديد في الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت ص: 28.

الثانية: نظرية الوثائق المتعددة، وأن للأناجيل الثلاثة أربعة مصادر، وهي الأشهر عند نقّاد النص الكتابي؛ لأنها تعطي أجوبة أكثر إقناعاً، فهي قائمة على فرضيات متعددة، كما أنها تؤكد أهمية المصدر الشفهي. ينظر: المسيح في الأناجيل والكنيسة والنقد الكتابي الحديث، تعريب. الأب ميشال نجم. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم لموريس ص: 147. وقال ابن حزم في الفصل 2/15: (إن جميع نقل النصارى أوله عن آخره هو راجع إلى ثلاثة فقط، وهم: بولس، ومارقص (مرقس)، ولوقا. وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط، وهم: باطرة (بطرس)، ومتّى، ويوحنّا، ويعقوب، ويهوذا). وعليه؛ فاختلاف النصارى في

ذهبوا بربي؟ فهي كذلك في بستان الفاخوري إذ سمعت صوت المسيح قائلاً: مريم. فالتفتت فرأته في طرف البستان، فقالت له: رابوني - أي: يا معلم - وقصدت إليه فمنعها، وأوصاها وصية إلى التلاميذ وأن يجتمعوا به قبل أن يصعد إلى السماء [1].

فيا هؤلاء العقلاء! أين كلام الله العظيم وكلام المسيح من هذه الحكاية المخبّر بها امرأة مجنونة يصرعها سبعة[2] شياطين وبرئت بزعمكم! وهلّا ذكر هذه القصة متّى ولوقا ومرقس فيما ذكروه، وهو مهم عظيم جدّاً، مع أن يوحنّا أصغرهم وأبعدهم عهداً بالمسيح! [3].

مصادر الأناجيل يبطل دعوى إلهامية الأناجيل، ويكشف سلسلة أخرى من مجهوليتها وتأثرها بمصادر وثنية ويهودية. ينظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د. عجيبة ص: 323.

[1] هذه المقدمة من إنجيل يوحنّا تكشف جزءاً من تأثير الفلسفة اليونانية الوثنية في صياغة الإنجيل ودعوى لاهوتية المسيح، وتعرف عند النصارى وفلاسفة اليونان بمصطلح (اللوغوس). ينظر: المدخل للعهد الجديد في طبعة الكتاب المقدس الكاثوليكية، دار المشرق بيروت ص: 282، خريف الفكر اليوناني د. بدوي ص: 97.

[2] في الأصل (مدهوهاً). والتصويب من إنجيل يوحنّا: 20/1.

[1] ساق المؤلف الخبر مختصراً وقد جاء مطولاً في إنجيل يوحنّا: 20.

[2] في الأصل (سبع). ومريم المجدلانية ينظر ترجمتها في: ل أ/18 ص146.

[3] إشارة المؤلف إلى أن قصة ظهور المسيح بعد الصلب والدفن لمريم المجدلانية ومخاطبتها انفرد بها إنجيل يوحنّا يوافق ما عليه محققو النصارى من أن خاتمة إنجيل مرقس: 16/9 - 20 ليست منه، والتي ورد فيها: قصة ظهور المسيح للمجدلانية مجملة. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 293. وقد انفرد إنجيل يوحنّا عن الأناجيل الثلاثة في أسلوب كتابته وغايته وتفاصيل حياة المسيح. ينظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص: 121، دراسات. . د. الأعظمي ص: 275.

32/أ فتدبروا ذلك، واعرفوا الحق في خلال التدبّر، واعلموا أن رسول <الله> [1] / ﷺ أرسل إلى العالم كافة لإصلاح ما فسّدوا [2]، وللتوبيخ لهم على ما أحدثوا وأشركوا وظنّوا وغلطوا واختلفوا، وتصديقاً للمسيح في خبره عن أركون العالم المسمّى (بارقليطس) أي: رسول الله، الآتي من عنده، والمنبثق من فيه روح الحق، الذي هو القرآن المجيد كلام رب العالمين.

ولما صدّق الإنجيلُ التوراةَ وصححها وصدّقت التوراةُ الإنجيلَ وصححته وصدّقهما القرآنُ المجيد وصححهما وصدّقاه من قبل وصححاه؛ شهد البعض للبعض على تطاول الْمُدد وامتداد الدهور، فإن بين التوراة والإنجيل ألف سنة، وذلك من خروج موسى من مصر ببني إسرائيل وإلى ولادة المسيح عليهما السلام، وبين ظهور المسيح وظهور نبيّنا محمد نحو من ستمائة سنة وبضع وثلاثين سنة [3].

وقول المؤلف إن يوحنّا أصغرهم وأبعدهم لا يوافق عليه؛ لأن مما لا خلاف فيه أن لوقا ومرقس لم يلتقيا بالمسيح باتفاق علماء النصارى، ورجح غالبية النصارى لقيا متّى ويوحنّا للمسيح، ولعل مراد المؤلف أن إنجيل يوحنّا آخر الأناجيل الأربعة تأليفاً، وهذا مما يقرره علماء النصارى، هذا إن سلّم جدلاً بصحة نسبة الأناجيل إليهم. ينظر: إظهار الحق 1/157.

(1) في الأصل سقط لفظ الجلالة.

(2) كذا في الأصل، بمعنى: أفسدوا.

(3) لم يرد نقل صحيح يبين مقدار المدة بين وفاة موسى ومولد المسيح عليهما السلام، واختار المؤلف أن بينهما ألف سنة وثلاثاً وثلاثين سنة كما سيأتي في: ل أ/ 50 ص248. وفي كثير من المصادر الإسلامية: أن المدة بينهما أكثر من 1700 سنة، ينظر مثلاً: تأريخ ابن الوردي ص: 10، تفسير القرطبي 6/121. بينما ذكر المؤرخ ابن البطريق النصراني في تأريخه ص: 89: أن بين الخروج من مصر والمسيح 1665 سنة، وفي دائرة المعارف الكتابية (مادة: أزمنة العهد القديم) أن بينهما

وجاء القرآن مبيناً ما كان قبلُ في هذه المدة وفيما قبلها إلى آدم عليه السلام، وذاكراً كيفية بدء الخليقة، وكيفية عودها بالانطواء، وعلْم ما كان وعلم ما يكون، ونبأَ ما بين الأمّة، ووصف المسيح وأمّه بما لا يحسنوا[2] الغلاة أن يصفوهما بمثله، من الشرف والفخار والعلو والاصطفاء والنزاهة والتطهير الذي لا يليق غيره بهما، والشهادة للمسيح بأنه أحد أولي العزم من الرسل، أصحاب الرسالة العامة، كما / نبّأ أرميا برؤية الشعوب والربوات بين يديه ويدي نبيّنا ﷺ[3]. ب/32

ومن البيّن الواضح: أن المسيح لم يرسل رسله إلى الناس تبرعاً منه بل بإذن الله وأمره له[4]، وكذلك محمد ﷺ لم تنقَدِ الأمم إلى[5] دعوته والدخول في دينه وشرعته وهابته ملوك الأرض قاطبة تبرعاً منه واستحباباً من غير

1448 سنة، وذكر المؤرخ د. عبد العزيز صالح في كتابه الشرق الأدنى القديم ص225: احتمالات في زمن خروج بني إسرائيل من مصر أقلها سنة 1200ق.م وقال: (وما زالت القضية بغير حلّ مرض حتى الآن) والأقرب أن المدة بين موسى وعيسى عليهما السلام لا تقل عن 1400 عام، قال ابن حجر في الفتح 4/449: (وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ستمائة). أما المدة بين عيسى عليه السلام وبعثة نبيّنا ﷺ فقد روى البخاري في صحيحه (ح 3732) عن سلمان الفارسي قال: (فترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة).

[2] كذا في الأصل على لغة: أكلوني البراغيث.

[3] ينظر ما سبق: ل أ/7 ص107، ل ب/15 ص136. ونبوءة أرميا غايتها تدلّ على كثرة أتباعه لا عمومها.

[4] إرسال المسيح لرسله (التلاميذ) كان لليهود، ولم يكن لعموم الناس، وقد وهم المؤلف في دعوى عموم رسالته كما سبق.

[5] في الأصل (لي).

أن يأمره الله تعالى بذلك، بل بأمره وإرساله له وتأييده إياه.

وفيما استشهدت به لكم بأنه لم يأت بغتة ولا مفاجأة للعالم ولا رسالته إلى العرب خاصة بل إلى الناس كافة كفاية ومَقنَع، ولو بسطنا القول في ذكر محاسن الشريعة وجوامع الآداب والكمالات في الصلاة والصيام والحجّ والأذكار والتسبيحات لجاء في كتب عديدة، وفيما أوضحناه وبيّناه كفاية.

فصل

ثم قلتم في الرسالة سياقاً: **وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديننا، وأن لا نهمل مذهبنا، ولا نرفض ما معنا، ولا نتبع غير السيد المسيح كلمة الله وحواريّيه[1] الذين أرسلهم إلينا، أنذرونا بلغاتنا وسلّموا إلينا ديننا الذي قد عظّمه هذا الكتاب [2] بقوله في سورة الحديد: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ) الآية[3]، وقال في سورة البقرة: (ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ) / الآية[4]، فعنى[5] بقوله أنبياءه المبشرين ورسله المنذرين: الحواريين، الذين داروا في جميع العالم وبشّروا بالكتاب الواحد الذي هو الإنجيل المقدّس؛ لأنه لو كان عنى عن[6] إبراهيم وموسى وداود[7] ومحمد لكان قال: ومعهم الكتب؛ لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره، ولم يقل إلا الكتاب الواحد الذي هو الإنجيل الطاهر[8].** 33/أ

---

(1) في الأصل والرسالة ن 2: حواريه. والمثبت من الجواب الصحيح 2/221، والرسالة ن1، ن3.

(2) في الجواب الصحيح 2/224، والرسالة: (**الذين قد عظّموا في هذا الكتاب**). إشارة للحواريين، وفي الأصل إشارة للدين.

(3) سورة الحديد: آية 25.

(4) سورة البقرة: آية 213.

(5) في الأصل (فأعنى) بالهمزة في المواضع الخمس اللاحقة.

(6) كذا في الأصل ونسخ الرسالة والجواب الصحيح، ويصح الكلام بدونها.

(7) كذا في الأصل، وفي نسخ الرسالة والجواب الصحيح: (داود وموسى).

(8) في الجواب الصحيح 2/225 والرسالة ن 2، ن 3 زيادة: (**لأنه ما أتى جماعة مبشرين** (الصواب: مبشرون) **بكتاب**

ثم يشهد هذا الكتاب: أنهم أنصار الله، حيث يقول: ( ) إلى قوله: ( )[1].

وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتابنا الذي بين أيدينا فيقول: (ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ) الآية[2]، وقال: (ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ) إلى قوله: (ڤ)[3]، وقال: (ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پپ ٺ ٺ) إلى قوله: (ڃ)[4]، فعنى بالكتاب: الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب: نحن النصارى، ثم أتبع بالقول: (ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ) الآية فعنى بهم: المسلمين الذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله.

وقال في سورة المائدة: (ٻ ٻ ٻ ٻ پ) إلى قوله: (ڇ)[5]، وقال في سورة آل عمران: (ک گ گ گ گ ڳ ڳ) الآية[6]، فعنى أيضاً بالكتاب المنير: الإنجيل / المقدّس، وبالرسل: الحواريين. ب/33

واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر) وزاد في الجواب الصحيح بعده: (**وجاء أيضاً في الكتاب: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) الآية 20 من سورة يس. يعني: الحواريين، لم يقل: رسول، وإنما قال: المرسلين**). ولا توجد في الأصل ولا الرسالة.

(1) سورة الصف: آية 14. وغلط الناسخ في بدايتها فكتب (إذ قال).

(2) سورة المائدة: آية 48.

(3) سورة آل عمران: آيات 1 - 4.

(4) سورة البقرة: آيات 1 - 5.

(5) سورة المائدة: آيتا 46، 47.

(6) سورة آل عمران: آية 184. وتتمتها: (**ڳ ڳ گ گ ڱ**).

وقال أيضاً: (ﮬ □□□□ ﮉ ﮊ) الآية[7]**، فثبت بهذا ما معنا، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها.**

فقال لكم القائل - وكليام حاضر -[8]**: إن قال قائل: إن التبديل والتغيير يجوز أن يكون بعد هذا القول. فقلتم: إنا نعجب من هذا القول، ومن هؤلاء القوم، على علمهم وذكائهم ومعرفتهم كيف يحتجّون علينا بمثل هذا القول؟! فلو قلنا: إن الكتاب الذي في أيديهم يومنا هذا قد غيّروه وبدّلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا، أفكانوا يجوّزون كلامنا؟ فقال لكم: هذا ما لا يجوز، ولا يمكن أحد أن يقوله أبداً، ولا يمكن أن يتغير منه حرف واحد. فقلتم: فإذا كان الكتاب الذي في أيديهم باللسان العربي الواحد لا يمكن تغييره ولا تبديل حرف واحد منه فكيف يمكن تغيير كتابنا الذي هو مكتوب باثنين** 34/أ **وسبعين لساناً**[9]**؟**[10] **ومن يقدر على جمعها من أقطار الأرض وزوايا العالم حتى يغيّرها؟ وإن**

---

[7] سورة يونس: آية 94.

[8] في الرسالة (فقلت لهم) من غير ذكر للقائل.

[9] في الأصل: لسان. والتصويب من الرسالة.

[10] في الجواب الصحيح 3/6، والرسالة زيادة: (**وفي كل لسان منها كذا وكذا ألف نسخة، وجاز عليها إلى مجيء محمد أكثر من ستمائة سنة، وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم، فمن هو الذي تكلّم باثنين وسبعين لساناً؟ أو من هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها وغالبها حتى حكم على جميعها في أقطار الأرض وجمعها في أربع زوايا العالم حتى يغيّرها؟**) ويلاحظ اختصار المؤلف لكلامهم.

أمكنه تغيير بعضها فلا يمكنه تغيير كلها، فإن هذا لا يمكن أن يكون، لأن كونها[1] بالألسن قول واحد ولفظ واحد، فهذا ما لا يجوز لنا أبداً تسليمه، ولا يجوز لقائل / أن يقوله أبداً.

ثم وجدنا ما هو أعظم من هذا برهاناً في قوله في سورة الشورى[2]: (□ □ □ □ □ □ □ □) إلى قوله: (□)[3]، وأما لغير أهل[4] الكتاب يقول: (□ ٻ ٻ) إلى آخرها[5].

فالجواب لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

إن كنتم أنتم المؤمنين[6] بالغيب وقد صدّقتم بكتابنا فلا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم عن الشرك، وإلا فلستم بمؤمنين كما زعمتم، ولكنّكم كما سمّاكم الله في الكتاب الذي احتججتم به بقوله: (**ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ڱ ڱ ڱ ڱ**)[7].

وأما زعمكم بأن الكتاب المنزّل بالحق هو الإنجيل فغير مسلّم لكم، ولكنّه القرآن المجيد، بدليل قوله تعالى: (**□ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ پ ڀ ڀ**)[8] وقوله: (**□ ٻ ٻ**

---

[1] في الجواب الصحيح 3/6: (كلّها)، وفي الرسالة: (جميعها).

[2] في الأصل (شورى) كما سقطت الواو من أول الآية.

[3] سورة الشورى: آية 15. وقد كتبت الآية في الرسالة كاملة.

[4] في الأصل (هذا) والمثبت من الجواب الصحيح 3/53 والرسالة.

[5] سورة الكافرون كاملة ست آيات. وفي الرسالة كتبت السورة كاملة.

[6] في الأصل (المؤمنون).

[7] سورة المائدة، في موضعين: آية 17، 72.

[8] سورة البقرة: آيتا 1 - 2.

ٻ ٻ پ)[1] وقوله: (ب ٻ ٻ ٻ پ) إلى قوله: (ﭬ)[2]؛ حيث أنزلت هذه الحروف المقطّعة في أول سور منه كالعلامة له، وأشار بها إلى أن هذا الكتاب مع إعجازه لجميع العالمين أن يأتوا بسورة من مثله أنزل منظّماً من هذه الحروف العربية على هذا النبيّ الأمّي الذي لا يحسن الكتابة ولا الحساب، ولا تعلّم علماً من غير الله تعالى[3].

وهو قرآن عربي مبين، وليس الإنجيل منه بشيء ولا التوراة، وإن كان فيهما من كلام الله ما فيهما، إذ التوراة ب/34
كما تقدم القول عنها بشهادة تواريخ / اليهود، وما زعموه من الحريق لها، ومن استجدادها بعد عدمها مرتين،

---

(1) مطلع سورتي الشعراء والقصص.

(2) سورة فصلت: آيات 1 - 4.

(3) اختلف العلماء في الحروف المقطّعة في أوائل السور، هل هي من المحكم الذي ينظر في تفسيره أو من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه؟ والأقرب أنها ليست مما استأثر الله بعلمه، ولذا تعددت أقوال العلماء في المراد منها، والأرجح ما ذكره الشنقيطي في أضواء البيان 3/5: (أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركّب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف. قال ابن كثير: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية، ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السورة التي افتتحت بالحروف المقطّعة يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه الحق الذي لا شك فيه، وذكر ذلك بعدها دائماً دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق) وينظر: تفسير الطبري 1/118، تفسير ابن كثير 1/28.

واختلافهم في المستجدّة التي بأيديهم اليوم وأيدي السامرة وأيديكم[1].

وأما الإنجيل، فإنكم معشر النصارى تعلمون وتشهد تواريخكم وتواريخ اليهود: أنه جمع من حكايات الحاكين للملك قسطنطين في المجمع، ما حكوه من سيرة المسيح ووصيّته وما جرى له، وأنه – أعني: الإنجيل المحكي – كان إحدى عشرة[2] بشارة، حكاية تاريخاً، بعدد تلاميذ المسيح غير يهـــــــوذا[3] الشبيه المصلوب[4]، فاستكثرها قسطنطين وعاين ما فيها من الاختلاف، فاختار منها الأربعة التي هي اليوم الإنجيل[5]، وأحرق الباقي إلا واحداً منها، يعرف بإنجيل

[1] ينظر ما سبق: ل أ/30 ص185.

[2] في الأصل: أحد عشر.

[3] في الأصل: هيرودس، والصواب: يهوذا. ينظر: الحاشية في ل ب/17ص148.

[4] اختلف نقّاد النص الكتابي: هل دوّن الحواريون شيئاً عن حياة المسيح أو لم يدونوا؟ يقول شارل في كتابه المسيحية ص: 26: (لم يشعروا ألبتة في الحاجة إلى تدوين ذكرياتهم أو شعورهم عنه (أي: المسيح). . . وكانوا يترقبون بين لحظة وأخرى توقف الحياة البشرية وظهور المسيح المنتصر من السماء!) وعلى التسليم بتدوين شيء من حياة المسيح فإنه من بعضهم لا كلهم. ينظر: مصادر النصرانية د. عبد الرزاق ص: 371.

[5] المشهور أن الأناجيل قبل قسطنطين أكثر من أحد عشر إنجيلاً، وقد جاء في إنجيل لوقا: 1/1 (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا) ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: الأبوكريفا)، ونقل المهتدي نصر المتطبب في النصيحة الإيمانية ص: 135 عن الجاثليق ابن ملكون مفسر الأناجيل: (أن التلاميذ والحواريين وعدتهم اثنان وسبعون رجلاً عمل كل واحد منهم إنجيلاً. . . وأن الذين حضروا مجمع

الصبوة[1]: حكايات عن المسيح أنه فعلها كالعجيبات والمعاجز حسب لا غير، وهذا الإنجيل في أيدي اليعاقبة[2] ظاهر، وعند غيرهم من النساطرة والملكية والمارونية[3] موجود ومكتوم عن العامة.

قسطنطين أحضروا معهم من الأناجيل ما عجزوا عن حمله! ، فاختاروا أربعة وأسقطوا ثمانين!) (بتصرف). وأشار الأب لويس شيخو اليسوعي في مقالة الأناجيل القانونية وأناجيل الزور إلى أن ما رفضته الكنيسة مئات الأناجيل! وعرّف بستة عشر إنجيلاً، ينظر: مجلة المشرق الكاثوليكية للسنة 11 عدد 3 ص: 194. وفي كتاب الديانات والعقائد لأحمد عطار 3/470 ذكر (51) إنجيلاً. وينظر: إظهار الحق 1/110. وإنما المؤلف استروح لعدد التلاميذ لكونهم الواسطة بين المسيح ومن بعدهم.

[1] إنجيل الصبوة: أشار إليه الجعفري في التخجيل 1/114 وأنه وقع له وقرأه دفعات، ونسبه إلى بطرس عن مريم البتول، وفيه حديث عن طفولة المسيح مع إغفال لكثير من معجزاته، وفيه ذكر لرحلته إلى مصر. وعنه القرافي في الأجوبة ص: 90. وهذا الإنجيل عند النّصارى أحد أناجيل الطفولة غير القانونية (الأبوكريفا) ويسمى إنجيل بطرس، وقال الأب لويس شيخو في مقالة الأناجيل القانونية وأناجيل الزور ص: 204 (مجلة المشرق 11/3): (أشار إليه أوريجانوس وأوسابيوس القيصري والقديس أيرونيموس، وأفادنا تلودوريطوس في كتاب البدع أن أنجيل بطرس المذكور كان منتشراً بين أنصار الشيعة الناصريّة، وأنه كان قريباً من إنجيل القديس متّى إلا في بعض الأمور الموافقة لرأي اليهود المتنصرين) وأشار عطار في كتاب الديانات والعقائد 3/473 إلى أنه كان معمولاً به إلى سنة 190 م، ووجدت قطعة منه سنة 1887 م في قبر راهب ببلدة إخميم في مصر.

ويشبهه إنجيل الطفولة، ويعرف بالإنجيل العربي، وقد أظهره هنري سيك سنة 1616 م في ألمانيا، وكان معتبراً عند النساطرة. ينظر: الأناجيل القانونية وأناجيل الزور ص: 200، ودائرة معارف القرن العشرين 1/656. الديانات والعقائد لعطار

وتعلمون أيضاً: أن أصحاب القوانين في المجامع قنّنوا دين النصرانية لقسطنطين وضمّوا البشارات الأربع[1] بعضها إلى بعض، وسمّوها إنجيلاً، ومعنى الإنجيل في اللغة العربية: الأمر الظاهر بعد الخفاء، يقال: نجل الشيء، إذا ظهر وبان، ومنه: تسمية النجيل نجيلاً، وتسمية الولد نجلاً؛ لظهورهما بعد الخفاء[2].

3/470.

[2] اليعاقبة: نسبة إلى يعقوب البرادعي (505 – 578م)، دعا إلى القول بالطبيعة والمشيئة الواحدة للمسيح، وتبع في ذلك أوطيخا، وأعلن هذا المذهب في مجمع أفسس الثاني سنة 449م، ثم حرّم في مجمع خلقدونية عام 451م. واليعاقبة منتشرون في الشام ومصر والحبشة، وهو مذهب الأرثوذكس في الشرق. ينظر: مقالة في الفرق المتعارفة بين النصارى لبولص الراهب في مجلة المشرق السنة السابعة ص: 704، وأيضاً: السنة التاسعة ص: 871 وفيها ترجمة وافية ليعقوب ومذهبه وكتبه، للخوري بطرس الكلداني. قصة الحضارة 12/102. وينظر: الفصل لابن حزم 1/111، التخجيل 1/475، النصيحة الإيمانية ص: 58.

[3] النساطرة: نسبة إلى نسطوريوس (380 - 451 م) عين أسقفاً للقسطنطينية عام 428م، ورأى أن مريم العذراء والدة المسيح الإنسان وليست والدة الإله، فعقد مجمع أفسس عام 431م بسببه، فحرّمه وعزله من منصبه وتوفي منفيّاً في مصر. وغلط الشهرستاني (الملل والنحل 1/535) في نسبة النساطرة إلى نسطور الحكيم المعاصر للخليفة المأمون، لكن لعله ممن أحيا مذهب نسطور، فقد قال المؤرخ النصراني ابن البطريق في تأريخه 1/158: (وكانت مقالة نسطور قد اندثرت، فأحياها من بعده بزمان طويل برصوما مطران نصيبين في عصر يوستينيانوس ملك الروم وقباذ بن فيروز ملك فارس، وثبتها في المشرق وخاصة أهل فارس. فلذلك تكاثرت النسطورية بالمشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة) ثم أشار إلى مخالفة النسطوريين لمقالة نسطور الأولى. وكان لمقالتهم في المشرق تأثير في الفرق الحادثة في الإسلام.

35/أ ومما كان في إنجيل الصبوة / ومتّى: أن المسيح لم يكن له آلة النسل، بل كان أمسح[1] قارّاً ألوهاً[2]، وعملوا القلندس - الذي معناه: الختان – لئلا ينسب إلى ناسوته نقص خلق [3]، ولأن الإنجيلات شاهدة بأن أمّ المسيح ختنته ثامن يوم ولادته[4].

ثم إن أصحاب القوانين لم يجدوا في هذا الإنجيل المجموع تشريعاً كافياً ولا تعريفاً شافياً، فاستعانوا بما

ينظر: مقالة في الفرق المتعارفة بين النصارى لبولص الراهب في مجلة المشرق السنة السابعة ص: 704، مجموعة الشرع الكنسي ص: 307، تأريخ ابن البطريق 1/156. وينظر: التخجيل 1/485، محاضرات في النصرانية ص: 188.

الملكية: (الملكانية) نسبة إلى ملوك الروم، لأنهم انحازوا في مجمع خلقدونية عام 451 م إلى الملك الروماني، ومذهبهم أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وقد بدأ تقرير المذهب من الملك قسطنطين في مجمع نيقية عام 325 م، وهم الروم الكاثوليك، وبطريركية الإسكندرية قبل انحيازها لليعاقبة الأرثوذكس.

ينظر: مقالة في الفرق المتعارفة بين النصارى لبولص الراهب في مجلة المشرق السنة السابعة ص: 704، تأريخ ابن البطريق 1/116. وينظر: الفصل لابن حزم 1/110، التخجيل 1/482، النصيحة الإيمانية ص: 60.

المارونية: نسبة إلى يوحنا مارون بطريك أنطاكية (685 - 707 م)، ويزعم بعض المارونيين الانتساب إلى القديس مار مارون، ت عام 410 م، وقيل في نسبتهم غير ذلك، وظهرت الطائفة المارونية بعد مجمع القسطنطينية عام 680 م حين قرّر أن المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين، وحكم بالحرمان على يوحنا مارون وغيره القائلين بأن المسيح ذو طبيعتين ومشيئة واحدة في أقنوم واحد. وفي تأريخ المارونية صراع مع الملكية واليعاقبة، وغالبيتهم في جبل لبنان، وفي عام 1596م خضعوا للبابوية الكاثوليكية. ينظر: تأريخ ابن البطريق 2/28، الموارنة في التأريخ لمتّى موسى. وينظر: أضواء على المسيحية، شلبي ص: 111، الفرق والمذاهب المسيحية، سعد رستم ص: 30.

[1] في الأصل: الأربعة.

في التوراة من الأحكام والتشريع، وسمّوها العتيقة والقديمة[1] لمعنيين، أحدهما: كون المسيح كان عالماً بها، عاملاً بما فيها. والثاني: لما فيها من التشريع الغير موجود في الإنجيل المجموع المذكور.

ثم رتّبوا صلوات في اليوم والليلة[2].

ورتّبوا صياماً تابعوا فيه صيام المسيح[3]، وقصدوا أن يكون آخره أبداً يوم الأحد؛ ليوافق قيام المسيح في يوم

---

[2] اختلف العلماء في اسم الإنجيل؟ فقيل: أصله أعجمي، إما عبراني، وإما يوناني وعليه أكثر النصارى، بمعنى: البشارة والخبر الطيب. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إنجيل).

وقيل: أصله عربي، واختلف في اشتقاقه على أقوال: فقيل: من النجل بمعنى الأصل. وقيل: من نجلت الشيء بمعنى الظهور بعد الخفاء. وقيل: من التناجل بمعنى التنازع. ينظر: معجم مقاييس اللغة 5/397، لسان العرب 14/203، النهاية لابن الأثير 5/24.

والصحيح: أنه أعجمي، ورجحه الزمخشري وأبو حيان. ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان 2/372، التفسير الكبير للرازي 3/139. والأقرب أنه عبراني؛ لكون العبرانية لغة بني إسرائيل الذين بعث فيهم المسيح، بخلاف اليونانية التي هي لغة ملوك الروم. ينظر: الجواب الصحيح 3/96.

[1] في إنجيل متّى لم يرد ذكر للختان ولا لحالة المسيح أنه كان أمسحَ، ولم أجد من أشار إلى ذلك.

[2] هكذا ورد في الأصل، ومعناها غير ظاهر. لعله يقصد بها: متعبداً، من التأله بمعنى التعبد.

[3] القلندس: عيد للنصارى يوافق أول شهر كانون الثاني (بعد ثمانية أيام من عيد الميلاد) ويسمى عيد الختان، نسبة لختان المسيح عليه السلام. ينظر: أعياد الظهور الإلهي للأب متى المسكين ص: 181، قال المقدسي عنه في أحسن التقاسيم ص: 182: (من الأعياد التي يعرفها المسلمون عن النصارى، ويقولون: إذا جاء القلندس فتدفأ واحتبس) وقد أشار إليه المؤلف في نخبة الدهر ص: 281 بأنه أحد الأعياد الصغار عند النصارى. وينظر: مروج الذهب 3/406، الآثار الباقية للبيروني ص: 292.

الأحد من القبر بعد الصلب، ويكون لهم عيداً بزعمهم! فاستعانوا بأهل الحساب الفلكيين، فاتفق لهم بالحساب النجومي[1] أن الشمس والقمر متى اجتمعا بين السرار والاستهلال[2] في أيام معدودة أولها ثاني يوم من شباط وآخرها رابع يوم من آذار[3]، صاموا يوم الاثنين الذي يأتي بعد اجتماع الشمس والقمر أو مع اجتماعهما، فصار ذلك

---

[4] في إنجيل لوقا: 2/21: (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع). وورد ذكر ختان المسيح في إنجيل شبيه متّى: 15، وإنجيل عربي للطفولة: 5، وهما من أناجيل الطفولة، من كتاب أبوكريفا العهد الجديد، ترجمة: د. الطرزي. وفي إنجيل برنابا: الفصل الخامس.

[1] في الأصل (القرمية). والنصارى تسمي التوراة بالعهد القديم.

[2] الصلوات عند النصارى سبع صلوات تقوم على الترانيم والأدعية والتراتيل، خالية من الركوع والسجود، وتخالف ما كان عليه المسيح عليه السلام وحواريوه، من جهات عدة، منها: أن صلاة المسيح عبودية لله وصلاة النصارى تأليه للمسيح وأمّه وشفاعة القديسين! وأيضاً: خلو صلواتهم من الطهارة مع أمر الأنبياء بها كما في سفر الخروج: 40/30! وأيضاً: جهة القبلة؛ حيث كان المسيح والأنبياء يتوجّهون لبيت لمقدس والنصارى تتوجّه للمشرق! وأيضاً: كيفية أدائها، ينظر في سجود الأنبياء في صلاتهم مثلاً: سفر التكوين: 17/3 وسفر العدد: 6/20 وسفر نحميا: 6/8 وفي متّى: 26/39 سجود المسيح: (وخرّ على وجهه وكان يصلي. .). فكانت صلاة المسيح موافقة لما كان عليه أنبياء بني إسرائيل. ينظر: التخجيل 2/629، إغاثة اللهفان 2/392.

[3] الصيام عند النصارى: الامتناع عن الطعام وقتاً معيناً من النهار، ثم الاقتصار على أطعمة معينة تقوية للروحانيات وإضعافاً للشهوات! ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: صوم) والصيام أيام متعددة، أشهرها الصوم الكبير الذي يسبق الفصح، ولهم أيام أخرى يصومونها، وذكرت الموسوعة الكاثوليكية 1/67 في مادة (Abstinence) أن سبب تبديل قوانين الصيام تدريجيّاً: اختلاف التقاليد والمناخ، إضافة إلى اختلاف تسعيرة

قاعدة في الصيام والفطر، يقدم تارة يسيراً ويتأخر تارة يسيراً، ولا ينفك فيما بين شباط وآذار ونيسان، أشهر الربيع وزمن إقبال السنة، ثم نظروا / في عدّة الأيام التي صامها المسيح فوجدوها أربعين يوماً[1]، ووجدوا آخرها لا يوافق أن يكون يوم الأحد دائماً، فزادوا عليها عشرة أيام أو أكثر أو أقل بيسير، وجعلوا الزيادة صوماً، وقسّموها على الجمع يومين يومين، سبت وأحد سبت وأحد. ب/35

وجعلوا الصيام إمساكاً عن الأكل دورة من دورات الفلك، وخيّروا الصائم في وقت فطره، وأباحوا له فيه

المواد الغذائية. ينظر: مصباح العقل ص: 80، وكل ذلك مبتدع من آباء الكنيسة، ولم يتابعوا فيه صيام المسيح عليه السلام، لا في وقته ولا في طريقته ولا في غايته. ينظر: إغاثة اللهفان 2/352، الأجوبة الفاخرة ص: 284، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 2/116.

[1] الحساب النجومي: هو قياس الزمن بطلوع نجم معين في وقت معين. ينظر: أبجد العلوم 2/551.

[2] السرار، ويقال: سرر الشهر، و هو آخر ليلة يستتسر فيها الهلال بنور الشمس وقد يسمى: المحاق أو اجتماع النيرين. ينظر: النهاية لابن الأثير 2/360، والاستهلال: هو ظهور هلال الشهر. ينظر: النهاية 5/272.

[3] في الأصل (االذار). وشباط: اسم عربي شرقي للشهر الثاني من الشهور السريانية، ويقابله فبراير في التسمية الغربية، وآذار: اسم عربي للشهر الثالث من الشهور السريانية يقابله مارس في التسمية الغربية. ينظر: نخبة الدهر ص: 277.

[1] صيام المسيح الذي يستدل به النصارى هو صيامه أربعين يوماً حين جرّبه الشيطان! كما في إنجيل متّى: 4/3! وهو الصوم الكبير كما يسمّيه النصارى.

الوطء واللعب والعبث، ومنعوه من أكل لحوم الحيوان البري[1]، وقصدوا بذلك ثلاثة[2] معان:

أحدها: مـــــوافقة الصـــــــــــــابئة في الصيــــــــام للكـــــــواكب بـــــــــــــترك أكل كـــــــل <ذي>[3] روح، فإن عهدهم بمذهبهم كان قريباً، ولذلك اتخذوا التماثيل والدخنات أمامها بحصى اللبان[4]، وكشف

---

(1) المنع من أكل اللحوم في فترة الصوم يخالف ما عليه المسيح عليه السلام، فقد نقل المؤرخ ابن البطريق في تأريخه 1/147 عن بطرس الحواري أن المسيح أكل الذبيحة، وقال: (صار كل من لا يأكل الذبيحة عندنا مخالفاً لشريعة النصرانية ومضاهياً لمذهب المنانية).

(2) في الأصل (ثلاث).

(3) زيادة يقتضيها السياق.

(4) التماثيل: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره. ينظر: لسان العرب 14/20، والدخنات: إظهار الدخان باللبان: ويسمى: حصى اللبان والكندر، وهو نبات عطري يتبخر بقشره ويستعمل في الطب. ينظر: لسان العرب 13/167. قال داود الأنطاكي في تزيين الأسواق ص: 242: (يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخوراً للكنائس وغيرها). وقال القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة 1/166: (وكان للروم والصابئين دخن وبخورات في الهياكل للكواكب والأصنام، وهي قائمة عند النصارى ما عطلوها، وهي في البِيَع يسمونها دخنة مريم وبخور مريم، وما عرفته مريم ولا المسيح ساعة قط ولا أصحابه، ولا استعملوا ذلك).

الرؤوس للقسيسين في الصلاة[1]، وإيقاد الشمع والمصابيح ليلاً ونهاراً بالقرب منها[2].

والثاني: تسهيل الصوم على الصائم، فإنه إمساك عن اللحوم وما منها، وإباحته شرب الخمر نيابة عن اللحم وأكل النبات وما فيه، وبذلك تقلّ النفقات ويجتمع[3] المال مدة شهرين في كل سنة، وجمع المال محبوب للنفوس.

والمعنى الثالث: فصل الربيع تغزر فيه الدماء وتقوى الحيوانية التي هي الشهوة والغضب في الإنسان، والخمر تثير ما يجده، مع أنها أبداً تهدي إلى نفوس الشاربين لها مسرة كاذبة وتهدي إلى عقولهم مضرة صادقة[4]، فبترك

---

[1] كشف الرأس إشعاراً بالتذلل والخضوع للقس! وهذا مناقض للتوحيد الذي جاءت به الرسل، وقد نهى موسى عليه السلام عن ذلك كما في سفر اللاويين: 10/6: (لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا). وإنما دخل التبديل بكشف رأس الرجل من بولس كما في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى: 11/4 (كل رجل يصلي أو يتنبأ وله على رأسه شيء يشين رأسه). ويزعم مفسرو النص: أن المسيح رأس كل رجل فكشف رأسه خضوعاً له! وأن القسيس إنما يغطي رأسه لأنه يمثل المسيح!

[2] ينظر في وصف قربان النصارى: النصيحة الإيمانية للمتطبب ص: 76، الأصول الوثنية للمسيحية ص: 131.

[3] في الأصل (وتجتمع).

[4] الخمر عند النصارى حلال؛ لأن كل ما يدخل الفم لا ينجس، كما في إنجيل متّى: 15/11، ويزعم النصارى إفكاً أن المسيح شرب الخمر، كما في إنجيل يوحنا: 2. ويتأولون ما ورد من النهي عنها في الكتاب المقدس بأنه حين تسكر أو تضرّ بصاحبها ونحوه! ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: خمر)، لكن ما جاء في الكتاب المقدس بشأن الخمر متناقض يدل على التحريف. ومضار الخمر مجمع عليها عند العقلاء، وإن كان لها منافع كما قال تعالى في سورة البقرة: آية 219: (ﯗ ﯘ □ □ □ □ □ □ □ □ □). قال ابن كثير في تفسير الآية: (وأما

أكل اللحوم / في الفصل ومداومة أكل النبات تنكسر تلك الأخلاق الحيوانية قليلاً، وهو المراد[1]. 36/أ

ثم إن أصحاب القوانين منعوا من كثرة قراءة الإنجيل ومن حفظه في الصدور، وقسموه فصولاً فصولاً، وجعلوا كل فصل مختصّاً في القراءة بيوم أحد أو يوم عيد أو موسم أو وقت حادثة تحدث من عدو أو من آفة سماوية، وطابقوا بين معنى ذلك الفصل وذلك اليوم أو الحادث، ورتّبوا له لحناً وصوتاً يقرأ به ذلك الفصل، واستعملوا في أعيادهم ومواسمهم الأرغون[2]، وسماع أنغامه أوقات

المنافع فدنيوية، من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضيم الطعام، وإخراج الفضلات، وتشحيذ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها. . . وكذا بيعها والانتفاع بثمنها. . . ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين). وغالب ما ذكر في الخمر من منافع على البدن ينكرها الطب الحديث، ففي تقرير منظمة الصحة العالمية رقم (650) لعام 1980: (إن شرب الخمور يؤثر على الصحة، ويؤدي إلى مشكلات تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته). ينظر: الخمر بين الفقه والطب د. محمد البار.

(1) قال القاضي عبد الجبار في تثبيت الدلائل 1/164: (كان للروم والصابئين أيام يصومونها تجري مجرى التقرب للكواكب يمسكون فيها عن أكل اللحم، فلما صاروا إلى القول بإلهية المسيح أقاموها ثم زادوا فيها أشياء ونقصوا، وهم اليوم يصومونها خمسين يوماً. . .) ثم ذكر فرق النصارى وقال: (وهم مختلفون في الصيام. . . والمسيح عليه السلام ما صام هو وأصحابه إلا الصوم الذي صامه بنو إسرائيل). وقد ذكر مثل ذلك ابن القيم في إغاثة اللهفان 2/346 وأن أصل التغيير في بعض طقوس الصوم عند النصارى من المانوية. وينظر: كلام المؤرخ ابن البطريق في تأريخه 1/148 من تأثر النصارى بمذاهب المتنصرين من المنانية (أتباع ماني، والذي أصل مذهبه من المجوس).

(2) في الأصل (الأرغوون) والأرغون: (الأرغانون أو الأورغن) آلة موسيقية يونانية مشهورة في بلاد الروم. ينظر: محيط المحيط للبستاني ص: 8.

صلواتهم كذلك[1]، ولأن التلحين يهز النفوس البشرية، ويحرك طباعها بالطرب، ويشوقها إلى معناها، ويثير منها الساكن الملكاني فيحنّ حنيناً لطيفاً ساذجاً إلى معهدها القديم، وتجد وجداناً بحسب إشراق جوهرها وقوة ضياء حسها، ويكون لسماع ذلك الفصل المقروء من الإنجيل موقع عظيم[2]، وسيما ما فيه من الوصايا والإشارات اللطيفة المسيحية، ولأنه متى تكررت قراءة الإنجيل وسمعت ساذجة بغير تلحين اطلعت العقول الواعية على ما ذكرناه، وحصل الفحص والتفكر، فيكون ذلك سبباً موجباً للانحلال عن تعظيمه والاطلاع على أنه من جمع الجامعين المؤرخين[3].

---

[1] في الأصل (لذلك).

[2] في الأصل (موقعاً عظيماً).

[3] المسيح عليه السلام وتلاميذه لم يكونوا يصلون مع الآلات الموسيقية، وأقدم موسيقى كنسيّة في القرن الرابع الميلادي للقس مارأفرام (ت 373 م) ألفها مقابلة لألحان بارديصان الوثني، وفي القرن السادس كثرت الطقوس الكنسيّة الموسيقية فنظمها البابا غريغوار بما يعرف بالغناء الغريغوري! يقول أغناطيوس برصوم: قام بعض أئمة الدين بإدخال اللحون (الألحان) إلى بيعة الله على ثلاثة أسباب: أولها: مناهضة ألحان الوثنيين وأصحاب البدع. والثاني: الاستعانة بها على العبادة وتنشيط المصلين. والثالث: تنبيه الحواس على إدراك معاني الصلاة!). نقلاً باختصار عن: العلاقة الجدلية بين التأريخ والطقوس المسيحية لأحمد عمران ص: 216. وقال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 28/611: (وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون). وقال ابن القيم في هداية الحيارى ص: 484: (والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كانت الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤون في صلاتهم من التوراة والزبور، وطوائف النصارى إنما يقرؤون في صلاتهم كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجري مجري النوح والأغاني، فيقولون: هذا قداس فلان، ينسبونه إلى الذين وضعوه لهم!). وينظر في نظام صلواتهم واختلافها: العبادات في الأديان

ب/36 وأَين ذلك من كتابنا الشفاء لما في الصدور؟ والميسر للذكر؟ والمحرِّض / نبينا على دراسته وتدبّره والتفكر فيه؟ والذي لعلماء الأمة اليوم سبعمائة سنة يتدبّرونه ويستخرجون من معانيه ويستنبطونه ويكتبون شروحه ولم يبلغوا منه الغاية ولا انتهوا في العلم به إلى النهاية! وتفسيره نحو المائتين والستين[1] تفسيراً، مطولة ومبسوطة، فمن المطولة ما هو خمسون مجلداً فما دونها[2].

ثم إن أصحاب القوانين لمّا لم يجدوا في الإنجيل تفصيل حلال من حرام، ولا تعليم عبادة، ولا قسمة ميراث، ولا تشريع كما بيّنا، واضطرهم التقنين إلى ذلك كله[3]: جعلوا أمر الميراث إلى الميت يخصّ بميراثه من

السماوية لعبد الرزاق الموحي ص: 152.

[1] في الأصل (وستين).

[2] جاء في مفتاح السعادة 2/85: (الكتب المصنفة في التفسير ثلاثة أنواع: وجيز، ووسيط، وبسيط) وذكر أمثلة لها. وما ذكره المؤلف هو ما وقف عليه، وما كتب حول القرآن من مؤلفات لا يقع تحت حصر، والعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة، فقد عدّ السيوطي في كتابه الإتقان ثمانين نوعاً.

[3] قال القرافي في الأجوبة ص: 296: (ليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف، لم ينقلوها عن المسيح عليه السلام، فهي أيضاً في نفسها باطلة، ولو أنها صحيحة فالصلوات وحدها تحتاج آلافاً من المسائل، فأين أحكام الله تعالى في بقية العبادات والأنكحة والمعاملات والأقضية والجنايات والودائع والرهون والديون والأتلاف؟ إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات!). وذكر الباحث د. أبو عبد الله الأمين بامبا في رسالته فقه المعاملات المالية في الأديان السماوية ص: 21: أنه سأل القساوسة عن مراجع معتمدة عندهم في فقه المعاملات المالية فلم يجد جواباً! ويقول د. نظمي لوقا النصراني: (دعوة المسيح خالية من المراسيم والطقوس كما خلت من تشريع المعاملات)! نقلاً عن قضايا إنسانية في الفكر الديني د. المسير ص: 111.

أراد من الأقارب والأجانب[4]، وجعلوا المرأة لرجل واحد، وحرموا الطلاق والجمع بين زوجتين[5]، وأغفلوا الطهر من الحيض والجنابة والوطء[6]، وندبوا إلى أن كل امرأة من نسائهم تتخذ لها إشبيناً كالمؤاخي لها[7]، وتشبّهوا في ذلك بيوسف النجار ومريم البتول عليها السلام![8] وكل

[4] الميراث عند النصارى: لم يأت عن المسيح شيء في قسمة الميراث، بل جاء في إنجيل لوقا: 12/14 رفض المسيح لقسمة الميراث! ، ولهذا يقرّ النصارى بعدم وجود نظام للإرث، وأن الميراث يقسم بالمحبة والعدالة! وإن كان بعض النصارى يأخذ ببعض تعاليم اليهود في العهد القديم وعادات الرومان قديماً ثم بالقوانين الوضعية حديثاً. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: ورث).

[5] حصر الزواج بامرأة واحدة لا يختلف النصارى فيه، ويستدلون له بما في إنجيل مرقس: 10/8. وتحريم الطلاق إلا في تهمة الزنى أو اختلاف في الدين، على خلاف بين كنائسهم، كما في إنجيل متّى: 19/3، وورد عن بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس: 7/10؛ لأن عقد الزواج في اعتقاد الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية سرّ كهنوتي مقدّس لا ينحلّ. وهذا من الغلو الذي لم يلتزموه وكثر بينهم التحايل من أجل الطلاق، وهو من تحريف دين الأنبياء، فقد كان الطلاق مباحاً في بني إسرائيل عند الضرورة، ومثله تعدد الزوجات مع العدل، وقد قال المسيح عليه السلام كما في إنجيل متّى: 5/17: (ما جئت لأنقض بل لأكمل). ينظر: الأجوبة الفاخرة ص: 292، محاضرات في النصرانية ص: 108، حقوق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص: 237.

[6] ينظر: ما سبق في ل ب/23 ص163.

[7] الإشبين: ويقال: شبين وشبينة، كلمة سريانية، بمعنى: حارس أو وصي. وهو عند النصارى: من يصاحب أحد العروسين، أو كفيل المعمَّد. ينظر: محيط المحيط للبستاني ص: 450، المعجم الوسيط ص: 471.

[8] يوسف النجار: ابن هالي من نسب ناثان بن داود (كما في إنجيل لوقا: 3/23) وابن يعقوب من نسب سليمان بن داود

ذلك شرّعوه ورتّبوه وقنّنوه من عند أنفسهم وبما تقتضيه آراؤهم مع رأي قسطنطين!.

وليس لكم أن تنكروا ذلك، وكيف تنكرونه وتواريخ اليهود مع تواريخكم شاهدة[1] به؟[2].

وأمّا زعمكم في قول الله تعالى لنبيّه عليه السلام: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ) الآية[3]، أن ذلك تثبيت للإنجيل وشهادة 37/أ
له بأنه ما بُدّل ولا غيّرت منه كلمة واحدة. فليس كذلك؛

(كما في إنجيل متّى: 1/16)! من بيت لحم وعمل نجاراً في الناصرة، عبرانيٌّ محافظٌ على يهوديته، خطيب مريم عليها السلام وكاد يفسخ الخطوبة بعد خبر حملها، ولا يعرف له سيرة بعد بلوغ المسيح عليه السلام اثنتي عشرة سنة! كذا في مصادر النصارى. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يوسف).
وخطبة يوسف لمريم ذكرها متّى (1/18) ولوقا (1/27)، بينما في إنجيل يعقوب الطفولي (أبوكريفي) 9/12 أنه لم يخطبها وإنما كفلها لتسكن في بيته! وكثير من النصارى يثبت خطبتها دون زواجها، ويعلل المفسر للإنجيل جيروم: أن خطبتها لكي ينسب المسيح لنسل داود فيكون الموعود به، ولكي لا ترجم كزانية! ، ولكي يخرج بها إلى مصر!.

وكل هذا لا يصح؛ لأن مريم عليها السلام كما في القرآن قد انقطعت للعبادة فلم تكن لتتزوج أو تتهيأ له، ففي سورة الأنبياء: آية 91 (ﭑ ﭒ ﭓ)، وقد قالت لجبريل عليه السلام كما في سورة مريم: آية 20: (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ)، وفي إنجيل لوقا: 1/34: (لست أعرف رجلاً!). كما أن اليهود اتهموها بالزنى فقط، فلو كانت مخطوبة لرجمت! كما في شريعة التوراة أن زنى المخطوبة عقوبته الرجم (سفر التثنية: 22/ 23، 27) وهذا يرد ادّعاء جيروم. فالزعم بأنها مخطوبة قبل ولادة المسيح يخالف ظاهر القرآن الذي يثبت تبتّلها وكفالة زكريا لها، كما أنه أنفى لتهمة الزنى عنها وأثبت لمعجزة ولادة المسيح من غير أب. ينظر: تعليق شيخا أ. د. قدح في حاشية 1/114 على كتاب التخجيل.

(1) في الأصل (شاهدون).

(2) ينظر أيضاً: القرافي في الأجوبة ص: 279.

(3) سورة يونس: آية 94. نهاية لوحة 37/أ عند قوله (فإن).

وإنما هذا خطاب العين والمراد به الغير، ولقد أحسنت النساء في قولهن: إياك أعني واسمعي يا جارة[1]، فالمقصود من ذلك تعريف العرب الكفار أن اسمه ووصفه وعلاماته في التوراة والإنجيل كما بيّناه قبل [2].

[1] في الأصل كتب المثل هكذا: الحديث لك يا جارة واسمعي يا كنة. هذا غلط واضح في سياق المثل العربي. وهو من رجز سهل بن مالك الفزاري خاطب به امرأة ويقصد أخرى فأصبح مثلاً. ينظر: مجمع الأمثال للميداني 1/49.

[2] اختلف المفسرون في هل المراد من الخطاب في الآية النبي أم غيره؟ الأكثرون: أن المراد غيره، وهو ما ذكره المؤلف. وقيل: المراد النبي ، ومعناه كقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فبرّني. اختاره ابن جرير. وقال عن القول الأول: إنه غير مدفوعة صحته. وكلا الأسلوبين جارٍ في لغة العرب. قال الإمام ابن تيمية في الجواب 2/358: (المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك به الكافرون). وقال في مجموع الفتاوى 16/325: (ليس في الخطاب أنه أمر بالسؤال مطلقاً، بل أمر به إن كان عنده شك، وهذا لا يوجب أن يكون عنده شك، ولا أنه أمر به مطلقاً، بل أمر به إن كان هذا موجوداً، والحكم المعلق بشرط يعدم عند عدمه). وقال الزركشي في البرهان 3/410: (كل أمر علّق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه). ينظر في تفسير الآية: تفسير ابن جرير 15/203، البحر المحيط لأبي حيان 5/191، أحكام أهل الذمة لابن القيم 1/12 وفيه بحث موسع.

قال الإمام ابن تيمية في رد استدلالهم بالآية بأنها تثبت ما في كتبهم: (إن أرادوا به أنه ثبت ما جاءت به الأنبياء قبله عن الله فهذا حق. وإن أرادوا به أنه ثبت ما هم عليه بعد مبعثه من الشرع الذي خالف شرعه، أو ما ابتدعوه مما لم يأت به الأنبياء عليهم السلام قبله فهذا باطل. وإن أرادوا أنه صدق ألفاظ كتبهم – التوراة والإنجيل – فهذا منازع فيه وإن سلّم به بعض المسلمين، لكن تحريف معانيها وتبديل أحكامها مما يشهد به جميع المسلمين واليهود في كتب النصارى والنصارى في كتب

وكما كانت اليهود يتوعّدون[1] الكفار <في>[2] الجاهلية به وبمجيئه[3]، وأنهم سوف يكونون أنصاره والمنتصرين[4] به على العرب، حتى إذا بعثه الله تعالى كفروا به، فلعنة الله على الكافرين المهدَّدين المنذَرين بقوله تعالى: (ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) الآية إلى قوله: (ﮛ ﮜ)[5].

وأما التبديل والتغيير فقد تقدم فيه من القول <رمزاً وإشارة>[6] ما فيه كفاية ومقنع <وسأجاوب عن ذلك آخر الجواب >[7]، وفي قصة شطبير المزوّر غنية لمن يفهم[8].

وأين يا قوم ما هو منقول بالتواتر، نقلته الألوف عن الألوف حتى وصل إلينا، من منقول عن آحاد، مجهولين، مختلفين في النقل، غير موثوق بهم؟ كامرأة معتوهة

ب/37

اليهود، وإن كانوا يقولون: لم تحرف ألفاظ التوراة. وحينئذٍ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها) بتصرف من الجواب الصحيح 2/380.

[1] في الأصل (يتواعدون).

[2] زيادة لا توجد في الأصل ويقتضيها السياق.

[3] في الأصل (بمحبته).

[4] في الأصل (المنتصرون).

[5] سورة البقرة: آيات 40 - 42. ينظر في استنصار اليهود بالنبي ﷺ قبل مبعثه على العرب: تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: آية 89: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) في تفسير الطبري 2/333، الدر المنثور 1/216، وينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم 1/96، ودلائل النبوة للبيهقي 2/76.

[6] زيادة من هامش الأصل. والمراد تقدم إثبات التغيير والتبديل في كتبهم.

[7] زيادة من هامش الأصل.

[8] قصة شطبير المزور للإنجيل لم أجد من ذكر عنها شيئاً.

وصيّاد للسمك وأربعة مجتمعين ليلاً في مكان متحيزين[1] فيه من عدوهم![2].

ومعنى قولي النقل المتواتر /: هو كالخبر المتواتر من أهل البحر أن صقلية[3] جزيرة كبيرة بالبحر مسكونة ببني آدم يشهد الشاهد بوجودها وإن لم يرها، بل بالنقل المتواتر عنها ممن لا يحتمل تواطؤهم على الكذب، ولا ما يُحتمل من أجله التواطؤ[4].

وأما زعمكم في قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ) الآيات[5]: أن المؤمنين بالغيب أنتم، وأن المؤمنين بما أنزل الله إلى نبينا وما أنزل من قبله نحن المسلمون، وأن الكتاب الذي لا ريب فيه الإنجيل لا غيره. فليس كذلك، من حيثكم وحيث الإنجيل؛ إذ من يقول في الله:

---

(1) يمكن أن تقرأ (متحيّرين).

(2) يريد المؤلف الذين شهدوا حادثة الصلب (أهم عقائد النصارى) كما في إنجيل يوحنّا: 19/25. والمرأة المعتوهة: مريم المجدلية، والصيّاد: يوحنا بن زبدي، نسبة لعمله في صيد السمك. وينظر ما سبق: ل أ/17 ص147. مع أن حادثة الصلب لم يشهدها غير أعداء المسيح من اليهود، وأما تلاميذه فقد تركوه وهربوا كما يحكي مرقس في إنجيله: 14/50.

(3) في الأصل (اصقلية). ينظر: ل ب/8 ص115.

(4) قال الإمام القرافي في الأجوبة ص: 156 -مبيناً جهل النصارى بالمتواتر ونحوه-: (وهم لا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه، وإنما فهِم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية والملة الإسلامية؛ لشرفها وعلو قدرها، واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمتها دون غيرها) ثم وضح شروط التواتر وتخلفها في حادثة الصلب المزعومة. وينظر أيضاً: الفصل لابن حزم 1/58، التخجيل 1/337، الإعلام للقرطبي ص: 416.

والتواتر: لغة التتابع، ينظر: لسان العرب 5/275. وعرّفه القرافي الأصولي: بأنه (خبر أقوام عن أمر محسٍّ، يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة). ينظر: شرح تنقيح الفصول ص: 349، المسودة لآل تيمية (المحققة) 1/471.

(5) سورة البقرة: آيات 1 – 5.

إنه ثالث ثلاثة، وإنه هو المسيح، وإنه اتخذ المسيح ولداً، فليس بمؤمن بالغيب ولا بالشهادة، بل كافر مشرك ضال، مسمّى في كتاب الله تعالى: كافر من كفرة أهل الكتاب المستحقين أليم العذاب.

وأما زعمكم في الإنجيل: أنه الكتاب المنزّل هدىً للمتقين. فقد تقدم القول بأنه القرآن المجيد لا الإنجيل بالدليل الواضح، ولو سلّمنا أنه الإنجيل لكان حجة عليكم، مثبتاً فسقكم؛ لأنكم ضللتم به[1] فلم تكونوا متّقين.

ولو فطنتم من هذه الآيات الكريمة في أول السورة:
أن الله تعالى ذكر المؤمنين وصفاتهم، وذكر المنافقين 38/أ
وصفاتهم، وذكر الكفّار وصفاتهم، وهو من أول قوله /: (
ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ) وإلى آخر قوله: ( )[2]. فاتّلوا ذلك من الكتاب الذي حصّلتموه وتدبّروه تجدوا ذلك ظاهراً باللفظ والمعنى[3].

---

[1] في الأصل (ضليتم) وهو غلط، لأن الضلال أصل كلمته: ضلل، وليس: ضلى. ينظر: معجم مقاييس اللغة 3/356.

[2] سورة البقرة: آيات 1 – 15.

[3] قال القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 90 عن تأويل النصارى للكتاب بأنه الإنجيل: (فمن الافتراء العجيب، والتخيل الغريب، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلّا)، وأجاب عن شبهتهم في الآية، وينظر: تفسير الطبري 1/225، وفيه أشار إلى قول يخالف عامة المفسرين وهو تفسير الكتاب بالتوراة والإنجيل، فليس في المسألة إجماع. وجعل الإمام ابن تيمية تأويلهم للآية على غير ما أراده الله دليلاً على أنهم قد فعلوا ذلك في التوراة والإنجيل؛ فإذا كان القرآن قد عرف تفسيره إجماعاً ونقل عن الرسول نقلاً متواتراً حرفوه وبدلوا معناه، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقلا كما نقل القرآن؟ وليس في أهل الكتاب من يذبّ عن لفظهما ومعناهما كما يذبّ المسلمون عن القرآن!. ينظر: الجواب الصحيح 2/273.

وأما زعمكم في قوله تعالى لنبيّه عليه السلام: (
) الآية[1]: أنه ما أمره بذلك إلا ليقرّكم على دينكم وأعمالكم، وليعرّفكم أنه إنما أرسل إلى العرب خاصة. فليس كذلك، بل رسالته عامة، ودعوته شاملة للإنس والجن كافة بشهادة القرآن العزيز له وإظهار دينه واستعلائه على الدين كله، واقرؤوا ما في أول سورة الكهف من قوله تعالى: (ۈ ۉ ۋ ۋ   ) إلى قوله: (ٿ ٺ ٹ)[2] وليس إلا النصارى القائلون ذلك، والمنذرون منه، والموبّخون على لسانه، إذ هو الموبّخ والنذير لهم، ولأن الله أمره بالعدل بينهم كما في الآية، وبتعريفهم أن الإله واحد، والمعْدَلة[3] لا تكون إلا من حكم حاكم يحكم به على محكوم عليه أو له، وهم الأمة للرسول المأمور بالعدل فيهم لا ريب، وكذا إذا أقرهم على حكم أو حدّد لهم حكماً أو حكم فيهم بكتابهم الأول فإنه حكم منه، كما كان المسيح يحكم بما في التوراة وكتب النبوات، وأقرّ اليهود على / أشياء وتبع شريعتهم في أشياء، وهو مرسل إليهم، ودعوته شاملة لا شك في ذلك[4].

---

(1) سورة الشورى: آية 15.

(2) سورة الكهف: آيات 1 – 5. في الأصل كتبت (إن تقولون) وهو غلط.

(3) كذا في الأصل، بمعنى: طلب العدل. وقد أمر الله تعالى نبيّه بالعدل بين جميع الخلق في آية الشورى، وأمره بالعدل عند الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض عنهم في قوله تعالى في سورة المائدة: آية 42: (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) والراجح فيها أنها محكمة غير منسوخة، وهو قول أكثر المفسرين. ينظر: تفسير الطبري 10/334، تفسير البغوي 3/60.

(4) آية الشورى: أوجبت الإيمان بالكتب المنزلة لا المبدلة كما ذكر القرافي في الأجوبة ص: 92. كما أوجبت العدل بين جميع

وأما قولكم: إنه لا يمكن تغيير كتابكم لكونه باثنين وسبعين لساناً، وهو مفرق في أربع زوايا من العالم، إلى آخر ذلك.

فالجواب: قد علمتم من تواريخكم وتواريخ اليهود أنه لم يكن على وجه الأرض يوم ظهور دين النصرانية بقيام قسطنطين في ظهوره إنجيل غير البشارات الأربع المجموعة باتفاق أصحاب القوانين إنجيلاً واحداً، وهو الذي بين أيديكم يومنا هذا لا غيره، سوى إنجيل الصبوة، وقد تقدم القول فيه[1].

فإن كانت دعواكم بأنه لما جمع كتب باثنين وسبعين لساناً أو اثنين وسبعين قلماً فيحتمل أن يكون ذلك، مع أنه أغرب من عنقاء مغرب كما يقال في المثل[2]، ولو

الخلق، وتبرأت من عمل المشركين وأهل الكتاب، مثلها قوله تعالى في آخر سورة الكافرون: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)، وليس فيها أنه رضي بدينهم ولا أنه نُهي عن جهادهم، وهي محكمة غير منسوخة بآية السيف كما ذهب إليه بعض المفسرين، وتدلّ على البراءة من دينهم، وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ. وقوله: ( ) عامة لجميع المخالفين ولا تخص النصارى، فالسورة مكية، والحجة: كل ما يحتجّ به من حق وباطل، والمراد: أن يقول ذلك عن محاجّتهم بالباطل ظلماً وعدواناً، كقوله في سورة العنكبوت: آية 46 (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) أمر بالجدال ما لم يكن ظالماً. نقلاً بتصرف عن الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/59، وينظر في تفسير الآية: تفسير الطبري 21/517، التحرير والتنوير 26/64.

(1) اختار قسطنطين الأناجيل الأربعة من أناجيل كثيرة، وكثرة أناجيل الجيل الأول لا خلاف فيها بين الباحثين كما تدل عليها مقدمة لوقا لإنجيله. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس (مادة: كتب). وينظر: إظهار الحق 1/110.

(2) عنقاء مغرب: مثل ضربته العرب في الميئوس منه، قال الزجاج: العنقاء المغرب طائر لم يره أحد! ينظر: لسان العرب 10/307، مجمع الأمثال 1/429.

سأل سائل عن هذه الاثنين والسبعين[1] لساناً وطلب أسماء أهمها كان مَثَل مدّعيها كمثل طبّاخ ادّعى صناعة مائة طعام فاخر ثم أخذ يعدّها فتلجلج لسانه بعد عدد عشرة أو عشرين! فقيل له: هذا التلجلج ينبغي أن يكون في عُشر المائة؟

فإن قلتم: إن قسطنطين حشر الأمم من أقصى صين الصين وإلى أقصى ساحل أوقيانوس المحيط المغربي، شرقاً وغرباً، برّاً وبحراً، وحشرهم كذلك / من وراء خط الاستواء وإلى أول إقليم الظلمة[2]، وكتبوا بجملتهم هذا الإنجيل بلغاتهم الاثنتين والسبعين[3]! ففي ذلك ما فيه. 39/أ

وإن قلتم: إن الأربعة الإنجيليين ألقوه إلى أهل المجامع باثنين وسبعين لساناً، كان كمن يقول: نصف العشرة ثلاثة!.

وإن قلتم: إن التلاميذ أخذوه عن المسيح بهذه اللغات كلها، كان مكابرة للمحسوس. وإن لم تجدوا جواباً فحسب العاقل علمه بالشيء إن كان حقّاً أو باطلاً[4].

---

[1] في الأصل (وسبعين).

[2] هذا تحديد للأرض المسكونة في زمن المؤلف (القرن الثامن الهجري) وينظر وصف الأرض وحدودها في: نخبة الدهر للمؤلف ص: 14، معجم البلدان 1/18. الصين: بلاد واسعة مشهورة في أقصى المشرق. أوقيانوس: لفظ يوناني بمعنى محيط، ويسمّى البحر الأخضر والظلمات في أقصى المغرب (ويعرف الآن بالأطلسي). ينظر: معجم البلدان 1/282، 3/440. خط الاستواء: خط وهمي يفصل جنوب الأرض عن شمالها، وفي عصر المؤلف كان ما وراء الخط جنوباً لا يعرف ولم ينفذ إليه. وإقليم الظلمة: السابع من الأقاليم السبعة الواقعة في شمال خط الاستواء، يوازي القطب الشمالي المتجمد، مسكون أوله. ينظر: نخبة الدهر للمؤلف ص: 14، 21.

[3] في الأصل (الاثنين وسبعين).

[4] أجاب الإمام ابن تيمية عن زعمهم بأن كتابهم باثنين وسبعين لساناً! بأجوبة عدّة، منها: أن ما كتب باثنين وسبعين

مع أن تواريخكم تشهد بأن شخصاً يسمّى شطبير زوّر الإنجيل، وأمكنه الزيادة فيه والنقصان منه، وكيف لا يمكنه ويمكن غيره الزيادة والتنقيص وبين كل لغة ولغة ولسان ولسان من هذه اللغات والألسن من التباين والبعد كما بين اللغة العربية والتركية؟! فارجعوا إلى عقولكم لتعلموا ما نحن به عالمون.

وحاشا العقلاء أن يدّعوا أمراً باطلاً ويقولوا: إنهم متمسكون به تمسكاً دينيّاً. والتجازف ممجوج منكور، والألبّاء أجلّ عند نفوسهم من أن يستعينوا في بصيرة دينهم ومذهبهم بباطل، حيث تقولون: إنكم متمسكون بدين المسيح الذي سلّمه إليكم أصحاب القوانين ب/39
والتلاميذ كما تسلّموه هم من المسيح، وتعلمون أن بين أيام قسطنطين وتقنين دين النصرانية وبين زمن المسيح نحو المائة سنة / أو أزيد[1].

وتعلمون أيضاً بشهادة معقولكم أن اليهود الفريسيين[2] –أعني: علماء اليهودية– لم يكونوا ليصلبوا المسيح ويقتلوه بسبب ما ادّعاه ثم تكونوا بعد هلاكه أتباعَه[3] من إظهار دعوته وإعلان ما أنكرته اليهود عليه

لساناً أقرب إلى التغيير مما كتب بلسان واحد. ومنها: وقائع التأريخ التي تشهد بتبديل كتبهم واختلاف نسخها. ومنها: أن تعذر جمعه من زوايا العالم يدل على أنه لا يمكن الجزم بأنها متفقة في اللفظ والمعنى. ومنها: أنه لم يقل أحد من المسلمين إن جميع ألفاظ كتبهم قد غُيّرت (مكان دعواهم) وإن كان في ألفاظها ما قد غُيّر. ومنها: أن دعوى اتفاق جميع نسخ كتبهم بلسان واحد كالعربي ممتنعة، فكيف باتفاق النسخ في جميع الألسن؟ ينظر: الجواب الصحيح 3/14، 31، 45.

[1] بل أزيد، والصواب: أن بين قسطنطين والمسيح عليه السلام ثلاثة قرون. ينظر التعليق في: ل أ/10 ص122.

[2] في الأصل (الفريسيون) وهو غلط.

[3] في الأصل (تباعه).

وقتلته به! هذه قضية لا يقبلها العقل السليم؛ ألا ترون[1] أن بطرس كيف أنكر المسيح وحلف أنه ما صحبه ولا يعرفه! وكيف هربت التلاميذ إلى كل مخبأٍ! وكيف بقيت النساء خائرات يبكين![2] وكل من كان مؤمناً بالمسيح كتم إيمانه وبقي عليه إلى أن استدعى قسطنطين أهل مدينة الناصرة! وكان ما كان من تقنين دين النصرانية.

---

[1] في الأصل (تروا) والموافق للعربية إثبات النون.

[2] ينظر في إنكار بطرس وهروب التلاميذ: إنجيل متّى: 26. وإنجيل مرقس: 14. وإنجيل لوقا: 22. وإنجيل يوحنّا: 18.

فصل

ثم قلتم في الرسالة سياقاً - مستشهدين بقوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ) الآية[1] -: **إنه عنى بقوله: (ﭦ) أي: عنه كنّا ونحن العرب التابعين لما جاء في كتابه[2].**

وأما (ﭗ ﭘ) : فما يشكّ أنهم اليهود، الذين سجدوا لرأس العجل فكفروا بالله مراراً كثيرة، وقتلوا أنبياءه، وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين[3]، حسبما شهد الله عليهم قائلاً على 40/أ
لسان نبيّه داود النبيّ في كتاب الزبور في مزبور مائة وخمسة يقول: (ذبحوا بنيهم وبناتهم للشيطان /، وأراقوا الدماء لمنحوتات كنعان، وقد نجّست الأرض بالدماء، وتنجست أعمالهم، وزنوا، وسخط الرب عليهم، ورَذلَ ميراثهم[4])[5].

---

[1] سورة العنكبوت: آية 46.

[2] (ونحن) إشارة إلى خاتمة الآية (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) وفي الجواب الصحيح 3/74 والرسالة: (**لم يقل: كونوا له مسلمين، ولكن (ونحن) أي: عنه وعن العرب التابعين له، ولما أتى به وجاء في كتابه**) والجملة الأخيرة لا توجد في ن 2، ن 3 من الرسالة.

[3] في الجواب الصحيح 3/84 والرسالة زيادة: (**مراراً كثيرة ليس واحدة. . . ليس حيوانات غير ناطقة فقط، بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد. . .**).

[4] في الأصل: ميزانهم، والتصويب من الجواب الصحيح 3/84، وفي الرسالة: (**وسخط الرب بغضبه على شعبه وأرذل ميراثه).** وينظر: سفر المزامير: 106/40.

[5] بلفظ مختلف وفيه زيادات في سفر المزامير: 106/37 - 40. (فانديك): (وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دماً زكيّاً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم، فحمي غضب الرب على شعبه وكره ميراثه). وفي الجواب الصحيح والرسالة النص

وقال أيضاً على لسان إشعيا النبي : (يقول الله في بني إسرائيل: سمعوا كلامي ووصاياي فلم يحفظوها، وغيّروا كل ما أوصيتهم، ونقضوا الميثاق الذي كتبت عليهم وجعلته لهم إلى الأبد، فلذلك أجلستهم على الخزي والخراب، وأهلكتهم، وانقطع عمن بقي منهم الفرح والسرور. هكذا قال الله على سكان أورشليم بني إسرائيل: سأبدّدهم بين الأمم، وفي تلك الأيام يرفعون الأمم أصواتهم، ويمجّدون الله ويسبّحونه بأصوات عالية، ويجتمعون من أقطار الأرض، ومن جزائر البحر، ومن البلدان البعيدة، ويقدّسون اسم الله، ويرجعون إلى الله إله إسرائيل، ويكونون[1] شعبه، وأما بنو إسرائيل فيكونون مبدّدين في الأرض)[2].

وقال أيضاً على لسان إشعياء النبي: (يقول الله: يا بني إسرائيل نجّستم الجبل المقدس فإني سأفنيكم بالحرب وتموتون، وذلك لأني دعوتكم فلم تجيبوني، وكلمتكم فلم تسمعوني، وعملتم الشر بين يدي)[3].

أقرب إلى ما في سفر المزامير.

(1) في الأصل: (ويكونوا. . . فيكونوا). والتصويب من الرسالة.

(2) لم أجده بهذا النص، ولكن ورد معناه في سفر إشعياء: 24/4 – 16، وبلفظ أقرب في سفر أرميا: 9/13 - 16 (فانديك): (فقال الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم، لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: ها أنا ذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم).

(3) جاء في سفر إشعيا: 65/11، 12، مع اختلاف في بعض ألفاظه.

وقال إشعياء النبي أيضاً: (إن الله قد بغض بني إسرائيل، من بيته قد أخرجهم، ولا يغفر لهم لأنه قد لعنهم، / وقد جعلوا لعنة الناس، فلذلك أهلكهم الله وبدّدهم بين الأمم، ولم يعد يرحمهم ولا ينظر إليهم برحمته إلى أبد الآبدين، ولا يقربون لله قرباناً ولا ذبيحة في ذلك الزمان، ولا يفرح قلوبهم، لأنهم قد ضلوا من الله)[1]. ب/40

وقال أرميا النبي: (قال الله: كما أن الحبشي لا يستطيع أن يكون أبيض فكذلك بنو إسرائيل لا يتركون عادتهم الخبيثة، ولذلك إني لا أرحمهم ولا أشفق عليهم ولا أرق على الأمة الخبيثة ولا أرثي لها)[2].

---

[1] () لم أجد النص في سفر إشعيا، ولكن جاء ضلال بني إسرائيل في السفر: 1/4.

[2] () في الرسالة زيادة في خاتمته: (قال الرب الله) وفي الرسالة ن 2: (الزنجي) بدلاً من الحبشي. ولم أجده في سفر أرميا بهذا النص، إنما بفقرات ليست متوالية في الإصحاح 13: 14، 23: (الكاثوليكية): (يقول الرب: ولا أشفق ولا أرثي ولا أرحم في إهلاكهم. . . هل يغير الحبشي جلده والنمر رقطه؟ وأنتم، فهل تقتدرون أن تصنعوا الخير وأنتم معتادون الشر؟).

وقال حزقيل النبي[1]: (قال الله: إنما رفعت يدي عن بني إسرائيل وبدّدتهم بين الأمم لأنهم لم يعملوا بوصاياي ولم يطيعوني، وخالفوني فيما قلت لهم، ولم يسمعوا إليّ)[2].

ومثل هذا القول في التوراة وكتب الأنبياء وزبور داود شيء كثير يقرؤونه اليهود اليوم في كنائسهم، ويصدّقون به ولا ينكرون[3] منه حرفاً واحداً[4].

وأما نحن النصارى فلم نعمل شيئاً مما عملته اليهود، فلذلك[5] كان في هذا الكتاب قوله: (   ) الآيات [6]، فذكر القسيسين والرهبان لئلا

---

[1] () حزقيل النبي: (حزقيال) اسم عبري بمعنى: الله يقوي، ابن بوزي من عشيرة كهنوتية، أحد الأنبياء الكبار في بني إسرائيل، تنبأ بين (593 - 571 ق. م)، وتأثر بأرميا وتعاليمه، ولا يعرف 41/أ
وقت وفاته ولا مكانه، ينسب إليه أحد أسفار العهد القديم، عدد إصحاحاته (48). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: حزقيال)، المنجد في الأعلام ص: 233.
وسفر حزقيال من أقدم الأسفار التوراتية، ويختلف النقاد في وقت كتابته، ومَن كتبه؟ ، كما أن صياغاته ومصطلحاته تختلف مع بقية الأسفار مما جعله محل تجاهل بعض علماء اليهود. ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس للقس حبيب سعيد ص: 116، رسالة في اللاهوت ص: 326، إظهار الحق 1/114، التوراة تأريخها وغايتها ترجمة سهيل ديب ص: 48.

[2] () جاء في سفر حزقيال: 20/23، 24 مع اختلاف في بعض ألفاظه. وينظر أيضاً: الإصحاح السادس من السفر.

[3] () في الأصل: يصدقوا. . . ينكروا.

[4] () في الجواب الصحيح 3/87 والرسالة زيادة: (**ومثل ما هو عندهم، وكذلك عندنا في جميع الألسن**).

[5] () في الرسالة ن 3 والجواب الصحيح 3/107: (وكذلك. . .).

[6] () سورة المائدة: آيات 82 – 85، وفي الرسالة سياق لكامل الآيات.

يقال: إن هذا[1] عن غيرنا. ودلّ بهذا على جميع أفعالنا، وحسن نيّاتنا، ونفى عنّا اسم الشرك بقوله: اليهود والذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا، والنصارى أقربهم مودة[2]. /

وقال أيضاً < في سورة البقرة >[3]: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ) الآية[4] فساوى بهذا القول بين سائر الناس: المسلمين وغيرهم[5].

ثم مدح قرابيننا، وتواعدنا إن أهملنا ما معنا، وكفرنا بما أنزل إلينا، يعذّبنا عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين، وذلك في قوله في سورة المائدة: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) إلى قوله: (ﭼ ﭽ)[6].

فالمائدة: هي القربان المقدّس الذي نتقرب به في كل قدّاس[7].

---

(1) في الرسالة: (**أن هذا قيل عن غيرنا**).

(2) هذا سياق لمعنى الآية! وهي قوله تعالى: (...) الآية.

(3) زيادة من هامش الأصل.

(4) سورة البقرة: آية 62. وفي الرسالة سياق لتمام الآية.

(5) في الجواب الصحيح 3/121: (**اليهود والمسلمين وغيرهم**) وفي الرسالة: ن 1 (**أفيشكوا في هذا القول بين سائر الناس**...) وفي ن 2، ن 3 (**وأفصل في هذا القول**...).

(6) سورة المائدة: الآيات 112 – 115. وفي الرسالة سياق لكامل الآيات.

(7) القدّاس عند النصارى: هو من الطقوس الدينية التي يقدم فيها القربان المكوّن من خبز وخمر (رمزاً أو تحوّلاً، على خلاف بين الكنائس) لدم المسيح وجسده، إشارة للتكفير عن الخطيئة الأولى بزعمهم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: قربان) ولم يعرف القدّاس في تأريخ المسيحية إلا بعد العام 150 م، مشابهاً لوثنيات سائدة في الرمزية للتجسد والخلاص!. ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص: 160، والأصول الوثنية للمسيحية لمؤلفين عدة. ترجمة. سميرة الزين، ص:

ولما تقدم به القول؛ فإنه غير لائق بذوي الألباب أن تهمل روح القدس وكلمة الله الذي شهد له في هذا الكتاب بالمعظّمات[1]، وقال عنه: (ڻ ڻ ٹ ٹ □ □ □ □ □) الآية[2].

ثم شهد هذا الكتاب لقرابيننا وذبائحنا أنها مقبولة لدى الله، وشهدت بذلك[3] كتب اليهود التي بأيديهم يومنا هذا المنزّلة من عند الله على أفواه الأنبياء:

ومن ذلك قول إشعياء النبيّ: (قال الله: إني أعرف لبني إسرائيل قلوبهم القاسية الخبيثة، فإذا أنا ظهرت < إلى >[4] الأمم فنظروا إلى كرامتي، أقيم منهم أنبياء وأبعث منهم مخلّصين، يخلصون الأمم من البلدان القاصية، ب/41
للذين لم يسمعوا بسماعي، ولم يعرفوه من قبل كرامتي، ويكون اسمي فيهم، ويجيئون[5] بقرابين لله / على الدّواب والمراكب إلى جبل قدس أورشليم، فيقرّبون لي القرابين بالسميد

---

124. وهو من فضائح معتقد النصارى المناقض للعقول والفطر السليمة. ينظر: تحفة الأريب للترجمان ص: 161، والتخجيل للقاضي الجعفري 2/585 وتعليق شيخنا أ. د. محمود قدح.

(1) في الجواب الصحيح 3/129 والرسالة: (**لأنه غير لائق. . . أن يهمل. . . شهد لهما. . . بالعظائم**) وفي الجواب: (**فقال عن كلمة الله:. . .**).

(2) سورة النساء: آية 159. وفي الرسالة غلط في كتابة الآية.

(3) في الرسالة والجواب 3/137: (**ثم يشهد لقرابيننا. . . من كتب اليهود**. . .).

(4) زيادة من هامش الأصل.

(5) في الأصل (يجييوا).

كما كانوا بني إسرائيل[1] من قبل، وكذلك باقي الأمم، وتقرّب القرابين بين يدي، فهم وزرعهم إلى الأبد يحجّون في كل شهر، ومن سنة إلى سنة إلى بيت القدس بيت الله، وكلهم يقرّبون لله ربّهم فيه قرابين زكية نقية، وينظرون إلى الأمة الخبيثة الماردة بني إسرائيل، لا يبلى خزيها[2]، ولا ينقطع بلاؤها إلى الأبد)[3].

وقال دانيال[4] النبي: (سيأتي على شعبك وقرية قدسك سبعون[5] سابوعاً، وتنقضي الذنوب وتفنى الخطايا وغفران الإثم، ويؤتى بالحق الذي لم يزل من قبل[6]، ولتتمّ نبوءات الأنبياء وكتب الرسل، وتشتد[7] قرية القدس وتخرب مع مجيء المسيح، ويفنى الميثاق العتيق من الناس، ومن بعد أسبوع ونصف تبطل

---

(1) كذا في الأصل ونسخ الرسالة، والصواب: (كان بنو اسرائيل).

(2) يمكن أن تقرأ (حزنها). وكذا وردت في الجواب الصحيح 3/137، والرسالة ن2، ن3.

(3) جاء في سفر إشعيا: 66/14 – 18. مع اختلاف في بعض ألفاظه. وسبق سياق بعضه في: ل ب/7 ص109.

(4) في الأصل: (دانيل).

(5) في الأصل: (سبعين). والتصويب من الجواب الصحيح 3/138.

(6) في الجواب الصحيح 3/138 والرسالة: (الذي لم ينزل من قبل).

(7) في الجواب الصحيح 3/138: (وتبيد) وفي الرسالة: (تفسد).

ذبائح اليهود وقرابينهم، وتصير على كف النجاسة والفساد إلى انقضاء الجرمة[(1)] [(2)].

وقال ميخا النبيّ[(3)]: (قال الله: في آخر الزمان إذا أتى المسيح يدعو الأمم المبدّدة ويصنعهم شعباً واحداً، ويبطل قتال بني إسرائيل وسلاحهم وملكهم وقرابينهم إلى الأبد)[(4)].

وقال عاموص النبيّ[(5)]: (لا تذبحوا بعد العجول، فإن الرب سيأتي إلى صهيون / ويحدث 42/أ

---

[1] في الجواب الصحيح 3/138: (انقضاء الدهر) وفي الرسالة: (الجرم).

[2] جاء في سفر دانيال: 9/24 – 27. مع اختلاف في بعض ألفاظه.

[3] ميخا النبيّ: اسم عبري بمعنى (من كيهوه؟) سادس الأنبياء الصغار، ويسمّى بالمورشتي نسبة لقريته مورشة، تنبأ بين (751 - 693 ق. م) كان معاصراً لإشعيا ومشابهاً له في كتابته. له سفر باسمه، عدد إصحاحاته سبعة، وفيه مواعظ لمملكة يهوذا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: ميخا)، ومقدمة السفر من الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت.

[4] جاء معناه في سفر ميخا: 4/2 - 5، وفي: 2/12، ولم أجده بلفظه.

[5] عاموص النبيّ: (عاموس) اسم عبري بمعنى (حمل) من قرية تقوع جنوب بيت لحم، ثالث الأنبياء الصغار، عمل راعياً وزارعاً للجميز (شجر يثمر فاكهة تشبه التين) عاش في القرن الثامن ق. م، وتنبأ وبشّر في مملكة الشمال، وينسب إليه سفر باسمه، عدد إصحاحاته تسعة، فيه سجل لأحداث مملكة إسرائيل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: عاموس)، ومقدمة السفر من الكتاب المقدس ط. دار المشرق، بيروت.

وصية جديدة طاهرة من الخبز النقي والخمر الزكي، ويعبرون[1] بنو إسرائيل مطرودين)[2].

وهذا أيضاً يقرؤونه اليهود في كنائسهم ولا ينكرون منه حرفاً واحداً[3].

وأيضاً من قول هذا بما أتى به في كتابه حيث أتبع القول: إنه لم يرسل إلينا، مع تشكّكه فيما أتى به بقوله في سورة سبأ: (ﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁ)[4]، وأيضاً في سورة الأحقاف: (ﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗ)[5].

مع الأمر له في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية للصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخرها[6]، فعنى بقوله: المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين، هم: الثلاث أمم الذين كانوا في عصره، وهم: النصارى، واليهود، وعباد الأصنام، ولم يكن في

---

[1] في الأصل: (ويعبروا) وفي الجواب الصحيح 3/139 والرسالة: (ويصيروا).

[2] جاء معناه في سفر عاموس: 5/21 - 27، وفي: 6/4 - 7، ولم أجده بلفظه. **يلاحظ أن النصوص السابقة هي من رسالة النصارى، وهي مما يقرّون به، ولا توجد في كتبهم الحالية على اختلاف طبعاتها إلا مع اختلاف في ألفاظها أو توجد بمعناها! مما يدل على التحريف المتواصل لكتبهم.**

[3] في الجواب الصحيح 3/149 والرسالة ن 2، ن 3: (**فماذا يكون أعظم من هذا برهاناً، وأقوى شهادة؛ إذ هذه كتب أعدائنا المخالفين لديننا، وهم يقرّون بذلك ويقرؤونه في كنائسهم**).

[4] سورة سبأ: آية 24.

[5] سورة الأحقاف: آية 9.

[6] في سورة الفاتحة: الآية 7 وهي قوله تعالى: (**ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ**). وفي الجواب الصحيح 3/164 والرسالة ذكر لكامل الآية.

زمانه غير هذه الثلاث أمم، فالمنعم عليهم: هم نحن النصارى، والمغضوب عليهم: فلا شك أنهم اليهود، الذين غضب الله عليهم في كتب النبوءات، والضالين: هم عباد الأصنام، الذين ضلوا عن معرفة الله، فهذا أمرٌ واضح بيّن ظاهر عند كل أحد، سيما ذوو[1] العقول.

والصراط: هو المذهب[2] وهذه لفظة رومية، لأن الطريق بالرومية: اسراطا[3]، بقول / الأسقف دميان[4]. ب/42

---

(1) في الأصل: ذوا. وفي الجواب الصحيح 3/164 والرسالة: (ولا سيما عند ذوي العقول والمعرفة).

(2) في الجواب الصحيح 3/164 والرسالة زيادة: (**أي: الطريق**).

(3) في الرسالة ن 1: (**وهذه لفظة يونانية؛ لأن الطريق باليونانية: اسطراط**).

ذكر أن أصل كلمة (صراط) رومية: ابن الجوزي في فنون الأفنان ص: 351، والسيوطي في الإتقان 3/956 ط. المجمع. وقد اختلف في وجود المعرّب في القرآن، وأحسنه ما جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام: أن ما كان بغير لسان العرب في الأصل ثم لفظت بها العرب فعربتها، فقد صارت عربية بتعريبها إياها، وإن كانت في الأصل أعجمية. ورجحه الجواليقي وابن الجوزي وابن فارس. واختار ابن جرير الطبري في تفسيره 1/9: أن ذلك من اتفاق اللغات. ينظر الخلاف في وجود المعرب في القرآن في: البرهان في علوم القرآن 1/290، والإتقان للسيوطي 3/934. والإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/178 قد ردّ قول النصارى بأن الصراط لفظة رومية، وإنما هي عربية عرباء، وذكر نطق العرب بها وتصاريفها.

(4) نسبة القول إلى الأسقف دميان لا توجد في الجواب الصحيح ولا في الرسالة. ودميان: اشتهر بهذا الاسم دميان اليعقوبي أسقف الأقباط بين 569 - 605 م، وفي وقته كان سلطان كنيسة الإسكندرية خاضعاً لبابا الروم. ينظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسي ص: 271، ووصف دميان في الجواب الصحيح 1/120: الأسقف الملك الرومي، وأنه قابل علماء

فالجواب: أما اليهود فإنّهم مذمومون في كتابنا، وعلى لسان داود وعيسى ابن مريم، ومضروبة عليهم الذلة والمسكنة، وباؤون بغضب من الله، وأينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وذلك لعتوّهم وعنادهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، وافترائهم على المسيح وأمّه، ولأنهم آمنوا بموسى ثم كفروا به مرّات، ثم آمنوا بعيسى ثم كفروا به عند مجيئه، ثم آمنوا بمحمد قبل ظهوره ثم كفروا به عند إتيانه، وكانوا أشد الناس عداوة له ولمن آمن به، وهذا هو الظلم الفاحش والكفر المكرّر، إذ الظلم معناه: الخروج عن الحق ووضع الباطل موضع الحق. ولمّا كان هذا الغيّ هو الظلم؛ كانوا المخالفون[1] لكتابنا، والخارجون عن الحق الذي جاء من 43/أ
ربنا، والقائلون: إن الواحد الأحد ثالث ثلاثة، هم الظالمون الضالون وهم المشركون وكفرة أهل الكتاب كما سمّاهم الله تعالى ورسوله، ولم يكونوا بالمؤمنين الأقربين إلينا مودة والفائضة أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، والذين آمنوا بالله ورسوله النبيّ الأميّ وباليوم الآخر، أي: يصدقون بما جاء به نبيّنا / من خبر القيامة والجنّة والنار والحساب والمجازاة، بل أولئك هم النصارى الحبوش: النجاشي وأهل مملكته، الذين آمنوا بالنبيّ وبما جاء به، وآووا من هاجر إليهم من المسلمين، وأرسلوا أولادهم

جزيرة قبرص. والظاهر أنه ملكي نسبة لطائفة الملكية لا أنه من ملوك الرومان، وربما يكون أحد من كتبوا هذه الرسالة.

[1] في الأصل: (كانوا المخالفين) والتصويب على لغة (أكلوني البراغيث) المنسوبة لقبيلة طيّئ. ينظر: أوضح المسالك لابن هشام 1/345.

وهداياهم إلى النبي [1]، كما أخبر داود نبيّه به [2]، فهؤلاء المؤمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا الذين هم باقون على تهوّدهم وتنصّرهم وصابئيتهم، فإنّ هؤلاء مردودة عليهم أعمالهم، لن يقبل[3] منهم غير الإسلام ديناً.

ومثلهم في إقامتهم على التهوّد والتنصّر والتمجّس كمثل إنسان مرض بالحمّى المحرقة وغلبة الصفراء، فجاءه طبيب ذلك الزمان ووصف له شراب السكنجبين واللينوفر وكل قامع للصفراء مبرّد للحرارة المفرطة[4]، فاستعمله المريض فبرأ، ومضت عليه سنون، ومرض مرضة ثانية بالفالج وغلبة البلغم، فجاءه طبيب ثانٍ عارف بالمرض والعلاج، فوصف له شراب الأسطوخودس

---

(1) إشارة إلى سبب نزول الآيات (82 - 85) في سورة المائدة. قال الطبري في تفسيره 10/502 بعد ذكر الخلاف في سبب نزولها: (والصواب في ذلك من القول عندي: أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: إنا نصارى. أن نبيّ الله يجدهم أقرب الناس ودادًا لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمّ لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي. ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه).

(2) بشارة النبيّ داود عليه السلام سبق سياق المؤلف لها. ينظر في ل ب/6 ص105.

(3) في الأصل: تقبل.

(4) السكنجبين: معربة من الفارسية: سركا انكبين. بمعنى: خل وعسل، ويراد به كل شراب حامض حلو. ينظر: تذكرة داود الأنطاكي ص: 234. واللينوفر: كلمة فارسية بمعنى: ذي الأجنحة. الأشهر في اسمه تقديم النون (نيلوفر) ويسمّى (النينوفر) وهو نبت مائي له أصل كالجزر، من أجود ما استعمل لقطع الحمى. ينظر: تذكرة داود ص: 344، 398. الحمّى: حرارة غريبة تصيب البدن، وهي أنواع، ومنها الصفراء وهي التي تصيبه غبّاً. ينظر: القانون لابن سينا ص: 1765.

والزنجبيل المربّى وكل ما هو محلّل للبلغم مسخّن للبدن[1]، فأبى ذلك المريض أن يستعمل إلا ما وصفه له الطبيب الأول، وغاب عن هذا المريض الصواب في أن مرضه الثاني غير الأول، وأن لكل مرض دواء وعلاجاً، وأنه / لو كان الطبيب الأول معاصراً للثاني لم يخالفه فيما وصف. ب/43

وكذلك أهل الكتاب لمّا مرضوا المرض الروحاني طبّهم موسى بما اقتضاه حالهم فبرئوا، ثم مرضوا ثانياً وبلغوا الموت فجاءهم عيسى بطبّ روحاني غير ما جاءهم به موسى، فأنكروه، وقالوا: ما يُسمع غير قول موسى ولا يُترك مذهبنا المأخوذ عنه. فهلكوا إلا من آمن بعيسى وتلقى طبّه بالقبول، ثم مرضوا مرضة ثالثة بالكفر والشرك والابتداع لما ابتدعته النصارى في زمن قسطنطين وفيما بعده، فجاءهم نبيّنا محمد بالطبّ الأكبر والمعرفة لمرض هؤلاء وهؤلاء، أعني: اليهود والنصارى، ووصف لهم أحسن وصف، وعرّفهم أبلغ تعريف، ونصح الجميع أعظم نصح، فمنهم من آمن وصدّق وقبِل الوصف فبرئ وتعافى قلبه وسلمت نفسه وفُصل من الكفر والنفاق، ومنهم من أصرّ على كفره

[1] الأسطوخودس: يوناني معناه (موقف الأرواح) وهو نبت رقيق يسمّى في المغرب بالشيح الجبلي. ومنه رومي ومغربي، وهو مفتح محلّل. ينظر: تذكرة داود ص: 56. الزنجبيل: نبت له أوراق عراض يفرش على الأرض، يستأصل البلغم واللزوجات والرطوبات الفاسدة. ينظر: تذكرة داود ص: 219. الفالج: هو شلل يصيب أحد طرفي الجسم. والبلغم: من أخلاط الجسم يصيب المسالك التنفسية. ينظر: المعجم الوسيط 699، 70.

وشركه وجحوده فطال مرضه وأزمن[2] حتى هلك، وقيل له: ادخل النار مع الداخلين.

وأما قولكم: إن المائدة هي قرابينكم. فليس كذلك، لأن القرابين مذكورة في القرآن العزيز[1]، والمائدة / مذكورة أيضاً وهي غيرها، وتواريخكم تشهد أن المائدة غير القربان، وأنه كان عليها خبز وبقل وسمكات وزيتون، وأكل منها قدّام المسيح خلق كثير يتداولون عليها، قوم يشبعون ويقومون، وقوم يجلسون ويأكلون[2]، وذلك 44/أ

---

(2) أزمن: من الزمانة، وهي: العاهة تصيب الإنسان فتقعده. ينظر: معجم مقاييس اللغة 3/23.

(1) ذكرت قرابين بني إسرائيل في قوله تعالى في سورة آل عمران: آية 183: (ڄ ڃ ڇ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڃ ڇ ڇ ڃ ڄ ڇ)، وفي سورة المائدة: آية 27: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ڑ) على قول الحسن البصري: أنهما رجلان من بني إسرائيل لا من ولد آدم لصلبه. وهو خلاف قول جماهير المفسرين. ومعنى القربان عند المفسرين: هو ما يذبح من النعم أو غيره ويوضع في مكان معين لتأكله النار دليلاً على قبوله. ينظر: تفسير الطبري 10/209. وقرابين بني إسرائيل التي هي أشبه بالنذور والذبائح ولها طقوس في شريعة التوراة غيرُ قرابين النصارى المبتدعة المسمّاة (بالعشاء الرباني) التي هي رمز لدم المسيح المصلوب وجسده بزعمهم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: قربان).

(2) إشارة إلى معجزة الخبز والسمكتين الواردة في إنجيل متّى: 14/13 - 21، وإنجيل مرقس: 6/32 – 44، وإنجيل لوقا: 9/10 - 17، وإنجيل يوحنّا: 6/1 - 15. وما ذكره المؤلف أشار إلى مثله رشيد رضا في تفسير المنار 7/217 وأن معجزة إطعام الخلق الكثير هي أصل خبر المائدة لكنه مما تحرّف في كتبهم، كما أشار إلى احتمالية وجود خبر المائدة في الأناجيل غير القانونية. وذكر غير واحد من المفسرين كابن كثير والطاهر بن عاشور أن خبر المائدة لا تعرفه النصارى إلا من المسلمين. ينظر: تفسير ابن كثير 3/225، التحرير والتنوير 7/112. وهذا هو الأقرب؛ لأمور، منها: أن المائدة في الآية أنزلت من السماء ولم تكن كذلك في المعجزة المذكورة في الأناجيل. ومنها: ما كان مع المائدة من الوعيد الشديد الذي لا يكون مع سائر المعجزات كإطعام الجمع الكثير بالطعام القليل؛ وذلك لظهور

معنى العيد لأولهم وآخــــــــــــــــــــــــرهم، أي: المعـــــــــــاودة للأكل علــــــــــــــــيها[1]، وعلامة قرب المسيح من الله تعالى إجابته لدعائه[2].

حجّتها بما لا يمكن معه الشك، ويشبهها معجزة الناقة لصالح عليه السلام. ومنها: أن ما ضاع من الأناجيل أو تحرّف كثيرٌ، ولم يكتب كل ما جاء عن المسيح عليه السلام ومن ذلك معجزاته، كما جاء في إنجيل يوحنّا: 21/25. وصدق الله العظيم في كتابه: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) سورة النمل: آية 76 .

(1) ما ذكره المؤلف في معنى العيد مروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وقيل معناه: يكون حجة علينا وبرهاناً. وقيل: أي نتخذ يوم نزولها عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا، واختاره ابن جرير. ينظر: تفسير الطبري 11/225، وتفسير البغوي 3/119. وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط 4/56: (الأولية والآخرية نسبيتان، فاحتملتا الأكل والزمان والرتبة، والظاهر الزمان). وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير 7/108: (أي: لأول أمة النصرانية وآخرها، وهم الذين ختمت بهم النصرانية عند البعثة المحمدية)، ثم قال: (وهذا العيد الذي ذكر في هذه الآية غير معروف عند النصارى)، ثم ذكر العشاء الأخير عند النصارى ليلة الفصح واتخاذهم يومه عيداً كما في اليهودية.

(2) اختلف المفسرون: هل نزلت المائدة أم لا؟ جاء عن مجاهد والحسن: أنها لم تنزل، وأنهم لما سمعوا الوعيد استعفوا من طلب نزولها. وقال جمهور المفسرين: إنها نزلت. واختاره ابن جرير وصوبه القرطبي وأبو حيان وابن كثير وغيرهم. ينظر: تفسير الطبري 11/231، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 6/285، تفسير ابن كثير 3/231. قال الطاهر بن عاشور في تفسيره 7/111 في المراد من القصة: (وهو العبرة بحال إيمان الحواريين وتعلقهم بما يزيدهم يقيناً، وبقربهم إلى ربهم، وتحصيل مرتبة الشهادة على من يأتي بعدهم، وعلى ضراعة المسيح الدالة على عبوديته، وعلى كرامته عند ربه إذ أجاب

ثم لما كان في علم الله تعالى أن بعض تلاميذ المسيح يكفر بعده ويشرك، ككفر يهوذا أسخريوطي[1] وهلاكه، وكفر الذي افترى على المسيح وزعم أنه قال: عمّدوا العالم باسم الثالوث، وأمر بالشرك بالله [2]، وككفر من اتخذه إلهاً من دون الله[3]، قال الله: (ﭬ ﭭ ﭮ) يعني: المائدة، (ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) الآية، فالمائدة كانت من معجزات المسيح لا مما زعم أنه قال عن خبز السميد

دعوته، وعلى سعة القدرة. وأما تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه. وقد أكثر فيه المفسرون بأخبار واهية الأسانيد، سوى ما أخرجه الترمذي في أبواب التفسير عن الحسن بن قزعة بسنده إلى عمار بن ياسر قال: قال رسول الله : (أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادّخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير). قال الترمذي: هذا الحديث رواه غير واحد عن عمار بن ياسر موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً).
وأخرجه الطبري في تفسيره 11/229. وهو لا يثبت مرفوعاً كما قال الترمذي، لكنه أحسن ما قيل في قصة المائدة، كما قال أبو حيان في تفسيره 4/57. ينظر: ضعيف الترمذي للألباني رقم: (587). وبالجملة: فلا تصح دعوى النصارى في المائدة أنها قربانهم المقدس. قال الإمام ابن تيمية في الجواب 3/127 ردّاً لزعمهم: (هو أولاً: قول لا دليل عليه. وثانياً: هو قول معلوم الفساد بالضرورة من دين المسلمين الذين نقلوا القرآن. . . ولم يقل أحد إنها قرابين النصارى، وليس في لفظ الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على خلاف ذلك، فإن الآية تبين أن المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء!). وينظر: الأجوبة للقرافي ص: 114.

[1] في الأصل: (هيرودس أسخريوطي). وهو غلط. ينظر في ل ب/17 ص147.

[2] إشارة إلى بولس، وسيأتي حديث عنه في ل ب/78 ص 323.

[3] إشارة إلى عموم النصارى المتخذين المسيح إلهاً من دون الله.

النقي[1]: هذا لحمي فكلوه[2]، وهذا دمي فاشربوه[3]. يعني: الخمر، المحرّم سكره في جميع الشرائع حتى يكون قرباناً يتقرب به إلى الله تعالى بالأكل له![4].

ولقد كان للمسيح من المعجزات ما هو أعجب من المائدة من إطعام الخلق / الكثير من الخبز اليسير، وأطعم في قرية الطابغة[5] من ست سلال خبز أو سبع سلال ألوفاً من الناس[6]، وأخرج الله له من شجرة التين العريانة من الورق والثمر تيناً حلواً نضيجاً أكل منه 44/ب

---

[1] السميد: لباب الدقيق. ينظر: المعجم الوسيط ص: 447.

[2] في الأصل: (فلوكوه) والمثبت هو الموافق لما في الأناجيل.

[3] جاء هذا الزعم في حادثة العشاء الأخير كما في إنجيل متّى: 26/26، وإنجيل مرقس: 14/22، وإنجيل لوقا: 22/1، وكورنثوس الأولى: 11/24. ولم يرد في إنجيل يوحنّا إلا قبل الحادثة بعام كما في: 6/53. قال أبو محمد الترجمان في تحفة الأريب ص: 162: (هذا قول متّى في إنجيله، ويوحنّا الذي كان حاضراً لعيسى حين رفع لم يذكر شيئاً من خبر الخبز والخمر في إنجيله! وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متّى ونقله للمحال والبهتان). والنصارى مختلفون في معناه: فعند الكاثوليك والأرثوذكس أنه بمعنى التحول الحقيقي، وعند البروتستانت أنه بمعنى الرمز والتذكار. ينظر: إظهار الحق 3/705، ومحاضرات في النصرانية ص: 224.

[4] ينظر ما سبق في: ل أ/35 ص207.

[5] قرية الطابغة: تقع في الشاطئ الشمالي لبحيرة طبرية (بحر الجليل، كما في الأناجيل) وهي أرض منخفضة تكثر فيها ينابيع المياه، ولها أهمية عند النصارى، وفيها مزارات وكنائس لهم، منها كنيسة تكثير الأرغفة نسبة للمعجزة، وقد أقام عليها الاحتلال الإسرائيلي مستعمرة باسم عين شبا. ينظر: القرى المدمرة في فلسطين حتى 1952 م ليوسف أبو نايلة وآخرين، ص: 46 إصدار الجمعية الجغرافية المصرية.

[6] ينظر: إنجيل متّى: 15/32 - 39، وإنجيل مرقس: 8/1 - 10. وفيهما: أنه أطعم أربعة آلاف من سبع خبزات وقليل من صغار السمك، وفضل منها سبع سلال مملوءة.

وأطعم التلاميذ، وذلك ببيت عيانا[1]، وكما أمر الله تعالى بلسان الملَك لأمّه مريم عند ولادته أن تهزّ إليها بجذع النخلة فتساقط عليها من الجذع رطباً جنيّاً[2]، وكما كان من زكريا يدخل عليها فيجد عندها الفاكهة الغريبة والرزق الشهي، فيقول: (   ) ؟ فتقول: (   ) الآية[3]، وكما فُعل بنبيّنا مرّات كثيرة معجزات باهرة ضبطها العلماء وحرّروها فكانت ألفاً وتسعين معجزة[4]، منها: أطعم ألوفاً من المسلمين في غزاة تبوك[5]، فأشبعهم وملأ أوعيتهم تمراً ودقيقاً من كومة تمر، ما يحجب القاعد إليها عن القاعد إليها، ثم فضل منها بعد كفايتهم فضلة[6].

---

(1) لم أجد هذه المعجزة في الأناجيل، ولعل المؤلف أراد ما جاء في إنجيل متّى: 21/19 وإنجيل مرقس: 11/13 أن المسيح عليه السلام قال لشجرة التين: (لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال). وينظر في بيت عيانا ما سبق في: ل أ/6 ص103.

(2) كما في سورة مريم: آية 25.

(3) سورة آل عمران: آية 37.

(4) قال ابن حجر في الفتح 6/583: (ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم: أن معجزات النبي تزيد على ألف ومائتين. وقال البيهقي في (المدخل): بلغت ألفاً، وقال الزاهدي من الحنفية: ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف، وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كأبي نعيم والبيهقي وغيرهما). ينظر: معجم ما ألف عن رسول الله للمنجد ص: 59.

(5) تبوك: مكان معروف، هو منتصف طريق المدينة إلى دمشق. ينظر: معجم البلدان 2/14. يبعد عن المدينة شمالاً (778 كيلاً). ينظر: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية 1/236. وإليها تنسب الغزوة التي وقعت في رجب سنة تسع من الهجرة، ولم يلق النبي فيها حرباً، ومكث بتبوك عشرين يوماً، ووقع فيها الكثير من الآيات الدالة على نبوته . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 2/515، زاد المعاد 3/526.

(6) ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب: من لقي الله بالإيمان غير شاك. . . رقم: (43)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: فدعا

وسقاهم أيضاً وروّاهم في تلك الغزوة وهم ألوف من مزادة على جمل لامرأة، ودلّهم عليها وأنها بوادي كذا تسير، فأحضروها إليه، فسمّى الله تعالى وفتح المزادة وسكب الماء منها على يده الشريفة إلى الحوض / الجلد، 45/أ
وأمر أن يرِدُوه عشرة بعد عشرة حتى اكتفوا وسقوا دوابهم، ثم سدّ عرازيل المزادة [1] فإذا هي ملآنة كما كانت، فقال للمرأة: خذي مالك واذهبي فقد سقانا الله تعالى وماؤك ماؤك[2].

بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة. .). وينظر: دلائل النبوة للبيهقي 5/229.

(1) في الأصل: (عزازيل) وهو غلط. وعرازيل المزادة: جمع عرزال، وهو فم المزادة. والمزادة: وعاء يحمل فيه الماء. ينظر: لسان العرب 10/94.

(2) ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه البخاري في مواضع منها: كتاب التيمم باب: الصعيد الطيب رقم: (344)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وفيه: أن المرأة دعت قومها بعد ذلك إلى الإسلام فأسلموا. وجاء عند عبد الرزاق في مصنفه رقم (20537): (إنكما ستجدان امرأة في مكان كذا وكذا معها بعير عليه مزادتان، فأتيا بها). لكن لم يرد في الآثار أن ذلك في غزوة تبوك. لذا اختلف العلماء في تحديد السفر، فقيل: حين رجوعه من غزوة خيبر، وقيل: من الحديبية، وقيل: من تبوك، وقيل: غير ذلك. ينظر: فتح الباري 1/448. قال ابن عبد البر في التمهيد 1/220: (الذي أوتي النبي ﷺ من هذه الآية المعجزة أوضح في آيات الأنبياء وأعلامهم مما أعطي موسى إذ ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً؛ وذلك أن من الحجارة ما يشاهد انفجار الماء منها ولم يشاهد قط أحد من الآدميين يخرج من بين أصابعه الماء غير نبيّنا ﷺ).

ولمّا وصل إلى تبوك لم يكن بها ماء إلا ما يَرْوي الشفة فأخرج سهماً وغرسه في تلك العين فثجّت وانفجرت نهراً، فقال: من عاش منكم سيرى هنا حدائق وأعناباً. فكان ذلك، وهذه العين إلى يومنا هذا تفج بالماء وتسقي نخيلاً وزروعاً بتبوك[1].

وهذا ومثله غير منكور من الأنبياء عليهم السلام أن يأتوا بمثله بإذن الله تعالى[2].

وأما قولكم: وإنه كان مأموراً بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، واستشهادكم بفاتحة الكتاب وبآيتي سبأ والأحقاف. فليس كذلك، ولا يدل عليه لا ظاهر الآيات ولا معانيها المعقولة، ولا يقتضيه القياس. ولكنّكم لمّا لم تفهموا المعنى ولا تدبّرتم القول ولا عرفتم المراد به زعمتم ما زعمتم. وسأبين لكم الحق فيه وأن المراد خلاف ما قلتموه.

---

[1] ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه في الفضائل باب: في معجزات النبي رقم: (706)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي في الدلائل 5/237 ثم نقل عن عروة بن الزبير قوله في زيادة ماء عين تبوك: (وهي كذلك إلى الساعة)، وقد وصف الرحالة عين تبوك، وأنها تروي كل من مرّ بها، مرّ بها ابن بطوطة عام 726 هـ كما في رحلته 1/80، وقال: (ولم تزل إلى هذا العهد). وفي رحلة ابن رشيد السبتي عام 684 هـ، المسماة ملء العبية الجزء الخامس ص: 10 ت. د. محمد الحبيب، قال: (قلت: صدق فقد رأينا هذا الموضع قد ملئ جناناً من نخيل وبينها يسير زرع للأعراب). وتبوك الآن غزيرة الماء كثيرة البساتين والثمار.

[2] قال النووي في شرح مسلم 13/215: (وقد تظاهرت أحاديثُ آحادٍ بمثل هذا، حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل العلمُ القطعي بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الآحاد، وهو انخراق العادة بما أتى به من تكثير الطعامِ القليلِ الكثرةَ الظاهرة، ونبعِ الماء وتكثيرِه، وتسبيحِ الطعام، وحنينِ الجذعِ وغيره).

أما الفاتحة فإنها من أول المنزّل من القرآن، ولذلك سميت فاتحته وأمّه[1]، حمد الله تعالى / نفسه وأثنى ب/45
عليها فقال: (پ ٻ پ ڀ) أي: قولوا الحمد لله، وتمام الثناء عليه سبحانه، وقولوا: (ٹ ٺ ٿ ٿ) وقولوا: (ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ) يعني: من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين المذكورين للتعريف بهم في قوله تعالى في سورة النساء: (ڃ ڃ چ چ) الآيات إلى قوله: (گ)[2].

ولقد سئل رسول الله عن المغضوب عليهم من هم؟ فقال: هم اليهود. أي: الجاحدون الحق مع علمهم به، والمعاندون للأنبياء حسداً وبغياً، وكذا كل ملحد ومنكر ومحرّف لكلام الله تعالى عن مواضعه. وسئل عن الضالين من هم؟ فقال: هم النصارى[3]. أي: إنهم ضلوا عن طريق الهدى، وأشركوا بالله خلقه، وكفروا بما

---

(1) ينظر في أسماء الفاتحة وفضلها: تفسير ابن كثير 1/101.

(2) في الأصل غلط في الآية: (ورسوله) والآيات في سورة النساء: آيتا 69، 70.

(3) جاء مرفوعاً من حديث عدي بن حاتم أخرجه الإمام أحمد في المسند 4/378، والترمذي في سننه رقم: (2954)، وقال ابن كثير عنه: (وقد روي حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ يطول ذكرها)، وصححه أحمد شاكر في تحقيق تفسير الطبري. وأيضاً: جاء مرفوعاً من حديث أبي ذر، حسنه ابن حجر في الفتح 8/ 159. وقد أورد ابن جرير الطبري في تفسيره جملة من الآثار التي تفسر المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، كما استدل الطبري في تفسيرها بذلك بالقرآن، فقد وصف الله اليهود بالمغضوب عليهم بقوله: (ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک) الآية 60 من سورة المائدة. كما وصف النصارى بالضلال في قوله: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ) الآية 77 من سورة المائدة. قال ابن أبي حاتم في تفسيره 1/31 (ط. الباز): (لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً). ينظر: تفسير الطبري 1/185، 193، وتفسير ابن كثير 1/142.

جاءهم من الحق بلسان الرسول الموبّخ للعالم على الخطيئة بقول الثالوث واعتقاد الأقانيم.

وسأبين لكم فصلاً في الشرك يظهر لكم منه ما أنتم عليه، فاسمعوه وعوه:

إنه لما كان المشرك بالله تعالى منقسماً إلى: شرك تعمّده المشرك القاصد له، وإلى شرك خطأ من 46/أ
المشرك الغير قاصد له، بل قصده التوحيد ولكنّه ضال / غير مهتد إليه ولا راجع إلى هديٍ من يهديه إليه، كان العامدون هم المشركين الجاهلية عبدة الأصنام والأوثان والنّصُب والشياطين والجنّ والطاغوت، عمداً من غير انتماء إلى ملة، ولا قيام بشريعة، ولا تمسّك بأثارة من علم منسوبة إلى رسول مطلق الرسالة، مثل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. وهؤلاء العامدون الشرك هم الكفرة الأنجاس الفجرة، المحرمة ذبائحهم ونكاحهم وإنكاحهم على المسلمين حتى يؤمنوا.

وكان الخاطئون خطأ العمد بطلبهم معرفة الله تعالى بما تقتضيه آراؤهم وقصدهم تنزيهه وتوحيده بحسب ما رأته عقولهم وحسنته نفوسهم، فقسّموا الإله الواحد الأحد ثلاثة آلهة أقانيم ثالوثاً، وسمّوها: أباً وابناً وروحاً، واتخذوها إلهاً واحداً، وكان مَثَلُ خطأ هؤلاء العمد وشركهم مع قصدهم التوحيد وعدم الاهتداء إليه كمَثَل من أراد رمي صيد بسهم والصيد حوله أناس قيام، فقيل له: لا ترمِ سهمك فربما يصيب أحداً من الناس القيام.
فقال: إنما أرمي الصيد. ثم رماه قاصداً له دون من 46/ب
حوله، فأصاب بسهمه إنساناً منهم فقتله بغير قصد لقتله، ولم يصب الصيد الذي كان قاصداً له. وهؤلاء هم

المشركون الضالون / كفرة أهل الكتاب، المباحة للمؤمنين ذبائحهم بذكر اسم الله عليها، دون ما يقتلونه قتلاً ودون صيد الحيوان البري، والمباح لنا نكاح المحصنات الكتابيات منهم دون إنكاحهم[1].

فاليهود مغضوب عليهم وهم كتابيون، والنصارى ضالون مشركون، وهؤلاء وهؤلاء منتمون إلى (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) الآية، انتماءً غير صادق، فامتازوا عنهم وعن النعمة، وذكر < هم >[2] الله بسبب امتيازهم، ولم يذكر الجاهلية الكفار لأنهم غير منتمين إلى رسول لله ولا إلى كتاب.

وأمّا تكرار طلب المهتدين للهدي إلى الصراط المستقيم وهم عليه سالكون متبعون، فلمعانٍ تشذ عن غير المؤمنين[3]:

أحدها: شدة رغبة المؤمنين في الهدى، ولمحبتهم للإيمان والطاعة، وطلبهم الثبات والدوام على ذلك.

والثاني: لكونهم شهداء على الناس، ومطلعين[4] على ما فتن به الشيطانُ اليهود والنصارى وغيرهم، واستدرجهم إلى الكفر بعد الإيمان، وإلى الشرك بعد التوحيد، وإلى الضلالة بعد الهدى، ومن ذلك ما قرّروه 47/أ
أصحاب القوانين من الصيام التطوع والمفروض[5] لأسماء رجال ونساء بأعيانهم، ولم يخلصوا لله منها صوم

(1) ينظر: المغني لابن قدامة 11/37، ومجموع الفتاوى لابن تيمية 8/100، 35/216، وأحكام أهل الذمة لابن القيم 1/ 505.

(2) زيادة يقتضيها السياق.

(3) طلب المؤمنين للهداية: قال ابن جرير الطبري: (وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم). واستدرك ابن القيم في بدائع الفوائد 2/450 على من أطلق القول بأن معناه التثبيت ودوام الهداية: بأنه يصح لو كان صاحبه قد استكمل الهداية، وأنى له! وقال: (والمسؤول هو أصل الهداية على الدوام، تعليماً وتوفيقاً، وخلقاً للإرادة فيه، وإقداراً له وخلقاً لفاعليته وتثبيتاً له على ذلك...). وينظر: جامع الرسائل لابن تيمية 1/99.

(4) في الأصل (مطلعون).

يوم واحد، / بل قالوا: صيام يوحنّا، صيام بطرس وبولص، صيام جرجس، صيام تادرس، صيام مركيس، صيام برنابه، صيام السيدة، صيام الميلاد، صيام المسيح للصوم الكبير[1]. فعزوا كل صوم إلى من أشركوا به وهم لا يشعرون، فكرّر المؤمنون طلب الهداية خشية من مثل ذلك، وسألوا الله الثبات عليها، لأنه مقلب القلوب والأبصار الفعّال لما يريد.

والثالث: أن المؤمنين ندبوا إلى تلاوتها في كل صلاة ليتدبروا ما فيها من معاني القرآن، وجوامعِ أسماء الله

---

(5) قال القرافي في الأجوبة ص: 285: (ولا نكاد نجد من نسأله عن الصوم الواجب منها كم هو؟ فيعرفه!)، ثم ذكر تناقض قسيس النصارى المقدم فيهم في الجواب. ينظر ما سبق: ل ب/34 ص204.

(1) ينظر: إغاثة اللهفان 2/283. وفي: التخجيل 2/595، والأجوبة الفاخرة ص: 284 مثال للجمعة التي يصومونها لهرقل الملك. والصوم عند غالب فرق النصارى ينقسم إلى قسمين: صوم جماعي ومنه الصوم الكبير، وصوم فردي لأغراض معينة، كصوم النبي يونان أو صوم الميلاد، وربما سمّيت الصوم الصغير، ولا حدّ لها، ومنها ما ذكره المؤلف. يقول القمص زكريا بطرس في كتابه الصوم ص: 4: (وبالتبعية فالمؤمن يمكن أن تكون له أصوام خاصة فردية، بشرط أن تكون تحت إشراف أبِ اعترافه).

الحسنى العشرة[1]، وذكرِ (ﭙ) المشتق من المُعالمة[2]، أعني: أن كل ذرة من ذرات العالم مُعلمة بدلالتها على صانعها رب العالمين، الرب لكل مربوب، وذكرِ أهل السعادة والشقاوة، وتعريفِ العباد سعة رحمة الله ورحمانيّته بتكرار اسمه الرحمن الرحيم، وطلبِ المؤمنين المهتدين الهداية الخاصة الخالصة من شوائب الرقائق السارية في الأمة بالمشابهة بين قلوب السالفين من الأمم وقلوب الخالفين من الأمة في العقائد والآراء: كالرقيقة اليهودية، والنصرانية، التي أهل هذه استسلموا وصدّقوا وانقادوا لكل ما يقال حتى غلوا في المسيح وظنّوه إلهاً مع الله، وتلقّوا كلّ ما / سمعوه عنه من حق وباطل وصدق وكذب بالقبول، فلو قيل لهم ما عسى أن يقال، قالوا: آمنا وصدقنا!. وعلى مثل هذا تأسّست قواعد دين النصرانية، ولم يكن ذلك من العدل. وأهل هذه تابوا وأنكروا وامتنعوا عن قبول كل شيء من حق وباطل وصدق وكذب، فلم ينقادوا ولا استسلموا لأمرٍ

---

[1] في سورة الفاتحة ذكر الله خمسة من الأسماء الحسنى، وهي: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، الملك. قال ابن القيم في مدارج السالكين 1/31: (اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتمَّ اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن. فاشتملت على التعريف بالمعبود تباركَ وتعالى بثلاثة أسماء، مرجِعُ الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدَارُها عليها، وهي: الله والرب والرحمن. . . وتضمنتْ إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها. . وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة. .). وإشارة المؤلف إلى جوامع الأسماء العشرة جرى فيه على تقسيم بعض الصوفية كالبوني الصوفي في كتابه شمس المعارف 3/12 حيث قسّم أسماء الله إلى عشرة أنماط، وفيه خرافات وطامات. وتقسيم أسماء الله وصفاته عند المؤلفين قائم على معتقدهم فيها.

[2] اشتقاق العالمين من العَلَم والعلامة، قاله القرطبي ونقله عن الزجّاج والخليل في تفسيره الجامع 1/139. ينظر: معاني القرآن للنحاس 1/61، المحرر الوجيز 1/105.

إلهي إلا بعد جدل وبحث وسؤالات واقتراحات وإيراداتِ شكوكٍ محتملات وغير محتملات، حتى لو قيل لهم: إن الجزء أصغر من الكل. لقالوا: لا نسلم. وبمثل ذلك قتلوا الأنبياء وكذّبوا الرسل ولعنوا في الدنيا والآخرة.

وكالرقائق المجوسية، والصابئية، والفلسفية، والواقفية، وغيرها من الرقائق السارية في الأمم.

ومعنى الرقيقة: هو انطباق قلوب المتأخرين على ما كانت عليه المتقدمون من العقائد والديانات، والميل إلى شيء دون شيء، فيأتي الرجل المتأخر على مثل ما كان عليه المتقدم، من طبع وجبلة، وخير وشر، وعلم وعمل، وإدراك لمعان دون غيرها[1]، ولهذه المشابهة القلبيّة مثال حسي يضرب لأولي الألباب: وهو أن المطر يصب على الأرض فتنبت به نباتاً مختلفاً في الطباع والخاصة والصورة والمطر في نفسه طبيعة واحدة! ثم ينزل مرة أخرى / في وقت نزوله فتنبت به تلك الأرض نباتاً كالأول في تنوعه واختلاف طباعه وخواصه، حتى يكاد أن يكون هو هو! وكذلك القلوب والعقول هداها الوحي الإلهي من سماء العزة وهو واحد، فتنبت به ضروباً من العقائد والأمانات باصطلاح النصارى، فإنهم يسمّون العقيدة أمانة، ثم يأتي قرن بعد مضي قرن، فتختلف منهم القلوب بالعقائد، ويكون الاختلاف من الخالف كالاختلاف من السالف، وتكون المشابهة له منه في الآراء والنحل كالمشابهة بين النبات الأول الكائن نباته في الزمن الخالي وبين النبات الثاني الآتي نباته في الزمن أ/48

---

[1] () في التعريفات للجرجاني ص: 117: (الرقيقة: اللطيفة الروحيّة، وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين، وقد يطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سرّ العبد وتزول به كثافات النفس).

المستقبل، فهما سواء في المشابهة وفي المطابقة، وبينهما ما بينهما في الأعصر والدهور.

فلما كانت هذه الرقائق سارية في الأمة ولا يكادون يشعرون بها علّمهم الله تعالى قول: (ٹ ٹ ٹ) أي: الطريق الأقصد، (ڤ ڦ ڦ ڦ) أي: بالسلامة من غفلة النصارى وتسليمهم للباطل، ومن عصيان اليهود وجحودهم للحق مع علمهم أنه الحق، ومن كل ما يشوب التوحيد الخالص الإبراهيمي المحمدي من <شوائب>[1].

وأما ما أمر الله به نبيه أن يقوله ويقولونه الأمة معه ب/48
فالآيات التي في سورة / الأنعام، وهي قوله: (ڭ ڭ ڭ) الآية إلى قوله: (□ □ □ □)[2]، وقوله: (ں ں ڻ ڻ ٹ) الآية[3]، وقوله: (ڇ ڇ ڍ) الآية[4]، فهذا ومثله هو الذي أمر الله أن يقوله، لا ما زعمتم بغير علم ولا تدبّر للقول.

وأما زعمكم أنه كان مشكِّكاً فيما يأتيه من الوحي، غير عالم ولا واثق بما وعده الله به، وبما يكون منه، واستشهادكم ببعض الآيتين، فزعم باطل، ومَثَلكم فيه كمَثَل قوم امتنعوا من الصلاة وقالوا: إن الله قال في القرآن: (ۀ □ □ □ □ □) < فقيل لهم: إنما قال: لا تقربوها>[5] (□ ھ) الآية[6]، فقالوا: لا يحتاج إلى ذكر سبب المنع بل نمتثل! وكذلك أنتم استشهدتم بقوله: (ڃ ڃ ڃ) الآية، وقوله: (ک ک ک ک گ) الآية، ولم تتلوا الكلام من أوله، حيث يقول لنبيّه: (ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڃ

---

[1] كلمة (شوائب). لا توجد في الأصل، إنما يوجد علامة بوجود نقص.

[2] سورة الأنعام: آيات 162 - 164.

[3] سورة الأنعام: آية 14. وفي الأصل: (أفغير الله) وهو غلط.

[4] سورة يوسف: آية 108.

[5] ما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

[6] سورة النساء: آية 43.

ﭽ) إلى قوله: (ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ   ) الآية[1]، والمراد المفهوم: القول للكفار بأن الله رازقكم ورازقنا جميعاً وسواء كنّا على هدى أو في ضلال مبين، وذلك برحمانيّته العامة لجميع العالمين، كما أنه يطلع شمسه وقمره وينزل غيثه ومطره على سائر الخلق برّاً وبحراً، فهو رحمان الدنيا ورحيم الآخرة[2].

والقول للكفار سياقاً: / (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) أيرزقكم أحد منهم؟ أو يرزق نفسه؟ أو تملكون لكم أو لأنفسكم ضرّاً أو نفعاً أو موتاً أو حياةً أو نشوراً؟ (ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ) الآية. ولقد قال نبيّنا في مثل هذا المعنى: (الله أصبر على أذى يسمعه من الناس، يجعلون له أنداداً، ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم ويمدّهم)[3]. 49/أ

وكذلك أيضاً لم تتلوا[4] قوله تعالى عن كفار قريش: (ﭬ ﭭ ﭮ) يعني: القرآن (ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ) إلى قوله: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ)[5].

---

[1] سورة سبأ: آيات 24 – 28.

[2] لا خلاف بين المفسرين أن هذا القول ليس على سبيل الشك، وإنما على سبيل الإنصاف في الحجة، وهي برهان للتوحيد وبطلان الشرك. ينظر: تفسير الطبري 20/401. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/156: (قطب القرآن وسائر الكتب ومدارها على عبادة الله وحده، فكيف يقال: إن الرسول كان يشكّ هل المهتدي هم أهل التوحيد أم أهل الشرك؟ وهل يقول هذا إلا من هو في غاية الجهل والعناد، ثم الآية خطاب للمشركين ليست خطاباً للنصارى خصوصًا).

[3] الحديث ذكره المؤلف بمعناه، وقد أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: الصبر على الأذى رقم: (5663)، ومسلم في كتاب صفة القيامة باب: لا أحد أصبر على أذى من الله، عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه: (ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له ندّاً ويجعلون له ولداً وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم).

[4] في الأصل: يتلوا. والمثبت أوفق للسياق.

[5] سورة الأحقاف: آيتا 8، 9.

ولم تتدبروا القول فيتبين لكم أنه نذير وبشير للناس كافة، ولليهود والنصارى عامة، وللعرب الجاهلية خاصة.

وتجدون معنى قوله: (**ک ک ګ ګ گ گ گ گ**) مثل معنى قول المسيح ليلة الفصح: (المشيئة مشيئتك لا مشيئتي، فإن شئت أن تصرف عني هذا الكأس وإلا فالمشيئة مشيئتك)[1]، والقصد إنما هو تفويض الأمر إلى الله، والرجوع بالحول والقوة إليه سبحانه وتعالى.

وبالجملة، فكل ما في القرآن الكريم من الصفح عن المشركين والإعراض عن الجاهلين <والموادعة لهم وشبهه، كقوله تعالى: (**ﭼ ﭽ ﭾ**)[2]، وقوله تعالى: (**ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ**) الآية [3]>[4] وقوله تعالى: (**ﯾ ﯿ**)[5]، وقوله تعالى: (   )[6]، وقوله تعالى: (**ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ**)[7] وما شابه ذلك، كله منسوخ الحكم بآية السيف، وهي قوله تعالى: (**ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ**)[8] وما شابهها، ب/49

(1) وردت في الأناجيل الأربعة: متّى: 26/39، ومرقس: 14/36، ولوقا: 22/42، ويوحنّا: 6/38.
(2) سورة الأعراف: آية 199.
(3) سورة العنكبوت: آية 46.
(4) زيادة من هامش الأصل.
(5) سورة المائدة: آية 13.
(6) سورة الشورى: آية 15.
(7) سورة الكافرون: آية 6.
(8) في موضعين: سورة التوبة: آية 73، وفي سورة التحريم: آية 9.
نهاية لوحة 49/ب عند قوله (عليهم).

كقوله تعالى: (ﮬ ﮭ   ) الآية[1]، وقوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) الآية[2]،[3].

وأما ما زعمتم في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) الآية[4]، أن النبيّين هم التلاميذ، رسل المسيح لا غيرهم، وأن الكتاب المنزل معهم هو الإنجيل لا سواه. فليس كذلك، وإنما النبيّون المذكورون سائر رسل الله وأنبيائه، فأوّلهم آدم وآخرهم محمد ، وأولو العزم منهم والأئمة العظماء

---

[1] سورة التوبة: آية 5. وهي آية السيف على الصحيح من أقوال العلماء. ينظر: الإتقان 3/69.

[2] سورة التوبة: آية 29.

[3] ما أشار إليه المؤلف أن آية السيف ناسخة لآيات العفو والصفح، ذهب إليه بعض المفسرين، كابن سلامة في ناسخه، وذكر أن آية السيف ناسخة لمائة آية وأربع وعشرين آية! وهو رأي مرجوح ضعيف انتقده محققو المفسرين؛ لإمكان الجمع من غير حاجة للنسخ، قال الزركشي في البرهان 2/42: (وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك، بل هي من المنسأ، بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً)، وقال الرازي في التفسير الكبير 28/269: (وأكثر المفسرين يقولون: إن كل ما في القرآن من قوله: (فَأَعْرِضْ) منسوخ بآية القتال. وهو باطل؛ لأن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ بها؛ وذلك لأن النبي في الأول كان مأموراً بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أُمر بإزالة شبههم والجواب عنها، فقيل له: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له: أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فإنهم لا ينتفعون به وقاتلهم. والإعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخاً بها). ينظر: تفسير الطبري 13/329، زاد المسير لابن الجوزي 3/308، النسخ في القرآن د. مصطفى زيد 2/504، وفيه تحقيق بديع فيما ادّعي نسخه بآية السيف.

[4] سورة البقرة: آية 213.

رؤساء العالمين خمسة سمّاهم الله تعالى في القرآن، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وبين كل رسول ورسول من هؤلاء الخمسة أنبياء ومرسلون مؤيّدون لرسالتهم داعون إليها، فيما بين نوح وإبراهيم، وبين إبراهيم وموسى، وبين موسى وعيسى، وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. فمن نوح والطوفان وإلى إبراهيم ونمرود نحو ألف وثلاثمائة سنة[1]، ومن إبراهيم وإلى موسى نحو ألف ومائة سنة[2]،

---

[1] الطوفان: حادثة الغرق العام للأرض في زمن نوح عليه السلام عقاباً لعصيانهم، وهي معروفة عند أهل الملل لا ينكرها إلا بعض مجوس الهند، وهي مذكورة في القرآن والتوراة وبعض كتب الأولين. ينظر: الكامل لابن الأثير 1/67، وتفسير المنار 12/85. والنمرود هو الملك البابلي النبطي الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام. ينظر: الكامل 1/103. وبيان المدة بين الطوفان وإبراهيم عليه السلام جاء في زيادة في حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظها: (كم بين نوح وإبراهيم؟ قال : عشرة قرون). وقد أخرجها الحاكم في المستدرك 2/288، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والطبراني في المعجم الكبير 8/118، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/210: (رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد، وهو ثقة). فإذا صحّت الزيادة فما ذكره المؤلف فيه نظر. قال الطبري في تأريخه 1/211: (كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة، وكان بعض أهل الكتاب يقول: بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة). وابن البطريق المسيحي في تأريخه ص: 20: وافق الطبري في المدة. وبين نسخ التوراة (اليونانية والعبرانية والسامرية) اختلاف فاحش في بيان المدة بين الطوفان وولادة إبراهيم يدل على التحريف. ينظر: إظهار الحق 2/433.

[2] لم يرد نقل صحيح في المدة بين إبراهيم وموسى عليهما السلام، وجاء بأثر لا يثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أن بينهما سبعمائة سنة، أخرجه الحاكم في المستدرك 3/494، وفيه علي بن زيد ضعفه الأكثرون. ينظر: السير للذهبي 5/206. وما ذكره المؤلف قريب مما نقل عن القرطبي وغيره أن بينهما

ومن مخرج موسى ببني إسرائيل من مصر وإلى تجلي المسيح بجبل تابور[1] ألف سنة وثلاث وثلاثون سنة، ومن مولد المسيح وإلى مولد سيدنا محمد / نحو من ستمائة وأربعين سنة[2] 50/أ

والدليل على أن النبيين المذكورين هم سائر الأنبياء والرسل من آدم وإلى آخر وقت، وليس هم بطرس وبولص وتوما[3] ومن زعمتم أنهم رسل المسيح الذين أرسلهم بعد موته وقبل رفعه إلى السماء وانفصاله عن الدنيا[4]، قوله تعالى في أول الآية: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ)

ألف سنة. ينظر: فتح القدير للشوكاني 1/224. وعند ابن البطريق المسيحي في تأريخه ص: 31: أن بينهما خمسمائة وسبع سنين. والذي يظهر أن الذي بين إبراهيم وموسى عليهما السلام لا يزيد على سبعمائة سنة؛ لأن المشهور أن بينهما سبعة من الآباء. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير 2/31.

(1) جبل تابور: يقع في أرض الجليل منفرداً عن غيره، يشرف على مرج ابن عامر، على بعد خمسة أميال ونصف الميل نحو الجنوب الشرقي من الناصرة، عرف بجبل التجلي كما جاء في إنجيل مرقس: 9/2 - 10. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: تابور).

(2) ينظر التعليق السابق في: ل 32/أ ص193.

(3) توما: اسم آرامي بمعنى: التوءم، أحد الاثني عشر رسولاً الذين اختارهم المسيح، كان صياداً، وكرز في بلاد النهرين وفارس ثم الهند. وباسمه إنجيل (أبوكريفي) اكتشف في العصر الحاضر. ينظر: موسوعة آباء الكنيسة 1/75، قاموس الكتاب المقدس (مادة: توما).

(4) الرسول عند النصارى: لقب لقائد ديني مبعوث، ويطلق خاصة على تلاميذ المسيح الاثني عشر! الذين اختارهم ليشهدوا حوادث قيامته، وأعطاهم سلطانه (معجزاته) ودعاهم للكرازة باقتراب ملكوت السماء! كما جاء في إنجيل متّى: 10/2 – 8 وغيره، وفي سفر أعمال الرسل حديث عنهم، وعن بولس الذي نال أغلب السفر، ثم بطرس (عميدهم)، وغالبهم لم يذكر إلا اسمه فقط! ، وفيه أن روح القدس نزل عليهم!. ولم يقتصر لقب الرسول على الاثني عشر بل زادوا آخرين كبولس وبرنابا، واشترط للرسول شرطان: الأول: أن يكون قد اتصل بالمسيح وعاشره وتلقى

الآية، وقدم ذكر البشارة على النذارة للافتتاح[1]، ولم يكن[2] الناس أمة واحدة قط إلا في زمن آدم، وعند أول النشوانية والتناســــل منه، وكان من هابيل وقابيل ما كـــــــــــــــان[3]، ومن قـــــــــــــــينات[4]

تعاليمه منه. والثاني: أن يكون المسيح دعاهم إلى خدمة معينة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: رسول)، وموسوعة آباء الكنيسة 1/63. ويلاحظ أن غلو النصارى في جماعة الرسل فرع عن قولهم بألوهية المسيح وأنه منحهم المعجزات! وهو ظاهر البطلان، كما أن سير الرسل سوى بطرس وبولس مجهولة قليلة المصادر، فهل يعقل أن يكون الرسل الذين هم الواسطة إلى المسيح بهذه الجهالة؟! مما يدل على أن غالب الأخبار النصرانية حول تلاميذ المسيح ملفّقة ولا سيما المبالغات في حال بطرس، وهي مما يخالف ما ذكره الله تعالى عن الحواريين. ينظر: الجواب الصحيح 2/397.

(1) قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط 2/125: (وقدم البشارة لأنها أبهج للنفس، وأقبل لما يلقي النبيّ، وفيها اطمئنان المكلف، والوعد بثواب ما يفعله من الطاعة).

(2) في الأصل: يكون.

(3) هابيل وقابيل: ابنا آدم، قتل قابيلُ هابيلَ، وقصتهما مذكورة في: القرآن في سورة المائدة: آيات 27 – 31 من غير تصريح باسميهما، وفي التوراة سفر التكوين: 4 مصرحاً باسميهما. قال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير 6/169: (في التوراة هما: قايين. والعرب يسمُّونه: قَابِيل، وأخوه: هَابِيل). وقال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير 1/662: (وأما تسميتهما بقابيل وهابيل، فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سُنَّة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا ألا نجزم به ولا نرجِّحه، وإنما هو قول قِيل). ينظر: البداية والنهاية لابن كثير 1/216.

(4) قينات: لم أتبين مراد المؤلف في هذه الكلمة، ربما أراد رجلاً من أحفاد قابيل، والمثبت في كتب التأريخ (قينان) وأن نسله انهمكوا في اللهو والفجور والفاحشة. ينظر: الكامل لابن الأثير 1/52. وورد ذكره في التوراة في سفر التكوين: 5/12. أو أراد ما ذكره ابن العبري المسيحي وغيره: أن بنات قايين (قابيل) اخترعن آلات الملاهي

وعنق ما كان[1]، لا الحواريون المدعون للرسالة كما تقدم.

ولئن قلتم: إن الناس كانوا في زمن الحواريين أمة واحدة. قيل لكم: إن بني إسرائيل كانوا أمة كبرى، والصابئون كانوا ثلاث أمم كبار، أحدها: الفرس، والثانية: الهنود، والثالثة: الصابئة عبدة الكواكب[2]. وكانت الجاهلية

زامرات بها، وأنهن أغرين الرجال. ينظر: تأريخ مختصر الدول ص: 7، وقد وردت قصة تبرج نساء من ذرية آدم إغراءً للرجال عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحزاب: آية 33: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)، وقوى إسناده ابن حجر في الفتح 8/520. ينظر: تفسير ابن كثير 6/410.

[1] () يشير إلى ما ذكر من الإسرائيليات من قصة عوج بن عنق من أحفاد آدم! وهي من الكذب البين، أنكرها المحققون، قال ابن القيم في المنار المنيف ص: 77: (ليس العجب من جرأة هذا الكذاب على الله، وإنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره. . ولا ريب أن هذا (الأثر) وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم). وفي سفر العدد: 13/33 وسفر التثنية: 1/27 إشارة إليها، وللسيوطي رسالة في إنكار الخبر بعنوان (الأوج في خبر عوج) ضمن رسائله في الحاوي للفتاوي ص: 410.

[2] () اختلف المؤرخون في فرق الصابئة بناءً على اختلافهم في أصل ديانتهم، وهل هم فرقة واحدة أم فرق متعددة يجمعها المسمّى فقط؟ قال ابن القيم في إغاثة اللهفان 2/249: (وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر). وينظر: الآثار الباقية للبيروني ص: 304، وذكر الآمدي في أبكار الأفكار 2/264: أن فرق الصابئة أربع، هي: أصحاب الروحانيات (الأشبه أنهم المندائيون)، وأصحاب الهياكل (الصابئة الحرانية)، وأصحاب الأشخاص (الصابئة الهنود)، والحلولية. وهو قريب مما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل 2/670، إلا أنه جعل بدل الحلولية: الحرنانية. كما اشتهر القول بأن الصابئة قسمان: حرّانية تعظم الكواكب وعلمها التنجيم، ومندائية في بابل متأثرة بالمجوس وأهل الكتاب. ينظر: الصابئة د.أحمد العدوي ص74، الصابئة د. علي عبد الوهاب ص: 52، الصابئة للأب أنستاس الكرملي منشور في مجلة المشرق

عبدة الأصنام أمة سادسة، وكانت الفلاسفة اليونان أمة سابعة، كالجنس العالي لما تحته من أنواع، أممهم مثل: الطبيعيين والرياضيين والإلهيين وأصحاب الوقفة[1]. فلم يكن الناس في زمن الحواريين أمة واحدة.

وسأذكر فصلاً معقولاً برهانه لأولي الألباب في سبب بعثة الأنبياء إلى الناس، أولهم وآخرهم، / في زمن بعد ب/50
زمن، ونبي بعقب نبي، وأنه – أعني: إرسال الرسل – من ضروريات مصالح الناس، وكمال نفوسهم، وسياستهم، وإرشادهم إلى صلاحهم في الدنيا والآخرة، وإن انضمّ إلى ذلك سياسات أخر، فأقول:

إن النوع الإنساني لما كان مدنيّاً بالطبع، ولا يمكن أن يربى فريداً، ولا ينشأ وحيداً؛ من شدة احتياجه وضرورته من حين يولد وإلى أن يموت إلى نوعه، ممن يحضنه ويربّيه ويرضعه ويكسوه ويسوسه ويقوم بمصالحه ويذبّ عنه ويميط أذاه ويعالجه في مرضه وعرضه ويعينه على قيامه بمصالحه، قضى العقل أن يكون الإنسان مع الأناسي أبداً، لتربّيه الحواضن في صغره، ويسوسه المعلمون في أول نشوئه، ويعينه الباقون على إصلاح شأنه، فيكون منهم الغارس والزارع والذابّ والدافع والغازل والنسّاج والخيّاط والحنّاط والخبّاز والخرّاز

4/400. 51/أ

(1) قسم الفلاسفة علومهم النظرية إلى ثلاثة أقسام: علم طبيعي: وهو الذي لا يتجرد عن المادة لا في الذهن ولا في الخارج كالجسم ولواحقه، وعلم رياضي: وهو الذي يتجرد عن المادة في الذهن لا في الخارج كالمقادير، وعلم إلهي: وهو الذي يتجرد عن المادة في الذهن والخارج كالوجود المطلق. ينظر: أقسام العلوم العقلية لابن سينا: 84 (ضمن تسع رسائل في الحكمة)، ومجموع الفتاوى 9/123. وأصحاب الوقفة لهم مذهب فلسفي سوفسطي يقوم على المغالطة، يقولون بالوقف في كل شيء. ينظر: المعجم الفلسفي 2/258.

والحدّاد والنجّار والفاخوري والعطّار والحجّام والبيطار والحطّاب والحلّاج والتاجر والحمّال والساعي والسائس والراعي والمعلم والكاتب والمهندس والحاسب والكاحل والمتطبّب والمتعيّش والمتسبّب والفقير المستعطي والمتطوّل المعطي[1]، ويكون أيضاً فيهم الأمين والخائن والصدوق والمائن والداهية والأبله / واللبيب والأعته والغيشوم والمغتال والظلوم والمحتال والقوي والضعيف والمشروف والشريف[2]، ليقوم بعضهم لبعض بالمصالح.

والعقل يقتضي أن فيهم غير الصالح، وأنهم لا يستغنون عن التبايعات والمشاركات والمزارعات والمناكحات، وفي ذلك كله من التنازع والمطالبة والتجاذب والمغالبة وقهر القوي للضعيف وشبه ذلك، وذلك موجب إثارة الشرور واتصال الفتن بين القاهر والمقهور، فيصيرون بذلك شر الدواب، وأشبه بالكلاب والذئاب، وتذهب فضيلة الإنسانية عنهم، ويعود خسيس الحيوان أفضل منهم، فقضى العقل أن لا يترك هذا النوع الشريف المستخلف على ما في الأرض بالتصريف، فلا

---

[1] () أنواع من الحرف والصناعات: الحناط: من يبيع الحنطة أو يحنط الموتى، الخراز: من يخيط الجلد، الفاخوري: صانع الفخار، البيطار: معالج الدواب، الحطاب: من يجمع الخشب ويقطعها، الحلاج: من يعزل وبر القطن عن بذره، الساعي: من ينقل كتاباً من مكان لآخر، ب/51
السائس: من يخدم الدابة، الكاحل: من يكحل العيون المريضة والمهنة من أقسام الطب، المتعيش: من يتبضع من التجار ويبيع على دابة. ينظر في كل كلمة حسب موضعها في: قاموس الصناعات الشامية، ت. ظافر القاسمي.

[2] () أحوال الناس وأوصافهم: المائن: الكاذب، الداهية: العاقل، وخبرة الأمور، المنكر العظيم، الأبله: الغافل عن الشر ولا يحسنه، الأعته: الناقص العقل، الغيشوم: الذي يخبط الناس ويأخذ كل ما قدر عليه، المغتال: العظيم السمين، أو من الغيلة وهي الخديعة. ينظر: لسان العرب 14/162، 5/323، 2/150، 10/32، 11/53، 11/112.

يوجد فيها مقدار الشبر فما دونه إلا وله خلفاء من هذا النوع يملكونه، مهملاً، بل يكون لهم شرع يرجعون إليه، ويعولون في المنازعة والتجاذب عليه، وأن يكون من بارئهم العليم بمصالحهم، والخالق لصالحهم وطالحهم. وأن لا يأتي بهذا الشرع حيوان ولا ملَك، بل إنسان يعرفونه ويفهمون عنه، ويألفونه ولا ينفرون منه. وأن يكون معه من المعجز ما يشهدون به صدقه، ويذعنون له، ويثبتون حقه. وأن يأتي مع المعجز بكتاب يتلونه ويدينون / له، ويتشارعون به في التظالم، فينصف مظلومهم من ظالمهم، ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه، ويهدي[1] إلى مكارم الأخلاق والحق، ويبين أمر الحلال والحرام، ويعرّف تنزيه ذي الجلال والإكرام، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يتجزأ أقانيم ولا يتعدد.

وقضى العقل أن لا يأتي هذا الرسول في زمن واحد، بل في أزمنة متعاقبة، وأن لا يكون رسولاً واحداً بل رسل، طاعتهم واجبة. وأن يأتي كل واحد بما أتى به الأول ويزيد عليه، وأن يكون لهم رسولٌ خاتمٌ، ينتهي التعليم على يديه، ويكمّل التشريع والدين، ويتمّ النعمة على الموحدين. وأن يكون هذا الرسول الخاتم للنبيّين جامعاً برسالته كل ما أتى به المتقدم من المرسلين، لأنه يلزم من كمال التشريع وتمامه تمام النبوة، وليس بعد الرسول الخاتم ختام.

وقضى العقل أن لا يكون هذا النبيّ الخاتم منتسباً إلى ملة كاليهودية والنصرانية؛ فيكون عند إظهار دعوته كافراً بملته فتنفر منه النفوس وتأبى تصديقه وما جاء به، فكان ذلك كذلك، وجاء النقل بما قضى به العقل، فلم يكن خاتم النبيين يهوديّاً ولا نصرانيّاً، ولكن كان حنيفاً مسلماً 52/أ

[1] () في الأصل: (يهتدي). والمثبت أقرب للسياق.

وما كان من المشركين، ولم يكْفره أهل ملة لو نسب إليها حين أظهر دعوته وخالف / تلك الملة كما نسب للمسيح مع اليهودية، إذ كان عالماً من أكبر علمائهم بالتوراة عالماً بما فيها، ثم لمّا أرسله الله تعالى بما أرسله واستجدّ ما استجدّه أنكرت اليهود ذلك وكفرت به وكفّرته بزعمها الفاسد.

فهذا سبب إرسال الرسل إلى الناس، وانضم إلى ذلك أسباب كثيرة، ليس هذا موضع إيرادها وذكرها[1].

ولقائل أن يقول لكم: إن العقل السليم فطن وأدرك بسبب تخصيصكم للحواريين أنهم هم النبيّون المبعوثون مبشرين ومنذرين، وأن الكتاب المنزّل بالحق هو الإنجيل، وبما أوردتموه ونحوتموه ما سنوضحه لكم ولمطالعي هذه الأجوبة إن شاء الله تعالى: وهو أنكم لمّا اقتضت آراؤكم القول بالأقانيم، وأن تجعلوا في الأرض إلهاً شبيهاً بالإنسان، يفعل أفعال البشر ليكون[2] بين أظهرهم ظاهراً، كما زعمتم أن إشعيا نبأ بذلك[3]، واتخذتم المسيح الإله المجعول، وعبدتموه كما يعبدون اللهَ المؤمنون الموحّدون، ثم فكّرتم في الإله الحق رب العالمين فحُجبت عنكم معرفته، فجعلتم بين الذي جعلتموه إلهاً مختصراً وبين ربّ العالمين علاقة نسبية بزعمكم، وسمّيتموها روح القدس، ثم أقدمتم على الأقانيم التي اصطلحتم على الصفات الثلاث بها فقسّمتموها / ثلاثة أقسام، وسمّيتموها أباً وابناً وروحاً، وقلتم: إن الثلاثة واحد! ولم تفطنوا لتعجب العالمين منكم، وسخرتهم من

---

[1] ينظر في ضرورة الرسل والرسالات: مجموع الفتاوى 19/93، رسالة خاتم النبيين د. الغشيان ص: 19.

[2] في الأصل: لتكون. والمثبت أوفق للسياق.

[3] تنبؤ إشعيا كما تزعم النصارى هو ما جاء في سفره: 9/6.

جهالة من جهل شأن الإلهية، وما يجب لها ويطلق عليها، وما يجوز أو يستحيل إعزاؤه إليها[1].

ثم فطنتم بأن الأب والابن اسمان متغايران متباينان، وأن التوالد قسمان: معقول، ومحسوس. فالمحسوس: كتوالد الحيوان، وتوالد النبات. والمعقول: كلقاح عقل إنسان بعقل إنسان، فينتج عن ذلك اللقاح نتاج حكمي، وهو من باب الاستعارة لا الحقيقة، ولا يطلق على غير المخلوقين! فاستنكفتم من التثليث[2].

ثم قلتم لأنفسكم: قد سمّى المسلمون كلمة الله وروحاً منه، وسمّاه بعض أنبيائنا بالكلمة، والكلام هو[3] صفة المتكلم، والصفة تابعة للموصوف، فالكلمة حلّت بمريم واتحدت بناسوتها، وتجسّمت وصارت بشراً سويّاً ولاهوتاً إلهيّاً، إنساناً تامّاً وإلهاً تامّاً، يفعل فعل أبيه!

ثم لزمكم أن تكملوا إلهية هذا المجعول منكم إلهاً، فكان من كمالها أن يكون له أنبياء مرسلون[4] يرسلهم إلى العالمين في زمن إلهيته، وإن كان زمناً قصيراً بالنسبة إلى الدهور والأعصر، فزعمتم أنه بعث أنبياء إلى العالم: إمّا ثلاثة أنفار، وهم: توما، وبطرس، وبولص البديل بدل يهوذا[5]. وإمّا الأحد عشر تلميذاً بعدّتهم. وأن بعثهم لم يكن إلا بعد أن صلب ومات، وبعد أن / قام من القبر حيّاً! كما ذكرت مريم المجدلانية في إنجيل يوحنّا[6].

---

[1] في الأصل: (إليه). والمثبت أوفق للسياق.

[2] يزعم النصارى أن التوالد بين الآب والابن معنوي ويرمز له بالأبوة الروحية ثم يزعمون أنها حقيقية!.

[3] في الأصل: (فهو). والمثبت أوفق للسياق.

[4] في الأصل: (مرسلين). وهو غلط.

[5] في الأصل: (هيرودس). وهو غلط. والمراد يهوذا الأسخريوطي.

[6] إنجيل يوحنّا: 20/18، وينظر التعليق السابق في: ل 18/أ ص145.

وللقائل الأول أن يقول لكم: أتعبتم أنفسكم وكلّفتموها فوق طاقتها حيث صنعتم إلهاً مألوهاً، وجعلتموه خالقاً وهو مخلوق، وأقمتموه على وفق مرادكم وأرسلتم له رسلاً باثنتين[1] وسبعين لغة وهم أحد عشر نفساً، ويا لله العجب! كيف تعلّموا الرسل المشار إليهم هذه اللغات؟ التي تفضل في التقسيم على سائر الأمم، في ساعة واحدة، من متخف مترقب خائف متستر عن أعدائه، القاتلين له. يا هؤلاء دونكم وعقول العقلاء.

وللقائل أيضاً أن يقول: من كان هذا حذْوَه وذا الرأي رأيه لا يقال له: ما الحكمة في وضع المخارف بالكنائس والمعابد؟! كنزول النار يوم سبت النور[2]، وإمساك الصليب في الهواء بالمغناطيس بقبرس[3]، وماء

---

(1) في الأصل: (باثنين). وهو غلط.

(2) يزعم النصارى أن ناراً على هيئة نور من قِبل الله تنزل في كنيسة القيامة في بيت المقدس؛ لأنه موضع قبر المسيح! ويسمّى سبت النور الذي يسبق عيد القيامة. وهذا من حيل الكنائس على العامة ولا تزال إلى يومنا الحاضر، يفعلها الأرثوذكس وينكرها البروتستانت. أشار إلى هذه الحيلة: أبو عبيدة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 272 وأن مثلها أيضاً في كنيسة بالأندلس، والجعفري في التخجيل 2/592، وفي كتاب الديارات للشابشتي ص: 310 ت كوركيس عواد: أن مثل هذه النار في دير الطور في سينا.

(3) ذكر هذه الحيلة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 270، والجعفري في التخجيل 2/590 وأن ذلك في كنيسة بالمغرب، والقرافي في الأجوبة ص: 60.

ميرون[1]، وحمل الزرازير للزيتون إلى ديرهم[2]، وظهور الخنافيس بديرهم[3]، والزيت الفاتر بصيدنايا ظاهر دمشق[4]، وفيض عين التماثيل بالدمع[5]، وأشياء مثل هذه المخارف لا تكاد تعد كثرة، ولكنّه يعـــــــــــــــذر من

---

(1) ذكر المؤلف في كتابه نخبة الدهر ص: 118 في ذكر عجائب البلدان المدّعاة: أن ميرون قرية من أعمال صفد فيها مغارة يابسة ليس فيها أي قطرة، يجتمع إليها ناس من اليهود في يوم من السنة هو عيد لهم يدخلون ويخرجون في المغارة وهي يابسة، ثم لا يشعرون إلا والماء يسيح فيها ساعة أو ساعتين ثم ينقطع! فيحملون الماء للبلدان ويقال: هذا ماء ميرون. والميرون عند النصارى: كلمة يونانية بمعنى: زيت، وهو مزيج سائل مركب من زيوت وأطياب، يستخدم في التعميد وتقديس المياه، وتدشين الكنائس، ويسمّى: المسحة المقدسة، وسرّ التثبيت، وسرّ روح القدس! ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية للقمص تادرس ص: 53، والموسوعة العربية الميسرة ص: 3319. وينظر في حيلة الكنائس في ماء التعميد: ما ذكره الترجمان في كتابه تحفة الأريب ص: 137.

(2) الزرازير: جمع زرزور، وهو طائر من رتبة العصفوريات، له منقار طويل ذو قاعدة عريضة، يستوطن أوروبا وشماليّ آسيا وأفريقية، ويشكّل تجمعه خطراً على المزروعات، ويكثر وقت جني الزيتون. ينظر: المعجم الوسيط ص: 392.

وقصة الزرازير ذكرها ابن رسته في الأعلاق النفيسة في وصف كنيسة رومية العظمى، وقد أشار القزويني في كتابه: آثار البلاد وأخبار العباد ص: 174، أن بين تونس والقيروان موضعاً يقال له محقّة بها أمر عجيب: وهو أنه إذا كان أوان الزيتون قصدته الزرازير قد حمل كل طائر زيتونتين في مخلبه يلقيهما هناك، ويحصل من ذلك غلة، قالوا: تبلغ سبعين ألف درهم!.

والدير: مجمع للرهبان به كنيسة وصوامع ومرافق وله رئيس يديره، ولا يعرف دير من الديارات قديماً إلا وهو محصّن بسور. ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية للقمص تادورس ص: 21، ومقدمة كتاب الديارات لكوركيس ص: 49.

(3) تظهر الخنافس في يوم عيد لهم في دير دانيال شرق الموصل في العراق، وعرف الدير باسم الخنافيس. ينظر: الديارات للشابشتي ص: 300، والذيل على الكتاب

كـــــــــــــــــــــــــون نفـــــــــــــــــــــــــــسه استمــــــــــــــــــــــــــــــــــرأت[1] واستقر عندها هذا[2].

ولبعد عهدها عن المعقولات وتعقّلها، والمنقولات الحق والتفقّه فيها، ورؤية الحق حقّاً والباطل باطلاً ظنّت / أن العالم لم يزل خالياً من التدبير الإلهي ب/53
والسياسة الربانية إلى أن ظهر الإله المصنوع فبعث للعالم رسلاً مبشرين ومنذرين! وداموا ثلاث سنين أو أربعاً أو مائة سنة، ثم خلت الأعصار والدهور من التدبير الإلهي ومن السياسة الربانية كما كانت خالية من قبل!. والله أكبر وأجل وأعظم سبحانه وتعالى رب العالمين.

لكوركيس: (25).

[4] صيدنايا: مدينة في ريف دمشق في شمالها بثلاثين كم، اشتهرت بهوائها النقي وشتائها البارد وكثرة الكروم، وأشهر أديرتها: دير السيدة. ينظر: معجم البلدان 3/438. وهي غير صيدا لبنان.

[5] ذكر هذه الحيلة: الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 269، والقرافي في الأجوبة ص: 59.

[1] في الأصل: (تمريت) والمثبت أقرب للصواب، بمعنى: استعذب.

[2] قال أبو عبيدة الخزرجي، والذي كان قسّاً، في كتابه مقامع هامات الصلبان ص: 267 بعد أن وصف ما يظهر من خوارق في الكنائس بأنه بحث مخجل: (إن حذاقكم وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليها، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات)، ثم مثل لها، كما أن في كتاب الديارات للشابشتي فصلاً في أعاجيب الكنائس. وهذه الأعاجيب: غالبها حيل وكذب، أو أنها صحيحة ولا عجب فيها ولكن أسبابها أخفيت على العامة لتضليلهم، ولو صحّ شيء من ذلك فإنه من تلبيس الشياطين ليضلّهم ويضلّ بهم.

فصل

ثم قلتم في الرسالة نسقاً بعد ذلك: **إن كليام وجماعة من ذوي الفطنة والمعرفة قالوا لكم عنّا – معشر المسلمين –[1]: إننا ننكر على النصارى قولهم: (أب وابن وروح قدس) وقولهم: (إنهم ثلاثة أقانيم) وقولهم: (إن المسيح ربّ وإله وإنه خالق)[2].**

وإنّكم أجبتم قائلين: لو علموا قولنا هذا؛ إنما نريد به تصحيح القول: (أن الله شيء حيّ ناطق) لما أنكروا ذلك علينا؛ لأنّا – معشر النصارى – لمّا رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها؛ إذ لا يمكن حدوثها من ذاتها لما فيها من التضادّ والتقلّب، فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو خالق لكل شيء، وذلك لننفي العدم عنه. ورأينا الأشياء تنقسم قسمين: شيء حيّ، وشيء غير حيّ، فوصفناه بأجل القسمين لنفي الموت عنه، فقلنا: هو شيء حيّ. / ورأينا[3] الحيّ ينقسم قسمين: حيّ ناطق، وحيّ غير ناطق، فوصفناه بأفضل القسمين، لننفي الجهل عنه. 54/أ

---

(1) في الجواب الصحيح وفي الرسالة لم يصرح باسم القائل.

(2) في الجواب الصحيح 3/182 زيادة: (**وأيضاً طلبوا منا إيضاح تجسيد تجسم كلمة الله الخالق بإنسان مخلوق**). وفي الرسالة ن 2، ن 3: (**وأيضاً طلبوا منا إيضاح تجسّده**).

(3) كلمة (ورأينا) تكررت في الأصل.

والثلاثة أسماء[1]: شيء حيّ ناطق، الذات والنطق والحياة، فالذات عندنا الأب[2]، والنطق الابن[3]، والحياة روح القدس.

وهذه الأسماء لم نسمّه نحن النصارى بها من ذوات أنفسنا، بل الله سمّى لاهوته بها، وذلك أنه قال على لسان موسى النبي في التوراة مخاطباً لبني إسرائيل قائلاً: (أليس هذا الأب الذي صنعك، وبراك، واقتناك؟)[4]، وعلى لسانه أيضاً قائلاً: (وكان روح الله ترفّ على الماء)[5]، وقوله على لسان داود النبي: (روحك القدس لا تنزع مني)[6]، وأيضاً على لسان داود: (بكلمة الله تشدّدت السماوات والأرض، وبروح فيه[7] جميع قواهن)[8]، وقوله على لسان أيوب

---

[1] في الجواب الصحيح 3/221 زيادة: (**وهي إله واحد مسمّى واحد ورب واحد وخالق واحد، لم يزل ولا يزال**). وفي الرسالة: (**فهي إله واحد لم يزل ولا يزول**).

[2] في الجواب الصحيح 3/183 زيادة: (**الذي هو ابتداء الاثنين**). وفي الرسالة ن 2، ن 3: (**أي: ابتداء الشيئين**).

[3] في الجواب الصحيح 3/183 والرسالة ن 2، ن 3 زيادة: (**الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل**).

[4] بلفظ مقارب في سفر التثنية: 32/6.

[5] بلفظ مقارب في سفر التكوين: 1/2.

[6] سفر المزامير: 51/11.

[7] في الأصل: فاه، والمثبت من الرسالة ن 2، ن 3.

[8] بلفظ مقارب في سفر المزامير: 33/ 6. وفي الرسالة ن 1: (**خلقت السماوات والأرض وبروح فاه جميع جنوده**).

الصديق[1]: (روح الله خلقني وهو يعلّمني)[2]، وقوله على لسان إشعيا: (ييبس القتاد ويجفّ العشب وكلمة الله باقية إلى الأبد)[3]، وقول السيد المسيح في الإنجيل المقدّس للتلاميذ الأطهار: (اذهبوا إلى جميع العالم وعمّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس، إله واحد، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به)[4]. وقد قال في هذا الكتاب: (□ □ □ □ ڽ)[5]، وقال أيضاً: (ٹ ٺ ٿ ٽ ٹ ڤ ڦ ڨ ڪ ق) / الآية[6]، وقال أيضاً: (ڃ ڄ ڇ ڃ)[7]، وقال في سورة التحريم: (ۓ

---

1) أيوب عليه السلام: من أنبياء بني إسرائيل الذين ورد ذكرهم في التوراة ولا يعرف له نسب، واختلف في عبريته أو عربيته، وله سفر باسمه من أسفار الحكمة، وفيه قصة ابتلائه مع المرض، وقد نقل الشيخ رحمت الله في إظهار الحق 1/137 عن بعض علماء اليهود ونصارى البروتستانت إنكارهم لشخص أيوب وأنه فرضي وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة. وجمهور نقاد الكتاب المقدس ينكرون نسبته إلى أيوب وأن مؤلفه مجهول. كما في قاموس الكتاب المقدس (مادة: أيوب)، وينظر في الخلاف فيه: رسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا ص: 327. وقصة ابتلاء الله لنبيّه أيوب عليه السلام ذكرها الله في القرآن في أكثر من موضع.

2) جاء في سفر أيوب: 33/4 بلفظ: (روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني).

3) بلفظ مقارب في سفر إشعيا: 40/8. وجاء في الرسالة ن 1 بعد هذا النص نصان آخران لم يذكرا هنا ولا في الجواب الصحيح، وهما: (**وقال على لسان داود النبي: (أنت الرب إلى الأبد وكلمتك ثابتة في السماء)، وقال أيضاً: (لكلمة الله أسبح)**).

4) إنجيل متّى: 28/19، 20.

5) سورة الصافات: آية 171.

6) سورة المائدة: آية 110، وموضع الشاهد: (**ڦ ڨ ڤ ڄ**).

7) سورة النساء: آية 164.

54/ب

ﭘ ﺭ) الآية[1]. وسائر المسلمين يقولون: إن الكتاب كلام الله، ولا يكون كلام إلا لحيّ ناطق، وهذه صفات جوهرية تجري مجرى أسماء، وكل صفة منها غير الأخرى، والإله واحد لا يتجزّأ ولا يتبعّض.

فالجواب: فأما ما ذكرتم من استدلالكم على معرفة الإله الخالق، وأنه شيء لا كالأشياء، فهو حق وعرفان[2].

وأما قولكم: إنه حيّ بحياة هي روح القدس، ولولاها لم يكن حيّاً، ولولاه يوجدها لم تكن موجودة. فقول باطل

---

1) سورة التحريم: آية 12، وموضع الشاهد: (   ). وفي الجواب الصحيح 3/237 والرسالة ذكر موضع الشاهد من الآيات.

2) مراد المؤلف دليل الحدوث والاستدلال به على وجود الله، وهو دليل عند المتكلمة (المعتزلة والأشاعرة) من المسلمين، وهو ضعيف ويحتوي على مقدمات فاسدة لقضية ضرورية. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص: 984. وهذا الدليل لا يصح استدلال النصارى به؛ لأمور:

الأول: أن زعم النصارى أن قولهم بالتثليث لدلالة العقل عليه باطل، فإن التثليث موجود بالنص المزعوم قبل دليل العقل، فكيف يكون الدليل متأخراً عن مدلوله؟!. ينظر: الجواب الصحيح 3/191.

الثاني: أن استدلالهم بهذا الدليل فيه قصور من جهات، منها: أنهم نسبوا الحدوث للأشياء مطلقاً ولم يفرقوا بين الأشياء المحدثات والله الخالق. ومنها: أن حدوث المحدَث بلا محدِث ظاهر البطلان بضرورة العقول، وليس لما فيه من التضادّ والتقلب كما زعموا. ومنها: أن تعليلهم الضعيف هو لمنع إحداثها لنفسها، فأين تعليل منع إحداثها بلا محدث؟! وكلتاهما مقدمة ضرورية فلِمَ استدل لإحداهما دون الأخرى؟!. ينظر: الجواب الصحيح 3/201.

الثالث: أن قولهم: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وإن كان صحيحاً إلا أنهم ذكروه من غير حجة، وليس دليل الحدوث دليلاً عليه. ينظر: الجواب الصحيح 3/205.

ينقض بعضه بعضاً؛ إذ الموجد للحياة لولاه ما وجدت غني عنها، والذي هو حيّ بها لولاها لم يكن حيّاً فقير إليها، فاستحال أن يكون حيّاً بها وهو الموجد لها، واستحال أن تكون حيّة لذاتها وموجودة به.

ولو قلتم: إنه شيء لا كالأشياء، وحيّ لا كالأحياء. لصدقتم، ونزهتموه عن القياس بكل حيّ بحياة عرضية، ولم يضطركم القياس والتشبيه إلى القول بالنطق والتثليث، وأن الناطق المقاس عليه أفضل من غير الناطق الشبيه[1]، فوصفتم الخالق بوصف المخلوق، ولم تفرقوا بين القديم الواجب المطلق الوجود وبين المحدث الممكن المقيد الوجود.

[1] هذا لازم قياسهم الفاسد، والناطق المقيس عليه: الحيّ بحياة عرضية، والناطق الشبيه: الحيّ بحياة ذاتية.

وألزمكم اختصاركم على التثليث[1] أن تسوقوا بواقي الأسماء والصفات القياسية كما / ابتدأتموها بالقياس، وإثبات الأفضل ونفي الأرذل[2]، فقولوا: ورأينا الشيء الحي الناطق، فمنه: ما هو ناطق بلسان وصوت وحروف ومخارج لها وأدوات يسمع السامع منه نطقه وكلامه، ومنه: ما هو ناطق بضميره لضميره، ولا يسمع متكلماً كالمتكلم بالأدوات التي يسمع بها المخاطبين خبره وأمره ونهيه، ومنه: ما هو ناطق بالحال نطقاً مجازيّاً كما قيل في الموجودات: 55/أ

---

[1] التثليث: من العدد ثلاثة يقال: ثلث الاثنين يثلثهما ثلثاً: صار لهما ثالثاً. ينظر: لسان العرب 2/121.

وأصل الكلمة عند النصارى يوناني (ثرياس) أو لاتيني (ترنيتاس) بمعنى ثالوث. ينظر: أديان العالم لحبيب سعيد ص: 280، ومفهومه: أن الله الواحد جوهر في ثلاثة أقانيم (الأب والابن وروح القدس) متميزة أبدية متساوية في القدرة والمجد، ولم ترد الكلمة في الكتاب المقدّس، وأول من استعملها ترتليان في القرن الثاني للميلاد، وهي عقيدة ترتفع فوق الإدراك البشري. كما في قاموس الكتاب المقدس (مادة: الثالوث الأقدس)، وزعمت النصارى أن التثليث هو التوحيد! ينظر مثلاً: رسالة أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث للأصبهاني اليعقوبي ص: 49، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص: 53. وقول النصارى: إن التثليث لا يدركه العقل، قول باطل؛ بل العقل يمنعه ويحيله؛ لكونه جمعاً بين المتناقضات، ولم يفرقوا بين ما يعجز العقل عن إدراكه وهو الذي أخبرت الرسل به، وبين ما يمنعه العقل ويعلم بطلانه كالتثليث، وهم مختلفون فيه اختلافاً كبيراً. ينظر: الجواب الصحيح 3/185، الإعلام للقرطبي ص: 91، تحفة الأريب للترجمان ص: 139، تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار 1/95، التخجيل للجعفري 1/492، البحث الصريح للراسي ص: 296.

[2] معرفة أسماء الله وصفاته بالقياس لا تصح إلا على سبيل قياس الأولى. ينظر: التعليق السابق: ل أ/29 ص180.

فكلّ بكل ناطق وهو صامت ... يخاف ويرجو فهو يدعو ويسأل[1]

هذا إن أردتم بالنطق الكلام[2].

وإن كنتم أردتم به العلم والإدراك فتصفوه بأكمل النطقين، وهما: الكلام المسموع أو العلم الذي هو ضد الجهل.

وقولوا أيضاً: ورأينا الناطق ذا وجود في الذهن وفي الخارج، وذا وجود مفروض في الذهن دون الخارج، فوصفناه بأكمل الوصفين، فقلنا: هو شيء حيّ ناطق موجود في الذهن وفي الخارج.

وتقولوا أيضاً لزوماً واضطراراً: ورأينا الشيء الحيّ الناطق في الذهن وفي الخارج منقسماً إلى: حساس مدرك للمحسوسات، وغير حساس، والحساس أكمل، فوصفناه بإدراك المحسوس.

وتقولوا: ورأينا الحساس منقسماً إلى: متحرك باختياره، ومتحرك مجبر على الحركة، ومتحرك بغيره ب/55
وليس بحيّ، والمتحرك بالاختيار أفضل، فوصفناه / بأنه حساس متحرك بالاختيار لا ساكن عطل عنها.

وتقولوا أيضاً: ورأينا الشيء الحي الناطق الموصوف المشار إليه منقسماً إلى: ذي خواص كالتخيّل والتفكّر والتذكّر والحفظ، وإلى غير ذي خواص، وذو الخواص أفضل وأكمل فوصفناه بالأكمل الأفضل.

---

[1] في الأصل: (ويرجوا. . . يدعوا). ولم أعرف قائله أو مصدره.

[2] في لغة العرب لا يعرف النطق إلا مسموعاً، ومنه قول العرب: مالُهم ساكت وناطق. يقصدون بالساكت الذهب ونحوه وبالناطق الحيوان؛ لأن له صوتاً. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري 16/279. فما ذكره المؤلف من نطق الضمير محل نظر إلا أن يقال مجازاً كنطق الحال.

وتسلسلوا هذه الرواية القياسية إلى أن تدلّكم على الإنسان الجامع لهذه الأوصاف لا غيره من سائر الحيوان والملائكة والجان! والحدّ[1] له أن يقال: هو شيء حيّ ناطق مائت. أو يقال: هو حيوان ضاحك عريض الأظفار حيّ ناطق مائت. وسبحان الله رب العالمين عمّا وصفتموه وتصفون، وتعالى عن أن يقال له: من خلقه؟ أبداً، لولا أوامره[2].

وكذلك أيضاً يلزمكم في هذا الفحص والنظر بآرائكم أن تقولوا[3]: ورأينا الموصوف بما وصفناه من الصفات الأكملية والأفضلية، منه: ذو اختيار وقدرة، ومنه: ما لا اختيار له ولا قدرة، والقادر أفضل، فوصفناه بالقدرة على الفعل وعلى الترك.

وتقولوا في القدرة: إنها صفة تابعة لموصوفها، وهو قديم لم يزل، فقدرته لم تزل، والقادر بقدرة لغير مقدور 56/أ
لا يكون، بل قادر بقدرة / لمقدور لم يزل، فيُلزِمكم القياسُ والتشبيهُ - الذي أسستم عليه التثليث – أن تقولوا في الموصوف: بأنه قادر وأنه قدرة وأنه مقدور. وكذلك يلزمكم أن تقولوا: هو المريد وهو الإرادة وهو المراد، وهو الفاعل وهو الفعل وهو المفعول[4].

---

1) في الأصل: (والجد له)، والمثبت أقرب للسياق.
2) كذا في الأصل. ولم يتبين لي معناها.
3) في الأصل: (يقولوا). والمثبت أوفق للسياق.
4) ما ذكره المؤلف لازم للنصارى؛ لأنهم جعلوا المقدور للرب المخلوق بكلمته وهو المسيح (الابن بزعمهم) أزليّاً! فساووا بين الخالق والمخلوق، لكن هذا لا يلزم على قول المسلمين المثبتين لصفات الرب وأفعاله الاختيارية وأن قدرته سبحانه تابعة لمشيئته، وأنه لم يزل قادراً، قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية ص: 126: (كذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، والكلمة مخلوقة. وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذاته، وكلمته من ذاته. . . وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة) وقال أيضاً ص: 140: (فقالت

وأي قول أظهر استحالة من هذا، أن يكون رب العالمين قادراً وقدرة ومقدوراً، تعالى الله سبحانه عن ذلك.

ثم قلتم: إن مرادكم إنما هو تعداد أسماء صفات للذات، ثلاثة أسماء صفات: شيء حيّ ناطق، أسماء مسمّاها واحد: إله واحد، رب واحد، خالق واحد. ثم أتبعتم هذا الشرح بقولكم: الذات والحياة والنطق، الذات عندنا الأب، والنطق الابن، والحياة روح القدس. تعنون أنكم اصطلحتم على هذا الهزء اصطلاحاً لأنفسكم منكراً عقلاً وشرعاً، وكنتم بهذا القول شارحين صدور اليهود، مفرحين قلوبهم، مثبتين لهم ما زعموا في المسيح وزعموا فيما بسببه قتلوه، صادق عليكم تسميتكم كفرة أهل الكتاب بشهادة القرآن وواضح البرهان به، حيث ابتدأتم في النظر وفحصتم عن معرفة الله تعالى بالمعقول، ودلّكم / الدليل الواضح < من الموجودات شيئاً >[1] على أنه سبحانه موجود ثابت الوجود أزلاً وأبداً،

الجهمية، لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى، حين زعموا أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته. قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته، ونوره، لا متى قدر، ولا كيف. فقالوا: لا تكونون موحدين أبداً، حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها؛ أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم مثلاً في ذلك، فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها: جذع وكَرَب وليف وسعف وخوص وجمار، واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله - وله المثل الأعلى - بجميع صفاته، إله واحد. ولا نقول: إنه كان في وقت ولا قدرة له، حتى خلق له، والذي ليس له قدرة هو عاجز). وينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية 2/497.

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من هامش الأصل.

وعلى أنه تعالى لولا وجوده الحقّ وإيجاده لِما أوجد لم يكن موجوداً، وعلى أنه سبحانه حيّ عالم مريد قادر سميع بصير متكلم، وسمّيتم كلامه علماً ونطقاً، ثم أعرضتم عن المعقول والمنقول وقلتم في رب العزة الأحد الصمد: إنه ثلاث ذوات، أقانيم جوهرية، ثوابت الوجود، ولم يزالوا ولا يزالون[1] أبداً مشتركين في إلهيتهم المتّحدة! وقلتم بالمعنى: إن هؤلاء الثلاثة هم: الشيئية والحياة والنطق، متفقون في الإلهية والربوبية والخلق، فهم إله واحد أب وابن وروح، كل مسمّى منهم غير المسمّى الآخر، إذ الأب غير الابن ومباين له لا محالة، والروح غيرهما كذلك، فصرّحتم بالكفر والشرك، كما قلتم في شرح معناها: ب/56

إن الأب موجود لذاته، أي: لم يزل، وإنه حيّ بالروح، ناطق بالابن.

وإن الروح حيّة لذاتها، أي: لم تزل، وإنها موجودة بالأب، ناطقة بالابن.

وإن الابن ناطق لذاته، أي: لم يزل، موجود بالأب، حيّ بالروح. فأفصحتم بالشرك، وأعظمتم الفرية على الذي هو شيء لا كالأشياء [2].

ولم يكن لكم حجّة تحتجّون بها ولا أثارة من علم، ولا مخلصَ ولا مخرجَ[3] مما أتيتم به من الشرك / الصريح، إلا

أ/57

---

[1] في الأصل: (يزالوا). وهو غلط.

[2] يصح أن يُخبر عن الله بأنه شيء، ولكن لا يقال: لا كالأشياء، إلا أن يقيد بالأشياء المخلوقة؛ لكي لا يتوهم النفي المطلق، فإن الشيء الذي لا كالأشياء هو لا شيء، كما قال الإمام أحمد وغيره. ينظر: الرد على الجهمية ص: 99، ودرء التعارض لابن تيمية 2/415.

[3] في الأصل: مخلصاً ولا مخرجاً. وهو غلط.

أن تستندوا إلى ما زعمتم أنه في التوراة والإنجيل مكتوب، تعنون:

قوله لبني إسرائيل: (أباك الذي صنعك وبراك واقتناك) ، وقول المسيح: (أبونا الذي في السماوات) ، وقوله: (يفرح بكم أبوكم الذي في السماوات) ، وقوله لمريم المجدلانية: (إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[1]، مع علمكم أن لفظة الأب في اللغتين العبرانية والسريانية معناها معنى الرب[2]، وفي اللغة

---

[1] سبقت هذه النصوص في: ل أ/22 ص156.

[2] في ضبط كلمة الأب يقول محب الدين الخطيب في مقالة بمجلة الزهراء في المحرم 1343هـ 1924م ص: 12: (كلمة (أب) التي بمعنى الوالد، فإنها من المواد الأصلية التي توجد في كل اللغات السامية، وذلك مما يدل على وجودها في اللغة الأولى المنقرضة، فورثتها عنها اللهجات التي تفرعت منها. وغاية ما في الباب أن لفظ (أب) يختلف قليلاً في بعض اللهجات عنه في البعض الآخر: فالمتكلمون بالآرامية العراقية كانوا يلفظون هذه الكلمة بألف مفتوحة بعدها باء مشدودة مفتوحة أيضاً وفي آخرها ألف ملساء، وهذا التشديد في حرف الباء عارض لتوالي الفتحتين. أما المتكلمون بالآرامية الشامية فيلفظونها بألف ممدودة بعدها باء مخففة مضمومة وفي آخرها ألف ملساء أيضاً). وجاء في قاموس الكتاب المقدس (مادة: أبو): (كلمة سامية وردت بهذا اللفظ في العبرية والفينيقية والآشورية والآرامية والسريانية والسبئية والحبشية كما في العربية. وقد وردت في الكتاب المقدس بمعان كثيرة، منها: (حقيقة) على الوالد والجدّ، ورمزيّاً على الأب الروحي وللدلالة على التقارب للشيء وعلى مصدر الشيء وعلى الخالق وعلى المرشد... ويعتبر الله في الديانة المسيحية أباً... وأبوة الله تسير في اتجاهين: الاتجاه الأول: أبوته للبشر بالخلق. والثاني: أبوته للمؤمنين بالنعمة) باختصار. قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/239: (إن هذا حجة عليهم؛ فإذا كان في الكتب المتقدمة تسميته أباً لغير المسيح وليس المراد بذلك إلا معنى الربّ علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الربّ، فيجب حمله في حق المسيح على هذا المعنى؛ لأن الأصل عدم الاشتراك في الكلام).

العربية الرب هو: السيد المالك الرابّ المربِّي لكل مربوب،كما بيّناه في غير هذا الموضع[1]، ومنه: قول بعضكم لبعض في المخاطبة بالتعظيم: يا أبانا، يا أبانا[2].

وكقولكم في أوّل الأمانة الكبيرة: (نؤمن بإله[3] واحد، أب ضابط للكل، خالق السماوات والأرض، صانع ما يرى وما لا يرى) ، ثم قرنتم إلى اسم الأب اسم الابن جزماً باعتقادكم الوالد والولد، وذلك قولكم في الأمانة بعد القول الأول: (نؤمن بيسوع[4] المسيح، ابن الله الوحيد، الإله الحق من الإله الحق من جوهر أبيه) ، تصريحاً بالوالدية والولدية وتبعيض الإله، إذ لفظة (من) تقتضي[5] التبعيض والتجزؤ، كما يقال: الجزء من الكل، وأعطني من هذا، أي: من بعض هذا[6]. 57/ب

ثم أكّدتم إفراد الأب عن الابن / والابن عن الأب، وصرحتم بالتجسيم، فقلتم في أمانتكم هذه: (إن المسيح صلب وعذب وذاق الألم والموت وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وسيأتي مرة ثانية لفصل القضاء بين الأموات والأحياء) ، وكأنما أنتم مشاهدون لما تخبرون به وتقتضونه من هذا الهزاء! إذ حَكَم معقولكم عندما وجدتم في التوراة قوله: (أباك

---

[1] ينظر: ل ب/47 ص241، وفي كلمة (الربّ) ينظر: معجم مقاييس اللغة 2/382.

[2] في الأصل: (أبونا) في الموضعين.

[3] في الأصل: (الإله). والمثبت هو الموافق لنص الأمانة. ينظر: ما سبق: ل ب/20 ص156.

[4] في الأصل: (يا يسوع). والمثبت هو الموافق لنص الأمانة. ينظر: ل ب/20 ص156.

[5] في الأصل: (يقتضي). والمثبت أوفق للسياق.

[6] حرف (من) ذكر النحاة له قريباً من خمسة عشر معنى، أشهرها: ابتداء الغاية، والتبعيض. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ت. قباوة وفاضل، ص: 315.

الذي صنعك) أنها أبوة حقيقة، وأنها معنوية لا محسوسة، وأن الأب لا بد وأن يكون والداً وإلا فلا يسمّى أباً؛ وقد سمّى نفسه في التوراة أباً فلا بد له من ابن مولود منه وعنه، تكون ذاته من ذاته، وصفاته كصفاته، وليس إلا النطق والحياة الصفتان للشيئية، ولا يليق بالحياة[1] أن تكون ابناً للأب وهو حيّ بها، فالنطق هو الابن؛ لأن النطق كلام متولد عن المتكلم به وقائم في نفسه الناطقة، مولود[2] منه باللسان والأدوات، قارع للسمع يتلقاه السمع المتقرّع به تلقياً معنويّاً، كتلقي الفرْج نطفة الولد الحسي!

وحَسُنَ القياسُ الفاسد هذا لكم والإسنادُ بالتأويل الغير صحيح إلى قول داود في المزامير: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض) ، وقول إشعيا: (يجف العشب وكلمة الله باقية إلى الأبد) . فقلتم في أنفسكم: هذه الكلمة هي / النطق! ولم تعلموا أن المراد تعريف العباد بأن الله يقوّم السماوات والأرض بأمره، وبكلمته قامتا وخرجتا من العدم إلى الوجود، وكلمته قوله للشيء: كن. فيكون[3]. أ/58

ولما سمّيتم الكلمة نطقاً وجعلتم النطق ابناً، ولم يكن كتابنا الكريم نزل ولا ديننا الحق ظهر، عاودتم النظر في التوراة وكتب النبوءات لعلكم تجدون شبهة تستندون إليها في زعم الأبوة والبنوة؛ إذ زعمهما من أنكر المنكرات في العقل وإن كانت معنوية لا حسية! فوجدتم في التوراة القول لإسرائيل: (أنت ابني بكري الذي

---

1) في الأصل زيادة (إلا) والمثبت أوفق للسياق.

2) في الأصل: (مولودة) والمثبت أوفق للسياق.

3) ينظر: الجواب الصحيح 3/245.

ارتضيت)[1]، فجزمتم بما زعمتم في الكلمة: أنها النطق، وأن النطق ابن.

ووجدتم في التوراة أيضاً القول بما معناه: (وكان روح الله ترفّ على الماء) ، وقول أيوب الصديق: (روح الله خلقني وهو يعلمني) ، وقول داود النبي: (روحك القدس لا تنزع مني) . فجزمتم بأن الحياة التي هي إحدى[2] الصفات الثلاث روح القدس، وجعلتموها ذاتاً متوسطة بين الأب والابن، رابطة بينهما بقوتها[3].

وأن المسمّى أباً والمسمّى ابناً والمسمّى روحاً كمثل من يقول: الإنسان وروحه ونطقه، أو: الشمس وشعاعها وضوؤها، فإنه يسمّي ثلاثة أسماء والمسمّى والحقيقة واحد![4].

هذا غاية ما دلّكم عليه معقولكم / ومنقولكم. ب/58

(1) سفر الخروج: 4/22. وإسرائيل: يعقوب النبيّ عليه السلام. ينظر: سفر التكوين: 35/11.

(2) في الأصل: (أحد). وهو غلط.

(3) قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/238: (كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون إلا حقّاً وصدقاً، ولا يكون فيه شيء مما يعلم بطلانه بصريح العقل، وإن كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون إخبار الأنبياء. . . وقد أوجب الله علينا أن نؤمن بكل ما أخبروا به. . . وإذا كان كذلك فما ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم به الحجة إذا علم إسناده ومتنه، فيعلم أنه منقول عنهم نقلاً صحيحاً، ونعلم أن ترجمته صحيحة، ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا ذلك المعنى. وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث) باختصار.
كما أشار الإمام القرافي في الأجوبة ص: 121 إلى فساد النقل من كتبهم وتناقضه، وأنه لا يوثق به في الدين.

وقد فسر الإمام ابن تيمية ما نقلوه عن الأنبياء بما يوافق التوحيد وينقض التثليث ويكون حجة لأهل الإسلام على النصارى. ينظر: الجواب الصحيح 3/239 وما بعدها.

(4) تمثيل صورة التثليث بالإنسان أو الشمس أو النار ذكرها ابن العسال النصراني في كتابه النصائح ص: 90، وبولس الأنطاكي في رسالته خلاصة معتقد النصارى نشرت في مجلة المشرق السنة الأولى، عدد: 18 ص: 841، والأصبهاني اليعقوبي في رسالته أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث، ولهم أمثلة أخرى شبيهة بها، وينظر: مقالة في التثليث والتجسد لبولس البوشي ص: 163 ت. الأب سمير خليل.

ومن أعجب ما ادّعيتموه وأغرب ما تحرّيتموه إلى المسيح زعمكم المنكر: أنه قال في الإنجيل لتلاميذه: (اذهبوا إلى جميع العالم وعمّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد)[1]. فنسبتموه إلى ما لا ينتسب إليه إلا الضالون من الجهل والضلال والشرك الصريح والكفر بما في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وبما

وقد بيّن العلماء فساد هذه الأمثلة، قال الباقلاني في التمهيد ص: 165: (إن النصارى لم تنقل التثليث فيُفسد نقلها، وإنما تأولته واستدلت عليه من عند أنفسها، وضربت للحلول والاتحاد والجوهر والأقانيم الأمثال، وغلطت وأخطأت في اجتهادها وتأويلها). ومما جاء في أدلة الوحدانية ص 73: (فإن كان الثالوث تمهّد لكم من هذه القاعدة (الأمثلة) فكثير يجيد غيركم من الثنوية والطبائعيين والمنجمين من هذه الأمثلة الفاسدة، بل تزيدون أنتم عليهم في الفساد فتجعلون بين القديم والمحدث ممازجة!). وقال القاضي عبد الجبار في المغني 5/103 عن التمثيل بالشمس: (وهذا بعيد؛ لأن ضياء الشمس غير الشمس، وصفته تخالف صفته، وبعضه غير بعضه، وذلك لا يصح عندهم في الأقانيم). وقال الإمام ابن تيمية في الجواب 3/296: (وتمثيلهم بشعاع الشمس حجة عليهم لا لهم. فإن الشعاع القائم بالهواء والأرض والجبال والشجر والحيطان ليس هو قائماً بذات الشمس، والقائم بذات الشمس ليس هو قائماً بالهواء والأرض)، وأيضاً: 3/484. وينظر: ردّ ابن حزم في الفصل 1/117، والخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص: 140، 141، والحسن بن أيوب في الجواب الصحيح 4/116، والقرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 125، ونصر المتطبب في النصيحة الإيمانية ص: 64.

[1]) هذا النص (المذكور في إنجيل متّى: 28/19) يستدلّ به النصارى على التثليث وهو أصرح ما عندهم، وهو لا يصح لا نقلاً ولا معنى:

فأما النقل: فإن إثبات أن المسيح قاله يحتاج إلى دليل، ولا يكفي ثبوته في إنجيل متى؛ وذلك لضعف موثوقية الأناجيل ولتفرده بين الأناجيل، كما أثبت النقد الحديث بطلان النص وأنه دخيل على الإنجيل، وذلك من وجوه، منها: أن متّى اعتمد في إنجيله على مرقس، ويكاد يجمع الباحثون على أن خاتمته دخيلة،

قاله هو في الإنجيل وأمر به من القول بالتوحيد والتفريد، واعتقاد أحدية الإله وصمديّته وتنزيهه عن كل ما سواه[1].

وصدّقتم اليهود وزكيتم قولهم عنه: إنه كان ضالّاً مضلاً؛ ولذلك قتلناه وصلبناه، وإن المسيح الذي نبأت به الأنبياء لم يأت بعد، وإنّنا في انتظاره، وإذا أتى صدّقناه وتبعناه![2] فنسأل الله العافية، ونحمده على الهداية.

ولا يذكر فيها التعميد باسم الثلاثة. ومنها: أن صيغة التثليث لم تكن معروفة في عصر الرسل المسيحي! ومنها: لو كان ثابتاً وفيه التبشير بين الأمم غير بني إسرائيل لما اختلف التلاميذ في ذلك. ومنها: أن التلاميذ قاموا بالتعميد باسم المسيح وحده وليس الثلاثة، كما في سفر أعمال الرسل: 2/38. ينظر: تثبيت دلائل النبوة 1/114، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 61، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ د. السقار ص: 160.

وأما بطلانه معنى: فإنه لو صحّ نقله عن المسيح لم يصحّ تعيين معناه في التثليث؛ لكونه محتملاً له ولغيره، وحمله على معنى التثليث ترك للمعنى الموافق للمعهود من كلام المسيح في كتبهم، إلى معنى متأخر لم يكن يعرف في زمن المسيح ولا تلاميذه، بإقرار النصارى، وتحريف للمعنى الموافق للعقول إلى المناقض لها، ومعنى النص الموافق لسائر كلام المسيح، أي: مروا الناس أن يؤمنوا بالله وبنبيّه الذي أرسله وبالملَك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به. ينظر: الجواب الصحيح 3/193، 4/160، الإعلام ص: 65.

1) ينظر في جمع بعض أقوال المسيح في الدعوة إلى التوحيد: إظهار الحق 3/736.

2) الاعتقاد بصلب المسيح وقتله حجة لليهود على النصارى بنفي رسالته، وأن الرسول المنتظر المذكور في كتبهم ليس هو المسيح؛ لأن علامته العزة والتمكين، قال ابن كمونة اليهودي في كتابه تنقيح الأبحاث ص: 61: (وقد جاء في كتب الأنبياء من علامات المسيح وما يكون في زمانه ما لم يظهر في إيشوع ولا في زمانه)، وصلب المسيح وإلحاق الذلة به وتفرق أصحابه دليل على أنه لم يكن هو الموعود المنتظر في الكتب. وهذا القدح من اليهود في المسيح غير مسلم به؛ لأن نبوته ثبتت بطرق متعددة، لكنه لازم للنصارى حين يعتقدون بالصلب وأن الله لم ينجه من كيد أعدائه. ينظر: الإعلام للقرطبي ص: 180.

ثم لمّا جاء الله بالإسلام، وأنزل القرآن المجيد على نبيّنا عليه السلام، واتصل بكم لترتيب الحجة عليكم، كما قلتم: إنكم قرأتموه وفهمتموه، ووجدتم فيه: وصف المسيح بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح 59/أ
منه، وأنه عبد الله آتاه الكتاب والحكمة وجعله نبيّاً مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاة والزكاة، / وأيده بروح القدس، وجعله وأمّه آية للعالمين، وأنه لن يستنكف أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون، أي: الذين هم الملأ الأعلى.

ووجدتم فيه أيضاً: تحريم الشرك والتحذير منه، وأنه ظلم فاحش وضلال بعيد وإثم عظيم وذنب لا يغفر.

وأقررتم بأن نبيّنا رسول الله أرسله إلى العرب، واستشهدتم ببعض آيات من القرآن الذي أنزل عليه؛ لزمتكم حجة الله تعالى بما علمتموه من وحيه هذا، وبما بيّنه لكم والعالم من أمر المسيح واختلاف أهل الكتاب فيه. فجذبكم الغلو والتمسك بظاهر قوله تعالى عن المسيح: إنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، من غير تدبّر لمفهوم الكلمة ولا تفقّه لمعنى الإلقاء، فجسّمتم المعنى اللطيف، وأنزلتم التسمية للكلمة منزلة الولد المولود من الوالد!

ولم تفطنوا أن التسمية للمسيح بالكلمة تكْرِمة له وتشريف من الله تعالى، وتخصيص خصصه به: كتخصيص آدم أبي البشر بتسميته النفخ فيه من روحه وسجود الملائكة له، والإشارة إليه في التوراة عند ذكر بدء 59/ب
الخليقة بالشبه والمثال[1]، وتخصيص إبراهيم / بالخلة،

---

(1) إشارة إلى ما ورد في قصة الخلق في سفر التكوين: 1/26، 27: (وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. . . فخلق الله الإنسان على صورته، وعلى صورة الله خلقه). وفي صحيح البخاري في كتاب الاستئذان باب: بدء السلام رقم: (

وتخصيص موسى بالتكليم، وتخصيص محمد بالمحبّة والرؤية[1].

ولم يكن آدم إلهاً مسجوداً له من دون الله تعالى، ولا كان إبراهيم متخلِّلاً بذاته ذاتَ الله، ولا كان موسى سامعاً لكلام الله كسماعه للكلام الإنساني، لأنه لو كان كذلك لم

5873) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ قال: (خلق الله آدم على صورته). قال الإمام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية 6/373: (هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك. وهو أيضاً: مذكور فيما عند أهل الكتابين من الكتب، كالتوراة وغيرها). والصورة: هي هيئة الشيء القائم بنفسه وشكله، والصورة لله كغيرها من الصفات التي تختص به سبحانه إذا أضيفت إليه على ما يليق به، من غير تمثيل ولا تعطيل، وإذا أضيفت إلى المخلوق اختصت به. ينظر: بيان تلبيس الجهمية (قسم الدراسة) ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

[1]) لم يثبت حديث في اختصاص نبيّنا بالمحبة مطلقاً، وإنما ثبت له أعلى المحبة وأكملها وهي الخلة، كما ثبتت لإبراهيم عليه السلام، قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 10/204: (وقول بعض الناس: إن محمداً حبيب الله وإبراهيم خليل الله، وظنه أن المحبة فوق الخلة، قول ضعيف، فإن محمداً أيضاً خليل الله، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة). ينظر: شروحات العلماء على قول الطحاوي في عقيدته: (وحبيب رب العالمين).

وأما اختصاصه بالرؤية فثبت في الأحاديث أنه رأى ربه بفؤاده وفي منامه، واختلف العلماء: هل رأى ربه بعينه؟ قال الذهبي في السير 2/167: (لم يأتنا نص جلي بأن النبي رأى ربه بعينه). وجاء إثبات الرؤية مطلقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونفي الرؤية عن عائشة رضي الله عنها، قال ابن حجر في الفتح 8/608: (الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة: أن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب).

تكن له مزية ولا تخصيص[2]، ولا كان عيسى المسيح كلمة الله وروحاً منه متبعّضة: منفصلة كانفصال الأجسام أو متصلة كاتصال الكلام والأرواح المعلومة للمعقول، ولا كان محمد رائياً ربّه كرؤية البصر للمبصرات، بل شرّف الله سبحانه كل واحد منهم بتشريف خاص مناسب له متميز به، يلوح عليه لأهل الذوق لائحة سنا برق ذلك

ينظر: الشفا للقاضي عياض 1/258، مجموع الفتاوى لابن تيمية 6/507.

أخرج بن أبي عاصم في السنة ص: 192 رقم: (442) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم عليه السلام، والكلام لموسى عليه السلام، والرؤية لمحمد). قال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد 2/479، والحاكم في المستدرك 2/509 وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

[2] ما ذكره فيه نظر، ولو قال: ولم يكن سماع موسى لكلام الله كسماع غيره، لصحت العبارة؛ فإن المزية لموسى عليه السلام أنه سمع كلام الله مباشرة من غير واسطة وهو بجانب الطور، قال ابن القيم في مختصر الصواعق (ت. العلوي) 3/1375: (وكلام الرب تعالى، بل كلام كل متكلم، تدرك حروفه وكلماته بالسمع تارة وبالبصر تارة، فالسمع نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما كان بغير واسطة كما سمع موسى بن عمران كلام الرب تعالى من غير واسطة، بل كلمه تكليماً منه إليه، وكما يسمع جبرائيل وغيره من الملائكة كلامه وتكليمه سبحانه، وأما المقيد فالسمع بواسطة المبلغ، كسماع الصحابة وسماعنا لكلام الله حقيقة بواسطة المبلغ عنه. . . وأما النظر فعلى نوعين أيضاً، فإن المكتوب قد يكتبه غير من يتكلم به فيكون الناظر إليه ناظراً إلى الحروف والكلمات بواسطة ذلك الكاتب، وقد يكون المتكلم نفسه كتب كلامه، فنظر الناظر إلى حروفه وكلماته التي كتبها بيده، كما سمع منه كلماته التي تكلم بها، وهذا كما كتب لموسى التوراة بيده بغير واسطة، كما في الحديث الصحيح في قصة احتجاج آدم وموسى، وفي حديث الشفاعة وغير ذلك، فجمع لموسى بين الأمرين: أسمعه كلامه بغير واسطة، وأراه إياه بكتابته). ينظر: مجموع الفتاوى

الاختصاص، ويفهمون منه الإشارة بعبارة تلك التسمية التي اختص بمسمّاها.

كما فهمنا نحن المسلمين[1] الإشارة إلى هذه التخصيصات الستة لهؤلاء الرسل الكرام الستة من عبارة الكلمات الست[2] التي علمنا إياها نبيّنا محمد ، وهي قول: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[3].

والمعنى المفهوم من إشارتها[4]: أن موسى بن عمران عليه السلام لم يزل قائلاً بالحال والقال /: 60/أ
سبحان الله، سبحان الله. تعجباً من سماعه الخطاب من النار والشجرة، ومن انقلاب العصا في يده حيّة تسعى

12/162.

[1]) في الأصل: (المسلمون).

[2]) في الأصل: (الستة).

[3]) وردت أحاديث في فضل هذه الكلمات، منها: ما أخرجه الإمام أحمد في المسند 2/210، والترمذي وحسنه في سننه (ح 3460)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي 1/503 من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : (ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كُفِّرت عنه ذنوبُه ولو كانت أكثر من زَبَد البحر)، حسّنه الألباني في صحيح الجامع: (ح5636). وقد فسرت الباقيات الصالحات بهذه الكلمات. ينظر: جزء في تفسير الباقيات الصالحات للحافظ العلائي ص: 31.

[4]) لم أجد من فسّر هذه الكلمات بما أشار إليه المؤلف من دلالتها على الأنبياء. وتخصيص كل نبيّ بكلمة منها لا يصح؛ لأن هذا الذكر قائم على التعظيم والتوحيد لله الذي بعث به جميع الأنبياء، فأحوالهم فيه على الكمال، ومثل هذا التخصيص لا يصح إلا بدليل، فكل نبي رآى من المعجزات ما يوجب التسبيح، ومن النعم ما يوجب الحمد، وبعثوا جميعهم بالتوحيد، وواجهوا من أقوامهم من الشدة والعناد ما يطلب التبرأ من الحول والقوة إلا بالله.

وانقلاب الحيّة عصا كما كانت، ومن شهوده لضرباته العشر[1] التي ضربها فاعلاً بذلك فعل الإله، كما رمى نبيّنا التراب والحصى بكفّه في أعين الكفار فهزمهم، وقال الله في ذلك: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ)[2].

وأن المسيح عليه السلام لم يزل بالحال والمقال قائلاً: الحمد لله، الحمد لله. على تعداد النعمة عليه وعلى أمّه بإلقاء الكلمة إليها، وتأييده بروح القدس، وإحيائه للموتى مثل العازر[3] وغيره ممن أحياهم بإذن الله، وإبرائه للأكمه، وتنقيته للأبرص، ونفخه الطير الطين فيكون طيراً بإذن الله.

وأن نبيّنا لم يزل بالقال والحال قائلاً: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. حتى خلت جزيرة العرب من الأصنام، وعُبد الله وحده في أقطار الأرض، وأَذل المشركين كفرة أهل الكتاب في غالب الأرض فأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ورفع علم الهدى للعالمين، وأعلى الله به دين الإسلام، وكلمة التوحيد على كل دين، حتى إنه في كل يوم من أيام الدهر ينادي مناديه: لا إله إلا الله. بأعلى مكان بكل بقعة / على شرف[4] بأحسن صوت من أشرف قائل ومخلوق – أعني: الإنسان – وفي كل يوم وليلة خمس مرات. ب/60

وأن إبراهيم عليه السلام لم يزل قائلاً بالحال والمقال: الله أكبر، الله أكبر. إعلاناً بالحق وتبكيتاً لنمرود،

---

(1) في الأصل: (العشرة).

(2) سورة الأنفال: آية 17. وقد نزلت في غزوة بدر الكبرى. ينظر: تفسير ابن كثير 4/31.

(3) كذا في الأصل. وفي إنجيل يوحنّا: 11/41: (لعازر). وهو رجل من بيت عنيا. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: لعازر).

(4) أي: مكان عالٍ ومرتفع. ينظر: معجم مقاييس اللغة 3/264.

وتعريفاً للصابئة عبدة الكواكب، حتى دان العالم في زمنه بدين الحنيفية[1]، شاهدين بأن الله هو المعبود الحق، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وأن آدم أبا البشر لم يزل قائلاً بالحال والمقال: لا حول إلا بالله. وذلك عند رؤية كل بلية ومحنة وفتنة؛ إذ خلق هو وذريته للامتحان والتكليف والابتلاء، وأخرج من الجنّة مع حواء إلى الأرض، وسلّط عليه إبليس وعلى ذريته، وعصى آدم وإبليس بمعصية مشتركة، فآدم نُهي عن الشجرة فخالف، وإبليس أُمر بالسجود لآدم فخالف، ثم تاب الله على آدم وهداه[2].

وأن نوحاً عليه السلام لم يزل قائلاً بالحال والقال: لا قوة إلا بالله، لا قوة إلا بالله. تفويضاً إلى الله وتوكلاً عليه واستعانة على كفار قومه بالله، وتكذيبهم لنوح وصبره على أذاهم له ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعمله للسفينة وحشر سائر الحيوان إليها، ليحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين، وعلى هول الطوفان وجريان السفينة في موجٍ كالجبال، ومثل هذه الأهوال.

فالمسيح كلمة الله بمعنى أنه مخلوق / بكلمة الله، التي هي قوله للشيء الذي يريد كونه: كن. فيكون، 61/أ

---

[1] الحنيفية: في اللغة: الحنف هو الميل واعوجاج في القدم، والحنيف عند العرب الذي يستقبل البيت الحرام ويتبع ملة إبراهيم عليه السلام، ودين الحنيفية هو الميل إلى الإسلام والتوحيد ومجانبة الشرك، كما قال تعالى في سورة آل عمران: آية 67: (ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ). ينظر: لسان العرب 4/250، النهاية لابن الأثير 1/451.

[2] روى أبو نعيم في الحلية 7/ 272 عن ابن عيينة رحمه الله قال: (من كانت معصيته في الشهوة فارجُ له التوبة؛ فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغُفر له، وإذا كانت معصيته في كِبْر فاخشَ على صاحبه اللعنة؛ فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن). وينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 20/85.

وتخصص بالتسمية لذلك، ولأن مَثَله كمَثَل آدم، ولأنها اسم تكرمة له من الله تعالى.

وأي فرية على الله وعلى المسيح أعظم من القول بتجسّم كلمة الله تعالى التي هي من صفات ذاته وانقلابها وهي خالقة – بزعمكم – انقلاباً بالتدريج والممازجة والحلول والاتحاد بناسوت مريم إلى ناسوت المسيح المخلوق المولود بالكلمة من مريم أمّه، إلهاً تامّاً وإنساناً تامّاً، مولودين معاً؟![1]

---

[1]) عقيدة التجسد عند النصارى من أهم العقائد وأشكلها، وقد اختلفت عباراتهم في التعريف بها، قال الأصفهاني اليعقوبي في رسالة أشرف الحديث ص: 49: (اعلم أن قاعدة الاتحاد قاعدة عظيمة اضطرب فيها الأولون وتبعهم الآخرون، ولذلك اختلفت فيها عبارات القوم، قالوا: اتّحد، وتجسّد، وتدرّع، وتأنس، وظهر، وانطبع، وانتفس، وغير ذلك؛ وذلك كله للجهل بالحال). وينظر: المغني لعبد الجبار 5/82. واعترف سبينوزا بجهله بها، كما في رسالة في اللاهوت والسياسة ص: 134: (إنني لن أتحدث مطلقاً عن نظرة بعض الكنائس إلى المسيح، لا لأني أنكر ما تثبته، بل لأني لا أفهمها، وأعترف بذلك عن صدق).

وقد اتفقت فرق النصارى المؤلهة للمسيح على عقيدة التجسد، واختلفت في طبيعته وكيفيته ووقته؟ فقالت النسطورية: إن اللاهوت حلّ بالناسوت المحدث، فكان المسيح ذا طبيعتين ومشيئة واحدة. وقالت الملكانية: إن اللاهوت اتحد بالناسوت الكلي الأزلي، فالمسيح ذو طبيعتين ومشيئتين. وقالت اليعقوبية: إن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت صيره طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وقولهم أخبث الأقوال؛ لزعمهم أن العوارض البشرية من ولادة وألم وصلب. . . لحقت الإله. كما اختلفوا: هل الاتحاد باختلاط وممازجة أو بمجاورة؟ فشبهته النسطورية بحلول الماء في الإناء، أو الماء والزيت، أو الصورة في المرآة، وعند اليعقوبية باتحاد الماء باللبن أو الخمر، وعند الملكانية بالفحمة تكون ناراً، وزعمت المارونية: أنه جرى كجريان الماء في الميزاب. قال الأصفهاني في رسالة أشرف الحديث ص: 49، بعد سياق أقوال الفرق الثلاث: (وهؤلاء أصول النصارى ومن سواهم يتطفل عليهم ويرجع إليهم). وعلى مذهب

مع استحالة هذا القول أصلاً وفرعاً وعقلاً وشرعاً.

واستحالة الممازجة والحلول والانقلاب من الربوبية إلى العبودية، ومن القدم والواجبيّة إلى الحدوث والممكنيّة[1]، وامتناع ذلك؛ إذ الربّ ربّ لذاته والعبد عبد لغيره، والربّ لا يكون عبداً.

اليعقوبية غالب كنائس الأرثوذكس، وأخذ بمذهب الملكانية الكاثوليك والبروتستانت.

وكل ذلك من الباطل البين الذي تنكره جميع الأديان، إنما هو من دخيل الوثنية على النصرانية.

ينظر في حكاية مذاهبهم وردّها مثلاً: ما كتبه المؤرخ ابن البطريق الملكاني في تأريخه 1/159 في ردّ مذهب النسطورية واليعقوبية، أو الأصفهاني اليعقوبي في رسالة أشرف الحديث ص: 51 في ردّ مذهب الملكانية والنسطورية، أو عفيف بن مؤمل الملكاني في رسالة لاهوتية تاريخية في مذاهب النصارى (نشرها لويس شيخو في كتابه محاورات جدلية ص: 73). أو اليهودي ابن كمونة في ردّه على الفرق الثلاث في تنقيح الأبحاث ص: 54.

وأما ردود علماء المسلمين فكثيرة، من أوسعها ردّ القاضي الجعفري في التخجيل 1/475، مما قاله بعد إبطاله لكل فرقه: (ومما يرد على الجميع ويفسد عليهم دعوى الاتّحاد: قول فولس في الرسالة الثالثة (كورنثوس الثانية: 13/ 5، 6): (أولستم تعلمون وتوقنون بأن يسوع المسيح حال فيكم، ولئن لم يكن حالّاً فيكم إنكم لمرذولون، وأنا أرجو أن تكونوا لستم بمرذولين). فيجب على مقتضى قول فولس أن يكون اتّحاد اللاهوت بناسوت المسيح كاتّحاد المسيح بناسوت أمته ومتّبعيه! ولئن كان من المستحيل أن يتّحد جسم المسيح بأجساد آلاف من النصارى في أقطار الأرض، فاتّحاد القديم جلّ جلاله بجسد المسيح أجدر بالاستحالة!). وفي كتاب النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر المتطبب ص: 65 وصف قولهم في الاتحاد بأنه من أشنع المذاهب وأفحشها، ثم أبطله. وينظر: الإعلام ص: 89، والجواب الصحيح لابن تيمية: المجلد الرابع، ومما أشار إليه 4/252: أن كل شيئين اتّحدا فإنهما يكونان شيئاً ثالثاً، وإلا لم

فاستحال أن يكون المسيح ربّاً خالقاً وهو[1] مربوب مخلوق، ولدته أمّه وهو طفل[2]، وأرضعته وربّته بحضانتها محمولاً على الأيدي من قضاء التلهي، يبكي ويضحك وينام ويبول ويتغوط[3]، وكان له إخوة وأخوات، كما هو مكتوب في الإنجيلات: إن يسوع[4] وأمّه وإخوته وتلاميذه صعدوا للعيد ومروا إلى العرس[5]، وكان يسوع أصغر إخوته وأخواته[6]، وختنته أمّه وهو ابن ثمانية أيام على سنة موسى[7].

وفي الإنجيلات: إن / مريم لمّا جاءها المخاض وهي في الفندق ببيت لحم[8] وليست عندها قابلة ذهب يوسف ب/61

يكن اتحاد. وفي 4/10: أن الإنسان إذا لم يستطع أن يرى الله في الدنيا كان أن لا يستطيع الاتصال به ومماسته فضلاً عن الاتحاد به أولى وأحرى.

القدم: الذي لم يسبق بعدم، ويقابله الحدوث: الذي يسبقه العدم. ينظر: التعريفات للجرجاني ص: 179. الواجبية: أي واجب الوجود: الذي متى فُرض معدوماً غير موجود لزم منه محال، ويقابله الممكن: الذي لا استحالة في وجوده ولا في عدمه. ينظر: معيار العلم للغزالي ص: 344.

(1) كلمة (وهو) من هامش الأصل.

(2) في الأصل: (طفلاً) وهو غلط.

(3) في الأصل: (تبكي وتضحك وتنام وتبول وتتغوط) والمثبت أوفق للسياق.

(4) في الأصل: (إيسوع).

(5) ينظر مثلاً: إنجيل يوحنّا: 2/12.

(6) جاء في إنجيل متّى: 2/7: (فولدت ابنها البكر) فوهم المؤلف بجعل المسيح الأصغر.

(7) ينظر: إنجيل لوقا: 2/21.

(8) بيت لحم: اسم عبري بمعنى: بيت الخبز. بلدة صغيرة جنوب بيت المقدس بستة أميال، ولها أهمية عند اليهود والنصارى، لكونها مسقط رأس داود وولادة المسيح عليهما السلام، وفيها أقدم كنيسة تعرف باسم كنيسة الميلاد. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: بيت لحم) معجم البلدان

النجار وأتاها بامرأة رابية اسمها سليمة[1]، فقبّلت يسوع وأرضعته وملّحته ولفّته بخِرق، ونومته في مذود حمار في الفندق[2].

وفي إنجيلاتكم: إن يسوع رقد في السفينة وهاجت الرياح وكان معه تلاميذه فنبهوه، وقالوا له: قم اطلب فينا إلى الله تعالى[3].

وفي إنجيلاتكم أيضاً: أنه دخل العرس < و >[4] أكل وشرب ورقد سكران في منزل سمعان كصفا[5] وهو مريض، فجاءت إليه الزانية امرأة سامرية وقبّلت رجليه ولم يعلم بها[6].

.1/521

1) هي سالومي أو سالومة: زوجة زبدي، اتبعت المسيح وخدمته في الجليل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سالومة) .

2) حالة المخاض في ولادة المسيح في الأناجيل القانونية مبهمة: جاءت في إنجيل متّى: 2 مختصرة، وفي إنجيل لوقا: 2/7 بأوسع منه، وفيه: إثبات ولادته في بيت لحم اليهودية في عهد الملك هيرودس، وأن أمه قمّطته (لف المولود بثوب) وأضجعته في مذود (معلف الدواب)؛ لأنهما لم يكن لهما موضع في الفندق (منزل لإيواء المسافرين). وأغفل الولادة إنجيلا مرقس ويوحنّا. وتوسعت الأناجيل المنحولة (الأبوكريفيا) في الولادة: ففي إنجيل البداية ليعقوب: 17 - 20: إثبات ولادته في كهف، وأن يوسف خرج يبحث عن قابلة، فوجد قابلتين: زالومي، سالومي. وأن سالومي قبّلته وحملته. ومثله في إنجيل شبيه متى: 13.

3) ينظر: إنجيل متّى: 8/24، 25. وفيه: (وقالوا له: يا سيد نجّنا، فنحن نهلك)، وإنجيل مرقس: 4/37، وإنجيل لوقا: 8/22.

4) في الأصل سقطت الواو.

5) كذا في الأصل، يريد سمعان الصفا (بطرس) سبقت ترجمته في: ل ب/17 ص147. والمرأة الخاطئة إنما قبّلت رجلي المسيح في منزل سمعان الفريسي. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سمعان).

6) ورد في إنجيل متّى: 11/19 وصف ابن الإنسان (وهو المسيح في تفسير النصارى) بأنه شريب للخمر، ولم يرد أن المسيح شرب خمراً، وإنما صنع من الماء خمراً في عرس قانا الجليل كما في إنجيل يوحنّا: 2. وورد تقبيل المرأة لرجلي المسيح في إنجيل لوقا: 7/34، 37 - 50.

وفي أناجيلكم أيضاً: أنه لمّا بلغ عمر يسوع ثمانية أيام ذهبت به أمّه إلى الكاهن ليقرب قرباناً كما أمر الله لبني إسرائيل، فلمّا رآه سمعان الإمام[1] بان له، فقال سمعان: أي بلاء يظهر من هذا الصبي على بني إسرائيل[2].

وأنه لمّا بلغ هيرودس أو هدورس الملك[3] خبر يسوع طلبه ليقتله، فهرب به

يوسف النجار إلى مصر ومعه سليمة الرابية[4] وأمّه مريم، وعلّمه بمصر الصباغة[5]، وعالج أعمالاً وصنائع

62/أ

---

1) سمعان: اسم عبري بمعنى: مستمع. ويعرف (بالشيخ) وصف في لوقا: 2/25: (وهذا الرجل كان بارّاً تقيّاً ينتظر تعزية إسرائيل... وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سمعان).

2) ينظر: إنجيل لوقا: 2/34، وفيه قول سمعان لأم المسيح: (ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل، ولعلامة تقاوم).

3) هيرودس الكبير: الابن الثاني لأنتيباس الدومي الأصل، حكم فلسطين عام 37 ق. م وتوفي بعد ولادة المسيح، أخبره مجوس المشرق بظهور نجم مُلك اليهود، فما زال يطلب أثره بقتل الأطفال فهربت مريم بالمسيح إلى مصر ولم ترجع إلا بعد موته كما في إنجيل متى: 2/13. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: هيرودس).

4) لم ترد في الإنجيل صحبة سالومي للمسيح في رحلته إلى مصر، ويسندها النصارى إلى كتب التاريخ. ينظر: تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسي يوحنا ص: 3.

5) الصباغة: تلوين الشيء بلون ما. ينظر: معجم مقاييس اللغة 3/331. وعند النصارى أن المسيح عمل في صباه بالنجارة تعلمها من يوسف النجار، لأن من عاداتهم أن الابن يتعلم مهنة أبيه! ولا يوجد أي نص كتابي يشير إلى عمل المسيح في صباه سوى ما ينقل في الأناجيل المنحولة من فعله الأعاجيب، كما في إنجيل الطفولة لتوما، أو دخوله في المجمع اليهودي وعمره اثنتا عشرة سنة، كما في إنجيل لوقا: 2/24.

كثيرة، حتى مات هدورس الملك فعاد به يوسف إلى الشام[1]. وأنه أوّل عجب عمله يسوع بعد قدومه من مصر أن حوّل الماء خمراً[2].

وأن في إنجيلاتكم أيضاً / نسبه باختلاف واضطراب[3]، ففي إنجيل متّى: هو يشوع بن يوسف بن يعقوب بن متان بن ألعازر بن أليهود بن أمون بن صادوق بن عازور،

---

1) ينظر: إنجيل متّى: 2/13. رحلة المسيح إلى مصر لم يصرح بها غير متّى من كتّاب الأناجيل القانونية! والذي كتب إنجيله لليهود وربطه بكتب العهد القديم، فأقحم الرحلة لمصر؛ ليشابه أحوال المسيح بأحوال موسى عليهما السلام حين خافت عليه أمه من سطوة فرعون، ولتوافق نبوءة هوشع: 11/1: (ومن مصر دعوت ابني)! وهذا مما يشكك في وقوع الرحلة. ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 112. والاستدلال بوقوع الرحلة بقوله تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) مروي عن ابن زيد ووهب بن منبه، ويقرب أنه مأخوذ عن بني إسرائيل، قال ابن كثير عنه في تفسيره 5/447: بعيد جدّاً، واستظهر أن الربوة والقرار موضع في بيت المقدس؛ لأنه المذكور بقوله تعالى: (ﭽ ﭾ)، وقيل: دمشق، وقيل غير ذلك. وينظر: أحكام القرآن لابن العربي 3/320.

2) نص على ذلك يوحنّا في إنجيله: 2/11، في عرس قانا الجليل.

3) سلسلتا النسب في إنجيلي متّى ولوقا من أغلاط الإنجيل الظاهرة، والتي نقدها كثير من العلماء، ومن أهم ما يبين تناقضها: الاختلاف في اسم والد يوسف! وأيضاً: الآباء في نسب متّى بعد داود إلى السبي من الملوك المشهورين، بينما في نسب لوقا ليسوا كذلك! وأيضاً: عند متّى المسيح من سلالة سليمان بن داود، بينما عند لوقا من سلالة ناثان بن داود! وأيضاً: الاختلاف في عدد الأجيال بين داود والمسيح عليهما السلام! وأيضاً هناك اختلافات أخرى بينهما وبين ما هو مذكور في أسفار العهد القديم.

ينظر: الفصل لابن حزم 2/28، التخجيل 1/284، إظهار الحق 1/187، مقامع هامات الصلبان للخزرجي ص: 148، دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص: 105.

وساق إلى أربعين أباً[1]. وفي الإنجيل أيضاً: هو يشوع بن يوسف بن هيلي بن مطوت[2].

وفي إنجيل لوقا ومرقس: أن يشوع بن يوسف من قرية ناصرة الجليل[3]، وإخوته وأخواته عندهم مزوجات[4].

وفي الإنجيل أيضاً: أن المسيح لما دخل البلد كان يقف في جماعتهم، يروي ويخبر، فيقول الناس: من أين هذه الأحكام والآيات لهذا! أليس هو ابن يوسف النجار، واسم أمّه مريم، وإخوته: سمعان ويوسف ويعقوب ويهوذا! حقّاً أن قد قال: لا يحقر نبي إلا في مدينته[5].

فهذه الروايات كلها مع اختلافها وبطلانها وافتراء الزاعمين لها بقولهم: إن المسيح ابن يوسف النجار، وإن له إخوة وأخوات كلهم أكبر منه سنّاً، وهم: إمّا من مريم، وإمّا من امرأة غيرها مزوجة ليوسف استولدها هؤلاء

---

(1) في الأصل (أب) وهو غلط، إنجيل متى: 1/1 – 16، وفيه: سياق سلسلة النسب بداية من إبراهيم عليه السلام حتى المسيح، وفيه: أليود بن أخيم بدلاً من أليهود بن أمون. ب/62

(2) إنجيل لوقا: 3/23 - 38، وفيه: ساق سلسلة النسب بداية من المسيح إلى آدم عليه السلام، وفيه: يوسف بن هالي بن متثات. ومطوت: تحوير عن متثات، وعند المهتدي نصر المتطبب في كتابه النصيحة ص: 86: مطث.

(3) في الأصل (الخليل) في مواضع ثلاثة من المخطوطة، ينظر: ل ب/73 ص312، والتصويب من الأناجيل.

ناصرة الجليل: أهم مدن الجليل الأدنى في الشمال الفلسطيني (المحتلّ)، وهي مقدسة عند النصارى يحجّون إليها. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الناصرة)، ومعجم البلدان لياقوت 5/251.

(4) ينظر: إنجيل لوقا: 4/16، وإنجيل مرقس: 3/31، 6/3 من غير بيان كونهن مزوجات.

(5) ينظر: إنجيل متّى: 13/54 – 58، وإنجيل لوقا: 4/22 - 25، وإنجيل مرقس: 6/3.

الأولاد[1]، فإن ذلك بشهادة كتابنا الحق المبين حديث باطل مفترى، وقول زور، ولم يكن لمريم البتول زوجٌ، ولا مسّها بشر، ولا كانت بغيّاً، بل كانت كما أخبر الله تعالى قائلاً: (ﭫ ﭬ ﭭ) الآية[2]، وقائلاً في / سورة مريم عنها حين أرسل إليها الملك على صورة إنسان فاستعاذت بالله منه، فقال لها: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) إلى آخر قصتها[3].

والعقل السليم يقضي أن مريم لا تكون غير بكرٍ مطهرةٍ بتول، لنفي سوء الظنّة بها لو كانت مزوجة أو ذات ولد غير المسيح قبله وبعده؛ إذ لا يليق إلا ذلك[4]، لا كما جاء في الإنجيل: إن مريم لما حبلت بيشوع بعث

---

[1] ذكر في الأناجيل تسمية أربعة من إخوة المسيح، وهم: يعقوب وتنسب له إحدى رسائل العهد الجديد، ويوسي، وسمعان، ويهوذا. ولم يؤمنوا به إلا بعد قيامته! وفيها أيضاً إشارة إلى أخوات دون تسمية. ينظر: إنجيل متّى: 13/55، 56.

وللنصارى ثلاثة أقوال في علاقتهم بالمسيح: فقيل: إنهم إخوة المسيح من مريم ويوسف النجار بعد ولادته. وقيل: إنهم أولاد يوسف من زوجة سابقة. وقيل: إنهم أولاد أخت مريم العذراء وهي مريم امرأة حلفي، أي: إنهم أولاد خالته. وكلها احتمالات لها ما يعارضها. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إخوة الرب)، ودائرة المعارف الكتابية (مادة: إخوة المسيح). ولا يصح حمل الأخوة على أنها أخوة الدين كما وصف التلاميذ بأنهم إخوته كما في: إنجيل متى: 12/49، 50؛ لصراحة بعض المواضع بأخوة الدم، منها: حين عرّفه اليهود بأنه ابن النجار وأن له أربعة إخوة، كما في متّى: 13/55!.

ودعوى أن للمسيح إخوة بالدم من المعضلات عند النصارى التي تضعف موثوقية الأناجيل وتكشف تناقضها، وتنقض دعوى الألوهية للمسيح، وبتولية مريم العذراء؛ وهذا تفريع على باطل وهو: علاقة مريم عليها السلام بيوسف النجار. ينظر: تعليق سابق في: ل أ/36 ص210.

[2] من سورة التحريم: آية 12. والشاهد قوله تعالى: (ﯓ   ).

[3] من سورة مريم: آيات 16 – 34.

[4] ينظر: تعليق سابق حول علاقة يوسف بمريم عليها السلام في ل أ/36 ص210.

أغوسطس أو أُغسطس الملك[1] فكتب الناس كلهم، فوجدوا مريم حبلى في فندق في بيت لحم فسألوها: ممن أنت حبلى؟ فقالت: من يوسف النجار. فكتبوا مريم والذي في بطنها من يوسف النجار[2]. وفي إنجيل متّى: أن جبريل الملاك قال ليوسف: اذهب وخذ امرأتك ولا تخف[3].

وهذه أقوال ظاهرة التناقض، مردودة عقلاً وشرعاً.

وكالذي زعمتم من تجسيم كلمة الله وصيرورتها مسيحاً متحداً بناسوته المربَّى المولود إلهاً وربّاً خالقاً وفعالاً للعجائب التي لا يفعلها إلا الإله.

وليس كذلك، فإن زعمكم في الكلمة وتجسّمها زعم باطل لا يقوله عاقل ولا يقبله عاقل؛ لأن المعقول لا يمانع المحسوس، والكلام لا ينفصل عن / عن المتكلم المعلوم لنا انفصالاً ذاتيّاً ولا يتجسّم، ومن المحال تجسّمه وهو معنى لطيف يُسمع ولا يُرى، فكيف ما لا يحيط به علم ولا أين له ولا كيف ولا كم[4]؟! ولأن الكلام صفة 63/أ

[1]) أوغسطس: اسم لاتيني بمعنى: المبجل، أول إمبراطور روماني، حكم بين 31ق.م– 14م. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أوغسطس).

[2]) ينظر: إنجيل لوقا: 2/1.

[3]) ينظر: إنجيل متّى: 1/20.

[4]) معتقد أهل السنة والجماعة وعموم المسلمين: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تمثيل، مع قطع الطمع عن إدراك الكيفية؛ لأنه سبحانه لا يحاط به علماً؛ فما ذكره المؤلف (لا أين له) لا يصح، وهو نفي لصفة العلو لله، بل هو سبحانه في السماء مستوٍ على عرشه وبائن من خلقه، وقد سأل النبي ﷺ الجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة. رواه مسلم في صحيحه (رقم: 1199). ينظر: الاستذكار لابن عبد البر 23/165.

وقول السلف: (لا كيف) بمعنى: أن الكيف مجهول عنّا، وليس معناه أنه سبحانه لا كيفية له، فإن ما لا كيفية له هو

ذاتية للموصوف قائمة به، ومن أمحل المحال تجسّمه[1]. فهذا والله هو عين الجهل المركب[2].

يا من يقال لهم كونوا على ثقة. . . من الجهالة بالمعبود يا لكع

وويحكم، هل كلام الله ذو جسد. . . مركب من صفير باللها قطع

العدم! ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 5/41.

وقول المؤلف: (ولا كم) الكميّة عند المتكلمين: العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته، وهو متصل أو منفصل، والله منزه عن الكمية. ينظر: التعريفات للجرجاني ص: 196. وهذا كلام مجمل: إن أريد بنفي الكمية نفي العلم بالكيفية أو نفي التعدد فصحيح، وأما إن أريد بنفي الكمية نفي أن يكون بائناً من خلقه أو نفي شيء من صفاته الثابتة بالقرآن والسنة بدعوى التركيب والتجزؤ أو التعدد! فهو غير صحيح، فإثبات الصفات لا يستلزم التشبيه؛ لأن ذاته سبحانه ليست كذوات المخلوقين فكذلك صفاته، ودعوى التركيب والتجسيم والتحيز ونحوها من الألفاظ المجملة تردّ إلى ما بينه الله ورسوله من المعاني، فيقبل ما كان حقّاً ويردّ ما كان باطلاً. ينظر: بيان تلبيس الجهمية 1/347، درء التعارض 1/296.

[1]) لفظ الجسم لفظ مجمل للناس في معناه أقوال مختلفة، والصواب التفصيل فيه، قال الإمام ابن تيمية في منهاج السنة 2/211: (إذا قال القائل: إن الباري تعالى جسم. قيل له: أتريد أنه مركب من الأجزاء كالذي كان متفرقاً فركب؟ أو أنه يقبل التفريق، سواء قيل: اجتمع بنفسه أو جمعه غيره؟ أو أنه من جنس شيء من المخلوقات؟ أو أنه مركب من المادة والصورة؟ أو من الجواهر المنفردة؟ فإن قال هذا. قيل: هذا باطل.

وإن قال: أريد به أنه موجود، أو قائم بنفسه. . . أو أنه موصوف بالصفات، أو أنه يرى في الآخرة، أو أنه يمكن رؤيته، أو أنه مباين للعالم، فوقه، ونحو هذه المعاني الثابتة بالشرع والعقل. قيل له: هذه معان صحيحة، ولكن إطلاق هذا اللفظ على هذا بدعة في الشرع، مخالف للغة...). ثم أشار إلى أن من قال: ليس بجسم. أدخل في معناه ما هو حق ككونه موصوفاً بصفات الكمال فنفاه، ولمز من أثبته بالتجسيم، ولا ينفك من دعوى التجسيم إلا بالتعطيل المحض!.

صوت يصوّته تجويف قابله. . . مع الهواء بتصريف فيستمع
نطق يموّجه حمل الهواء له. . . ورجعه قارع للسمع منقرع؟
حتى تظنوا كلام الله صنعتكم. . . مجسماً، ويل قوم ربهم صنعوا
بئس المقالة قد قلتم وبئسكم. . . وبئس من قنّنوا هذا ومن شرعوا
يا للعقول أربّ العالمين له. . . ابن؟ كلام لهذا مفترى شنع
يا للعقول أربّ العالمين له. . . من ذاته ولد كالخلق مخترع؟[1]

ولله در نسطور[2] إذ يقول وأنتم تعرفون قوله: كفرت برب يسكن الرحم. وخلى دينكم، واتبع رأي نفسه[3].

وما < مثل >[4] قولكم في الكلمة إنها تجسّمت بإنسان مخلوق! واتحادها به الاتحاد الجوهري البريء من التغير والاستحالة! وإنها خرجت مولودة / من مريم إنساناً تامّاً وإلهاً تامّاً! يفعل المعجز بلاهوته ويظهر العجز بناسوته! إلا كقول من يقول حكاية: كان كنونو برغش، ب/63

---

2) الجهل المركب: اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، وقسيمه الجهل البسيط: عدم العلم أصلاً. ينظر: التعريفات ص: 84.

1) لم أجد لها قائلاً، وهي أشبه أن تكون من نظم المؤلف.

2) نسطور: أو نسطوريوس، زعيم النساطرة، بطريك القسطنطينية من عام 428م إلى 431م، امتنع عن إطلاق والدة الإله على مريم فحرّم ولعن في مجمع أفسس عام 431م، ومات في مصر عام 451م. ينظر: تاريخ ابن البطريق 1/155، محاضرات في النصرانية ص: 144.

3) وذلك حين رفض تسمية أم المسيح والدة الإله، وعقد بسببه مجمع أفسس 431م. ينظر: تعليق سابق في: ل 12/أ ص128.

4) زيادة من هامش الأصل.

وصنونو العسل طريح، والبصل بطيخ، طارت الجِمال، حبلت الرجال! وأمثال هذه الأضحوكات المبكيات[1].

وأعجب العجب استشهادكم بآيات من القرآن وقول من التوراة وبما في كتب النبوات على ما ذهبتم إليه من القول بالأقانيم المشتركة في الإلهية والخلق للعالم والربوبية مشاركة بتواطؤٍ وإغضاءٍ وتساهل! حيث قلتم: إن في القرآن ذكر الكلمة والروح، وهو قوله تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ) الآية[2]، وقوله تعالى: (ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) الآية[3]، وهذا لا يدل على أن الروح هي الحياة التي بها حَيَّ الموجد لها من قبل أن يوجدها، وكانت حيّة لذاتها من قبل إيجاده لها! كما زعمتم، ولا يدل على أن روح القدس المؤيد بها المسيح هي الروح الشريكة للابن والناطقة به مع الأب، والحيّ بها الأب الموجد لهما من قبل أن يكون حيّاً ناطقاً بها.

ولا يدل على أن الكلمة المسمّاة الابن الشريكُ الثالث الذي به ينطق الأب والروح وبهما يحيا.

وتوجد هذه الكلمات التي صدّقت بها مريم وسبقت لعباد الله المرسلين ولو كان البحر مداداً / لها وأمدّه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله[4]. 64/أ

وليس المؤيَّد بروح القدس هو روح القدس بل غيرها، والذي أيَّده بها فإنه غيره وغيرها وهو الله تعالى[5].

وقلتم أيضاً: إن في التوراة أسماء الأقانيم الثلاثة:

---

1) يريد أن كلامهم متناقض غير معقول المعنى في نفسه.

2) سورة التحريم: آية 12.

3) سورة البقرة: آية 87. والشاهد قوله سبحانه: (ﮗ ﮘ ﮙ).

4) فالمسيح خلق بكلمة من كلمات الله، وليس هو كلام الله الذي هو صفته سبحانه. ينظر: الجواب الصحيح 4/63.

5) فروح القدس المؤيد للمسيح ولغيره في القرآن والإنجيل وسائر كتب النبوات هو المَلَك جبريل عليه السلام. ينظر: الجواب الصحيح 2/181.

الأب، وهو قوله لإسرائيل: (أباك الذي صنعك) .

والابن، وهو قوله لإسرائيل: (أنت ابني الذي ارتضيت) .

والروح، وهو قوله: (وكان روح الله ترفرف على الماء) .

ولا دليل في ذلك على الشرك والثالوث؛ إذ الأب بمعنى الربّ، وقد تقدم شرحه[1]، مع قوله: صنعك وبراك وأتقنك. لا أولدك ولا تولدت منه.

وكذا (ترفرف الروح) لا يدل على الشرك، بل له معنى في كتابنا يفهم منه، وهو قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء)[2].

ولله قول بعض أهل التحقيق، شعر:

انظر إلى العرش على مائه ... سفينة تجري بأسمائه. [3]

---

1) ينظر: ل ب/57 ص267.

2) سورة هود: آية 7. وتفسير المؤلف للروح الواردة في سفر التكوين: 1/2 (وروح الله يرفّ على وجه المياه) بالعرش فيه نظر؛ لأن سياق النص في التوراة بعد خلق السماوات والأرض، والعرش على الماء قبل خلقهما، والماء المذكور في التوراة غير المذكور في الآية، وأيضاً هذا التفسير لا يعرف في أي لغة. وللنصارى في تفسير روح الله في النص ثلاثة أقوال، قيل: ما تحيا وتقوم به الكائنات، وقيل: الرياح والهواء، وقيل: بمعنى روح القدس (الأقنوم الثاني). ينظر: حاشية النص في الكتاب المقدس ص: 67 ط. دار المشرق بيروت 1994م، والتفسير الموافق للغة العبرية ولكلام الأنبياء أن الروح بمعنى الريح. ينظر: الجواب الصحيح 3/241.

3) مطلع قصيدة لابن عربي الطائي، المتوفى سنة 640 هـ، قال عنه الذهبي في السير 32/48: قدوة القائلين بوحدة الوجود. ينظر: ديوان ابن عربي ص: 14 شرح أحمد بسج.

وغفر الله للمؤلف حين أورد هذا البيت الذي يشم منه عقيدة وحدة الوجود، التي هي إنكار للعرش وعلو الله على خلقه ومباينته لهم، كحال قائله. وينظر في حال ابن عربي: ما جمعه د.دغش العجمي في كتابه: ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس حتى القرن الثاني عشر.

فصل

ثم قلتم: **وأمّا تجسّم[1] كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولودتهما معاً، أي: الكلمة مع الناسوت، فإنه لم يخاطب الباري أحداً إلا وحياً أو من وراء حجاب، حسب ما جاء في هذا الكتاب < إذ >[2] يقول: (   ) الآية[3].**

وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلا في الكثائف[4]، فكلمة الله التي بها خلقت ب/64 **اللطائف[5] تظهر في غير كثيف /، كلا؛ ولذلك ظهرت في عيسى ابن مريم، إذ الإنسان أشرف ما خلق الله[6] تعالى، ولهذا خاطب الخلق[7]، وشاهدوا منه ما شاهدوا، وقد قال الله على أفواه الأنبياء المرسلين الذين نبؤوا على تجسّده وولادته وجميع أفعاله التي فعلها في الأرض[8].**

---

(1) في الرسالة ن 1: (اتحاد)، ن 2: (تجسيم).

(2) زيادة من الرسالة ن 2، ن 3.

(3) سورة الشورى: آية 51، وفي الرسالة ن 1 سياق لكامل الآية، وبعدها ما نصه: (**فقد جوز القرآن ظهور الله في حجاب، والمسيح بناسوته حجاب الله الذي كلم الخلق منه. وقوله في سورة النساء: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أي: من ذاته. وقوله: (ألقاها إلى مريم) أي: أحلها في الذات البشرية المتبشرة فيها**).

(4) في الرسالة ن 2، ن 3 زيادة: (**مثل الروح وغيرها**)، وفي الجواب الصحيح 3/308: (**روح القدس وغيرها**).

(5) في الجواب الصحيح 3/308: (**اللطائف والكثائف**).

(6) في الأصل: تكررت لفظ الجلالة.

(7) في الرسالة ن 1 زيادة: (منه).

(8) في الرسالة ن 2، ن 3 والجواب الصحيح 3/352 زيادة: (**وصعوده إلى السماء**).

وهذه النبوءات أيضاً عند اليهود مقرّين معترفين بها، يقرؤونها في كنائسهم، وسبيلنا أن ندلّ على بعض الأنباء:

قال عزرا الكاهن حين سباهم بخت نصر إلى أرض بابل: (إلى أربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم)[1]، وفي كمال هذه المدة أتى السيد المسيح.

وقال أرميا النبيّ عن ولادته: (في ذلك الزمان يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور، يملك الملك ويعلّم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الأرض، ويخلّص من آمن به من اليهود ومن بني إسرائيل، ويبقى بيت المقدس بغير قتال ولا مقاتل، واسمه الإله)[2].

وقال إشعيا: (قل لصهيون: هنا[3] تفرح وتهلل بأن الله يأتي ويخلّص من آمن به

---

[1] لم أجد هذا النص في سفر عزرا ولا غيره مما يظن أنه قد كتبه، وفي سفر دانيال: 9/26 (الكاثوليكية): (وبعد الأسابيع الاثنين والستين يفصل مسيح ولا يكون له. . . ويأتي رئيس فيدمر المدينة والقدس)، والترجمات العربية مختلفة في صياغة الفقرة، وفي هامش الكاثوليكية ط. دار المشرق بيان أن الفراغ في الفقرة من النص الأصلي، وأن بعض الترجمات تضيف: (خطيئة)، واقترح بعضهم: (سلف)! ! وهذه (نبوءة الأسابيع السبعين)، والتي حدد بدايتها عزرا في خروجهم من الأسر البابلي: 7/13، وبعض النصارى يزعم أنه يشير إلى صلب المسيح وتجسده! وهو أمر ليس متفقاً عليه بين النصارى. ينظر: هامش 13 من الكتاب المقدس ص: 1880. 65/أ

[2] سفر أرميا: 23/5، 6 بلفظ فيه اختلاف. وفي الرسالة ن 2، ن 3 والجواب الصحيح 3/354 زيادة: (**وأما قوله: (ابن داود) فلأن مريم كانت من نسل داود؛ لأجل ذلك قال النبي: يقوم لداود ابن**).

[3] في الرسالة ن 1: (هناك).

وبشعبه، ويخلّص مدينة بيت المقدس، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع أهل الأرض وجميع المبدّدين، ويجعلهم أمّة واحدة، ويبصرون جميع أهل الأرض خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم ويجمعهم إله إسرائيل)[1]. /

وقال زكريا النبيّ: (افرحي يا بيت[2] صهيون؛ لأني آتيك وأحل فيك وأتراءى، ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً، ويحل هو وهم فيك، وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك عليهم إلى الأبد)[3].

وقال عاموص النبيّ: (ستشرق الشمس على الأرض، ويهتدي بها الضالون، ويضل عنها بنو إسرائيل)[4].

وقال في السفر الثالث من أسفار الملوك: (والآن يا ربّ إله إسرائيل، ليحقق كلامك لداود

---

1) سفر إشعيا: 52/9 - 12 بلفظ فيه اختلاف.

2) في الرسالة: (يا ابنة).

3) سفر زكريا: 2/10 - 12 بلفظ فيه اختلاف.

4) لم أجد هذا النص، ويزعم النصارى أن المسيح هو شمس البر المذكورة في خاتمة سفر ملاخي:

(ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها، فتخرجون. . . وتدوسون الأشرار).

في الرسالة ن 2، ن 3 والجواب الصحيح 3/371 زيادة: (**فالشمس هي: السيد المسيح، والضالون الذين اهتدوا هم: النصارى المختلفة ألسنتهم الذين كانوا من قبل عابدي الأصنام والضالين عن معرفة الله فلما أتوهم التلاميذ وأنذروهم بما أوصاهم السيد المسيح وما عاينوه منهم من العجائب العظيمة تركوا عبادة الأصنام واهتدوا باتباعهم السيد المسيح**).

أبي، لأنه حق أن تكون آية، سيسكن الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيها الشعوب كلكم ولتنصت الأرض وكل من فيها، فيكون الرب عليها شاهداً[1]، وينزل ويطأ على مشارق الأرض في شأن بني يعقوب[2])[3] هذا كله.

وقال ميخا النبي: (وأنت يا بيت لحم قرية يهوذا، بيت أفراتا[4] منك يخرج لي ريس يرعى شعبي إسرائيل، وهو من قبل أن تكون الدنيا، لكنه لا يظهر إلا في الأيام التي تلده فيها الوالدة، وسلطانه من أقاصي الأرض إلى أقاصيها)[5].

---

[1] في الرسالة والجواب الصحيح 3/375 زيادة هنا: (**الرب من بيته المقدس ويخرج من موضعه وينزل. . .**).

[2] في الرسالة والجواب الصحيح 3/375: (**في شأن خطيئة بني يعقوب**).

[3] النص بلفظه لم أجده، ومعناه في سفر الملوك الأول: 8/26 - 30، ومثله في سفر أخبار الأيام الثاني: 6/17 – 20. وسفر الملوك الثالث هو سفر الملوك الأول حسب النسخة السبعينية عند اليسوعيين التي تجعل سفري صموئيل الأول والثاني من أسفار الملوك. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: صموئيل).

[4] في الأصل: (أفراما) والتصويب من الرسالة والجواب الصحيح 3/379، وهي كذا في سفر ميخا. وأفراته هو الاسم القديم لبيت لحم، كما في سفر التكوين: 35/19.

[5] سفر ميخا: 5/2 - 4 بلفظ فيه اختلاف.

وقال حبقوق النبي[1]: (إن الله في الأرض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشي معهم)[2].

وقال أرميا النبي: (الله بعد هذا في الأرض يظهر ويتقلب مع البشر، فيقول: أنا الله رب / الأرباب)[3]. ب/65

وقال أرميا النبي وإشعيا النبي[4]: (ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى عمانوئل)[5] وهذه الكلمة عبرانية ترجمتها: إلهنا معنا[6].

وقال إشعيا أيضاً: (من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر)[7].

فماذا يكون أوضح من هذا وأبين وأعظم من هذا القول، إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما واليهود الضالون عن الحق والمخالفون

---

1) حبقوق: اسم عبري بمعنى: يعانق، وهو نبي في مملكة يهوذا من سبط لاوي، وله سفر هو الثامن من النبوات الصغيرة، وسيرته مجهولة لا تعرف. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: حبقوق)، والمدخل إلى الكتاب المقدس للقس حبيب سعيد ص: 132. ولم تثبت نبوة حبقوق بنص صحيح غير ما عند أهل الكتاب.

2) معناه في سفر حبقوق: 3/2 - 6.

3) لم أجده بلفظه، ومعناه في سفر أرميا: 14/9، 23/6.

4) في الرسالة والجواب الصحيح 3/402 النسبة لإشعيا فقط.

5) سفر إشعيا: 7/14.

6) تفسير الكلمة (عمانوئيل) ورد في إنجيل متّى: 1/23.

في الرسالة ن 2 والجواب الصحيح 3/402 زيادة: (**فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتجسد بالناسوت كلاهما**)، وفي ن 3 اختلفت العبارة إلى: (**ولدت الناسوت المتحد باللاهوت**)!.

في الرسالة والجواب الصحيح 3/406، 408 نصان عن إشعيا هنا، سيذكرهما المؤلف في مقدمة الفصل التالي، وموضعهما هنا.

7) لم أجده بلفظه، والنصوص السابقة بمعناه.

لقول النبوءات جميعاً يشهدون لنا بصحة ذلك، ويقرؤون هذه في كنائسهم ولا ينكرون منها شيئاً، وعندهم في التوراة وكتب النبوءات مثل ذلك شيء كثير، وإنما ذكرنا البعض لنورد بذلك تثبيت ديننا وما نعتقده في السيد المسيح[1]**.**

والجواب:

أما قولكم في تجسّم الكلمة واللطائف والكثائف: فسيأتي الجواب عنه إن شاء الله تعالى[2]، وفيما تقدم كفاية.

وأما بشارة عزرا الكاهن: فلا تعلق لها بما قلتم[3].

وأما قول أرميا النبي في الابن: فهو سليمان الملك النبي الآتي البيت المقدس والمعلّم لغة الطير ومنطقها

---

[1] في الرسالة ن 2، ن 3 والجواب الصحيح 3/415 زيادة: (**عند النصارى جميعهم المختلفة ألسنتهم المتفرقين في سبعة أقاليم الدنيا المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص واحد، على ما تسلّموه من الرسل الحواريين حين أنذروهم وردوهم عن عبادة الأصنام إلى معرفة الله تعالى، سلّموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها إلى يومنا هذا. وكذلك هذه الكتب عند اليهود على هذا اللفظ والنص على ما تسلّموه من موسى النبي وباقي الأنبياء، مقرّين بذلك جميعه، ولم ينكروا منه كلمة واحدة**). وهذا كله تهويل! فكيف وقع الاختلاف الكبير بين فرق النصارى؟ ينظر: جواب الإمام ابن تيمية في: 3/415، وما سبق في: ل أ/39 ص217.

[2] ينظر: ل ب/68 ص310، ل أ/93 ص377.

[3] لأن فيها الإخبار بأن المسيح يأتي ويخلص الشعوب كغيره من الأنبياء، وهو متفق عليه لا ينكره إلا اليهود. ينظر: الجواب الصحيح 3/354، هداية الحيارى ص: 506.

والمفهّم الحكومة في الغنم والزرع[1]، لا المسيح، فإنه لم يملك ولا طالت مدته وجرى ما جرى[2].

وأما قول إشعيا وقول زكريا وقول ميخا في المسيح وملكه واستيلائه وجمعه المبددين أمة واحدة: فإنما هو
إذا جاء المرة الثانية آخر الزمان، كما أخبر الله / تعالى 66/أ
في كتابه العزيز بقوله: (ڤ ڤ ڤ ڤ   ) الآية[3]، وأخبر نبيّنا أن المسيح ينزل من السماء متهادياً بين ملكين من الملائكة إلى الأرض، ويقتل المسيح الدجال، ويقتل اليهود معه، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويجعل الناس أمة واحدة، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً[4].

---

1) سليمان النبيّ الملك ابن داود عليهما السلام، ونبوتهما وملكهما ثابتان في القرآن، وجاء وصفه في التوراة بالملك والقتل وبناء الهيكل، وأن نهايته كانت عبادة الأوثان! وغيرها مما لا يليق، وينسبون إليه أسفار الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد، وفيها ما لا يصح نسبته لنبي، ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: سليمان). وحاشاه مما افتراه أهل الكتاب عليه، وقد بنى المسجد الأقصى بناءً عظيماً، ودعا إلى التوحيد، وصنع محاريب للعبادة، وسخر الله له الجن والإنس والطير. قال الإمام ابن تيمية في الجواب 3/387: (باختصار): (فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه، فمنهم من يقول: ساحر. . . ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة، فيجعلونه حكيماً لا نبيّاً. . . وطائفة قالت: سليمان نبيّ، وينسبون إليه الشرك وما تحبه الشياطين). وينظر: البداية والنهاية 2/323.

2) أجاب الإمام ابن تيمية: بأن موسى سُمي إله فرعون، كما في سفر الخروج 7/1. ينظر: الجواب الصحيح 3/356.

3) سورة النساء: آية 159.

4) ثبت متواتراً في الأحاديث الصحيحة نزولُ المسيح ابن مريم في آخر الزمان، منها: ما رواه البخاري (برقم: 2222) ومسلم: (382)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد). كما جاء مشاراً إليه على الصحيح من التفسير في

وأما قول عاموص النبي: فهو بنبيّنا أنسب مما هو بالمسيح؛ فإنه كان كالشمس في ظهوره ونور هداه، وآمن به الناس كافة إلا اليهود[1].

وأما قول حبقوق وأرميا أيضاً: فلا يصح حمله على ظاهره الذي استدللتم به؛ إذ في ذلك ما فيه[2].

وأما قول أرميا وإشعيا أيضاً فمعناه: أنهما بشّرا بالمسيح، وأن الغلاة فيه يقولون عمانوئل، لا أنه كذلك[3]، كما أخبر نبيّنا لابن عمه علي عليه السلام: أنه يهلك فيه طائفتان من الأمة، محب مفرط ومبغض مفرّط[4].

القرآن في سورة آل عمران: آية 46، والنساء: آية 159، والزخرف: آية 61. ينظر: تفسير ابن كثير 2/457.

[1] أشار الإمام ابن تيمية في الجواب 3/373: إلى أن هذا النص شبيه بنص سفر التثنية: 33/2: (جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران). ينظر: ل أ/5 ص 96.

[2] أشار الإمام ابن تيمية في الجواب 3/391: إلى أن في التوراة ما هو من جنس هذين النصين، ولم يدلّا على أن الله حلّ بموسى أو بإبراهيم، باتفاق اليهود والنصارى.

[3] أشار الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/403: إلى اختلاف النصارى في تفسير لفظة (عمانوئيل)، وأنه يصح حمل تفسير (الله معنا) على النصرة والمعونة للمسيح ولمن تبعه، وأنه ليس خاصّاً بالمسيح، بل من النصارى من تسمّى بهذا الاسم. وذكر الشيخ رحمت الله في إظهار الحق 2/303: غلط متّى في إنجيله بحمل اللفظ على المسيح، وأنه لا يعرف بهذا الاسم، وتفسير العذراء في النص بمريم أم المسيح خلاف ما نقل عن تفاسير اليهود والتراجم القديمة.

[4] روي عن علي رضي الله عنه: قال لي رسول الله : (فيك مثل من عيسى ابن مريم: أبغضته يهود حتى بَهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به). ثم قال علي: (يهلك فيّ رجلان: محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني). رواه البزار: (ح758)، وأبو يعلى: (ح534) وغيرهما بسند ضعيف، كما في مجمع الزوائد للهيثمي 9/133. وصح موقوفاً على علي رضي الله عنه،

فكانت الغلاة الزاعمين فيه زعمكم في المسيح هم الهالكون بالغلو، وكانت النكارة الخوارج[1] هم الهالكون بالبغضاء والخروج عليه.

وأما قولكم: وأن اليهود يتلون هذا ويصدقون به؛ إذ هو مكتوب عندهم ثم لا يؤمنون.

فالجواب منّا ومنهم عن ذلك:

أما اليهود فيقولون: إننا لم نمتنع من الإيمان بالمسيح إلا لمعان، منها: ب/66

أن المسيح الذي جاءت به الأنبياء له شرائط وعلامات ودلائل، وهي: / أنه يأتي بعد موسى ويجعل الناس أمة واحدة، ويظهر سلطانه على كل سلطان، ويجدد ديناً وتشريعاً جديداً، ويخلّص النفوس من أسر الشيطان والشهوات، ويبلغ ملكه أقاصي الأرض كلها، ويبطل السبوت والأعياد، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً وفضلاً، ويبطل قتال اليهود وقرابينهم وملكهم، فانتظروه وتوطنت نفوسهم لاتّباعه، فلما جاءهم المسيح ورأوا منه في مبادئ أمره عجائب ومعاجز قالوا: هو هو، ولم يكن إلا يسيراً حتى ثاروا عليه وجرى ما جرى، ولم يروا في زمنه مما أشارت إليه النبوءات شيئاً، بل كانوا هم

أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (ح983)، قال الألباني: له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيب الذي لا يعرف بالرأي. ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ص: 477.

[1] الخوارج: فرقة من فرق المسلمين المبتدعة، حذر منهم النبي ، خرجت على علي رضي الله عنه وكفرته ورفضت التحكيم، ولها مسميات أخرى، وتفرقت إلى أكثر من عشرين فرقة، ويجمعهم تكفير من رضي بالحكمين، والخروج على السلطان الجائر، وتكفير مرتكب الكبيرة. ينظر: مقالات الإسلاميين 1/167، الفرق بين الفرق ص: 78، الملل والنحل 1/114.

الظاهرين عليه، القاهرين له، الرادين دعوته، والمشتتين شمله[1]، كما زعمتم وشهدت به أناجيلكم[2].

ولم تكونوا - أنتم أيها القائلون إنّا نصارى – موجودين ولا ظاهرين بالنصرانية، إلى أن ظهر قسطنطين وزعم أن المسيح أرسل إليه وإلى أصحاب القوانين روح القدس مؤيدة لهم في ترتيب الدين وتقنينه، وفي جمع الإنجيل وتدوينه.

فهذا الذي أوجب لليهود أن لا يتّبعوه ولا يصدّقوه، مع ما هم عليه من الأوصاف الذميمة في الكتب المنزلة على ألسنة الأنبياء عليهم السلام.

أما نحن المسلمين[3] فنقول:

إن كل ما استشهدتم / به أيها النصارى من ظواهر
هذه الألفاظ المحرّفة عن مواضعها، والمغيّر معانيها، 67/أ
والمبدلة بنقل ناقليها من لغتين وثلاث لغات إلى اللغة العربية، والمصطلحون على ما وجدوه فيها من الأسماء والصفات اصطلاحاً مخالفاً لمعانيها، مع اختلاف أفهام النقلة، وعدم تحرّيهم وتحريرهم للألفاظ اللغوية، لا تبقي مع ذلك معنى على ما كان عليه، ولا أسماء ولا صفات كما كانت بلغة الآتي به.

ولا ينبغي الاستشهاد به، وسيّما على الشرك الصريح ومخالفة الكتب والرسل والمعقول والمنقول الحق، فلا التفات إلى زوره وباطله، ولو أسند إلى من أسند وهو شرك وباطل عددناه هباءً منثوراً.

---

1) في الأصل (القاهرون. . الرادون. . المشتتون. .).

2) ينظر في اعتقاد اليهود في المسيح المنتظر: تنقيح الأبحاث لليهودي ابن كمونة ص: 61، ومقالة المسيح اليهودي والمسيح النصراني لعالم يهودي في كتاب موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام د. سارة العبادي ص: 100.

3) في الأصل (المسلمون).

مع علمكم أن حدّ الخبر عند العقلاء: ما احتمل الصدق والكذب[1]، إلا أن يقوم به بيّنة على الصدق، أو يكون منقولاً بالتواتر، وقد تقدم شرح معناه[2]، وأن خبر الآحاد لا يفيد يقيناً ولا يبنى عليه حكم، ولو كان مطابقاً للمعقول الحق وموافقاً للمنقول الصدق[3].

فكيف بدعوى أربعة أنفار مختلفين فيما تزعمون من حياة بعد موتٍ، وصعود إنسانٍ سوي إلى السماء، وخرق الأفلاك بالبدن الطيني، ومخالطة أملاك بالجسم البشري، ب/67
وجلوسٍ على العرش، واعتقادٍ للشبه والمثال والأبوة والبنوة، / وإرسالٍ لأنبياء مرسلين، أرسلوا من مرسل أرسلهم بعد موته ودفنه؛ ليعمّدوا الناس باسم الثالوث: الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويدعوهم[4] إلى

---

1) يُنظر: التعريفات ص: 101.

2) تقدّم معنى التواتر في: ل ب/37 ص214 ، والخبر الذي قامت البينة بصدقه هو المحتفّ بالقرائن. ينظر: شرح النخبة لابن حجر ص: 6، شرح الكوكب المنير ص: 265.

3) الخبر ينقسم إلى: الخبر المتواتر، وهو مفيد للعلم القطعي، لا سبيل إليه في أخبار النصارى. ينظر: ما سبق ل ب/37 ص214. والخبر الآحاد: جمع أحد بمعنى واحد، ما عدا المتواتر. واختلف العلماء في إفادة خبر الواحد الثقة: هل يفيد العلم بنفسه أو بالقرائن أو الظن الراجح؟ والصواب أن أخبار الآحاد تتفاوت. ولا خلاف في وجوب العمل به إلا عند من شذّ، قال الشافعي في الرسالة 457: (لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد). ونقل إجماع الصحابة على ذلك القاضي أبو يعلى في العدة 3/865، وابن عبد البر في التمهيد 1/2، ولم ينقل عنهم التفريق بين الأحكام وأصول الديانات، وهو ما تدل عليه الأدلة الكثيرة، والتفريق بينهما لا دليل عليه ولا ضابط له. ينظر: المسودة: 248، مختصر الصواعق المرسلة 4/1465، خبر الواحد وحجيّته د. أحمد الشنقيطي.

فما ذكره المؤلف غفر الله له تبع فيه جمهور المتكلمين من عدم اعتبار أخبار الآحاد في العقائد، وهو مذهب باطل. ولكن لا مدخل للنصارى في ذلك؛ فإن غالب أخبارهم وأناجيلهم لم يصح سندها إلى مؤلفيها، فضلاً عن نسبتها إلى المسيح عليه السلام، قال القرافي في الأجوبة ص: 160: (ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة والإنجيل عدلاً عن عدل إلى موسى أو عيسى عليهما السلام، وإذا تعذر عليهم رواية العدل عن العدل فأولى أن يتعذر التواتر).

4) في الأصل (يدعونهم).

الشرك والتجسيم والتشبيه، واستنادٍ من المدّعين ذلك إلى حكايات مدونة في كتب مجهولة، منسوبة إلى حاكين قد مضت عليهم أحقاب ودهور، ومسحت تلك الحكايات النقلة لها والناسخون لها ولمعانيها من لغة إلى لغة، ومن اصطلاح إلى اصطلاح؟!.

وتعلمون أيضاً أن الله خاطب البشر بحسب عقولهم، وأنزل كتبه وجعل لكل آية من آياتها ظهراً وبطناً[1]، وفهّمهم من ذلك ما في إمكانهم فهمه، وأمرهم أن يردّوا تأويل ما يشكل عليهم فهمه إليه وإلى رسله.

فاختلفتم – معشر <اليهود و>[2] النصارى أهل الكتاب الأمّتين - في المسيح وأمّه وفي أشياء، وزعمتم أنكم على الصواب دون اليهود، وكذلك زعموا في كل ما اختلفتم فيه، وفاتكم جميعاً المطلوب؛ فإنكم صدقتم ما نسب إلى المسيح من الصلب والموت والتعذيب، واليهود كذبوا بما جاء به المسيح وأنكروه، وانتظروا غيره؛ حملاً على ما أخبرت الأنبياء عنه، وحكماً بمقتضى فقد
الشرائط المشروطة في المسيح، ورجعنا نحن 68/أ
المسلمين[3] إلى كتابنا فوجدنا المسيح يأتي مرتين:

الواحدة: إتيانه / وغيبته، والثانية: التي يؤمن به فيها أهل الكتاب قبل موته، وتصدق عليه نبوءات الأنبياء في

---

1) قال الشاطبي في الموافقات 4/210 ت. مشهور: (الظاهر: هو المفهوم العربي. والباطن: هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه. . . وله شرطان: أحدهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية. والثاني: أن يكون له شاهد نصّاً أو ظاهراً في محل آخر، يشهد لصحته، من غير معارض). وينظر: رسالة في علم الباطن والظاهر لابن تيمية في مجموع الفتاوى 13/232.

2) ما بين المعقوفتين لا يوجد في الأصل، والسياق يقتضيه.

3) في الأصل (المسلمون).

العز والحكم والسلطان والقهر وجمع سائر الناس على التوحيد والإيمان، فيكونون أمة واحدة.

وتبين لنا ما جاء منه وما جاء عنه صلى الله على نبيّنا وعليه:

فأما الذي جاء منه: فدعوته إلى الله، وإلى توحيده، والبراءة من الشرك، ورسالته بالإنجيل، وتلويحه بما لوّح من ذكر الحياة الأبدية، والتشويق إليها، ومن ذكره لأبناء السماء وأبناء الأرض، ومن تعظيمه للحق، واحترامه للخلق، وأمره للحواريين بالذلة والخضوع والتجريد والانقياد والرحمة للعالم، وأقرأهم عنوان السعادة، من فوق ختم كتاب لهم الحسنى وزيادة، وأشهدهم تعلق اللطائف والمعاني بمظاهر الكثائف والمباني، وتخلق الكثائف والمباني بمباطن اللطائف والمعاني، وقال الذائق تنبيهاً:

يا من تأنس لطيفه بكثيفه، فتسمّى لتثنية الأنس إنسان

يا خليفة الرحمن، وزبدة الأكوان، والمخاطب بالتوراة والإنجيل والقرآن

والذي من أجله وأجل استخلافه كان مما كان
اعرف معناك، اذكر مغناك، اطرح أثقالك
واطلب كمالك، لاحظ مآلك، احطط رحالك
يا من يخاطبه حقيقة / ذاته، من غيره لكنه لا يعلم ب/68
وهو المخاطِب ذاته من غيره، فهو المكلم عنه والمتكلم
في روحك الأرواح والعوالم، ألا ترى ذاك وأنت نائم
والكل فيك حاضر في غيبه، فالكل أنت عَالِم وعَالَم
منادىً بلسان الكون، للتعريف والبون

فلا يدعي دعوى فرعون ونمرود، ولا دعوى النصارى ولا دعوى اليهود

بل نزّه الباري عن كل ما يخطر في النفوس، أو يتخيل أو يتوهم بالحدوس

لا كالذي جسّمته النصارى من المعاني، ولا فرقت بين الأول الأحد والواحد الثاني[1]

فهذه الإشارات والتلويحات مصرِّحة بما جاء به المسيح.

وأما ما جاء عنه: فقد تقدم فيما أوردته من الأجوبة من وصاياه وتعبده وتذلله وصلاته لرب العالمين[2].

---

(1) هذا النظم من المؤلف جاء على طريقة نظم الصوفية من الألفاظ المجملة الموهمة، والتي لا تظهر الحق ولا ترد الباطل، وفيها ما يظن أنه من الحلول الباطل، فإن لفظ الحلول فيه إجمال؛ قد يراد به معنى صحيح وهو حلول الإيمان بالله ومعرفته ومحبته ونوره وهداه في قلوب المؤمنين. أو معنى باطل كما يقوله النصارى وغلاة الصوفية الذي هو حلول ذات الخالق في شيء من مخلوقاته!. ينظر: الجواب الصحيح 3/343.

(2) ينظر: ما سبق: ل أ/12 ص126.

فصل

ثم قلتم سياقاً: **إن إشعيا قال أيضاً: (إن غلاماً ولد لنا وابناً أعطيناه، رئاسته على عاتقه ومنكبيه، ويدعى ملكاً عظيم المشيئة بشراً، ملكاً عجيباً، إلهاً قويّاً مسلطاً، رئيس السلامة، أباً، كل الدهور، وسلطانه كامل ليس له فناء)**[1]**.**

وأنه قال أيضاً: (تخرج عصاه من أصل يشي، وينبت نوْر منها، وتحل فيه روح القدس، روح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحيل والقوة، / روح العلم وخوف الله. وفي تلك الأيام يكون أصل يشي للأمم، وبه يؤمنون، وعليه يتوكلون، ويكون لهم النياح والكرامة إلى دهر الداهرين)[2]**.** 69/أ

واليهود مقرّون بهذه النبوءات، معترفون أنها حق، وأنها عتيدة أن تكمل عند مجيء المسيح.

فقال لكم كليام: إذا كانت اليهود عالمين[3] **بذلك فأي حجة لهم يحتجون بها عن الإيمان به؟**[4]**.**

فقلتم: إن الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم له شعباً في ذلك الزمان دون كل

---

(1) سفر إشعيا: 6/9. بلفظ مقارب.

(2) سفر إشعيا: 11/1، 10. بلفظ مقارب. وفيه: (يسّى) بدلاً من يشي، وهو أبو داود عليه السلام كما في إنجيل متّى: 1/6، وأيضاً: في الرسالة ن 3: (التاج) بدلاً من النياح، ورجحه محقق الجواب الصحيح 3/408.

(3) في الأصل (عالمون) وهو غلط. وفي الرسالة: (مقرين ومعترفين بها).

(4) في الرسالة والجواب الصحيح 3/430: الفقرتان كلتاهما من كلام المعترض على النصارى من غير تصريح باسمه (فقلت لهم... فأجابوا قائلين) وأيضاً: في الرسالة ن 2 و ن 3 زيادة: (**وأنها عتيدة أن تكمل عند مجيء المسيح، والمسيح قد جاء**).

العالم، وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل إليهم موسى النبي، دلهم على معرفة الله تعالى، ووعدهم أن الله يخلصهم من عبودية فرعون ويخرجهم من مصر إلى أرض الميعاد، التي هي أرض بيت المقدس، ويريهم آيات، فطلب موسى من الله وعمل العجائب أمامهم، وضرب أهل مصر العشر ضربات وهم يرون ذلك جميعه، وأخرجهم من مصر بيد قوية، وشق لهم البحر وأدخلهم فيه، وصار الماء لهم حائطاً عن يمينهم وحائطاً عن شمالهم، ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر(1) **وبنو إسرائيل ينظرون ذلك، فلما غاب عنهم موسى إلى الجبل ليناجي ربه وأخذ لهم التوراة من يد الله تركوا عبادة الله، ونسوا جميع أفعاله، وكفروا به، وعبدوا رأس العجل بعد ذلك، ثم عبدوا /**
الأصنام بعده ليس مرة واحدة بل مراراً كثيرة، ب/69
وذبحوا لها الذبائح ليست حيوانات بل بنيهم وبناتهم حسب ما ذكر فيما قبل ذلك، وجميع أفعالهم مكتوبة في أخبار بني إسرائيل(2)**.**

فلما رأى الله قساوة قلوبهم وغلظ رقابهم، وكفرهم به، ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة

---

(1) في الرسالة زيادة: (**فلما برزوا بنو** (في نسخ الرسالة: بني) **إسرائيل من البحر أمر الله موسى أن يرد عصاه على المياه فعاد الماء كما كان، وغرق فرعون وجنوده في الماء**). وفي الجواب الصحيح 3/430 نحوه.

(2) في الرسالة ن 3 و ن 2 النص أوضح: (حسب ما تنبأت عليهم الأنبياء**، وقد ذكرناه قبل ذلك، وأفعالهم جميعها وكفرهم وعبادتهم الأصنام مكتوب جميعه في أخبار بني إسرائيل عندهم وعندنا على قول واحد ونص واحد**).

غضب عليهم وجعلهم مرذولين مهانين في جميع الأمم، وليس لهم نبي ولا كاهن ولا ملك إلى الأبد، حسب ما نبّأت عنهم الأنبياء على ما ذكرنا قبل، وتشهد به كتبهم التي في أيديهم يومنا هذا.

وكذا قال الله لإشعيا: (اذهب وقل لهذا الشعب: ستسمعون سمعاً لا تفهمونه، وتنظرون ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وقد سمعوا بأفهامهم سمعاً ثقيلاً، وقد غمضوا أعينهم لئلا يبصروا بها، وسمعوا بآذانهم ولم يفهموا بقلوبهم ويرجعوا إلي فأرحمهم)[1].

وقال إشعيا: (هكذا مقتت نفسي سبوتكم ورؤوس شهوركم، وصارت عندي مرذولة)[2]. وقال: (في ذلك اليوم سأبطل السبوت والأعياد كلها، وأعطيكم سنة جديدة مختارة كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي يوم حوربت، يوم الجمع الكبير، سنة آمر بها وأخرجها من صهيون)[3]. 70/أ

فصهيون: هي أورشليم، والسنة الجديدة / المختارة هي السنة التي تسلمناها نحن معشر

(1) سفر إشعيا: 9/6، 10. بلفظ مقارب.

(2) سفر إشعيا: 1/14. بلفظ مقارب. وفي الرسالة ن 2 ون 3، وفي الجواب الصحيح 3/432 في أول النص: (قال الله: هكذا. . .).

(3) لم أجد هذا النص في سفر إشعيا، وإنما معناه في: 2/3. وأيضاً ورد معناه في: سفر ميخا: 4/2، وينظر: ما سبق: ل ب/7 ص109.

النصارى من أيدي الرسل الأطهار[4]، على ما تسلموها هم من السيد المسيح.

وهذه النبوءات مثل ما هي عند اليهود كذلك هي عندنا معشر النصارى في اثنين وسبعين لساناً، يقرؤها جميع الأمم قولاً واحداً وأنها قول الله.

وقالت اليهود: عتيدة أن تكمل عند مجيء المسيح، لكن المسيح البعد ما جاء، وأن الذي جاء ليس هو المسيح. هذا قولهم[1].

وكفاهم أنهم يكفرون ويفجرون مع الكفر ويقولون: إن المسيح كان ضالّاً مضلاً، وإنما المسيح عتيد وإنه يأتي ويكمل نبوءات الأنبياء، فإذا ما أتى تبعناه وكنا أنصاره. وهذا رأيهم واعتقادهم في السيد المسيح، فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي[2] هم عليه؟

ولأجل ذلك سمّاهم في هذا الكتاب (ة) ولأجل خلافهم لقوله الذي أنطق به أنبياءه.

ولما كنّا نحن معشر النصارى مستمسكين بما أمرونا به الرسل الأطهار سمّانا في هذا الكتاب (المنعم عليهم) .

[4] في الرسالة ن 2 زيادة: (الذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليم العالم، وأنذروا بهذه السنة الجديدة، فأي بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان؟ إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما وأعداؤنا اليهود المخالفون لديننا يشهدون لنا بصحة ذلك جميعه) . ومثله في: ن 3، والجواب الصحيح 3/432.

[1] في الرسالة والجواب الصحيح 3/432 سياق الفقرة بلفظ أوضح: (**وأما حجة اليهود في هذه النبوات فيقولون ويعتقدون: إنها حق، ولم ينكروا أنها قول الله سبحانه وتعالى، ولكن يقولون: إنها عتيدة أن تكمل وتتم عند مجيء المسيح، وينكرون مجيئه ويقولون: ما جاء إلى الآن! وأن الذي جاء ليس كان المسيح**).

[2] في الأصل: (الذين).

وأما قولنا في الله: ثلاثة أقانيم إله واحد. فهو أن الله تعالى نطق به وأوضحه لنا في التوراة وفي كتب الأنبياء[1]. ومن ذلك:

ما جاء في السفر الأول من التوراة يقول حيث شاء الله أن يخلق آدم: (قال الله: لنخلق خلقاً على شبهنا ومثلنا)[2]، فمن شبهه ومثاله
غير كلمته وروحه؟ وحين / خالف آدم وعصى ب/71
ربه قال الله: (ها آدم قد صار كواحد منا)[3]، وهذا قول واضح أن الله قال هذا القول لابنه، أي: كلمته وروح قدسه، وقال هذا القول يهزأ بآدم، أي: أنه طلب أن يكون كواحد منّا صار هكذا عرياناً مفتضحاً.

وقال الله عندما أخسف بسدوم وعامورة[4] قال في التوراة: (وأمطر الرب من عند الرب

---

(1) في هامش الأصل تعليق بخط الناسخ نفسه: (الجواب عن هذا يأتي في الكراس الثاني إن شاء الله) وينظر: الفصل القادم في بداية جواب المصنف.

(2) سفر التكوين: 1/26، وقد اختلفت ترجمات النص، ومنها: (على صورتنا كشبهنا)، (على صورتنا كمثالنا)، وأشار الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/444: أن الصواب لفظ (شبهنا) دون لفظ (مثلنا)؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وأما الشبه فيقع بوجه دون وجه، بمعنى الاشتراك الكلي العلمي الذي يقع بين سائر الموجودات وإن اختلفت حقائقها، وما أضيف إلى الخالق اختص به لا يشركه فيه المخلوق. وينظر في تفسير النص تعليق في: ل ب/59 ص273.

(3) سفر التكوين: 3/22.

(4) سدوم وعامورة (عمورة): قريتان أرسل إليهما لوطٌ عليه السلام فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله بالنار والكبريت وقلب المدن، وخطيئتهم إتيان الفاحشة بينهم، حسب رواية التوراة، وقصة قوم لوط مذكورة في القرآن. وهي في منطقة غور الأردن والبحر الميت. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مواد: سدوم، عمورة) وتأريخ الطبري 1/293.

من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتاً)[1]**، أوضح بهذا ربوبية الأب والابن.**

وقال أيضاً في السفر الثاني من التوراة: (وكلّم الله لموسى من العلّيقة قائلاً: أنا إله إبراهيم، أنا إله إسحاق، أنا إله يعقوب)[2]**، ولم يقل: أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. بل كرّر اسم الإله ثلاثة دفوع قائلاً: أنا إله وإله وإله؛ لتحقق مسألة الثلاثة أقانيم في لاهوتيته.**

وقال داود النبي في المزمور الثاني: (الرب قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك)[3]**.**

وقال في مزمور مائة وتسعة: (قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت موطئ قدميك)[4]**.**

وكذا يشهد إشعيا بتحقيق الثالوث ووحدانية جوهره، وذلك بقوله: (رب القوات) وبقوله: (رب السماوات والأرض)[5]**.**

ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير، حتى أن اليهود إلى هذا الوقت يقرؤون

71/أ

---

1) سفر التكوين: 19/24.

2) سفر الخروج: 3/6 و15. وفي بعض الترجمات كالترجمة المشتركة وكتاب الحياة لم يكرروا لفظ إله، وإنما بلفظ: (إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب)!.

3) سفر المزامير: 2/7.

4) سفر المزامير: 110/1.

5) في الرسالة النص أوضح: (**وكذلك يشهد إشعيا النبي بتحقيق الثالوث ووحدانية جوهره بقوله: (إني شهدت الملائكة لا يزالون يسبحون قائلين: قدوس قدوس قدوس رب القوات، جميع السماوات والأرض ممتلئة من مجدك)**). والنص في سفر إشعيا: 6/3 بلفظ مقارب.

هذه النبوءات[1] ولا يعرفون لها / تأويلاً، وهم معترفون بذلك ولا ينكرون منه كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلقة عن فهمه؛ لقساوة قلوبهم، على ما ذكرنا من قبل ذلك.

وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحزّان[2] أمامهم ويقول كلاماً عبرانيّاً هذا تفسيره ولا يجحدونه: (نقدّسك ونعظّمك ونثلّث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيّك إشعيا) ، فيصرخ الجميع مجاوبين له: (قدوس قدوس قدوس رب القوات وجميع السماوات والأرض) . فما أوضح إقرارهم في الثالوث وأشد كفرهم به وبمعناه. فنحن[3].

والجواب:

أن حديث إشعيا لا يدل معناه في تعداد الحيل والقوة والعلم والفهم على أنها روح القدس، ولكنها تسمية مجازية واستعارة لطيفة للممدوح[4].

ويكفيكم تهافتاً: إجماع كلمتكم في الأقانيم - وإن لم تفطنوا له - أن كل واحد منها رب مربوب، إله مألوه، خالق مخلوق، قادر عاجز، غني فقير، فاعل مفعول، واحد ثلاثة، والد مولود.

---

[1]) في الرسالة زيادة: (**في وسط كنائسهم أكثر من جميع النبوءات**).

[2]) الحزّان: كلمة عبرية بمعنى المرتل للمواعظ الدينية والصلوات اليهودية. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية د. المسيري 5/184.

[3]) كذا في الأصل، وكلمة (فنحن) تابعة للفصل الآتي، وإدراجها هنا سبق قلم.

[4]) فسّر الإمام ابن تيمية نص إشعياء: بأن المسيح عليه السلام أيّد بروح القدس، وأنه موافق للقرآن. ينظر: الجواب الصحيح 3/409.

وما مثلكم في احتجاجكم بقوله تعالى في التوراة: (وكلم الله موسى من العلّيقة) إلى آخره، وقول حزّان اليهود، وغير ذلك مما يحتجون به على تحقيق التثليث وبيان مسألة الأقانيم، إلا كمثل من قال لمدعي معرفة الكتابة والتهجّي: تهجّ لي اسم علي. فقال: علي خمسة
ب/71 أحرف: ط، ح، م. فتبسم السائل، وقال له: مليح تهجّيت / ولكنك أغفلت حرف الصاد!.

أو كمثل من قال عند استواء الشمس وسط السماء: هذا ثلث الليل، والدليل على ذلك غيبوبة النجوم وشدة حرّ الشمس!.

ويا حسرة عليكم من العقلاء، ويا استحياءهم عنكم من اليهود لو سمعوا هذا الاستشهاد والاحتجاج الذي لا يحوج الخصم معه إلى غيره في بيان الجهالة والضلالة من خصمه.

ولقد حضر بعضُ أهل الذمة إلى المجاوب لكم، وسمع تلطفه في الأجوبة، فأقسم عليه أن يذكر لكم بعض مناظرة الأسقف الذي أسلم، فأبر المجاوب القسم، وقال حاكياً مناظرته للنصارى قائلاً: أيها النصارى، إني لمّا رأيتكم على ملل شتى، وكل فرقة منكم تشهد بضلالة الفرقة الأخرى، وكلكم يزعم أن المسيح وحوارييه أهينوا وعذبوا أربعة[1] أيام، فإن كان ذلك عن كثرة منهم وقهر لهم فليس بإلهٍ قادر مَن يُكره ويعذب، وإن كان يرضى منهم فقد نالوا أغراضهم ومناهم.

وقال الحاكي[2]:

عجباً للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه

---

1) في الأصل: (أربع). وهو غلط.

2) في الأصل: (الحاك). وهو غلط.

نسبوه إلى الإله افتراءً ثم قالوا اليهود قد صلبوه [1] [2]

ويزعمون أن الله هو المسيح، وأن المسيح هو الله، وأن المسيح نزل إلى الأرض واستتر عن عيون الآدميين؛ ليهدي الناس من ضلالاتهم! فهل كان يهديهم لسنّته أو لسنّة غيره؟

---

[1] في الأصل: (للإله افتراء ثم قالوا إن اليهود) ولا يستقيم وزنه، وهو يخالف المشهور (أسلموه إلى اليهود. . .).

[2] الأبيات لأبي العلاء المعري في ديوانه لزوم ما لا يلزم 2/418 من مقطوعة، هي:

أسهب الناس في المقال وما يظفر إلا بزلة مسهبوه

عجباً للمسيح بين أناس وإلى الله والد نسبوه

أسلمته إلى اليهود النصارى وأقروا بأنهم صلبوه

يشفق الحازم اللبيب على الطفل إذا ما لداته ضربوه

وإذا كان ما يقولون في عيسى صحيحاً فأين كان أبوه؟

كيف خلى وليده للأعادي أم يظنون أنهم غلبوه

وإذا ما سألت أصحاب دين غيروا بالقياس ما رتبوه

لا يدينون بالعقول ولكن بأباطيلِ زخرفٍ كذبوه

وفي الغيث المسجم للصفدي 1/48 زيادة بيتين لم يذكرا في اللزوميات بعد البيت الخامس:

وإذا كان راضياً بقضاهم فاشكروهم لأجل ما عذبوه

وإذا كان ساخطاً بأذاهم فاعبدوهم لأنهم غلبوه.

ينظر: فائت شعر أبي العلاء للميمني ضمن كتاب بحوث وتحقيقات 2/93 إعداد. عزير شمس.

وقد ذكر الأبيات بعض من ردّ على النصارى مع اختلاف في بعض ألفاظها كالقرطبي في الإعلام ص: 419، القرافي في الأجوبة ص: 171.

72/أ فإن قلتم: لسنّة غيره، لم يكن إلهاً. وإن قلتم: لسنّة / نفسه، كذبتم أناجيلكم؛ إذ قول المسيح فيها: (إني لم أجِ لأنقض توراة موسى، بل أثبتها)[1].

وأقول لكم: أخبروني عمن عمل بسنّة المسيح، هل اهتدى أو ضلّ؟

فإن قلتم: اهتدى، فقد ضللتم؛ حيث لم تعملوا بسنّته، إذ كان على سنّة موسى. وإن قلتم: ضلّ، فقد كفرتم بالله وبالمسيح؛ إذ خالفتم قولهما في السبت والختان وغير ذلك.

وهل كان المسيح رسولاً أو راسلاً؟

فإن قلتم: إنه رسول، كذّبتم إنجيلاتكم الشاهدة بأنه إله معبود. وإن قلتم: إنه

راسل، كذّبتم المسيح في قوله: (هذه الكلمة ليست منّي بل هي ممن أرسلني)[2]، وقوله في أول جزء من إنجيل يوحنّا: (قد علموا أنك أنت الذي أرسلتني، وقد بيّنت اسمك لهم)[3]، وقوله: (لا أدين الناس وحدي، بل أنا والذي أرسلني)[4]، وقوله أيضاً: (إذا هم شهدوا اثنين صادقين أني أشهد على نفسي والله الذي أرسلني)[5]، وقوله في إنجيل يوحنّا: (الأعمال التي عملتها تشهد علي بأن الله الذي أرسلني والله الذي يرسلني إلى خلقه)[6]، وقوله للذي قال له: أيها المعلم الصالح، أي عمل صالح 72/ب
تأمرني أفعله أنال به الحياة الدائمة؟ فقال للرجل: (لا

---

1) إنجيل متّى: 5/17.

2) إنجيل يوحنّا: 5/30.

3) إنجيل يوحنّا: 17/8.

4) إنجيل يوحنّا: 8/16.

5) إنجيل يوحنّا: 8/17، 18.

6) إنجيل يوحنّا: 5/36.

تدعني صالحاً، فإنما الصالح هو الله وحده)[1]، وقوله أيضاً طالباً من الله: (إن شئت يا رب أن / تنزع كأس هذا الموت عنّي، فهو بأمرك ليس هو بأمري)[2]، وقوله أيضاً: (ليس أتكلّم بأمري، ولكن بأمر الذي أرسلني وأعطاني الأمر بما أقول وأتكلم به، واعلموا أن كل من يطيع أوامره ويقبل ما يرسمه ينحله الحياة الدائمة)[3]، وقوله لهم حين قالوا له: (اذهب واهرب من ها هنا، فإن هدورس[4] يريد قتلك. فقال لهم: إني أخرج الشيطان من أجسام الناس بآيات كثيرة، فإذا أنا أتممت ما أنا فيه خرجت منطلقاً إلى الله من أجل أن لا يستطيع نبي يتلف خارج دار السلام)[5]، وقوله: (إني لم أجِ لأنقض توراة موسى ولا كلام الأنبياء، بل جئت أتممها بعمل الحق أمين)[6]، وقوله حين قام بطرس ليغسل رجليه بالماء: (لم يجِ ابن البشر ليُخدَم، وإنما جاء ليَخدُم)[7]، وقوله لتلاميذه: (اجلسوا ها هنا حتى أصلي، وقام وتنهد، وقال: بلغت نفسي إلى الموت)[8]، وقوله لسمعان ويوحنّا ويعقوب: (أنا يسوع قد بلغت نفسي إلى الموت، انظروني وتيقظوا حتى أتقدم قليلاً وأسجد على الأرض وأصلي لله تعالى حتى ينجيني ويصرف عني السوء) ، ثم إنه خرّ على الأرض سجوداً وطلب من الله أن يصرف عنه كأس الموت، وقال: (يا ربّ اصرف عني هذا الكأس

---

1) إنجيل لوقا: 18/18، 19.
2) إنجيل متّى: 26/39.
3) إنجيل يوحنّا: 12/49، 50.
4) كذا في الأصل، وفي الأناجيل: (هيرودس).
5) إنجيل لوقا: 13/31 - 33.
6) إنجيل متّى: 5/17.
7) إنجيل متّى: 20/28.
8) إنجيل متّى: 26/36 – 38.

بمسرتك لا بمسرتي ولا بأمري) ، ثم قال لسمعان كصفا: / (أنت راقد وتراني في هذه الشدة والعاقة والضيق وقد أسلمت بيد الخطاة)[1]، وحين قال الشيطان ليسوع: 73/أ
اسجد سجدة واحدة، وخرّ على وجهك لي حتى أفوض إليك الدنيا وأبيحها لك، فقال يسوع للشيطان: (أليس مكتوباً في التوراة: الله إلهك خف[2]، وإياه فاعبد، وباسمه المقدس فأقسم، وبطاعته وعبادته التزم)[3].

وفي الإنجيلات أيضاً: أن يسوع قام وصلى ثلاث دفعات، ونبه تلاميذه، وقال لهم: ألا تنتبهون وتصلون معي وتطلبون[4] لي من الله على هذه الشدة العظيمة والمصيبة الزائدة، التي قد وقعت فيها، في هذا اليوم، فناموا وردّوا كلامه[5].

ومن إنجيلاتكم المخالفة بالشهادة لهذه الأقوال الشاهدةِ على المسيح بأنه عبدالله

ورسوله: قول لوقا في إنجيله: إن يسوع أقبل من الجليل[6] إلى يوحنّا وطهّره بالأردنّ[7]، وخرج صوت

---

1) ينظر: إنجيل مرقس: 14/33 - 40، وإنجيل متّى: 26/38 – 45.

2) في الأصل: (خاف) وهو غلط. 73/ب

3) إنجيل متّى: 4/8 - 10، وإنجيل لوقا: 4/7 - 8. وفي التوراة: سفر التثنية: 6/13.

4) في الأصل: (ألا تنتبهوا وتصلوا معي وتطلبوا) وهو غلط.

5) ينظر: إنجيل متّى: 26/36 ـ 46، وإنجيل مرقس: 14/32 - 42.

6) في الأصل: (إلى الخليل) وهو غلط. والجليل: منطقة في الشمال الفلسطيني (المحتلّ)، وينقسم إلى أعلى وأدنى. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الجليل)، الموسوعة العربية الميسرة ص: 1212.

7) الأردنّ: اسم لأهم أنهار فلسطين، ويجري جنوباً وله أربعة ينابيع ويصب في البحر الميت، ويمرّ غرب دولة الأردنّ وبه سمّيت. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: الأردن)، ووصف المؤلف له في كتابه نخبة الدهر ص: 107، والموسوعة العربية الميسرة ص:

ينادي: (أنت ولدي وحبيبي وابني)[1]، وفي الإنجيلات أيضاً: إن يسوع أقبل من الجليل إلى الأردنّ إلى يوحنّا[2] ليطهره، ولمّا طهره انفتحت السماء ونزلت روح الله ترفرف عليه، وخرج صوت ينادي: (هذا ابني وحبيبي، الذي / ارتضيت وهويت)[3]، وفي الإنجيل أيضاً: إن فيلفوس[4] قال ليسوع: أريد أن تُريني[5] الأب حتى أموت، فقال له يسوع: (هذا اليوم كله أنا معك وما يكفاك[6]؟! ومن نظر إلي فقد نظر إلى الأب، وأنا وأبي سواء)[7]. ب/73

أخبروني عن هذا التناقض في شهادات الأناجيل بأن المسيح: نبي مرسل تارة، وولد للإله تارة، وإله بذاته تارة، هل له مستند في المعقول؟! كلا، والله، ولا من المنقول.

.225

1) إنجيل لوقا: 3/21، 22. بلفظ فيه اختلاف، ومن نصّه: (أنت ابني الحبيب، عنك رضيت) وفي هامش طبعة دار المشرق اليسوعية: في مخطوطات قديمة: (وأنا ولدتك). وهي أصح؛ لكونها تثبت أن ولادته الحقيقية بالتعميد والتطهير، وأنه قبل ذلك لم يكن ابناً لله مولوداً له. وهذا ينقض عقيدة تأليه المسيح؛ ولهذا حرّفت النصارى المؤلهة لعيسى هذا النص.

2) في الأصل: (يحنا) وهو يوحنّا المعمداني، يحيى عليه السلام.

3) نفس النص السابق بلفظ مقارب لنص لوقا في إنجيله، وجاء في إنجيل متّى: 3/17، وإنجيل مرقس: 1/9.

4) في الإنجيل: (فيلبس)، وهو اسم يوناني بمعنى: محب للخيل، وهو أحد تلاميذ المسيح، من بيت صيدا، شاهد بعض معجزات المسيح. قاموس الكتاب المقدس (مادة: فيلبس)

5) في الأصل: (توريني).

6) كذا في الأصل، والأشهر: (يكفيك). ينظر: لسان العرب 13/94.

7) إنجيل يوحنّا: 14/8 - 10 بلفظ مقارب.

وكذلك شهادتكم في أمانتكم: بأن المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه. وأنكم آمنتم بإله واحد: أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، صانع ما يرى وما لا يرى. وهذا تناقض في الإيمان؛ فإن المسيح إن كان في السماوات أو في الأرض أو فيهما أو كان يُرى أو لا يرى أو كان من الكل فإنه مخلوق لا خالق ولا إله ولا هو من جوهر أبيه، الذي لا يتجزأ ولا ينقسم، ولا ينسب إليه ما ينسب إلى المخلوقين من الجسمية والجوهرية المتحيزة والكيفية والأينية. فكانت هذه الأمانة منكم خيانة لله ولرسله وللمسيح في زعمكم فيه: أنه إله، وأنه نزل إلى الأرض لخلاصكم معشر البشر.

وكيف يكون إلهاً ربّاً خالقاً وقوله في الأناجيل قوله المتقدم؟!

وكيف يجوز أن يعبد وهو بشر وابن البشر وأفعاله كلها أفعال البشر: في الخَلق، والخُلق، والنشوء، والنمو، والتغذي، والنوم، والسكر بالخمر، والسهر[1]، والجزع 74/أ
والفزع، / والهروب، والجوع والعطش، وتعليم الصنائع الدنيّة كالصباغة للثياب ومثلها؟![2].

وكيف تزعمون أنه الله وأن الله هو وتعلمون أنه قال: (وجدت العصافير وكراً يسكنونه، ووجدت الثعالب موضعاً يختبئون فيه، وابن البشر لم يجد موضعاً يسكن فيه إلا خشبة يركب عليها) ؟![3].

وأين هذا القول والاعتراف بالعبودية والانقهار والتذلل والانكسار من زعمكم فيه؟! وتكذيبكم لأناجيلكم المذكور

---

(1) في الأصل: (التهر).

(2) هذه الأوصاف تنزلاً حسب ما جاء في أناجيلهم، وإلا فالمسيح ابن مريم نبي كريم، بشر مؤيد من عند الله.

(3) إنجيل متّى: 8/20، وإنجيل لوقا: 9/59. بلفظ مقارب.

فيها قوله: إنه رسول لا راسل، وعبد لا ربّ، مُتأله[1] لا إله؟!

ولئن قلتم: إنه فعل العجائب.

قلت لكم: إن غيره من الأنبياء فعل ما هو أعجب من فعله ولم يتخذوه إلهاً ولا أشركوا به، كما اتخذتم المسيح إلهاً وأشركتم به!

خلق الله آدم أباً للبشر من غير أب ولا أمّ، وهو أعجب من خلقه المسيح من أم بغير أب.

ورفع الله أخنوخاً إلى السماء[2]،

---

[1] في الأصل: (مألوه) وهو غلط.

[2] أخنوخاً: اسم عبري بمعنى محنك، وهو ابن يارد من نسل شيث، وجدٌّ لأبي نوح عليه السلام، وفي سفر التكوين: 5/24: أنه عاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة، وأنه سار مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه. وله سفر باسمه من الأسفار غير القانونية عند غالب الكنائس سوى الكنيسة الأثيوبية، وهو بلغة الحبشة وبعض أجزائه باليونانية، ينتمي بعض أجزائه إلى مخطوطات قمران، ويظن أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، ومترجم إلى الانجليزية، يحتوي على مائة وثمانية إصحاحات. كما ينسب له أسرار أخنوخ باللغة السلافية، فيه بعض الشبه بسفره. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: أخنوخ).

وفي المصادر الإسلامية: أخنوخ هو إدريس عليه السلام عند جماهير المفسرين، وقال برفعه إلى السماء وهو حيّ بعض المفسرين عند قوله تعالى في سورة مريم: آية 57 (ڍ ـڍ ڌ)، وفُسر المكان العليّ بما جاء في حديث المعراج أن النبي رآه في السماء الرابعة. أخرجه البخاري (ح3430)، وقيل: رفعه في الجنة، وقيل: رفع المكانة والتشريف. ينظر: تفسير ابن كثير 5/241، الإعلام بأصول الأعلام د. ف عبد الرحيم ص: 29. جاء في فتح الباري 6/375: (وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية). وما ورد في أسفار أهل الكتاب ليس صريحاً في رفعه، وإن كان ليس هناك ما يمنعه، خلافاً للفلاسفة.

ورفع آلياهو النبيّ[1] إلى السماء كما قلتم: إنه رفع المسيح إلى السماء.

وسمّى الله إسرائيل في التوراة ابناً، قال: (ابني بكري إسرائيل)[2]، كما سمّى المسيح نفسه ابناً، وسمّى الحواريين أبناء بقوله في الإنجيلات: (أحبّوا أقرباءكم وأحبّوا أعداءكم، وباركوا على من لعنكم، واصنعوا الحسنات إلى من أساء عليكم، وصلوا على من يتكلم عليكم؛ لكيما تكونوا بني أبيكم الذي في السماء)[3]، ب/74
وقوله أيضاً فيها: (إن أنتم كافأتم السيئة بالسيئة فأي أجر لكم عند أبيكم الذي في / السماء؟ سيغفر لكم سيئاتكم)[4]. فإما أن تعبدوا إسرائيل وتعبدوا أنفسكم حيث جعلكم أبناء الله بالتسمية المجازية، أو ترجعوا عن الشرك بالله وعن قولكم: المسيح ابن الله.

ينظر: الجواب الصحيح 6/178.

ورفع أخنوخ ورد في سفر التكوين: 5/24، وفي رسالة العبرانيين: 11/5.

(1) كذا في الأصل، والمراد: إيليا، وفي العبرية: (أيلياهو)، وفي اليونانية: (أيلياس)، وفي السريانية: (إلياس)، وهو كذا في العربية: من أنبياء بني إسرائيل، سيرته في سفر الملوك الأول: 17، وبعث زمن آخاب الملك وقومه وأنكر عليهم عبادة البعل، وحتى رفع إلى السماء وخلفه إليشع النبيّ، كذا في التوراة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: إيليا)، والإعلام بأصول الأعلام ص: 44. وهو النبيّ إلياس على الأرجح الوارد ذكره في القرآن، وفي سورة الصافات: آية 123: أنه أرسل إلى قوم يعبدون بعلاً. ينظر: تأريخ الطبري 1/461.

ورفع إيليا ورد في سفر الملوك الثاني: 2/11.

(2) سفر الخروج: 4/22.

(3) إنجيل متّى: 5/44، وإنجيل لوقا: 6/35. وفي الأصل: (وأبغضوا أعداءكم) وهو سبق قلم من المؤلف والتصويب من الإنجيل، ولم ترد الجملة الأولى.

(4) ورد معناه في إنجيل متّى: 5/46، وإنجيل لوقا: 6/32، وهو من تتمة النص السابق في موعظة المسيح عليه السلام المعروفة بالموعظة على الجبل.

وإن كان الشرك بالمسيح لأجل أنه أشبع ألف رجل من ثمانية أرغفة مع سمكتين، وأحيا الميت، وكشف السقم عن المريض[1]؛ فإن أليسع النبي وآلياهو النبي أحيا كل واحد منهما الموتى[2]، وحزقال النبي أحيا ألفاً في بقعات دورا[3]، وآلياهو دعا في كفّ دقيق وفي قليل زيت فكفى خلقاً كثيراً ثلاث سنين إلى أن نزل المطر، ثم دعا فأنزل المطر، ودعا الله على جبل الكرمل[4] فنزلت له النار وأحرقت القربان، ولقلقت ستّاً[5] وثلاثين جرة ماء[6]، وأليسع جعل بكلمته في يسير من السويق والخبز بَرَكة عظيمة حتى قام بمائة نبي[7]، وموسى بن عمران بعثه الله إلى فرعون بالضربات المشهورة: قلب مياههم دماً، وسلط عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع

---

1) ينظر: ما سبق في: ل ب/44 ص235.

2) أليسع النبي: (أليشع) بن شافاط، خليفة إيليا في الدعوة والنبوة سيرته في سفر الملوك الثاني. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: أليشع). وهو مذكور في القرآن الكريم في سورة الأنعام وص. ينظر: تأريخ الطبري 1/464.

وإحياء الموتى من إيليا وأليسع جاء في سفر الملوك الأول: 17/17، وسفر الملوك الثاني: 4/19.

3) جاء أن حزقيال أحيا جيشاً عظيماً في وسط بقعة يابسة مملوءة عظاماً. ينظر: سفر حزقيال: 37/1 – 15. وفي سفر حزقيال لم يرد تسمية البقعة، وورد تسمية بقعة دورا في أرض بابل كما في سفر دانيال: 3/1. وحزقيال كان مع المسبيين في أرض بابل كما في سفره: 1/1.

4) في الأصل: (الكرمد)، وجبل الكرمل: بمعنى المثمر، من جبال فلسطين (المحتلة) يقع في مدينة حيفا ويطل على البحر المتوسط، مثلث الشكل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: كرمل)، ومعجم البلدان 4/456.

5) في الأصل: (ستة) وهو غلط. وفي التوراة: (لحست) بدلاً من لقلقت.

6) سفر الملوك الأول: 17/10، 18/38.

7) سفر الملوك الثاني: 4/42، وفيه: مائة رجل.

والظلمة العجيبة، وقتل أبكارهم في الضربة العاشرة، وتحويله العصا تنّيناً والتّنين عصا أعجب من إحياء الموتى، وأخرج بني إسرائيل وشق بين أيديهم البحر، وسيرهم بعمود نار وعمود غمام، وفجر له عيون الماء، وأطعمهم المن والسلوى[1]، وأمر الأرض ففتحت فاها وابتلعت قارون وأهله بأمر الله[2]، ويوشع بن نون وقفت له الشمس والقمر يوماً / تامّاً، وضرب ماء الأردن فيبس إلى أن عبر صندوق عهد الله[3]، وكذا حزقياهو الداودي ردّ

---

(1) يُنظر في معجزات موسى: سفر الخروج: 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14.

(2) لم يرد اسم قارون في التوراة، وعقوبة الإهلاك والخسف وردت على قورح ابن عمّ موسى في سفر العدد: 16/32. فقيل: إن قورح هو قارون، ورجحه أكثر المفسرين. وقيل: إنه يصهار وهو عمّ موسى، أخذاً من معنى الاسمين (قارون ويصهار) إذ معناهما المنور، والأول أقرب. ينظر: التحرير والتنوير 11/168، وتفسير ابن كثير 6/253، والإعلام د. ف عبد الرحيم ص: 144.

(3) يوشع بن نون: كذا اسمه في المراجع العربية، وفي سفر العدد: 16/13 اسمه (هوشع) فغيره موسى عليه السلام إلى (يشوع) فتى موسى وخليفته، ودخل الأرض المقدسة فاتحاً ببني إسرائيل. وله سفر باسمه عدد إصحاحاته 24، وكاتبه مجهول، وفيه حديث عن حياته وفتوحاته. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: يشوع). ومعجزة توقف الشمس ليشوع وردت في سفره 10/13.

ونبوة يوشع ومعجزته في إيقاف الشمس قد صحت بها السنة النبوية، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً: (إن الشمس لم تُحْبَس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس). رواه الإمام أحمد في مسنده 2/325، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح 6/221، والألباني في الصحيحة 1/348، وأصله مطولاً في صحيح البخاري (ح3124)، ومسلم (ح1749)، من غير تصريح باسم يوشع.

وأما معجزة المشي على ماء نهر الأردن ومعهم التابوت: فوردت في سفر يشوع: 3.

الشمس درجات إلى وراء وعاد الظل إلى عشر درجات[1].

وأنتم فلا تقدرون تكذبون بشيء مما ذكرته من آيات الأنبياء المذكورين وبراهينهم ولم يضع المسيح أعجب منها، فإما تتخذونه نبيّاً رسولاً كما شهد لنفسه بأناجيلكم، وإما تعبدون هؤلاء الأنبياء وتشركون بهم كما أشركتم به.

وقلتم: الأب والابن وروح القدس كانوا جميعاً، ولم يكن منهم واحد قبل الآخر وكان قبله من وجه، وإنهم – يعنون: الثلاثة - بقدرة واحدة وسلطان واحد وأقنومية واحدة!

فإن قلتم: إن الابن نسب إلى أبيه حين ولده وتولّد منه! نقضتم الباطل بالباطل.

وإن قلتم: كان الأب أباً والابن ابناً أبداً وأزلاً. كان من أمحل المحال ذلك.

وكذلك قولكم: إنه بديمار واحد لاهوت وديمار[2] واحد ناسوت، وإنه صعد إلى السماء بالاثنين فاستوى على العرش مع الأب، فصورة شهادة منكم: من أين لكم هذا؟ وكيف تشهدون الزور وتقولون على الله الكذب؟ ويا لها من فضيحة وأضحوكة!

وقولكم أيضاً: إن أقنوم الابن نزل من السماء إلى مريم العذراء. فهل نزل معه الأب وروح القدس؟ أو الابن

75/ب

[1] حزقياهو كذا بالعبرية: يعرف بالملك البار ابن أحاز ملك يهوذا، حكم بين (728 – 693 ق. م)، والداودي نسبة لداود عليه السلام، سيرته في أسفار: الملوك الثاني، والأخبار الثاني وإشعياء، وفي زمنه النبي إشعياء. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: حزقيا).

ومعجزة ردّ الشمس عشر درجات وردت في سفر إشعياء: 38/8.

[2] كذا في الأصل، ولم أجد لها معنى، وسياقها يدل على معنى: وجه أو طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية.

وحده نزل؟ فإن قلتم: نزل وحده والتحم، فقد أبطلتم الباطل الأول بباطل غيره. وإن قلتم: نزلوا / جميعاً، كان باطلاً وجنوناً وتلعباً ممن لا يفقه قولاً ولا يهتدي سبيلاً.

ويكفيكم ويلاً وبعداً عن الإنسانية زعمكم في المسيح: أنه إله وربّ وخالق. وتشهد أناجيلكم: أنه في الأرض حيث لا منتهى له وفي البحار حيث لا نهاية، وفي الجبال والمغرب كذلك، كما أن الرب في كل مكان، وتشهد أناجيلكم أيضاً: أنه كان جسد المسيح كأجساد الناس؟!.

وتعلمون أن الآية الثانية من العشر كلمات: (لا يكون لك معبود دوني، ولا تتخذوا صنماً مصوراً، لا في السماء العليا ولا في الأرض السفلى ولا في المياه التي تحت الأرض) . ولما انتهى في إسماعهم الآية العاشرة قالت الأئمة لموسى: سمعنا وأطعنا. وقرّوا بجملتهم: أن الله واحد ليس سواه[1].

وتعلمون أيضاً أن داود النبي قال لربّه: (أريد أن أبني لك يا ربّ بيتاً. فقال له: يا داود أي بيت يسعني؟ وأي مكان؟ السماوات والأرض لا تحويني)[2].

وأن يسوع لما أصابه الجهد والعرق استغاث وقال: (قد بلغت نفسي إلى الموت)[3]. وأنه قال لبطرس: (اذهب واسرق لي هذا الفلو، ولا تعلم صاحبه) ، فذهب

---

(1) سفر الخروج: 4/20، 24/3.

(2) معناه في سفر صموئيل الثاني: 7، وسفر أخبار الأيام الثاني: 6/18. وروي نحوه عن وهب بن منبه نقلاً من بعض الكتب السابقة، أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص: 51، وأبو نعيم في الحلية 4/24. ونحوه في تاريخ دمشق 61/101.

(3) إنجيل متّى: 26/38، وإنجيل مرقس: 14/34.

بطرس إلى صاحب الفلو فحلّه[1]، وسرق الفلو وأركبه يسوع وهرب به[2].

وتعلمون أيضاً: أن يسوع دعوه إلى العرس ومعه أمّه مريم، فأكل وشرب وسكر ونام، فأيقظته أمه وقالت له: قم يا ولدي فقد فرغ الخمر، فانتبه وقال: (إن الذي / ينبغي أن يدعوا به إلى الله أن يرزقنا خمراً نشربه)[3]. 76/أ

فيا خسران من زعم فيمن هذه صفاته أنه رب وإله وخالق، ويا هلاكه.

وتعلمون أيضاً مع هذا أن موسى بن عمران رسول الله سأل أن ينظر إلى الله تعالى، فقال له الله: (يا موسى عبدي، لا يقدر أحد ينظر إلي فيعيش)[4]. وسئل مرة عن الإله ورؤيته فقال: (لم يره أحد ولا يراه أحد قط، ومن رآه مات)[5].

فكيف تزعمون أن يسوع إله وربّ وخالق[6] وتعبدونه، وتعبدون الصليب وتقبّلونه، وتجعلونه قدّامكم في المذابح أوقات صلواتكم المردودة عليكم؟! وكل ذلك من شرككم به. مع أنكم تعلمون وتجزمون وتشهدون أن يسوع أقام أربعين يوماً هارباً في الجبل جزعاً فزعانَ وهو

---

(1) في الأصل: (كحله).

(2) في إنجيل متّى: 21/2، وإنجيل لوقا: 19/30، وإنجيل مرقس: 11/2، وفيها: أن المسيح أرسل اثنين ليأتياه بجحش مربوط لم يجلس عليه أحد وأنه محتاج إليه... وفي النص أنهما أخذا الجحش من غير إذن أصحابه، وليس فيه ما يشير إلى السرقة، وفي سياق القصة اختلافات بين الأناجيل.

(3) إنجيل يوحنّا: 2/3 من دون مقولة المسيح، ومعناه جاء في نفس الإنجيل: 3، 5. 76/ب

(4) سفر الخروج: 33/20.

(5) لم أجده، وما قبله بمعناه، وورد معناه في إنجيل يوحنّا: 1/18، وفي رسالة تيموثاوس الأولى: 6/16.

(6) في الأصل بالنصب: (إلهاً وربّاً وخالقاً) وهو غلط.

يصلي ويسجد ويطلب الخلاص من الله تعالى، كما قال لوقا في الإنجيل. وأن الشيطان ما زال يطلب يسوع حتى وجده مختبئاً في موضع كادت روحه تذهب من الجوع والعطش والجهد، فقال ليسوع لما وافاه: (إن كنت إلهاً كما قد زعمت فقل لهذه الصخور والكهوف تنفجر عيوناً وتشرب منها الماء) ، فقال يسوع للشيطان: (إنه مكتوب في التوراة: ليس على الخبز وحده يحيا الإنسان، ولكن بكلامٍ الله يعيش ابن آدم) . فجرّ الشيطان يسوع جرّاً عنيفاً حتى أتى به إلى مدينة القدس، فأخذه وأصعده إلى أعلى الهيكل، وقال: / (يا يسوع إن سجدت لي سجدة واحدة ملّكتك هذه الدنيا بكل ما فيها) . فقال يسوع للشيطان: (أليس مكتوباً في توراة موسى: الله إلهك خفْه، وإياه اعبدْ، وباسمه المقدس أقسمْ، وبعبادته وطاعته التزمْ؟)[1].

وتعلمون وتخبرون وتؤرخون في كتبكم ما أنا ذاكره وحالف عليه بالله العظيم الأحد أنني لو لم أره مدوّناً في إنجيلٍ ومكتوباً في كتبكم ما ذكرته ولا حكيته؛ لما فيه من القبح والشناعة والبهتان، وذلك أن قلتم ذاكرين له: ولما كان يوم الجمعة أصبحوا اليهود جاؤوا إلى يسوع إلى الحبس فأخرجوه منه، وجعلوا على رأسه إكليلاً من الشوك والعوسج، وأسقوه الخل وماء الحنظل، وعذّبوه وأهانوه وأنزلوه المنازل القبيحة، وغطّوا رأسه بذيله، وجعلوا يلطمونه بأيديهم، ويقول اللاطم له: يا يسوع إن كنت إلهاً كما تزعم ويزعمون أصحابك أعلمنا من ذا يلطمك؟ وهو يستغيث ويبكي ويقول: ما أعلم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله وحده. وأقسم بالله العظيم إن هذا

---

[1] وردت هذه القصة في إنجيل متّى: 4، وفي إنجيل مرقس: 1/13، وإنجيل لوقا: 4. وتعرف بتجربة الشيطان للمسيح!.

الفعل القبيح لو فعل بحمار أو ثور لكان منكراً ومستقبحاً، فضلاً عن أن تصفوا هذا في إنجيلكم عمن زعمتم أنه إله خالق ربٌّ فعال لما يريد! فيا بئس قوماً هذا مذهبهم وهذا اعتقادهم.

ثم سقتم / تمام هذه الحكاية القبيحة فقلتم: ثم إن اليهود لم يزالوا يطوفون بيسوع يوم الجمعة إلى نصف النهار وعلى رقبته خشبة الصلب، حتى كاد يموت من ثقلها وتعذيبهم له بها وبالسحب والمناداة عليه واللطم له، فوقعت الخشبة من فوق كتفه إلى الأرض حتى جاء شمنون أو سميون وحملها عن يسوع بزعمكم[1] ومشوا بيسوع إلى أن جاؤوا به إلى موضع يريدون صلبه فيه، وهو موضع خارج البلد، وصلبوه في الشمس، وصار يستغيث ويضج من عظم الألم من فوق الخشبة ويقول: (يا إلهي لم خليتني وسلمتني بيد أعدائي؟ رب أغثني وخلصني)[2]. 77/أ

واختلفت إنجيلاتكم في أمره:

فقوم يقولون: مات فوق الخشبة.

وقوم يقولون: طعن برمح فمات ولم يزل مصلوباً مدة طويلة.

وقوم يقولون: سعى في خشبته أبوه يوسف النجار، واستغاث إلى فيلاطس الملك حتى وهبت اليهود له جسد

---

[1] في إنجيل متّى: سمعان القيرواني، وأصل لفظ سيمون ولفظ سمعان واحد. وبعض الطوائف النصرانية الغنوسية تعتقد أنه صلب بدلاً عنه. ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص: 281، وهل افتدانا المسيح على الصليب د. السقار ص: 30.

[2] ينظر: إنجيل متّى: 27/27، وإنجيل مرقس: 15، وإنجيل يوحنّا: 19.

يسوع، وأنزلوه من الخشبة ولفّوه في ثوبين ودفنوه في المقبرة، كما زعمتم في إنجيل متّى ويوحنّا[1].

فهذا قولكم في معبودكم الذي زعمتم أنه إله. وحسبكم ما تراه عقولكم ويكفيكم.

ثم زعمتم مع هذا الجنون واختلاط العقول: أن يسوع بعد صلبه وموته ودفنه قام وأرسل إليكم من جهته / ب/77 رسلاً يأمرونكم بالشرك بالله، ويعلّمونكم أن الأب والابن والروح القدس إله واحد، ويوصونكم عنه بوصايا مخالفة للتوراة، وبين كل واحد وواحد منهم مائة سنة وأكثر، وكتبوا لكم الأناجيل[2] والشرائع، وفرضوا عليكم فرائض كلها زور وبهتان وأسندوها إلى يسوع، فقبلتها عقولكم وجعلتموها قوانينكم، ومن ذلك:

قوله في الأناجيل الأربعة: (تصدقوا بكل شيء يكون لكم، واجعلوا كنوزكم حيث لا تسرق ولا تسوّس)[3].

وقوله: (لا تجمعوا في بيوتكم ذهباً ولا فضة ولا نحاساً، فإنكم لا تستطيعون تعبدون[4] إلهين، ولا تخدموا ربّين، ومن ترك هذه الوصايا فقد عصاني)[5].

وقوله: (من لطم خدك اليمين فحوّل له اليسار، ومن سخّرك ميلاً فامشِ معه ميلين، ومن ظلمك فاغفر له،

---

[1] ينظر: إنجيل متّى: 27/57، وإنجيل يوحنّا: 19/33. ولا يزال سبب موته – حسب معتقد النصارى – غامضاً: هل هو بصلبه كما في إنجيل يوحنّا؟ أو هو بقتله وطعنه وخروج الدم والماء كما في إنجيل متّى ويوحنّا؟.

[2] في الأصل: (التوراة) والمثبت أوفق للسياق.

[3] معناه في إنجيل متّى: 6/20، وإنجيل لوقا: 12/33.

[4] في الأصل: (لا تستطيعوا تعبدوا).

[5] معناه في إنجيل متّى: 6/24، وإنجيل لوقا: 16/13. والفقرة الأخيرة في رسالة يعقوب: 2/10، وإنجيل متّى: 5/19.

ومن ضحك عليك[1] صلّ عليه، ومن أذنبت إليه لا تبت أو تستغفره، فإن لم تستغفره غضبت عليك) ، وقوله: (من سألك تعطيه فلا تمنعه، ومن أراد أن يأخذ قميصك فلا تمنعه)[2].

وقوله: (أعطوا أقرباءكم وأحبّوا أعداءكم، وباركوا على من لعنكم، واصنعوا الحسنات إلى من أساء إليكم) ، وقوله: (إن أنتم كافأتم السيئة بسيئة فأي أجر لكم؟)[3].

وأغفلتم ما جاء في التوراة / وفي المزامير وكتب
النبوات من الحكم والوصايا والتشريع والسنن التي سنها 78/أ
موسى بن عمران وتبعها المسيح، فحسبكم علمكم بأنفسكم ومعرفة العالم بأسرهم لكم.

ثم كلام الذمي الذي أقسم أني أحكي ما يليق أن يُحكى منه لا كله، فإن فيه ما يصكّ السمع ويذهب بالبصر ويورث إحناً وضغائن. وسواء إن كان وقع أو لم يكن وقع.

ثم لنرجع إلى ما كنّا بسبيله من المجاوبة، فنقول: إن تواريخ اليهود أيضاً وتواريخ العلماء منكم أن بولص[4] لم

---

[1] في الأصل: (ضحلكك)، ونص هذه الفقرة لا يوجد في الإنجيل.

[2] إنجيل متّى: 5/39 – 43.

[3] سبق النصان قريباً في: ل ب/74 ص312، وفي الأصل: (أبغضوا أعداءكم) والتصويب من الإنجيل.

[4] بولس: معناه باليونانية الصغير، كان يسمّى قبل المسيحية بشاول، ولد في طرطوس الرومانية، وكان أبوه من اليهود الفريسيين، فكانت ثقافة بولس خليطاً من الفلسفة الوثنية واليهودية، وبعد تظاهره بالمسيحية طاف في البلاد يدعو إليها، ونسبت له أربع عشرة رسالة، واختلف في نسبة بعضها إليه، وتأثيرها في المسيحيين أشد من الأناجيل التأريخية لكونها تعليمية، وتدوينها كان قبل تدوين الأناجيل، ويكاد يتفق المؤرخون من النصارى وغيرهم على أن المسيحية الحالية هي من تعاليم بولس، وقد بثها في رسائله، ومن أشهرها: تأليه المسيح وتجسده، وعقيدة الصلب والفداء، وأن المسيح يحاسب الناس

يعاصر المسيح لا صحبه ولا كان من تلاميذه، وكان بينه وبين زمن المسيح نحو المائة والخمسين سنة أو دونها أو أكثر منها[1]، وأنه كان يهوديّاً مسلطاً على النصارى، ولم يزل قائماً عليهم بالقتل والمحاربة حتى أجلاهم عن الشام إلى الروم[2]، وأنه بعد ذلك لبس المسوح وأظهر التوبة والرغبة في النصرانية ولحق بأهل الروم النصارى[3]، فقبلوه ودخل معبداً وأقام فيه سنة لا يظهر

في القيامة، والدعوة في الأمم وعالمية المسيحية، وإلغاء بعض شرائع التوراة كالختان والسبت.

ومصادر سيرة بولس وتعاليمه: في سفر أعمال الرسل ورسائله وبعض كتابات مؤرخي القرن الثاني.

ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة: بولس)، قصة الحضارة 11/249، المسيحية لشارل ص: 67، مدخل إلى رسائل القديس بولس للأب فاضل اليسوعي ص: 6، بولس وتحريف الكنيسة لهيم ماكبي ترجمة سميرة الزين. وأيضاً: محاضرات في النصرانية ص: 90، دراسات في الملل والنحل د. الشرقاوي ص: 13، تحريف رسالة المسيح لجستنيه ص: 131.

(1) لا يختلف المؤرخون أن بولس ولد بعد رفع المسيح ولم يره، فقيل: بعده بثلاث سنين أو أربع، وقيل: بعشر سنين، وقيل غير ذلك. وكانت وفاته قتلاً في زمن اضطهاد نيرون سنة 67 أو 68م. ينظر: تأريخ يوسابيوس القيصري ص: 90، تأريخ ابن البطريق 1/97، قصة الحضارة 11/249، تحفة الأريب للترجمان ص: 69. ووهم المؤلف حين ظن أن بين بولس والمسيح أكثر من مائة سنة في أكثر من موضع من جوابه.

(2) ينظر: سفر أعمال الرسل: 8، 9.

(3) توبة بولس مذكورة في سفر أعمال الرسل بثلاث روايات مختلفة في تفاصيلها: 9/4، 22/6، 26/12. ينظر: إظهار الحق 1/224، وقد كان دخول بولس النصرانية للتلبيس على المسيحيين بعد اضطهاده لهم، ومما يدل على ذلك أنه لم يتلق تعاليمه ممن لقي المسيح كعادة كل من يدخل في دين جديد، وإنما زعم أنه يتلقاها من المسيح مباشرة! فقال: (الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمته، بل بإعلان يسوع). وقال: (لم أستشر لحماً ولا دماً،

لأحد، وأنه كان يخدمه أربعة من علماء النصارى، فقال لهم: نوديت من السماء: أن يا بولص اسمع ما أوحيه إليك فأنا المسيح واحفظه وأعلم به فلاناً – يعني أحد الأربعة خدّامه – ولا تعرّف الثلاثة رفاقه معه، ولم / يسمّ المشار إليه، فظنّ كل واحد منهم أنه هو المخاطب بالسر، ثم إن بولص خلا بواحد وأوصاه على الكتمان، وأن ب/78
يلقي إلى الفرقة القائلة به من النصارى ما يلقيه بولص إليه، وأن يكتموه مع التدين به، ثم قال له: المسيح هو الله، والله هو المسيح، طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، ظهر كخلقه رحمة لهم، واحتجب عن خلقه بخلقه رحمة لهم.

ثم قال للثاني مع الوصية له كالأول: إن المسيح وأمّه إلهان، قوتان ظهرا في الأرض رحمة للناس ولخلاصهم من الجحيم، طبيعتان ومشيئة واحدة، ظاهرهما مخلوق وباطنهما خالق.

وقال للثالث بعد الوصية: إن الله ثلاثة أقانيم، صفات وخواص أب وابن وروح القدس متوسطة، والثلاثة واحد، لاهوت وناسوت طبيعتان ومشيئتان.

وقال للرابع كذلك بعد الوصية: إن الله لابس صورة العالم كله، وإنه هو الإنسان القديم، وإن المسيح نسخته

ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي). كما في الإصحاح الأول من رسالته إلى غلاطية. بل خالفه التلاميذ أ/79
وتفرقوا عنه كما في رسالته الثانية لتيموثاوس: 1/15، ومع ذلك ظهرت تعاليم بولس وكل من خالفه من التلاميذ اختفى، مما يدل على استغلال نفوذه في اليهودية واستمرار صلته بها. وممن أشار إلى مكر بولس: ابن حزم في الفصل 2/61، والقاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة 1/156، والقرطبي في الإعلام ص: 241، وابن تيمية في جامع الرسائل 2/259، والقرافي في الأجوبة ص: 273 وغيرهم.

كالمركب المحيط دائرة عظمى ونقطة جامعة، طبيعة واحدة ومشيئتان. وإنهم خرجوا من عنده وكل واحد منهم يظن أنه هو صاحب السر وحده، وتكلم كل واحد منهم مع طائفته بذلك، حتى استقر كلامه في أذهانهم، فاختلفوا وصاروا أربع فرق / لذلك[1].

---

[1] لم أجد قصة بولس وإيحائه بالأقوال الأربعة التي هي أصل فرق النصارى فيما كتبه النصارى، وأول من وجدته أشار إليها محمد بن السائب الكلبي (ت 146) فيما نقله عنه بروكلمان في تأريخ الأدب العربي 4/9، ونقله عن الكلبي الدميري في حياة الحيوان الكبرى 2/254، وذكرها الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان 5/33 (ت. ابن عاشور)، وعنه تلميذه الواحدي (ت 468) في تفسيره البسيط 10/367 (ط. الإمام)، ونقلها عنهما جملة من المفسرين كالفخر الرازي في تفسيره 16/34 ولم يرتضِها، والبغوي في تفسيره 4/38، والخازن في تفسيره لباب التأويل 2/323 وغيرهم، وذكر نحوها القرطبي في الإعلام ص: 241، والقرافي في الأجوبة ص: 273، وأشار إلى حكايتين متقاربتين. وأغلب الظن أن القرطبي نقلها من كتب التفسير، ومصدرها في كتب المفسرين الكلبي المفسر، فإن الثعلبي والواحدي كثيراً ما يخرّجان عنه، كما ذكر السيوطي في الإتقان 2/198. والكلبي هو أبو النضر محمد بن السائب متهم بالكذب، وتفسيره من أضعف التفاسير. ينظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر 1/209، والإسرائيليات للذهبي ص: 75.

وهذه القصة لا تثبت تأريخيّاً، فالمشهور عند عامة المؤرخين أن نسطور ويعقوب متأخران زمناً عن بولس، قال البكري في المسالك 1/314: (وفي زمانه - قسطنطين - افترقت مذاهب النصارى، فتفرّق النصارى النسطورية على مذهب نسطارس، وهم المشارقة من النصارى... واليعاقبة بمصر وأنطاكية والشّام وتكريت، والملكية وهم بقسطنطينية والروم). وأيضاً: لا يعرف انتظام هذه الأقوال في تعاليم بولس، وإن كان تأثرها بتعاليم بولس لا ينكر. ينظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د. عبد الراضي ص: 423.

وإن بولص احتجب بعد ذلك سنة ثانية وخرج رسولاً ظاهراً يزعم أن المسيح أرسله مع بطرس[1]، وصدّقوه النصارى وجعلوه بدلاً عن يهوذا[2] الأسخريوطي المشبّه بالمسيح، والمسمى الشقي[3].

وإن بولص أباح للنصارى أكل المقتول والمخنوق والمنحور[4]، وجعل القربان من الخبز والخمر جسد الرب[5]، ورقم صورة وجه المسيح وعنقه في منديل ودفعه إلى بطرس، فزعم بطرس أن المسيح دفعه إليه

---

[1] رئيس الحواريين، ولقاء بولس معه كان خمسة عشر يوماً، كما في سفر أعمال الرسل: 9/27، وخالفه، كما في رسالة بولس إلى غلاطية: 2/11، وينظر ما كتبه بطرس ليعقوب عن بولس في رسالة مكتشفة حديثاً في: كتاب دراسات في الملل والنحل د. الشرقاوي ص: 75.

[2] في الأصل: (هيرودس) وهو غلط.

[3] الذي اختاره التلاميذ بالقرعة بدلاً من يهوذا هو متياس، كما في سفر أعمال الرسل: 1/21، وتلاميذ المسيح بزعم النصارى اثنا عشر مذكورون في إنجيل متى: 10، وإنجيل مرقس: 2، وإنجيل لوقا: 6، وفيهم يهوذا الأسخريوطي، دون بولس الذي لم يدرك المسيح، وإن زعم أنه تمثّل له فأدخله النصارى في الرسل مع كونه ليس على شرطهم! بل جعلوه في منزلة تفوقهم! وسفر أعمال الرسل الذي يتحدث عن التلاميذ نال الحديث عن بولس ثلثيه! ورسائل العهد الجديد إحدى وعشرون رسالة منها أربع عشرة لبولس! وفي قاموس الكتاب المقدس (مادة: رسول): (ومع أنه - بولس - لم يكن ضمن الاثني عشر، إلا أنه جاهد وتعب أكثر من جميعهم، وكرز في بلاد أكثر، وكتب رسائل أكثر). وينظر: موسوعة آباء الكنيسة 1/82.

[4] كما في سفر أعمال الرسل: 15/29، ورسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: 6/13.

[5] كما في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: 5/7، 10/16، 11/23. وينظر: المسيحية لشارل ص: 139، بولس وتحريف المسيحية لهيم ماكبي ص: 49.

في النوم، وكان هذا أول تمثال وضعته النصارى في كنائسها[1].

وأنه هو الدافن لخشبةٍ جعلها خشبة الصلب، وأن هيلان أم قسطنطين الصغير نبشتها وحملتها وصفّحتها بالذهب، وكان ذلك أول عبادة النصارى للصليب وتعظيمهم له[2].

---

[1] لم أجد هذا بلفظه، وإنما جاء في إنجيل يوحنّا: 20/7: أن منديلاً كان على رأس المسيح في قبره. وأشار ابن العبري في تاريخ مختصر الدول 1/113: إلى أن المسيح أرسل منديلاً مع تلميذ له إلى ملك الرها فصوّره! كما أشار إلى صورة المسيح في الرها: أبو قرة النصراني الملكي (وهو من الرها) في كتابه ميمر في إكرام الأيقونات ص: 208، وقد أشار الأب د. ديك في مقدمة تحقيق الكتاب ص: 79 إلى الشك في صحة صورة المسيح تاريخيّاً، وهل هي من رسم يد بشرية أو صورة للكفن؟! وقال: (وقد حيك حولها العديد من القصص). وينظر في اختلافات علماء النصارى وتخبطهم: ما كتبه الأب لويس شيخو اليسوعي في مقالة (كفن السيد المسيح في مدينة تورين) في مجلة المشرق (السنة الخامسة ص: 557). وذكر المسعودي في مروج الذهب 1/282: أن في كنيسة الرها منديلاً يعظمه النصارى؛ لأن يسوع الناصري حين أخرج من المعمودية تنشف به! وفي سنة 332 هـ أعطي للروم، وحصل لهم فرح عظيم به!. والمشهور أن تقديس الصور ووضع التماثيل متأخر بعد القرن الثالث الميلادي، وما وجد قبل ذلك فهو حالات فردية، وإن كان أصلها من بدع بولس ومن تبعه من آباء الكنيسة، فزعم بولس أن الصور هي الأعيان! كما في رسالته الثانية إلى كورنثوس 3/8. ينظر: ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس للقس شنيدر ص: 86، وينظر: ما سبق في ل أ/22 ص159.

[2] هيلانة: من الرها تنصرت وقرأت الكتب على يد أسقف الرها، وكانت جميلة فخطبها قسطس الملك، فأنجبت له قسطنطين، وعاشت ثمانين عاماً، وبنت كنيسة القيامة واستخرجت الصليب. ينظر: تأريخ ابن البطريق 1/117، 129. ما ذكره المؤلف عن بولس من وضع صورة للمسيح أو دفنه لخشبة الصلب مستبعد؛ للبعد الزمني

وأن النصارى أنكروا رسالة بطرس ونقموا عليه وعذبوه وطافوا به محلوق الذقن مقلداً بمصارين الغنم متوجاً بالكرش، ثم تابوا وصدّقوه بتصديق بولص له، وكان ذلك سبب حلق الفرنج ذقونهم ولبسهم ما هم لابسوه، وكذلك لبسوا القسيسون الأقماع المائلة تشبهاً بالكرش الذي لبسه بطرس تعزيراً[1].

بين ظهور تعظيم الصور والصليب وبين بولس، وإن كان ما أدخله بولس في النصرانية من القول بالتجسد والفداء على الصليب أسس لعبادة الصور وتعظيم الصليب.

[1] جاء في الأعلاق النفيسة لابن رسته (عاش في القرن الثالث الهجري) ص: 129، نقلاً عن يحيى بن هارون الذي أُسر ونقل إلى القسطنطينية ورومية، قوله في وصفه لمدينة رومية: إن ملكهم (البابا) في فصح النصارى ينزل لقبري شمعون (بطرس) وبولس ومعه موسى، فيحلق رأس شمعون ولحيته ويقلم أظفاره كل سنة! وقال: (وأهل الرومية صغيرهم وكبيرهم يحلقون لحاهم كلها لا يتركون منها شعرة واحدة على أذقانهم، ويحلقون وسط هاماتهم، فسألتهم عن السبب في حلق لحاهم، وقلت لهم: إن زين الرجال في اللحى، فما مرادكم من هذا الذي تفعلونه بأنفسكم؟ فقالوا: إن كل من لم يحلق لحيته لم يكن نصرانيّاً خالصاً؛ وذلك أنه جاءنا شمعون الصفا والحواريون ولم يكن معهم عصي ولا جراب؛ إنما كانوا مساكين ضعفاء، وكنا نحن إذ ذاك ملوكاً علينا الديباج، ونحن على كراسي الذهب يدعوننا إلى النصرانية، فلم نجبهم، فأخذناهم وعذبناهم وحلقنا رؤوسهم ولحاهم، فلما ظهر لنا صدق قولهم صرنا نحلق لحانا؛ كفارة لما ارتكبناه من حلق لحاهم). ومثله عند البكري في المسالك والممالك، نقله عن إبراهيم الطرطوشي اليهودي في رحلته لأوروبا (جغرافية الأندلس وأوروبا ت. الحجي ص: 205)، وعند القزويني في آثار البلاد ص: 495، والحميري في الروض المعطار ص: 275، صبح الأعشى 5/408.

وحلق اللحية مما اختصت به الكنيسة الكاثوليكية، وهي مما أخذ من عادة الرومان الوثنيين من حلق اللحى، ولم يكن ذلك في بني إسرائيل، ولم ينقل شيء عن بولس في هذا، سوى ما عرف عنه من كثرة مخالفته لما أثر في بني إسرائيل، كما في

وأن بطرس وضع كتاباً كالملحمة وعزاه إلى المسيح، وأنه بجملته كذب وزور، وأن بولص وضع رسائل كذلك معروفة به، معانيها أشبه بلعب الصبيان وحديث النسوان[1]. وأن ذلك كله / كان بعد المسيح بنحو من مائة وخمسين سنة أو حولها. ب/79

وكان في هذا التأريخ أشياء لا يليق ذكرها، أعرضت عنها احتراماً للملة والدعوة، ولأجل ما هو في كتابنا العزيز من ذكر الإنجيل وذكر النصارى، وأن فيهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون، ولأنه ليس بيننا وبينهم إلا الشرك الذي أحدثوه[2].

قل للذي يزعم من جهله. . . أن النصارى يعلمون الحساب

لو صحّ ذا ما جعلوا واحداً. . . ثلاثة وهو خلاف الصواب[3]

أعمال الرسل: 21/28، وفي سفر اللاويين: 21/5: (ولا يحلقوا عوارض لحاهم)، وهو ما عليه الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية والقبطية من اعتبار حلق اللحية مخالفة دينية. ينظر: دائرة المعارف الكتابية (مادتا: شعر، لحية).

(1) وصف ابن حزم في الفصل 2/15 رسالتي بطرس بأنهما (في غاية البرد والغثاثة)، ورسائل بولس بأنها (مملوءة حمقاً ورعونة وكفراً). وينظر في حال الرسائل المنسوبة لبطرس وبولس: إظهار الحق 1/158، دراسات د. الأعظمي ص: 385، ومصادر النصرانية د. عبد الرزاق ألارو ص: 588.

(2) ينظر: ما سبق في ل ب/53 ص255. ونقل الكفريات لإبطالها وبيان شناعتها إنما يكون بقدر الحاجة. ينظر: الشفا للقاضي عياض ص: 425 (ط. ابن حزم).

(3) لم أجد هذا النظم عند غير المؤلف، وربما كان من نظمه. قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 6/590 حين أبطل التثليث: (ومن هنا قيل: النصارى غلطوا في أول مسألة من الحساب الذي يعلمه كل أحد، وهو قولهم: الواحد ثلاثة!).

وتجسيمهم المعاني المبتدعة، واتخاذهم دينهم لهواً ولعباً: كالمرافع قبل صومهم[4]، والشعانين[5]، والهجمة[6]، وتسقية عظام الموتى بالزيت[7]، وتدويرهم على المسيح في آخر الصوم[8]، وازدرادهم للقطائف العجين بعدد مخصوص[9]، وعكوفهم على الخمر ليلاً ونهاراً، وتركهم الفحص عن الحق والعرفان له.

وهذا التأريخ وما ذُكر - من اللائق ذكره – منه، فإنه إن كان حقّاً أو باطلاً فإنما إثمه على المؤرخ، وعهدته على المدوّن منكم - أيها النصارى – ومن اليهود؛ لأننا معشر المسلمين متمسكون بوصية نبيّنا ، حين أوصانا أن لا تكذّبوا أهل الكتاب ولا تصدّقوهم فيما يذكرونه عن أنبيائهم وفي كتبهم، من الموافق لا المخالف الذي هو 80/أ

---

[4] في المعجم الوسيط ص: 361: (المرافع عند المسيحيين: أيام معلومة تتقدم الصوم). ولا يزال عند الأرثوذكس يحتفل به، ويعرف بأسبوع المرفع، أي: يرفع مبدئيّاً تناول بعض الأطعمة كاللحم، وهو بدعة عند بعضهم؛ لأنه يسهم بالشبع قبل الصوم.

[5] في المعجم الوسيط ص: 485: (الشعانين: عيد مسيحيٌّ يقع يومَ الأحد السابق لعيد الفِصح، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيتَ المقدِس).

[6] في معجم الرائد لجبران مسعود ص: 834: (هجمة الفصح عند بعض النصارى: طقوس ورموز تتخلل صلاة عيد الفصح، وتجري أمام باب الكنيسة).

[7] قال المسعودي في مروج الذهب 1/50 عن الناصرة: (ورأيت في هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى، وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى، يسيل منها زيت ثخين كالرُّبِّ تتبرك به النصارى).

[8] يزعم النصارى أن الأسبوع الأخير من الصوم والذي يسبق الشعانين تقع فيه الرؤية الروحية للرب (المسيح) بعد معاناة الصوم! ويرمزون له بقولهم: كنت أعمى والآن أبصر!.

[9] الازدراد بمعنى الابتلاع. ينظر: لسان العرب 6/34.

شرك وجحود وكفر وفسوق، فإننا نردّه ونلعن قائله / ومعتقده[1].

وسأبين لكم أيها النصارى العقلاء الرؤساء، فيما أذكره على سبيل الحكاية، أنكم إذا أردتم أن تدعوا الله مخلصين له الدين وتطلبوا منه حوائجكم، تقولون بأصواتكم وألسنتكم:

يا ألله، يا ربّنا، يا أبّ، يا ابن، يا روح القدس، يا مسيح، يا ثلاثة أقانيم، يا ثالوث مقدّس، يا إله واحد، يا إنسان تام، يا إله تام، ارحمنا ونجّنا.

يا من صلب وقتل بالحربة، أنت معبودنا ولك سجودنا.

يا من لم يدفع لاهوتُه عن ناسوته العذابَ والهوانَ والصلبَ، بل كان اللاهوت هو الذائق لذلك؛ فإن الناسوت جسم موات مع الأجسام الغير حسّاسة غير الحساسة!.

يا قادر على كل شيء، يا عاجز عن خلاص نفسه من إهانة اليهود وصلبهم له، يا من صلب ومات قدّام العالم، ثم حيِيَ وقام بشهادة مجنونة وصياد واثنين <أو>[2]

---

[1] إشارة إلى ما جاء في صحيح البخاري (رقم: 4485)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعِبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله : (لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا: (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل) الآية). قال الإمام ابن تيمية في خاتمة كتابه مقدمة في أصول التفسير: (الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني). وينظر: فتح الباري 10/261، وتفسير ابن كثير 1/9.

[2] زيادة يقتضيها السياق.

ثلاثة[1] أخبروا أنهم رأوه مختفياً مستتراً خائفاً من اليهود أن لا يمسكوه مرة أخرى، نسألك بعجزك عن سلامة نفسك وخلاصها من الصلب، إلا ما نجيتنا مما نخاف!.

يا غني، يا فقير، يا واحد، يا اثنان، يا ثلاثة، يا من هو النطق وهو الحياة وهو الروح المرفرفة على الماء، سلمنا!.

وكذلك إذا تضرعتم ودعوتم بأم المسيح، أو استشفعتم بها في حوائجكم، تقولون: يا ست، يا حنّونة، يا أم الإله، يا من ولدت الله بلا زرع، يا عروس لا عرس لها، اشفعي لنا / إلى ابنك، الذي جسمه منك، وروحه هي الله، وهي من الله! ، وكذلك تقولون عند تمثالها في ليلة عيد البشارة وليلة الميلاد. ب/80

فيا قوم، أين تذهبون؟! وما الذي تقولون يا نيام العقول، ومخالفين المنقول والمعقول! أي دين تدينون؟! وهذا ومثله رأيكم ومذهبكم! وتدّعون أنكم تسلّمتموه من المسيح! وتعالى الله رب العالمين.

---

[1] ينظر: ما سبق في ل أ/18 ص148.

فصل

ثم قلتم سياقاً[1]: **فنحن لأجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة وفي كتب الأنبياء، نجعله ثلاثة أقانيم، جوهراً واحداً، طبيعة واحدة، إلهاً واحداً، خالقاً واحداً، ربّاً واحداً، وهذا الذي بقوله: أب وابن وروح قدس.**

وقد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا: ليس هذا عبارةً عن ثلاثة آلهة، بل إله واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: الإنسان ونطقه وروحه ثلاثة أناسي، ولا إذا قلنا: لهب النار وحرارة النار وضوء النار ثلاث[2] نيران، ولا إذا قلنا: قرص الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاث شموس.

وإذا كان هذا رأينا في الله تقدّست أسماؤه فلا لوم علينا ولا ذنب لنا؛ إذ لم نهمل ما تسلّمنا، ولم نرفض ما تقلّدناه ونتبع ما سواه، ولا سيما لنا هذه الشهادات البيّنات، والدلائل الواضحات، من الكتاب الذي في أيدي هؤلاء القوم[3]، وأعظم حجّتنا ما وجدنا / فيه من 81/أ

---

[1] في هامش الأصل كتب بالحمرة: (الجواب عن هذا يأتي في الكراس التالي).

[2] في الأصل: (ثلاثة).

[3] في الرسالة ن 2 ون 3 ويظهر في جواب الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/497 زيادة: (فقلت لهم: إن كانوا المسلمون يحتجون علينا قائلين: إن كنتم تحتجون علينا ببعض ما في كتبنا فيلزمكم قبوله كله. قالوا: ليس الأمر على هذه الصورة؛ لأنه إذا كان لإنسان على إنسان كتاب بمائة **دينار، وكان مكتوباً في ظهر الكتاب أنه استوفى، فإذا أظهر صاحب الدين الكتاب وطلب من المديون المائة دينار أيجوز للمديون أن يحتج بما في ظهر الكتاب أنه أوفاه المائة دينار أم لا؟ أو يقول له صاحب الدين: كما تقبل هذه المائة دينار الموفية اقبل أيضاً هذه المائة دينار الدين، بل يدفع**

الشهادة لنا بأن الله جعلنا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، باتّباعنا السيد المسيح روح الله وكلمته.

وأما تجسيم[1] كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء بإنسان مخلوق، يعني الذي أخذ من مريم العذراء المصطفاة على نساء العالمين، واتحدت الكلمة به اتحاداً بريّاً من اختلاط أو تغيّر أو <استحالة>[2]. وخاطب الناس[3] كما خاطب الله موسى النبي من العوسجة[4]، ففعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته[5]، والفعلان هما في المسيح الواحد.

عنه المائة دينار الذي في الكتاب بما في الكتاب أيضاً من أنه قد أوفاه ولم يبق له عليه شيء. وكذلك أي شيء قيل عنّا أو احتج به علينا من هذا الكتاب دفعناه من هذا الكتاب أيضاً، ولهذا قلنا: إن أعظم حجتنا. . .).

وقد أجاب الإمام ابن تيمية عن دعواهم بما حاصله 4/499: أن طعنهم ببعض القرآن طعن بالرسول نفسه، وهو طعن بكل ما جاء به، وتصديقهم ببعضه تصديق برسالته الموجب لقبول كل ما جاء به؛ بخلاف صاحب الوثيقة، فإن الذي له الدين أقر بالاستيفاء المسقط له فلم يبق له حق يدعيه، وليس له أن يحتج بالإقرار بالدين دون الإقرار بالوفاء، بل إما أن يعتبرهما جميعاً أو يبطلهما جميعاً. كما أجاب القرافي في الأجوبة الفاخرة ص: 131 بنحوه، وينظر: الإعلام للقرطبي ص: 107.

[1] في الرسالة ن 1: (اتحاد).

[2] هذه الكلمة لا توجد في نسخ الرسالة، ووردت في الأصل وفي الجواب الصحيح 4/5.

[3] في الرسالة ن 1 (في الهامش) ون 2: (وخاطب الناس منه).

[4] العوسجة: شجرة شوكية تنبت في المناطق الجافة والحارة، والمراد هنا: العليقة المذكورة في سفر الخروج: 3/2.

[5] في الرسالة ن 1 (في الهامش) زيادة: (كالألم والموت وغير ذلك).

وقد جاء أيضاً في هذا الكتاب الذي في أيديهم يقول: (ٹ ٹ ٹ) الآية[1]، وقال: (ۈ ۈ) الآية[2]، فعنى بموته: عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء.

وقال أيضاً: (ڃ چ چ چ) الآية[3]، فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة[4].

وقد سمّاه أيضاً في هذا الكتاب خالقاً حيث قال: (چ چ چ) الآية[5]، فأشار بالخلق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض)[6]، لأنه ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه. ب/81

وهذا يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح / - لذكره السجود - لأنه حيث قال: وخلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله[7]. أي: بإذن لاهوت الكلمة المتحدة بالناسوت.

---

(1) سورة آل عمران: آية 55.

(2) سورة المائدة: آية 117، والشاهد في قوله تعالى: ( ).

(3) سورة النساء: آية 157.

(4) في الرسالة ن 2 ون 3: (**إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الذي لم يدخل عليه ألم ولا عرض**).

(5) سورة المائدة: آية 110، والشاهد قوله تعالى: (ڇ ڍ ڍ).

(6) سفر المزامير: 33/6.

(7) إشارة للآية السابقة 110 من سورة المائدة.

وقال أيضاً: (ه) الآية[1]، فعنى بقوله: (ﮬ ه) إشارة إلى الناسوت المأخوذ من مريم الطاهرة، وكما أن آدم خلق من غير جماع ولا مباضعة[2]، وكما أن جسد آدم[3] ذاق الموت، فكذلك جسد المسيح ذاق الموت.

وعلى هذا القياس نقول[4]: إن المسيح صلب ناسوته ولم يصلب لاهوته، وقد برهن بقوله أيضاً في موضع آخر قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم[5]. وذلك حسب قولنا – معشر النصارى -: إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلّت في مريم وتجسّدت بإنسان كامل.

وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان[6]: طبيعة لاهوته التي هي كلمة الله، وطبيعة ناسوته الذي أخذ من مريم العذراء واتحدت الكلمة به[7].

---

(1) سورة آل عمران: آية 59.

(2) في الرسالة ن 1 زيادة: (وكذلك ناسوت (ن 2 ون 3: جسد) المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة).

(3) في الأصل: (المسيح)، والتصويب من الرسالة.

(4) في الأصل: (وعلى القياس يقول . . . وعلى المثال يقول)، والمثبت من الرسالة، وهو أوفق للسياق.

(5) إشارة إلى قوله تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) في سورة النساء: آية 171.

(6) في الرسالة ن 1: (جوهران: جوهر لاهوتي ... جوهر ناسوتي)، وفي ن 2: (طبيعة من طبيعتين: لاهوته وناسوته)، وفي ن 3: (طبيعتان: طبيعة لاهوته... وطبيعة ناسوته)، وكذا في الجواب الصحيح 4/53. وهذا الاختلاف في اللفظ ربما يشير إلى اختلاف نسّاخ الرسالة في طبيعة المسيح؛ لاختلاف مذاهبهم!.

(7) سياق هذه الفقرات السبع السابقة مختلف في نسخ الرسالة، وبزيادة في بعض الألفاظ، ولكن لا يخرج معناها عن ما ذكره المؤلف؛ لهذا لم أشر إلا إلى ما فيه زيادة معنى.

وأمّا ما تقدم به القول من الله على لسان موسى إذ يقول: (أليس هذا الأب الذي خلقك، وبراك، واقتناك؟)، وعلى لسان داود أيضاً: (بكلمة الله تشددت السماوات والأرض، وبروح فيه جميع قواهن)[1]، فليس يدلّ هذا على ثلاثة خالقين، بل خالق واحد: الأب، وكلمته أي: نطقه، وروحه أي: حياته.

فالجواب:

أما قولكم في الثلاثة أقانيم: إنها كالإنسان أو النار أو الشمس: فسيأتي الجواب عنه إن شاء الله، وقد تقدم من الرمز والإشارة ما فيه كفاية[2].

وأما / قولكم: إن كلمة الله تجسّدت وولدتها مريم 82/أ
متّحدة بالناسوت، الذي هو الجسم، اتحاداً بريّاً من اختلاط أو تغيير أو استحالة، وخاطب الناس كما خاطب الله موسى من العوسجة أو العليقة، وأنه حلول أو اتحاد: فتعالى الله عن ذلك، وسأبين لكم جليّة الحال من كتابنا الذي حصّلتموه عندكم وتدبّرتموه كما قلتم، فاتلوا قوله تعالى في سورة النمل: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ)[3]. أخبر سبحانه وتعالى أن الذي في النار

---

[1] يُنظر: ما سبق في ل ب/54 ص260، وفي الأصل النص الثاني: (وبروح فاه)، والتصويب من الرسالة.

[2] يُنظر: ما سبق في ل ب/58 ص270، وما سيأتي في ل أ/94 ص381.

[3] سورة النمل: آيات 7 – 9.

وحولها مبارك مقدّس، وأنه فعلُ ما لم يسمّ فاعله بقوله: (ﮕ ﮖ) الآية، ونزه نفسه سبحانه عن الحلول فيها، والاتحاد بها، أو أنه جسم شبيه بالنار أو النار والشجرة مظهر له، بقوله: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ)[1]، ونبّه على عظمته العظمى، ونفى عن نفسه كل ما يخطر في نفوس السامعين من توهم الكيفية والحيّز والحصر والحركة والأينيّة؛ بوصفه نفسه بالعزة والحكمة:

فالعزيز: هو الممتنع عن الدّروك والأوهام والأفهام، فلا يرام ولا ينال بتوهّم ولا تخيّل ولا تعقّل، ولا يحاط بعلم[2].

والحكيم: المحكم الأشياء، المتقنها، المرتّب لها على أكمل نظام، وأفضل إتقان، وأحسن تقويم، سبحانه وتعالى[3].

---

[1] في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور 19/226: (وفي حذف متعلق التنزيه إيذان بالعموم المناسب لمصدر التنزيه، وهو عموم الأشياء التي لا يليق إثباتها لله تعالى. . . ومن أول تلك الأشياء تنزيهه عن أن يكون حالاًّ في ذلك المكان).

[2] هذا معنى واحد من معاني اسم الله العزيز، وذكرها ابن القيم في مدارج السالكين 3/268 فقال: (العزة يراد بها ثلاثة معان: عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر، والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاثة).

[3] هذا معنى من معاني اسم الله الحكيم، وهو راجع إلى الحكمة المتضمنة لكمال العلم والإرادة، والمعنى الثاني: من الحكم، وهو الفصل والأمر المتضمن لكمال الملك والقدرة. ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم 1/119.

وقد اقترن اسم العزيز بالحكيم في ستة وأربعين موضعاً من القرآن، ولاقترانهما دلالات أخر، منها: كمال القدرة مع كمال العلم، وهما مصدر الخلق والأمر، ومنها: كمال الملك والحمد لله سبحانه. ينظر: مدارج السالكين 3/479، وطريق الهجرتين لابن القيم ص: 207.

وأما[1] قولكم عما / جاء في التوراة من ذكر الشبه والمثال، وهو قوله في السفر الأول من التوراة: (فأردنا أن نخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا)[2]، وأن المراد بذلك: المسيح لا غيره: فليس كذلك، بل المراد: أن يخلق خليفة في الأرض شبيهاً بالمستخلِف له في التصريف في الأرض والتمكين، وأن يكون موجوداً حيّاً عالماً مريداً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً مُشيئاً، فاعلاً أفعالاً شبيهة بأفعال مستخلِفه لا من كل وجه، وأن يستدل الخليفة بما هو فيه من هذه الصفات المحدثة المقيدة على الصفات العلية القديمة المطلقة، ونعلم الفرق بين قدرته وقدرة مستخلِفه، وكذا جميع صفاته[3]. ب/82

فإذا ظهر له الفرق والبون لم يكن كنمرود وفرعون، الغالطين في الاستخلاف، والكافرين بالخلاق بغير خلاف، ولم يذهب مذهبكم الباطل، ولا مذهب الثنوية العاطل، الذي جذبكم الشيطان إليه جذباً عنيفاً وأنتم تبصرون، وساقكم إلى التثليث به وأنتم لا تشعرون، فأراكم إلهين اثنين: إلهاً في السماء، وإلهاً في الأرض، ووسوس لكم: أن إله الأرض قويَ على إله السماء فحبس أنبياءه ورسله وحزبه في الجحيم، أي: آدم وذريته، كما زعمتم في سبب نزول المسيح؛ أنه لم ينزل إلى الأرض إلا لخلاص آدم وذريته من الجحيم.

فوسوس لكم: أن إله السماء فكّر طويلاً في كيفية خلاص حزبه من حبس إله الأرض، فلم يجد في الملائكة أ/83

(1) كتب بخط الناسخ في الهامش بالحمرة: (**هذا أول الجواب الذي أحال عليه في الكراس الذي قبل هذا**). وينظر: ل ب/70 ص307.

(2) سفر التكوين: 1/26.

(3) ينظر في تفسير هذا النص: ما سبق في ل ب/59 ص273، ل ب/70 ص307.

من يقوم بذلك، ففصل كلمته التي هي / صفة ذاته وخالقة معه كما زعمتم! وأرسلها مع أمين الملائكة إلى الأرض، وأمره أن يختار لها ذاتاً حسّاسة من البشر القريبين إلى إله الأرض بالمشابهة له فيمازجها بها، ويتلطف ما أمكنه، حتى تمتزج الكلمة التي هي في الحقيقة لا أين لها ولا كيفية ولا كمية امتزاجاً تامّاً بتلك الطينة الأرضية العنصرية، ويكون منها إذا اتحدت بها ولدٌ إلهٌ ممزوجٌ[1] من الكلمة والذات الحساسة كما زعمتم! فيخرج من بين الفرث والدم ومجرى الأنجاس والأثقال إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ، ابنٌ ممزوجٌ متحدٌ[2] فيه اللاهوت بالناسوت، ففعله المعجز بجوهر أبيه، وعجزه وبشريته من أمه الذات الحسّاسة كما زعمتم!

فلما نزل الملَك بالكلمة المفصولة عن المتكلم بها وبقي المتكلم بزعمكم بلا كلمة! لأن كلمته الخالقة التي بها تشددت السماوات والأرض، وهي ثلث إله السماء أي: النطق الذي هو واحد الأقانيم الثلاثة، انفصلت عن الأب وعن روح القدس الأقنومين الباقيين، وانحلّ بذلك تركيبهم الجوهري عند انفصالها واتصالها بالذات الحسّاسة وتجسّدها إنساناً كما زعمتم في أمانتكم، وكما ذكرتم الآن في رسالتكم هذه[3].

ثم إن الشيطان وسوس لكم بعد ذلك: أن إله السماء لمّا صار له هذا الولد السماوي والأرضي وحضنته أمّه وزينته، لم يفطن به إله الأرض حتى شبّ وعمل العجائب، مثل: أنه قلب الخمر، وصبغ / الثياب ألواناً من صبغ واحد، وظهر للفرس المرسلين إليه في صورة شيخ ب/83

---

(1) في الأصل (ولداً إلهاً ممزوجاً).
(2) في الأصل (إلهاً تاماً وإنساناً تاماً، ابناً ممزوجاً متحداً).
(3) يُنظر: ما سبق في ل ب/21 ص157.

للشيخ منهم وصورة شاب للشاب منهم وصورة صبي للصبي منهم، ومثل هذه الأشياء التي زعمتم أنها عجيباته[1]، ثم فطن له بعد ذلك فاختطفه كما زعمتم وجرّه جرّاً عنيفاً، وذهب به ليهلكه بالجوع والعطش، ثم أمره أن يسجد له سجدة واحدة، فأبى الولد أن يسجد له، وقال له: لا أسجد إلا لإله السماء، كما زعمتم في أناجيلكم، ثم إن هذا الولد الممزوج سعى في خلاص آدم وذريته من الجحيم، وأراد فتح بابها فما مكّنه إله الأرض، ولكنه سلط عليه طائفة من اليهود، مسكوه وحبسوه، ثم عزّروه وشهروه، ثم قتلوه وصلبوه، وفرح إله الأرض حيث صلبوا الجسد بالكلمة وقتلوها به؛ إذ لم تزل متحدة به كما قلتم في أمانتكم: (إن المسيح أَلِمَ وصلب وذاق الموت) فذوق الموت ليس للجسد دون الروح، ولا للناسوت دون اللاهوت، لأن الجسد موات من حيثه[2] لا حياة له ولا إحساس، وإنما الحياة والإحساس للروح بواسطته، كما قلتم في اللطائف وأنها لا تظهر إلا في الكثائف، وقلتم أيضاً في الكلمة وأنها تجسّمت من مريم، فكانت جسماً مع الجسم، متحدة به بغير انفصال، فلما صلب هذا الولد الممزوج بزعمكم وذاق الموت اتصل ذوقان ذلك إلى الحياة وإلى الأب الأقنومين الباقيين /،

---

[1] معجزة قلب الخمر وردت في إنجيل يوحنّا: 2/1، وصبغ الثياب أوردها الثعالبي نقلاً عن عطاء في كتاب قصص الأنبياء (العرائس) ص: 231، وأما الفرس المرسلون للمسيح فإنهم حين رأوه مع أمه خروا وسجدوا وقدموا له كنوزهم وهداياهم... كما في إنجيل متّى: 2/11، وكما جاء في إنجيل الطفولة لتوما: 6، 7 أن المسيح قبل السادسة من عمره خاطب المعلم والشاب والصغار كواحد مثلهم. ينظر: أبوكريفا العهد الجديد جمع د. الطرزي 1/77. وينظر في عجائب المسيح كما يدعيها النصارى: قاموس الكتاب المقدس (مادة: عجيبة).

[2] أي: خاصيته الذاتية المجردة.

ونقض تركيب الإله المثلّث بزعمكم عند فقده للنطق، وعاد أمر آدم وذريته إلى شرٍّ مما كانوا عليه، وعطلت إلهية إله السماء بزعمكم! وعظم إله الأرض عند قتله لابن إله السماء! أ/84

فتدبروا هذه الأضحوكات المبكيات وابكوا منها! أو اضحكوا على عقول رأت هذا الرأي وذهبت هذا المذهب![1].

وأما قولكم: إن المسيح لمّا خرج من مريم فعل المعجز بلاهوته وفعل العجز بناسوته، وإنه في موته كآدم في موته؛ مات ناسوته ولم يمت لاهوته، إذ الناسوت طبيعة واللاهوت طبيعة: فقد قدمنا من البيان ما فيه كفاية: في أن كلمة الله صفة ذاتية لا تتجسّم ولا تتكيف ولا تتحد بالجسم ولا تحلّ في جسم، وأغلظنا القول عليكم وصدعنا بالحق شفقة عليكم ومحبة للنوع الإنساني ورحمة وبياناً لبطلان هذه الدعوى وإنذاراً لكم من الشرك؛ فإنه ظلم عظيم.

وكيف يصح ما قلتم والناسوت باصطلاحكم جسم موات داخل في جنس الأجسام لا يحس ولا يتحرك ولا يحيا إلا بالروح؟! فالحياة والموت واللذة والألم والحركة والسكون والإحساس كل ذلك من صفات الروح لا الجسم، ولا تتصف الروح بالحياة المعلومة والصفات ب/84 المذكورة إلا بعد تركيبها مع الجسد ونفخها فيه واتحادها به بالوصف لا بالذات، فإن ذات الروح بسيطة / روحانية[2].

---

[1] ينظر: ما سبق في ل 21 ص154.

[2] مصطلح الروح اختلف الناس فيه اختلافاً كثيراً وتباينت فيه أقوالهم وكثرت، قال المازري: (الكلام في الروح والنفس مما يغمض ويدق، ومع هذا فأكثر الناس فيه الكلام، وألفوا فيه التآليف).

وللمتكلمين على ماهيتها ومعناها آراء[1]:

أحدها: أنها جسم لطيف سارٍ في جميع أجزاء الجسم، محمول على بخار الدم اللطيف، وتسمى: روحاً، وأرواحاً. وهي الموجودة في النبات والحيوان والإنسان وكل حيّ ذي حياة كذلك، وأنها تموت بموت البدن وتدّثر بدثوره، وهي غير نفس الإنسان الناطقة، هذا رأي[2].

نقله النووي في شرح صحيح مسلم 17/137، وقد أشار إلى ذلك ابن القيم في كتابه الروح ونقل كثيراً من أقوالهم، وأسعد الناس بالصواب من تمسك بما جاءت به نصوص الوحي، وهي تدل على أن الروح ذات قائمة بنفسها مخلوقة بها حياة البدن معلومة بعض أوصافها وأحوالها مجهولة الكيفية. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 9/295، 17/340، الروح لابن القيم ص: 573 ت. د. العموش.

(1) ينظر آراؤهم في: الروح لابن القيم 2/573، مقالات الإسلاميين 2/26، تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. أبو ريان ص: 383.

وقد ساق المؤلف بعض الأقوال الفلسفية والتي تأثر بها فلاسفة من النصارى والمسلمين لبيان اختلاف الناس في معنى الروح؛ وذلك لنقض معتقد النصارى في لاهوت المسيح، حيث إن هذه الأقوال سارية عند النصارى لتسويغ التثليث والتجسد، لا سيما وأن التثليث فلسفيّاً قائم على نظرية أفلوطين في الموجد الأول والعقل والنفس الكلية. ينظر: تأريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص: 325.

(2) هذا يشبه المنقول عن أرسطو في جعله الروح صورة جسم، وأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، وأنها تفنى بفناء الجسم، كما في رسالته النفس ص: 43. والقول بأن الروح تفنى بفناء الجسد مذهب لبعض أهل الكلام، ينظر: مقالات الإسلاميين 2/29، مجموع الفتاوى لابن تيمية 4/263. ومعنى الجسم عند الفلاسفة والمتكلمين هو المركب المؤلف ينظر: الجواب الصحيح 4/428، وليس هذا مراد من جعل الروح جسماً من أهل السنة، وإنما معناه ما قاله ابن القيم في الروح ص: 623: (ومقصودنا بكونها جسماً إثبات الصفات والأفعال والأحكام التي دلّ عليها الشرع والعقل والحس: من الحركة والانتقال والصعود والنزول ومباشرة النعيم والعذاب واللذة والألم، وكونها تحبس وترسل وتقبض وتدخل وتخرج، فلذلك أطلقنا عليها اسم الجسم؛ تحقيقاً

الثاني: أنها حياة سارية في أجزاء العالم العلوي والسفلي كسريان النار في زبرة[1] الحديد الحامية بها، وأنها جوهر لطيف حيّ روحاني، مفاض على كل جزء من أجزاء العالم بحسبه، مستعلن بفيضه في الحيوان والإنسان استعلاناً بالحس والحركة، ومستعلن في النبات بالنمو والتصوير والتغذي، وفي بواقي الأشياء بحسب تلك الأشياء، محمولة على كل موضوع، ولا يقال فيها إنها تموت ولا إنها تحيا، ولا إنها العقل ولا النفس ولا الحرارة المنبعثة ولا الطبيعة الفاعلة، ولا إن لها وجوداً بعد موت البدن كوجودها به[2].

الثالث: أنها جنس روحاني تحته أنواع روحية، كل نوع غير نوع من وجه وكأنه هو من وجه، فمن هذا الجنس:

روح كلية حاملة نظام العالم بجزئياته وكلياته، وتسمى الطبيعة الفاعلة المنفعلة في كل شيء[3].

85/أ ومنها: روح المعدن /، وتسمى الخاصية، وهي - يعنون هذا - الروح في المولدات الثلاثة[4] وفي الإنسان.

لهذه المعاني، وإن لم يطلق عليها أهل اللغة اسم الجسم).

(1) في الأصل: (زيرة) ولا معنى لها، والزبرة: القطعة من الحديد. ينظر: لسان العرب 7/10.

(2) هذا القول يشبه المنقول عن أفلاطون، وهو راجع لنظرية عالم المثل ونظرية الفيض. وقد قال به بعض المتكلمين، ينظر: مقالات الإسلاميين 2/30، الملل والنحل 2/410، موسوعة الفلسفة 1/175. ومرادهم بالجوهر وهو الكلي هو: الموجود لا في موضوع، ولا يمكن حمله على موضوع. ينظر: معيار العلم للغزالي ص: 314. وقد أشار ابن القيم - في إبطاله للقول بأن الروح جوهر - إلى أن أصل هذا القول تابع لقولهم في واجب الوجود، وأنه وجود مجرد لا ماهية له ولا صفة! وهذا من أبطل الباطل عند جميع الرسل. ينظر: الروح ص: 624.

(3) وهي دون العقل الكلي عند الفلاسفة، وقد تسمى الروح الأعظم! ينظر: معيار العلم ص: 292، التعريفات ص: 118، المعجم الفلسفي 1/626.

ومنها: روح النبات، وتسمى النفس النامية، وهذه هي في النبات والحيوان والإنسان دون المعدن.

ومنها: روح الحيوان، وتسمى النفس الحيوانية، ولها الحس والحركة، وهي في الحيوان والإنسان دون النبات والمعدن.

ومنها: روح الإنسان، التامة الإحساس والحركات والمتصفة بسائر أوصاف الإنسان الحيوانية التي هي: الحب والبغض والرضا والغضب والخوف والأمن والإقبال والإدبار والشهوة والكراهية وسائر صفاته الحيوانية، المتفرقة في الحيوان بالطبع، والمجموعة في الإنسان بالخاصيّة والقصد، كالكيد والمكر والحسد والتخيّل والغيلة، وإذا تحلل تركيب الإنسان ذهبت عنه وبقي منها الروح الحاملة للنظام، والمسماة الطبيعة الفاعلة المنفعلة فقط.

ومنها: الروح النفسانية، المختصة بالإنسان، وتسمى النفس الإنسانية، المشتركة بين الحيوانية والناطقة، والمتصفة بالفضائل والرذائل، وليست بموجودة في الحيوان ولا في النبات[1].

ومنها: النفس الناطقة الحيّة، الدّاركة لذاتها ولغيرها، والعاقلة الشاعرة ببعض المغيّب، والفاعلة بقواها ما لا يفعله الحيوان والنبات، ولها سبع قوى خواص باطنة، وخمس قوى خواص ظاهرة: ب/85

---

4) في الأصل: (الثلاث). وهو غلط في اللغة. والمولدات الثلاثة هي: المعدن والنبات والحيوان. وهي المركبات المسمّاة بالمواليد الثلاثة؛ وأصلها من القول بتسلسل أنواع الموجودات، وأن كل نوع متصل ومستعد بالترقي لما فوقه! ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني 1/373 .

1) ينظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص: 82، المعجم الفلسفي 1/158.

فالباطنة /: الحس المشترك، والمتخيلة، والمتوهمة، والمفكرة العاقلة، والمتفهمة، والذاكرة، والحافظة.

والظاهرة: السمع، والبصر، والذوق، والشم، واللمس[1].

ومنها: روح الأرواح المدركة، القابلة للفيض الإلهي والوحي الإلهامي والكلام الرباني، المسموع لها بواسطة: حجاب من الحجب المعنوية الروحانية، أو رسول من الملائكة الأقدسين النورية، أو وحي نوم، أو ينفث في الروع[2]، أو خطاب باللسان المطلق[3]. وهذه الروح هي العقل والجوهر المفارق والملَك الكروبي[4]، الذي به

---

[1] تقسيم قوى النفس أصله من الفلاسفة القدماء كأفلاطون وأرسطو، وتأثر بهم المتأخرون كالفارابي وابن سينا والغزالي. ينظر: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص د. العثمان ص: 279. ولا تخلو تقاسيم الفلاسفة من خلط الحق بالباطل، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية غلط بعض الفلاسفة في جعله أحوال النفوس وصفاتها أعياناً قائمة بأنفسها! ينظر: مجموع الفتاوى 9/294.

[2] في الأصل: (الروح). وأظنه سبق قلم، والتصويب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (إن روح القدس نفث في روعي) أي: نفسي. حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح 2866).

[3] هذه إشارة إلى أقسام نزول الوحي على الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقول المؤلف: (خطاب من اللسان المطلق) أي: تكليم الله لنبيه عليه الصلاة والسلام من وراء حجاب، كما كان لموسى عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك إثبات لصفة الكلام لله حقيقة، خلافاً للمعطلة والمؤولة، وهذا النوع الأول، والثاني: الوحي بغير واسطة، ومنه الرؤيا. والثالث: أن يرسل لنبيّه ملَكاً. وقول المؤلف: (حجاب من الحجب) لعله أراد: ما يقع من إرسال الملَك بصورة غير صورته، وقد فصل ابن القيم هذه الأقسام في زاد المعاد 1/78.

[4] الملَك الكروبي: لم يثبت حديث صحيح في تسمية الملائكة بهذا الاسم، وغاية ما ورد فيه أحاديث ضعيفة جدّاً أو آثار عن بعض السلف والمفسرين كالضحاك ومقاتل وأبي العالية، وفُسر: بأنهم المقربون، وقيل: سادة الملائكة، وقيل: حملة

ظهور التدبير في المملكة الإنسانية، وبه الأخذ والعطاء، وهو المخلوق في أحسن تقويم، وعند أصحاب هذا الرأي أنه لا يموت بموت البدن، بل يبقى جوهراً مجرداً حيّاً، مرتسماً فيه وله وبه مكتسباته ومستفاداته ومعلوماته أبداً، وأنه من المخلوقين للبقاء، فعّال بقابليته المستعدة للفيض العلي وللاتصاف بالصفات الفعلية الإضافية، كما قال الحكماء: إن النفس معبودة للجسم، فإذا اتصف 86/أ
بصفاتها كان هو هي من غير اتحاد، لأن الاتحاد محال، وإن العقل معبود للنفس، فإذا اتصفت بصفاته كانت هي

العرش، وقيل غير ذلك. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي 8/110، غريب الحديث للخطابي 1/440، روح المعاني للآلوسي 13/70.

ويظهر أن هذه التسمية من أهل الكتاب، ففي كتبهم: (كروبيم)، ومعناها في العبرانية: حافظ أو حارس، وهم ملائكة عند عرش الله ويحملون الخالق ولهم أجنحة، وأقامهم عند أبواب جنة عدن عند إخراج آدم وحواء منها، كما في سفر التكوين 3/24، وكانوا تحت عرش الله حين ظهر لحزقيال! كما في سفره 11/22، ووصفت فيه 1/5 أيضاً: بأنها تحت العرش وتشبّه بوجه إنسان وأسد وثور ونسر، ونحو ذلك مما جاء في كتب أهل الكتاب. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (مادة: كروب).

ومن أغلاط الفلاسفة أتباع الأديان تسمية الملائكة بالعقول العشرة المشهورة في فلسفة اليونان! قال الإمام ابن تيمية في بغية المرتاد ص: 48: (ولا ريب أن القوم (يعني فلاسفة المسلمين) أخذوا العبارات الإسلامية القرآنية والسنية، فجعلوا يضعون لها معاني توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها، ويجعلون مراد الله تعالى ورسوله من جنس ما أرادوا، فحصل بهذا من التلبيس على كثير من الأمة، ومن تحريف الكلم عن مواضعه، ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما الله به عليم، ولهذا يوافقون المسلمين في الظاهر ولكن هم في الباطن زنادقة منافقون). وينظر: الرد على المنطقيين ص: 470، الصفدية 1/193.

هو من غير اتحاد /، وإن الحق معبود للعقل، فإذا اتصف بصفاته كان هو هو من غير اتحاد[1].

فقولكم أيها النصارى: إن المسيح مات ناسوته ولم يمت لاهوته، ولا عجز بعجزه، ولا وجد الألم بوجدانه الألم: غير مسلم؛ لأن الجسم من حيث هو فإنه موات لا إحساس له ولا حياة إلا بالروح، وهي الواجدة الذائقة

---

1) هذه الأقوال الفلسفية التي ساقها المؤلف في الروح هي من تخرصات الفلاسفة القدماء القائلين على الله بغير علم، وهي قائمة على معتقدات يونانية وثنية وصابئية، ولم تتلقَّ من الوحي الصادق، ومن أبرز أغلاطها ما يلي:

أولاً: قيامها على نظرية الأفلاك التسعة والعقول العشرة الصادرة عن العقل الأول الكلي! المخالفة لما جاءت به الرسل عن بداية الخلق، وأن الله كان ولم يكن شيء قبله، وأنه سبحانه الخالق العالم بكل شيء، وما جاء في أحوال الملائكة.

ثانياً: قيامها على تجرد الذوات من صفاتها، فغاية إثباتهم كليات مجردة لا تثبت إلا في الأذهان، وحقيقته نفي لها في الخارج!.

ثالثاً: ما تتضمنه من إنكار لبقاء الأرواح ومن قال ببقائها فهي جوهر لا أحوال لها ولا صفات! قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 9/272: (والفلاسفة المشاؤون يقرّون بأن النفس تبقى إذا فارقت البدن، لكن يصفون النفس بصفات باطلة، فيدعون أنها إذا فارقت البدن كانت عقلاً، والعقل عندهم مجرد عن المادة وعلائق المادة، والمادة عندهم هي الجسم، والعقل عندهم قائم بنفسه، لا يوصف بحركة ولا سكون، ولا يتجدد له أحوال البتة).

رابعاً: ما في حدّهم للروح من أغلاط، قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 17/348: (وما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من أنها لا يشار إليها ولا توصف بحركة ولا سكون، ولا صعود ولا نزول، وليست داخل العالم ولا خارجه، هو أيضاً كلام أبطل من كلام أولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء، ولا سيما من يقول منهم كابن سينا وأمثاله: إنها لا تعرف شيئًا من الأمور الجزئية، وإنما تعرف الأمور الكلية؛ فإن هذا مكابرة ظاهرة، فإنها تعرف بدنها، وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمّه وتسمعه وتذوقه وتقصده، وتأمر به وتحبه وتكرهه، إلى غير ذلك

والمدركة بالحواس والخواص منه سائر المدركات المعقولة والمحسوسة دونه، إذ هو موات داخل في حكم الجسمية بالنوعية والشخصية.

ولا يخلو المسيح من أن يكون فيه هذه الأرواح المذكورة والنفس الناطقة مع اللاهوت الذي زعمتم، أو يكون اللاهوت وحده، أو المجموع دونه، واللائق أن يكون اللاهوت متحداً بعقل المسيح ونفسه الناطقة وروحه، اللطائف الثلاث، دون الجسد الكثيف العنصري، وإذا كان ذلك لزم أن يكون اللاهوت هو المدرك للألم والذائق للموت دون الناسوت، فإن الناسوت موات لم يزل ميتاً بالذات، وحياته عرضية فيه طارئة عليه، فانتفى أن يكون الناسوت واجداً للموت والألم والتعذيب، بل اللاهوت ب/86
الذي سميتموه إلهاً ربّاً خالقاً، والذي شهدتم بشهادة أناجيلكم / شهادة غيب محض وشرك صريح وأضحوكة يعجب منها العقلاء، إذ تستشهدون بجلوس المسيح الابن عن يمين رب العالمين الأب بزعمكم[1]، مع تقدم

مما تتصرف فيه بعلمها وعملها، فكيف يقال: إنها لا تعرف الأمور المعينة، وإنما تعرف أمورًا كلية؟ وكذلك قولهم: إن تعلقها بالبدن ليس إلا مجرد تعلق التدبير والتصريف، كتدبير الملك لمملكته؛ من أفسد الكلام، فإن الملك يدبّر أمر مملكته فيأمر وينهى، ولكن لا يصرفهم هو بمشيئته وقدرته إن لم يتحركوا هم بإرادتهم وقدرتهم، والملك لا يلتذ بلذة أحدهم، ولا يتألم بتألمه، وليس كذلك الروح والبدن، بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به، ولكن دخول الروح فيه ليس هو مماثلًا لدخول شيء من الأجسام المشهودة). ينظر أيضاً كلامه رحمه الله في: نقض المنطق ص: 100، الرد على المنطقيين ص: 274، منهاج السنة 1/169.

(1) كما هو نص أمانة النصارى، ويستدلون له بما جاء في إنجيل متّى: 26/64، إنجيل مرقس: 20/19. وهو ليس صريحاً في مرادهم، قال الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح 3/301: (وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال: إن له معنى لا نفهمه، بل هو من كلام أكابرهم الذي

الشهادة منكم بأنهما واحد لا اثنان! ولا شخصية لهما ولا تجزؤ ولا تبعيض ولا أبوّة تناسل كالمعروفة، ولا بنوّة كالمعهودة! فالله أكبر وأجل وأعظم، وسبحانه عمّا يشركون.

فلو فحصتم عن الشيء الحيّ الذي هو لا كالأشياء فحصاً بالحق لثبت بالدليل القطعي أن ذاته لا كالذوات، وصفاته لا كالصفات، ولخررتم بعقولكم له ساجدين واجدين قائلين بالحال والقال (شعر)[1]:

يا من تعالى أن يجوز بذاته. . . وصفاته التلويح والتصريح [2]

أنت العلي عن الصفات بأسرها. . . لكن تنزّلك اللطيف يبوح

والقول منّا عند كل تعقّل. . . وتخيّل وتوهّم: سبوح [3]

وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم... فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد إلا أن هذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد، وليس متصلاً به، بل غايته أن يكون مماسّاً له... فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة).

[1]) هذه الأبيات من نظم المصنف، كما نقلها عنه الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر 4/479.

[2]) في الأصل: (أن يحوز)، والمثبت من أعيان العصر وأعوان النصر 4/479.

[3]) تسبيح الله تعالى: تنزيهه عن أن يشابه خلقه، أو يماثلهم، أو أن تكون صفاته كصفاتهم، فالفرق بين الصفة والصفة كالفرق بين الموصوف الخالق والموصوف المخلوق. ينظر: الروح لابن القيم ص: 765.

* قارن ما جاء في الجواب الصحيح لابن تيمية في الجزء الرابع من ردّ دعواهم (أن تجسد المسيح واتحاده كان بغير اختلاط)، فقد ذكر تسعة عشر وجهاً في إبطاله، وفي دعواهم (طبيعة المسيح واستدلالهم بالآيات)، فقد أجاب عنها بأكثر من مائة صفحة، ونقل عن المهتدي الحسن بن أيوب والمؤرخ النصراني ابن البطريق في اختلافهم وردود بعضهم على بعض.

فصل

ثم قلتم سياقاً: **إن كليام وجماعته**[1] **قالوا لكم: إن المسلمين يقولون: إذا كان اعتقادكم في الباري أنه واحد متصف بثلاث صفات فما حملكم على أن تقولوا: أب وابن وروح قدس؟ فتوهمون السامعين أنكم تعتقدون في الله أنه ثلاثة أشخاص**[2]**، أو مجزأ ثلاثة أجزاء، أو أنه ثلاثة** أ/87
آلهة، أو أن يكون له ابن من المباضعة، / <فيظنّ من لا يعلم قولكم ولا يعرف اعتقادكم أنكم تريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل، فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم منها بريئون>[3]**.**

وإنكم أجبتم كليام وجماعته قائلين لهم: فالمسلمون مع اعتقادهم في الباري أنه غير جسم وغير ذي أعضاء وغير محصور في مكان يقولون: إن لله عينين، ويدين، ووجهاً، ونفساً، وساقاً[4] **يكشفه للسجود، وإنه يأتي في ظلل من الغمام ومع الملائكة وينتقل من مكان إلى مكان**[5]**، ويوهمون التجسيم، ويظن من لا يعرف**

---

(1) في نسخ الرسالة والجواب الصحيح: لم يصرح باسم القائل.

(2) في الرسالة والجواب الصحيح 4/403 زيادة كلمة: (**مركبة**).

(3) ما بين المعقوفتين من الرسالة والجواب الصحيح، في الأصل: (**فيظن من لا يعلم قولهم ولا يعرف اعتقادهم أنهم يظنون ذلك** فيطرقون على أنفسهم **تهمة هم منها بريئون**) والسياق يقتضي ضمير المخاطب.

(4) في الأصل: بالرفع (عينان، يدان، وجه، نفس، ساق)، والصواب بالنصب.

(5) في الرسالة والجواب الصحيح 4/403 صياغة الجملة استفهامية: (**لما كان اعتقادهم في الباري. . . فما حملهم على أن يقولوا إن له عينين. . ؟**).

اعتقادهم أنهم مجسّمة ومشبّهة، فيتهمهم بما هم منه بريئون[1].

وإن كليام وجماعته قالوا لكم: إن المسلمين يقولون: إن العلة في قولنا ما عددتموه من الصفات هو أن القرآن نطق به، وأن ذلك على غير ظاهره، وأن كل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ أو[2] يعتقد أن الله جسم[3] ذو جوارح وأعضاء وانتقال وحركة وغير ذلك مما يقتضي التجسيم والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره، وإننا إذا كفرنا من يعتقد ذلك فليس لمخالفينا أن يلزمونا به بعد أن لا نعتقده[4].

وإنكم قلتم لكليام وجماعته مجاوبين: وكذلك نحن أيضاً العلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، أن الإنجيل نطق به، وأن المراد بالأقانيم غير الأشخاص المركبة والأجزاء والأبعاض وكل ما تقتضيه / الشركة والتكثير، فالأب والابن غير أبوة نكاح أو تناسل أو جماع، وكل من يعتقد أن الأقانيم الثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة أو ثلاثة أشخاص مركبة أو قوى أو ب/87

---

(1) سياق الاعتراض في الرسالة والجواب الصحيح 4/403 أطول، ونصه: (**فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وذو أعضاء وجوارح، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان في ظلل من الغمام، فيظن من لا يعرف اعتقادهم أنهم يجسّمون الباري، حتى أن قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً، ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه**).

(2) في الرسالة والجواب الصحيح: (و).

(3) في الرسالة والجواب الصحيح 4/404: (وأن الله له عينان ويدان ووجه وجنب) بدلاً من كلمة (جسم)!

(4) في الأصل: (يعتقده)، والتصويب من الرسالة.

أعراض أو كل ما يقتضيه الاشتراك والتكثير والتجسيم والتبعيض[1] فنحن نلعنه ونحرّمه ونكفّره ونكفر به، وإذا لعنّا من يعتقد ذلك فليس لمخالفينا أن يلزمونا بما لا نعتقده.

فإن ألزمونا الشرك والتشبيه لأجل قولنا: إن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، ألزمناهم نحن أيضاً التجسيم والتشبيه لقولهم: إن الله له عينان ويدان ووجه وجنب (وإنه استوى إلى السماء)[2] واستوى على العرش بعد أن لم يكن عليه، وغير ذلك مما يقتضي ظاهره التجسيم والتشبيه.

فالجواب:

أما قولكم: إن الباري جل جلاله ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، وبراءتكم مع ذلك من الشرك ومن اعتقاد الجسمية والتشبيه، وإنكم لم تريدوا بقولكم: الأب والابن والروح، إلا تعداد صفات الإله الواحد، وإنكم من علمتم منه ذلك لعنتموه وكفّرتموه وحرّمتموه: فافتحوا أعينكم وأصغوا بأسماعكم واحضروا بقلوبكم واعقلوا ما قلتم؛ فإنكم لن تجدوا على وجه الأرض من لدن قسطنطين 88/أ
وإلى يومنا هذا نصرانيّاً إلا وهو يقول في الإله: إنه ثلاثة آلهة شركاء في الإلهية، إله واحد، وهم: / الأب المغاير للابن، والابن المغاير للأب في اللفظ والمعنى والتسمية والمسمّى، وروح القدس المغايرة لهما، والثلاثة واحد في

---

[1] في الرسالة والجواب الصحيح 4/404 زيادة: (**أو بنوة نكاح أو تناسل أو مباضعة أو جماع أو ولادة زوجة أو من بعض الأجسام أو من بعض الملائكة أو من بعض المخلوقين**).

[2] هذه الجملة لا توجد في الرسالة ولا في الجواب الصحيح، ويظهر أنها سبق قلم من المؤلف.

الكيان مثلّث في الكيفية، فالأب أصل وعلة والابن فرع ومعلول والروح متوسطة بينهما كتوسط النفس بين العقل والجسد، مع ألوف[1] مؤلفة في كل زمن من الأزمنة عامة.

وجاهلية النصارى يعتقدون المباضعة والجماع والتناسل![2].

وتصوّرون صورة تمثال: كبير الجبهة وتخرجون من فيه خطّاً أحمر ممتدّاً من صورة

الفم نازلاً إلى جوف تمثال مريم، حكاية للمباضعة الروحية الجسمية![3].

ولا شرك ولا تجسيم ولا فرية على الله أعظم من هذا، فالعنوا هؤلاء من البحر إلى البحر.

وما مثلكم، في جحودكم الشرك وبراءتكم منه مع القول بالثالوث واصطلاحكم على الأقانيم وتفسيركم لما في التوراة من قوله عن آدم، وأنه طلب أن يكون كواحد منا – تعنون: الأب والابن – حيث أصعدتموه من الأرض إلى أبيه، وأجلستموه عن يمين أبيه معه على العرش، إلا

---

(1) في الأصل: تكررت كلمة (ألوف).

(2) عموم فرق النصارى تقول بالحبل الروحي ولتناقضه وعسر فهمه لا يفهم كثير من عوامهم إلا المباضعة، قال الإمام ابن القيم في هداية الحيارى ص: 537: (وكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لا يفهم مقالة خواصهم على حقيقتها، بل يقولون إن الله تخطى مريم كما يتخطى الرجل المرأة، وأحبلها فولدت له ابناً، ولا يعرفون تلك الهذيانات التي وضعها خواصهم). ونقل ص: 482 عن النظّام قوله بعد أن حكى ذلك عنهم: وهم يُفصحون بهذا عند من يثقون به، ونقل مثله عن ابن الأخشيد. ونقله القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة 1/148.

(3) ينظر في نماذج الصور الموضوعة لمريم عليها السلام: كتاب الصور المقدسة والأيقونات ص: 157 - 270 للقس أنطون هبي ط. المكتبة البوليسية، والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية للتنير ص: 71.

كمثل امرأة شكت إلى الحاكم من أخيها لكثرة لعنه لها، فأحضره الحاكم فحلف له أنه ما لعنها قط، ثم التفت إليها فقال لها: يا ملعونة، يا بنت الملاعين، أنا قط لعنتك؟ فقال الحاكم: لوحدها لا، بل لآبائها معها!

أو كمثل جرّار[1] باع جرة للماء على أنها صحيحة،
ب/88 فوجدها مشتريها مكسورة لا تمسك الماء، فحلف الجرّار أنها ليست / مكسورة، ولكن الماء يسيل من سقوفها وجوانبها!.

وأما التفاتكم إلينا معشر المسلمين وتشبثكم[2] بنا معشر المسلمين، حيث قلتم: إننا نلتزم بمثل ما ألزمكم به المعقول والمنقول من اعتقاد الجسمية والتشبيه والشرك الصريح والجمع بين النقائض وتجويز الممتنعات: كالحلول والاتحاد والوَحْدة: فإنه غير لازم لنا، ولا وجه لإلزامنا بشيء منه، وبيننا وبينكم العقلاء[3].

أما زعمكم في الإنجيل أنه أمركم بالشرك على ألسنة بطرس وبولص وتوما وسمعان وغيرهم، وزعمكم أن المسيح قال لكم: قولوا: ثالث ثلاثة، وعمّدوا العالم باسم الأب والابن والروح: فزعم كاذب ودعوى باطلة، وحاشا وكلا أن يأمر المسيح العالم بالشرك بالله.

وقد جمعت في هذه الأجوبة قبل هذا الفصل من كلام المسيح وتوحيده وإقراره بأنه رسول وأنه نبي وأنه ابن

---

(1) الجرّار: محترف مهنة الجرارة، صانع الجِرار، جمع جَرّة وهي آنية الخزف. ينظر: لسان العرب 2/244.

(2) في الأصل: (وتشبيثكم)، والياء مقحمة، ومعنى التشبث: التعلق بالشيء. ينظر: لسان العرب 8/12.

(3) وجد من الطوائف المنتسبة للإسلام من قال بتمثيل الخالق بالمخلوق أو حلوله واتحاده، لكن ليس هذا هو اعتقاد أهل الإسلام وأئمتهم، وهم يخطّئون من قال به وأنه قد شابه أهل الكتاب من النصارى الحلولية أو اليهود الممثلة، فقولهم ليس حجة على أهل الإسلام. ينظر: الجواب الصحيح 2/174.

البشر وأنه غير الله وأن الله غيره، ما أغنى عن الإعادة والتطويل[1].

وكذلك تضرّعه وبكاؤه ودعاؤه وصلاته وسجوده وسيّما ليلة الفصح وخميس العهد وغسله لرجلي بطرس[2]، وكذلك التوراة والزبور وكتب النبوءات شاهدة بالتوحيد آمرة به ناهية عن الشرك محذرة منه، فاقرؤوها إن كنتم في شك من ذلك.

مع علمكم اليقين بزعمكم أن المسيح صلب ومات بمشهد من أهل البيت المقدّس أورشليم، وهم إذ ذاك 89/أ
خلق كثير، فيهم الملك فيلاطس / والسوقة والرعية والشريف والمشروف.

---

(1) ينظر: ما سبق ل ب/73 ص313.

(2) خميس العهد: اليوم الذي يسبق الفصح، وفيه ذكرى العشاء الأخير، وللنصارى فيه طقوس منها غسل الأرجل! وفي إنجيل يوحنا: 13 غسل المسيح لأرجل التلاميذ. وقد أصبح غسل الأرجل في كثير من الكنائس من أعمال القُسُسِ، تقليداً لفعل المسيح مع تلاميذه! ولو صح إنما كان ذلك تواضعاً منه وخدمة لهم، كما كانت هذه الخدمة معهودة في بني إسرائيل تقدم للضيوف ويقوم بها الخدم. ينظر: قاموس الكتاب المقدس ودائرة المعارف الكتابية (مادة: غسل)، وهذا يناقض ما يزعمه النصارى من ألوهية المسيح.

ولم يكن للمسيح إنجيل مكتوب مدوّن[1] مثل التوراة والزبور وكتب نبوءات الأنبياء المنزلة قبل التوراة وبعدها، ولو كان موجوداً أو معروفاً لليهود أو محفوظاً في الصدور لحصلته اليهود ولو من تحت تخوم الأرض وأحرقوه وذروا رماده في الهواء، ولم يتركوا لحرف واحد منه أثراً في العالم، ولكانوا قتلوا من وجدوه معه أو عنده، أو كان تلميذاً أو غير تلميذ كما فعلوا بالتلاميذ ومزقوهم كل ممزق، حتى أنكروا المسيح واسمه وذكره ومعرفته وتبرؤوا منه ومن دعواه وزعمه الذي نسبته إليه اليهود من المخالفة لشريعة موسى وسنته، كتحليل

---

[1] في الأصل: بالنصب (إنجيلاً، مكتوباً، مدوناً) وهو غلط.
ومراد المؤلف أن إنجيل المسيح مفقود، وأن الأناجيل التي بأيدي النصارى لا ينسبونها إلى المسيح، لا أن المسيح لم يُنزل عليه إنجيل، فإن إنجيل المسيح معلوم لعموم المسلمين، كما قال تعالى في سورة المائدة: آية 46: (ٹ ٹ)، وقال في سورة مريم: آية 30 نقلاً عن المسيح: (ژ ک) أي: الإنجيل. وهذا الإنجيل منزل من عند الله فيه هدى ونور ومصدق لما في التوراة وأحل فيه بعض ما حرم على بني إسرائيل، لا تعرفه النصارى ولا تؤمن به، إنما تؤمن بما دوّن بعده من كتابات مرقس ولوقا وبولس وغيرهم وعرفت بالأناجيل! وهي لا تخلو من بقايا نقلت من إنجيل المسيح المفقود! كالدعوة للتوحيد والبشارة بالنبي محمد ، وقد أشار إليه متّى في إنجيله: 26/13، ومرقس في إنجيله: 14/9، وبولس في رسالته إلى رومية: 1/1، وقد اضطهد أتباع المسيح وتحرفت المسيحية، وقد أشار رحمت الله الهندي في إظهار الحق 2/609 استناداً إلى تواريخ النصارى إلى وقوع عشر قتلات عظيمة على النصارى في الثلاثمائة الأولى، لم يبق لهم فيها كتاب إلا دخله التحريف. وينظر: 2/379، 385، وفيه أقوال عن بعض علماء النصارى وأهل الإسلام بوجود إنجيل لعيسى، خلافاً لما يزعمه النصارى من أن المسيح خلف أقوالاً لا إنجيلاً. وينظر: الإعلام للقرطبي ص: 203، مصادر النصرانية ص: 527.

السبت واتّباعه لتحريمه لنفسه والختان كذلك والفصح والعاشور[1].

وبقي الأمر كذلك حتى جاء الملك قسطنطين وظهرت الأناجيل بالأقوال المختلفة والمناقضات الظاهرة، وقد قدمنا من ذكر ذلك ما فيه مقنع[2]، فلا تحتجوا به في القول بالشرك الصريح، وعظّموا حرمة المسيح واعرفوا حقه ومنزلته عند الله تعالى، ولا يحملكم الحصر والفحم والتبكيت على أن تجعلوا لأنفسكم فينا أسوة لكم، إذ نسبتم إلينا ما لا يصح / أن ينسب إلى مثلنا ولا يظن بنا ولا جاءت معانيه في كتابنا ما أنتم قائلوه ومعتقدوه[3] ومخالفون به سائر الملل والآراء والنحل. ب/89

وأين زعمكم أن المسيح أمركم بالشرك وأرسل تلاميذه إلى زوايا العالم ليعمّدوا العالم باسم الأب والابن وروح القدس، من قول الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) إلى آخر السورة؟ وذلك حين سألته اليهود أن يصف لهم الله عز وجل[4].

---

[1] العاشور: اسم للعيد الموافق لنهاية الصوم الكبير عند اليهود، وهو اليوم العاشر من شهر تشري. ينظر: صبح الأعشى 2/426.

[2] ينظر: ما سبق في ل أ/10 ص122.

[3] في الأصل (قائلونه ومعتقدونه).

[4] ثبت عن قتادة والضحاك ومقاتل مرسلاً: أن سبب نزول سورة الإخلاص سؤال اليهود، وأصح منه ما روي أن سبب نزولها سؤال المشركين، فقد روي عن أبي العالية مرسلاً، ومرفوعاً عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند 5/133، والترمذي في جامعه في أبواب تفسير القرآن (ح3364)، والحاكم في المستدرك وصححه 3/540، والمرسل أصح كما ذكر الترمذي والبخاري في التاريخ الكبير 1/245، وصحح الموصول ابن خزيمة، وحسنه ابن حجر في الفتح 13/356، والألباني في صحيح الترمذي: (ح2680). وروي نحوه عن جابر رضي الله عنه، كما عند أبي يعلى (ح

مع أن كتابنا أنزل بلسان أفصح العرب البلغاء النبغاء الألباء وعلى لغتهم، معجزاً لهم ولسائر أهل الأرض – الإنس والجنّ - تعجيزاً ببلاغته وإيجازه وبيانه وجوامع كلمه ومعانيه وقصصه وحكمه وأحكامه، وفيه من تحرير الكلم وتحقيق الحكم وإثبات ذات الله وتنزيه صفاته عن المثلية والشبهية والجسمية ما لم يأت في غيره من الكتب المنزلة مثله، وذلك:

قوله تعالى: (ٺ ٿ ٹ ٺ ٿ ٹ ٺ)[1] وصفٌ وتنزيه ونفي وإثبات، وقوله: (ٽ ٿ ٹ) الآية[2]، وقوله: (ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ) إلى قوله: (ﯽ)[3]، وقوله: (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)[4]، وقوله: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) الآية[5]، ولم يقل: الحيّ بحياة وروح فيؤذن قوله بتشبيهه ومثليته وافتقاره إلى صفة زائدة / على ذاته بما هو حيّ، كما زعمتم في الحياة بروح القدس، تعالى الغني على الإطلاق وجل جلاله[6]. 90/أ

2044)، والطبراني في الأوسط: (ح5687) بسند ضعيف. ينظر: تفسير الطبري 30/342، وتفسير ابن كثير 8/518.

[1] سورة الشورى: آية 11.

[2] سورة الأنعام: آية 103.

[3] آية الكرسي 255 في سورة البقرة.

[4] سورة طه: آية 110.

[5] سورة غافر: آية 65.

[6] ذات الله تعالى متضمنة لصفاتها الكاملة اللازمة، وقد اختلف الناس في علاقة الصفات بالذات: هل هي زائدة عليها أو ليست بزائدة؟ وقال كل قوم بحسب ما يتصوره لا بحسب ما الأمر عليه في نفسه، والصواب أن القول بأن الصفات زائدة على الذات أو غير زائدة بإطلاق غلط؛ لما فيه من إجمال، فإن الذات إن أريد بها الذات المجردة التي يقر بها الفلاسفة ومن تبعهم من نفاة الصفات! فالصفات زائدة عليها وهي غير الذات، وهذه الذات لا تكون إلا في الذهن لا في الخارج، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج فهي لا توجد إلا بصفاتها اللازمة وليست الصفات زائدة عليها، وهذا التفصيل هو الموافق

وفي كتابنا النور المبين أيضاً من الأمثال الصادقة المطابقة والاستعارات الرائقة والكنايات والتضمينات والمقدرات المحذوفة والألفاظ المجازيات المستعملة في اللسان العربي[1] ما يفهمه المخاطبون به ويعلمون مراد الله منه من ظاهر اللفظ، واستعمالها للتفهيم وللتأنيس وللتعريف إليهم بالإشارة إلى ما يعرفون ويعهدون ويعلمون مراد الله منهم من غير حمل للمعاني على ظواهر الألفاظ[2].

للنصوص المثبتة للصفات، وأشار الإمام ابن تيمية إلى أنه إن صح أن يقال إن الصفات غير الذات فلا يصح أن يقال الصفات غير الله؛ لأن اسم الله متضمن لصفات كماله. والفرق بين القول بأن الصفات زائدة على الذات وقول النصارى: أنهم زعموا أن الصفة منفصلة عن الذات، وجعلوها خالقة، بل وحلت في المخلوق (المسيح)، ومن صوب القول بأن الصفة غير الموصوف بمعنى أن لها معنى غير معناه وأنه يعلم من الصفة غير ما يعلم من الذات، وليس معناه أن الصفة تفارق الموصوف! فإن هذا باطل؛ لأن الموصوف لا تنفك عنه صفاته، وهذا يبطل قول من نفى الصفات كالجهمية بحجة تعدد القدماء لأن الصفة غير الموصوف! ينظر: الجواب الصحيح 5/16، درء التعارض 2/230. ينظر: ما سبق في ل أ/56 ص265.

[1] لا يختلف أهل الإسلام أن القرآن نزل بلسان عربي مبين في أعلى درجات البيان، وأنه جارٍ على أسمى أساليب العرب في كلامها، وهذا أصل متفق عليه، ولا ينقضه ما وقع من اختلاف بين علماء العربية في بعض المصطلحات البلاغية وتحقيق أمثلتها القرآنية، بل كان هذا الاختلاف طلباً لتأكيد الأصل المتفق عليه في بلاغة القرآن وإعجازه. ينظر: الموافقات للشاطبي 2/65.

[2] غلط المؤلف غفر الله لنا وله في تقرير الواجب في نصوص الوحي، تبعاً للمتكلمين بزعمهم أن نصوص الصفات من المتشابه الذي يجب صرفه عن ظاهره بالتأويل أو التفويض، وقد اختار المؤلف طريقة التأويل، وذلك لتوهمهم أنها تدل على التشبيه، ففروا منه بتعطيل اللفظ عن معناه! كما ضل آخرون بتمثيل الله بخلقه! وكلاهما مخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم سلف الأمة من وجوب إجراء النصوص على

كقوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[1] أي: يأتيهم أمره، وقوله: (ﯿ □)[2] أي: جاء أمر ربك[3].

وقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)[4] أي: المشرق والمغرب لله وسائر الجهات لله، فحيث ما توجهتم بالعبادة والسجود له فأنتم على الحق والله مطلع عليكم[5]. وذكر الوجه فهو من باب الاستعارة، كما يقال لغة: وجه الصبح ووجه

ظاهرها من غير تمثيل ولا تحريف، وأن ظاهر النصوص هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني بحسب السياق، مما تحتمله اللغة وحال المتكلم به والمخاطب. ونصوص الوحي الدالة على صفات الله تعالى من أظهر النصوص وأصرحها ومتضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره. ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم 1/389، القواعد المثلى لابن عثيمين ص: 45. قال الإمام ابن تيمية مناظراً من زعم أن ظاهر النص غير مراد: (إذا وصف الله نفسه بصفة، أو وصفه بها رسوله، أو وصفه بها المؤمنون - الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم - فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافي الحقيقة، **لا بد فيه من أربعة أشياء:**

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على المجازيّ بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة، فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة

القوم ووجه الصواب ووجه السماء ووجه الماء[1]. وقوله: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)[2] أي: إلا هو، فإنه هو الباقي بلا زوال[3].

وقوله لموسى وهارون: (ﯨ)[4] أي: أعلم ما يكون منكما ومن فرعون وأنصركما / عليه.

ب/90

مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًّا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلا بد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته، فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورًا وهدى، وبيانًا للناس، وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علمًا، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقليًّا ظاهرًا، مثل قوله: (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ) النمل: 23 ، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد : أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك: (ﮯ ﮰ ﮱ) الأنعام: 102، يعلم المستمع: أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعيًّا ظاهرًا، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر.

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي، لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيًّا أو عقليًّا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة، وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبليد، والفقيه وغير الفقيه، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه، ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه، ثم أوجب ألا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئًا من ظاهره؛ لأن هناك دليلاً خفيًّا يستنبطه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره، كان هذا

وقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) الآية[1] أي: علماً وإحاطة ثم ينبئهم بما عملوا[2].

وقوله عن قول عيسى: (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ) الآية[3] أي: تعلم غيبي ولا أعلم غيبك[4].

تدليسًا وتلبيسًا، وكان نقيض البيان وضد الهدى، وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان. فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره، أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد؟ ! أم كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة! ؟). الرسالة المدنية في مجموع الفتاوى 6/390.

وقد نقلت كلامه بطوله: لأنه قاعدة عامة في إبطال ما ادّعاه المتكلمون في نصوص القرآن، وما ادّعاه النصارى في كلام الرسل، وأولوه على غير تأويله، كلفظ الأب والابن وروح القدس. قال الإمام ابن تيمية عن النصارى: (وتبين أنهم حملوا كلام الأنبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم، وهذا من أبلغ ما يكون من تحريف كلامه عن مواضعه، وتبديل معاني كلام الله). الجواب الصحيح 3/261، وينظر أيضاً: 3/198، 240، 473، وأضواء البيان للشنقيطي 7/470.

[1] سورة البقرة: آية 210.

[2] سورة الفجر: آية 22.

[3] تأويل الإتيان والمجيء بإتيان أمره مستند على قاعدة من قواعد التعطيل، وهي: إنكار أفعال الرب تعالى، وأنه لا يقوم به فعل ألبتة، بل هو فاعل بلا فعل، وأن الفعل هو عين المفعول! وهذا مخالف للمعقول والمنقول عن الرسل من أن الرب فاعل حقيقة، وأنه يستحيل أن يكون الفعل عين المفعول، بل هي حقائق معتبرة: فاعل وفعل ومفعول. ولهذا؛ فالصواب أن الآيتين على ظاهرهما من كونه سبحانه يأتي حقيقة من غير تمثيل ولا تكييف، فإن الأصل حمل الكلام على حقيقته، كما أن في السياق ما يبطل التأويل: حيث عطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه، فدل على التغاير، وأنه سبحانه يأتي حقيقة كما أن الملك يأتي

وقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ)[1] أن بيعتهم[2] وثيقة وبها لهم رضوان الله[3].

وقوله: (□ □ □) أي: إنه كريم جواد منعم بإرادة واختيار لا بالطبع والقبض كما زعمت اليهود أن عطاءه لا بالقصد، ولذلك قالوا: (ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □) الآية[4].

حقيقة، بل مجيئه أولى من مجيء الملك. ينظر: مختصر الصواعق لابن القيم 3/848، 856، 1119، وشرح حديث النزول لابن تيمية ص: 156 ت. د. الخميس، ومجموع الفتاوى 6/217.

[4] سورة البقرة: آية 115.

[5] اتفق السلف على إثبات الوجه لله سبحانه على ما يليق به من غير تمثيل ولا تكييف، كما وردت به النصوص من الكتاب والسنة وتفاسير الصحابة والتابعين. ينظر: الرد على الجهمية للدارمي ص: 99، الشريعة للآجري 2/13، التوحيد لابن خزيمة 1/26، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 3/458، أما قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ) فقد اختلف العلماء في هذه الآية: هل هي من آيات الصفات فيفسر الوجه بالصفة، أو ليست منها فيفسر بالجهة والقبلة؟ قولان مأثوران عن السلف، قال الإمام ابن تيمية مبيناً أن الآية لا تجري على قواعد التأويل، وإنما تفسير السلف لها على مقتضى الظاهر: (فهذه الآية إما أن يكون ظاهرها أن وجه الله الذي هو الصفة (ثم)، أو أن يكون ظاهرها أن الذي (ثم) هو القبلة المخلوقة، أو يكون ظاهرها أن كليهما (ثم)، أو تكون مجملة تحتمل الأمرين. فإن كان ظاهرها هو الأول أقرت على ظاهرها، ولا محذور في ذلك؛ ومن يقول هذا لا يقول: إن وجه الله هو نفسه في نفس الأجسام المستقبلة، فإن هذا لا يقوله أحد من أهل السنة، بل يقول: (فثم) إشارة إلى البعيد. . . والعبد إذا قام إلى الصلاة فإنه يستقبل ربه والله يقبل عليه بوجهه ما لم يصرف وجهه عنه، كما تواترت بذلك الأحاديث الصحاح. . . وإن كان ظاهرها أن الذي (ثم) هو القبلة المخلوقة فقط لم تكن مصروفة عن ظاهرها إذا فسرت بذلك. . . وإن قيل: إن ظاهرها يتناول الأمرين، أي: فثم جهته التي يصلي إليها العبد، وثم وجهه الذي يستقبله المصلي، وكل ذلك موجود

وذكر اليدين من باب الاستعارة والمجاز وتعريف العباد أنه فاعل مختار يرزق من يشاء بغير حساب[1].

وقوله: (ٱ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ) الآيات[2] أي: أنعم على العباد بذلك، لا أن له أيدياً متعددة، تعالى الله وسبحانه[3].

في توجه العبد). بيان تلبيس الجهمية 6/74. وينظر أيضاً: مختصر الصواعق لابن القيم 3/1010، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 1/289.

[1] الوجه في اللغة: مستقبل كل شيء؛ لأنه أول ما يواجه منه. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري 6/351، معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6/88، كتاب التوحيد لابن خزيمة 1/51. قال ابن القيم في مختصر الصواعق 3/997: (وهو في كل بحسب ما يضاف إليه: فإن أضيف إلى زمن كان الوجه زماناً، وإن أضيف إلى حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه، وإذا أضيف إلى من (ليس كمثله شيء) كان وجهه تعالى كذلك). وقال أبو بكر ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه ص: 207: (فأما ما ذهب إليه المعتزلة من تشبيه ذلك بوجه الثوب، ووجه الحائط، فغلط من التمثيل، من قبل أن وجه الثوب والحائط ليس هو نفس الثوب والحائط، بل هو ما واجه به وأقبل به، وكذلك وجه الأمر: ما ظهر منه في الرأي الصحيح، دون ما لم يظهر، وإذا لم يجز في اللغة استعمال معنى الوجه على معنى الذات على الحقيقة في موضع، وقد ورد إطلاق الكتاب والسنة بذلك، لم يكن لما ذهبت إليه المعتزلة وجه، ووجب أن يحمل الأمر فيه على ما قلنا أنه وجه صفة، ولا يقال هو الذات ولا غيرها).

[2] سورة القصص: آية 88.

[3] في هذه الآية دليل على إثبات صفة الوجه، ودلت على بقاء الذات ببقاء الصفة، ولو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ في معنى الذات، فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصل ثابتاً للموصوف؛ ولهذا فسّر بعض السلف الآية بالذات مع إثبات الوجه. ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح

وقوله لإبليس: (ۋ ۋ   ې) الآية[1] أي: اعتنيت بآدم وجعلته خليفة في الأرض على ما فيها[2].

وقوله: (   )[3] أي: إن السماوات أشرف من الأرض، وكلاهما ملكه وفي قبضته وتصريفه[4].

البخاري للغنيمان 1/273، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص: 65. وقد أنكرت الجهمية ومن تبعهم صفة الوجه، وتأولوا الآية بالذات فقط. ينظر: مقالات الإسلاميين 1/265، أساس التقديس للرازي ص: 155، الكشاف للزمخشري 4/46، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص: 12. وهذا الـتأويل مخالف لما عليه الصحابة والتابعون من دلالة الآية على صفة الوجه لله تعالى من غير تمثيل، فإن تفسير الوجه بالذات لا يعرف في لغة العرب، كما قال ابن خزيمة وابن فورك وغيرهما، وإنما يطلق الوجه على جزء من الذات لا أنه هو الذات. ينظر: كتاب التوحيد 1/57، مشكل الحديث ص: 259. وفي تفسير الآية معنى آخر ذكره بعض السلف، وهو: أن كل شيء هالك إلا ما أريد به وجه الله، بمعنى التوجه والقصد والإخلاص. ينظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان 1/275، وتفسير ابن كثير 6/262.

(4) سورة طه: آية 46.

(1) سورة المجادلة: آية 7.

(2) معية الله لخلقه نوعان: عامة بمعنى العلم، وخاصة بمعنى النصرة كما في الآية، وهذا هو ظاهر الآية من غير تأويل كما في لغة العرب: أن (مع) لمطلق المصاحبة والمقارنة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوباتها، ولا تستلزم مخالطة أو حلولاً أو مماسة. ينظر: الكتاب لسيبويه 4/228، بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية 6/16، مختصر الصواعق 3/1240.

(3) سورة المائدة: آية 116.

(4) ينظر في تفسيرها: تفسير الطبري 11/238، وفيها إثبات نفس لله هي ذاته الموصوفة سبحانه من غير تمثيل، خلافاً للمتكلمين. ينظر: بيان تلبيس الجهمية 7/427. وفيها إثبات بشرية عيسى عليه السلام ورسالته، خلافاً للنصارى.

(1) سورة الفتح: آية 10.

وقوله عن السفينة: (ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ)[1] أي: مع كونها ألواح ودسر فهي محمولة محفوظة محروسة من الغرق والكسر، محاطة بالعناية الإلهية[2].

---

(2) في الأصل: (يبعثهم).

(3) تفسير الآية على ظاهرها من غير تأويل بمعنى: أن مبايعتهم للنبي مبايعة لله؛ إذ هو الواسطة، ولمّا كان سبحانه فوق خلقه كانت يده فوقهم، ففيها إثبات لليد من غير تمثيل. ينظر: مختصر الصواعق 3/990، القواعد المثلى لابن عثيمين ص: 77. وفسرها بعض السلف بالقوة، وهذا ليس تأويلاً بل أخذاً بما يدل عليه السياق، وهو لا يخالف التفسير الأول، ولا يمنع إثبات اليد من نصوص أخرى. ينظر: تفسير الطبري 22/210.

(4) سورة المائدة: آية 64. وقول اليهود: إن يد الله مغلولة، يقصدون أنه بخيل غير جواد، تعالى الله عن إفكهم، فأبطل سبحانه قولهم: (مغلولة) وأثبت اليد له على ما يليق به من غير تمثيل، وأنه واسع العطاء كيف يشاء، فقال سبحانه: ( ). وقيل: مغلولة عن عذاب اليهود! كقولهم: (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ). ونقل عن السدي: مغلولة فلا يبسطها حتى ترد علينا ملكنا. والأول هو الذي يدل عليه السياق، وعليه جمهور المفسرين. ينظر: تفسير الطبري 10/455. وتفسير (مغلولة) أي: أن عطاء الله بلا اختيار، ليس هو تفسير جمهور العلماء، فإن هذا يقوله الفلاسفة وغيرهم ممن يسلبون الإرادة عن الله وأن فعله مقارن لمفعولاته فلا يقع عن اختيار! وقاله من فلاسفة اليهود موسى بن ميمون الأندلسي، تبعاً لأرسطو في نظرية الفيض. ينظر: دلالة الحائرين ص: 531. وينظر في إبطاله: تهافت الفلاسفة ص: 288، مجموع الفتاوى لابن تيمية 8/86.

(1) إثبات اليدين لله تعالى حقيقة من غير تمثيل هو ما دلت عليه النصوص المتضافرة من أكثر من وجه، وتأويلها بالنعمة أو القدرة إن صح في سياق فلا يصح في كل سياق، قال ابن القيم في مختصر الصواعق 3/987: (ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، وروداً

وقوله لموسى /: (ﭬ ﭭ ﭮ)[1] أي: أسخر لك فرعون وزوجته، وأحببك إلى كل من يراك[2]، وأردّك إلى أمك مستوراً عليك حالك[3]. 91/أ

وقوله: (ﮣ ﮤ ﮥ)[4] يعني: التوراة. والكتابة بمعنى: القضاء وهو الحكم[5].

متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة من: الإمساك والطي والقبض والبسط. . .). وينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة 1/195.

(2) سورة يس: آية 71.

(3) تدل على أن الله خلق الأنعام كسائر خلقه، وأضاف العمل لليد والمراد صاحبها، ولم يقل أحد من السلف إن ظاهر الآية يدل على أن لله أيادي كثيرة، بل لله يدان حقيقيتان يدل عليهما إضافة لفظ اليد لله؛ والتعبير عن المثنى بصيغة الجمع: لمناسبة التعظيم الذي أضافه لنفسه سبحانه، كقوله في سورة التحريم: آية 4: (ﮖ ﮗ ﮘ)، والعرب لا تضيف لفظ اليد للحي على أي معنى كان إلا إذا كان من شأنه أن يكون له يد حقيقية. ينظر: مختصر الصواعق 3/958، القواعد المثلى لابن عثيمين ص: 76.

(1) سورة ص: آية 75.

(2) لا يصح ما ذكره المؤلف، بل هذه الآية من أصرح الآيات في إثبات اليدين لله تعالى من غير تأويل أو تمثيل؛ فقد جاءت بلفظ التثنية الذي يبطل تأويلها بالنعمة أو القدرة، كما أسند الفعل إلى الفاعل وعداه إلى اليد وأدخل حرف الجر (الباء) ليكون أصرح بالمباشرة، وهذه مزية أبينا آدم عليه السلام على غيره من البشر. ينظر: مجموع الفتاوى 6/366.

(3) سورة الزمر: آية 67.

(4) التصريح بلفظ اليمين دليل على إثبات اليد حقيقة لله سبحانه، قال ابن كثير في تفسير الآية 7/113: (وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف، قال البخاري: قوله: (ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ)... عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ

وقوله: (ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ)[1] أي: ختمها وحكم بها[2].

وقوله: (□ □ □ □) الآية[3]، فهو من باب الاستعارة والمجاز، كما يقال: قامت الحرب على ساق. والمعنى: كشف الغطاء وشهود ما تواعدتهم الرسل به، ثم يدعون إلى السجود تهزؤاً[4] بهم وقد منعوا منه فلا يستطيعون[5].

فقال: يا محمد: إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله □ حتى بدت نواجذه؛ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله □ : (ۈ ۇ ۆ □ □ □ □ □ □) الآية). أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (ح4811)، ومسلم في صحيحه (ح 2786).

(1) سورة القمر: آيتا 13، 14.

(2) هذا هو التفسير المطابق لظاهر الآية من غير تأويل، وفيه إثبات العينين لله، فإن العين إنما جمعت مشاكلة لإضافتها لضمير الجمع، وقد استدل بالآية على إثبات العينين لله أبو الحسن الأشعري كما في الإبانة ص: 22 ت. فوقية، وينظر: مختصر الصواعق 1/68، ومن فسرها من السلف: بمرأى منا، فهو تفسير بلازم المعنى الذي تدل عليه. ينظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص: 70.

(1) سورة طه: آية 39.

(2) في الأصل: (تراك).

(3) قال الإمام الدارمي في كتابه النقض على المريسي 2/831: (لا يجوز في كلام العرب أن يوصف أحد بالكلاءة إلا وذلك من ذوي الأعين. . . وإنما أصل الكلاءة من أجل النظر، وقد يكون الرجل كالئاً من غير نظر ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوي الأعين). وقد جاء لفظ العين مضافاً إلى الله في القرآن مفرداً ومجموعاً، وورد في السنة بلفظ التثنية، وفيه جمع بين النصوص، ولهذا بوب البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد بآية: (ولتصنع على عيني)، وآية: (تجري بأعيننا)، ثم أورد حديث ابن عمر رضي الله عنه في وصف الدجال، وفيه: (وإن ربكم ليس بأعور) إثباتاً لصفة العينين لله تعالى. ينظر: نقض

وقوله: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)[1] هو كقوله: (ﮬ   )[2] أي: أبدعهما وأوجدهما بعد أن لم يكونا، وكذلك العرش[3].

لا أن الله جسم متمكن بالقعود على العرش، ولا أن له ساقاً فيكشفه للسجود، ولا أن له نفساً منفوسة كنفوس المخلوقين، ولا أن له عيناً حبب بها موسى إلى فرعون، وعيوناً جرت بها سفينة نوح، ويداً يقبض بها

الدارمي على المريسي 1/327، مختصر الصواعق 1/65، شرح كتاب التوحيد للغنيمان 1/281.

[4] سورة المائدة: آية 45.

[5] وهذا من الحكم الشرعي والكتابة الشرعية المأمور بها شرعاً. ينظر: تفسير الطبري 10/260.

[1] سورة الأنعام: آية 54.

[2] قال ابن كثير في تفسيره 3/263: (أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً). وهي من الكتابة الكونية، والمكتوبة في اللوح المحفوظ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي). رواه البخاري (ح 3194)، ومسلم (ح 7147). ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 2/658.

[3] سورة القلم: آية 42.

[4] في الأصل: (تهزياً).

[5] قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: (الصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية: (   ) هل المراد به الكشف عن الشِّدَّة، أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه؟ ولم تتنازع الصحابة والتابعون فيما يذكر من آياتِ الصفات إلا في هذه الآية؛ بخلاف قوله: (ﯿ)، (ﯓ ﯔ ﯕ) ونحو ذلك؛ فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أنَّ ذلك صفة لله تعالى؛ لأنه قال: (   ) ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسّر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه: (فيكشف الرب عن

جملة الأرض، ويميناً عظيمة يطوي بها السماوات، ويدين على قدر آدم خلقه بهما، ويدين مبسوطتين[1] أبداً بهما ينفق ويرزق، وأيدياً[2] كبيرة خلق بها الأنعام، ولا أنه جسم متجزئ أجزاء مع كل فرد[3] من البشر، / ولا أن له وجهاً وقفاً وجسماً كالأجسام، ولا أنه يأتي تارة مع الملائكة وتارة في ظلل من الغمام، بل كل ذلك مثله في ب/91

ساقه). وقد يقال: إنَّ ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه). وينظر: الصواعق المرسلة 1/252. فالاختلاف لم يكن في إثبات صفة الساق لله على ما يليق به من غير تمثيل، وإنما في دلالة ظاهر الآية، فلا حاجة إلى التأويل ودعوى المجاز على القول بأن المراد: الكشف عن الشدة؛ لأن هذا هو ظاهر الآية حسب ما يقتضيه السياق وتحتمله اللغة، وإن كان الأصح أن الآية دليل على صفة الساق، وذلك لمطابقتها لحديث أبي سعيد، والأخذ بالقول الموافق للحديث أولى من غيره. ينظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان 2/121.

(1) ورد في ستة مواضع بهذا اللفظ: سورة الأعراف: آية 54، ويونس: آية 3، والرعد: آية2، والفرقان: آية59، والسجدة: آية4، والحديد: آية4. وفي سورة طه: آية5 بلفظ: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ).

(2) سورة العنكبوت: آية 44. ومما يشار إليه أن آيات الاستواء ذكرت معطوفة على خلق السماوات والأرض بأداة (ثم) المفيدة للترتيب، وبإجماع الناس أن العرش كان قبل خلق السماوات والأرض، وهذا يبطل تفسير الاستواء بالخلق، ويدل على أن الاستواء صفة فعلية لله تعالى، وهو علو خاص ثبت بالنقل، مؤيد للعلو المطلق الذي لا ينفك عن الرب سبحانه المعلوم بالنقل والعقل.

(3) تفسير السلف للاستواء لا يخرج عن أربعة ألفاظ، هي: استقر وارتفع وعلا وصعد، وهو استواء يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكييف، وما ذكره المؤلف من أن معناه خلق باطل لا تعرفه اللغة، ولا يؤيده السياق، ويبطله اطراد اللفظ في جميع المواضع من غير تغيير، ومثله من زعم أن معناه استولى. وقد أبطله ابن القيم في الصواعق 3/888 من أكثر من أربعين وجهاً، منها: أن استواء الرب المعدّى بعلى المعلق بالعرش المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السماوات والأرض المطرد في

التفهيم والإشارة والعبارة كمثل ما[4] يقول أحدنا لصاحبه: أنا وأنت بعين الله وبين يديه، والذي ذهب منا ففي جنب الله. فيفهم عنه مراده وهو تعريفه بأن الله مطلع عليهما وأنه يخلف عليهما ما ذهب منهما من نفقة أو غيرها[5].

ومن كلام علمائنا رحمهم الله تعالى عند تلاوة الآيات التي زعمتم أن ظواهر ألفاظها مؤذنة بما يوهم التجسيم

موارده على أسلوب واحد ونمط واحد لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهو ما تعرفه العرب من كلامها الذي يدل على الاستقرار والعلو. وينظر: التمهيد لابن عبد البر 7/131، مجموع الفتاوى 5/144.

[1] في الأصل: (يدان مبسوطتان).

[2] في الأصل: (أيد).

[3] في الأصل: تكررت كلمة (فرد).

[4] في الأصل: تكررت كلمة (ما).

[5] لم يذكر أحد من السلف ممن أثبت الصفات كما جاءت بها النصوص ما ذكره المؤلف مما هو من التشبيه أو التكييف كقوله: كنفوس المخلوقين!. . . على قدر آدم!. . . وقفاً وجسماً كالأجسام! ! وأيضاً: لم ينسب السلف لله تعالى ما لم يرد بالنصوص كالجسم ونحوه إلا على سبيل التفصيل، فما وافق معناه معنى النصوص أثبتوا المعنى وتوقفوا باللفظ، والمؤلف جرى على طريقة المؤولة من التشنيع على المثبتة للصفات، وهم لم يفهموا مقالة أهل السنة، لذا لم يعرفوا الفرق بينها وبين مقالة النصارى واليهود، وقد بيّن الإمام أحمد، في ردّه على الزنادقة والجهمية ص: 280 ت. دغش، الفرق بين مقالة السنة في إثبات الصفات ومقالة النصارى، فقال رحمه الله: (لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته وبنوره، لا متى قدر ولا كيف قدر). وقال الإمام الدارمي في نقضه على المريسي 2/828: (فكم تكرر قولك: جسم مركب! وأعضاء وجوارح وأجزاء! كأنك تهول بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصفه في كتابه وما وصفه الرسول، ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين، ولا بعضو ولا بجارحة، ولكنا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات التي أنت ودعاتك لها منكرون). وقال الإمام ابن تيمية في الجواب 5/15:

والتشبيه أنهم يقولون: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسل الله وبما جاء عن رسل الله على مراد رسل الله[1].

ومن أقوالهم كذلك: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات الحديثة صفة قديمة، فليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كصفته صفة، ولاكفعله فعل[2]. ولقد قال أمير المؤمنين عثمان لأعرابي وحشي جافٍ: أين ربك؟ فقال

(والذين قالوا من نفاة الصفات المعتزلة والجهمية: إن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى، هو متجه على من جعل الصفات جواهر). فقول عامة نفاة الصفات كقول النصارى بجعل الصفات قائمة بأنفسها! لكنهم نفوها عن الله بحجة التشبيه والتجسيم! فما رده المؤلف على النصارى بتأويل الصفات ليس بشيء، فإن دعوى التشبيه والتجسيم لازمة لكل من يثبت وجوداً موصوفاً، فالوصف بالوجود وكمال الوجود مع نفي التشبيه وقطع الطمع عن إدراك الكيف طريقة الأنبياء وأتباعهم، ووصفه بعدم كمال الوجود أو بالعدم بالكلية طريقة أعداء الرسل كفرعون، وهو تشبيه للحي القادر بالميت والجماد والمعدوم، وهذا أشنع. ينظر: مجموع الفتاوى 16/214، مختصر الصواعق 1/53.

[1] هذا القول مأثور عن الإمام الشافعي رحمه الله. نقله ابن قدامة في لمعة الاعتقاد وذم التأويل ص: 25، وليس من معناه: أن مراد الله ورسوله لا معنى له، أو أنه لا يعلم معناه، بل معناه: أن لله مراداً في كلامه نعلم معناه دون مآله وكيفيته فنؤمن به ونسلم، وكذا كل ما لم يطلعنا الله على تفصيله، أو قصر علمنا في فهمه، فنؤمن به ونسلم، فالجملة تدل على تمام التسليم، لا التكلف بالتأويل، أو ترك التدبر والإيمان بدعوى التفويض الذي حقيقته التجهيل؛ فإن الإمام الشافعي من أهل العربية الذين لا يخفى عليهم معاني الألفاظ، ومن المحال أن يخاطبنا الله ورسوله بما لا معنى له، أو لم يعلمنا معناه؛ فإن الوحي جاء هدى وشفاء للناس. ينظر: ذم التأويل لابن قدامة ص: 44، مجموع الفتاوى 5/41، 6/355.

له: بالمرصاد يا عثمان، فكاد عثمان أن يموت فرقاً من خشية الله تعالى[1].

وما مثلكم، / أيها النصارى في قولكم: إن أنكروا علينا الشرك أنكرنا عليهم التجسيم، إلا كمثل امرأة صوّتت 92/أ
وإلى جانبها طبل فضربت عليه لتستر بصوته تصويتها، فقيل لها: أين الرنة من الرنة والريح من الريح؟!. وكذلك أنتم يقال لكم: أين قول رب العالمين بنون العظمة: (ﯘ ﯘ) الآية[2]، (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) [3]، ( ) [4] من قولكم الإفك القبيح: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد؟![5].

---

[2] نقل هذه الجملة القاضي عياض في الشفا 1/338، والقرطبي في تفسيره 16/11، فإذا كانت ذاته غير معطلة عن الصفات ولا كصفته صفة - وهذا ما يثبته السلف - فلماذا التأويل وصرف النصوص عن ظاهرها؟!.

[1] ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار 2/370، والجاحظ في البيان والتبيين 3/142، وفيها أن الأعرابي عامر بن عبد قيس العنبري، وأبو سعد الأبي في نثر الدر 4/37، وابن عبد ربه في العقد الفريد 4/28، وغيرهم. وليس في المصادر الجملة الأخيرة (فكاد عثمان. . .).

[2] سورة الزخرف آية : 32.

[3] سورة الحجر آية : 9.

[4] سورة القمر آية : 49.

[5] وينظر لأجوبة الإمام ابن تيمية، عن مقابلة النصارى تثليثهم وشركهم بما عند أهل الإسلام من إثبات الصفات، في: الجواب الصحيح 4/405، في أكثر من مائة صفحة من خمسة عشر وجهاً، ومما ذكر ردّاً على النصارى: أن النصارى ليس معهم في إثبات التثليث من كلام الأنبياء شيء، وإنما ينقلونه من أمانتهم! وأيضاً: أن إثبات الصفات هو ما جاءت به الرسل، وإن سُمي تجسيماً فمثله مذكور في التوراة وسائر كتب الأنبياء، وليس مما ابتدعه المسلمون، فهو لازم لأهل الكتاب، بخلاف التثليث فهو مختص بالنصارى. وأيضاً: أطال في إبطال تسمية الله بألفاظ مبتدعة، أو حمل ألفاظ الرسل على معانٍ مبتدعة، نقضاً لبدع

وله مثال: قول المنادي: معشر الناس، الخاص والعام، الجيد والرديء، والجهاوات وغيرها، من تأخر لا يسأل ما يجري عليه![1].

فالله الله في أنفسكم أيها النصارى قبل الموت.

النصارى، وأنهم من أعظم الناس تجسيماً حين زعموا أن جسداً إله تام! فلا يمتنع أن يقال مثل ذلك في نظائره.

(1) الجهاوات: من أجهى الرجل إذا ظهر وبرز، كما في اللسان 3/230.

أراد المؤلف أن قول النصارى حقيقته التغاير بين الأقانيم الثلاثة كما يتغاير الناس، بخلاف الله تعالى فهو واحد لا شريك له، والخطاب في القرآن فيما أضيف إلى الله جاء بصيغتين:

إحداهما: صيغة المفرد، كقوله في طه: آية 14: (ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ) ونحوها، وهذه الصيغة في مقام تأكيد التوحيد والعبودية ونفي الشرك.

والثانية: صيغة الجمع، وهي في مقامات التعظيم والامتنان على الخلق وتسخير الملائكة والمخلوقات لله تعالى. وكلتاهما جارية على أساليب العرب في كلامها، الذين نزل القرآن بلغتهم. وقد جمع الله بين الصيغتين في مواضع؛ لكون الصيغة الثانية دالة ومؤكدة على ما تدل عليه الأولى من التوحيد والعبودية، كما في قوله: (ڎ ڎ ڎ ڎ ژ ژ ژ ژ). فجمع في الأولى لبيان الامتنان، وأفرد في الثانية حيث مقام العبودية والصلاة. ينظر: مجموع الفتاوى 5/129.

فصل

ثم قلتم عقب ذلك: **إن كليام قال لكم: إنهم ينكرون علينا في قولنا: إن الله تعالى جوهر. وإنكم أجبتموه قائلين: إننا نسمع عن هؤلاء القوم أنهم أهل فضل وعلم وأدب ومعرفة، ومن هذه صفته وقد قرأ شيئاً من كتب الفلسفة والمنطق والحكمة، فما حقهم ينكرون هذا علينا؟**

وذلك إذ ليس في الوجود شيء إلا وهو: إما جوهر وإما عرض؛ لأن أي أمر نظرنا فيه وجدناه: إما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره وهو الجوهر، وإما مفتقراً في وجوده إلى غيره / ولا قيام له بنفسه وهو العرض، ولا يمكن أن يكون للقسمين قسم ثالث، فأشرف هذين القسمين: القائم بذاته، الغير مفتقر في وجوده إلى غيره وهو الجوهر. ب/92

ولما كان الباري تقدّست أسماؤه أشرف الموجودات، أو هو سبب سائرها؛ أوجب أن يكون أشرف الأمور والأعلى منها الجوهر، ولهذا قلنا: إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، كما نقول: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، وإلا لزم أن يكون قوامه بغيره ومفتقراً في وجوده إلى غيره، وهذا فمن أقبح الأقاويل أن يقال على الباري سبحانه وتعالى.

< ثم قلتم: إن كليام قال لكم عنّا: إنّنا إنما ننكر[1] من أن نسميه جوهراً، لأن الجواهر ما قبلت أعراضاً وما شغلت حيّزات، فلهذا لم

[1] في الرسالة والجواب الصحيح 5/7: (**نمتنع**).

نطلق القول بأنه جوهر. فقلتم له: إن الذي يقبل العرض ويشغل الحيّز إنما هو الجوهر الكثيف، فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضاً ولا يشغل حيّزاً، مثل: جوهر العقل، وجوهر النفس، وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة. وإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضاً ولا تشغل حيّزاً فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركّب اللطائف في الكثائف يقبل عرضاً ويشغل حيّزاً؟ كلّا[1] > [2].

فالجواب: أمّا قولكم: إن الله جوهر، بمعنى: أنه موجود واجب الوجود: فلا بأس به، مع القول بالاستحالة للتناهي على وجوده، ونفي الحيزية عنه، وتنزيهه عن مشابهة ما سواه من الجواهر المحيّزية والقائمة بها الأعراض، وإن كان بعض علمائنا ينكرون هذه التسمية تنزيهاً للرب تعالى، كما بيّناه[3].

---

[1] في الرسالة ن 1 زيادة: (**كلا من ذلك**)، وفي الرسالة والجواب الصحيح 5/5 الحوار بصيغة: (فقلت لهم. . . فقالوا).

[2] ما بين المعقوفتين كتب في هامش الأصل، وهو في الرسالة.

[3] تقسيم الموجودات إلى: جوهر وعرض، هو المشهور عند الفلاسفة القدماء. وعند المتكلمين: أن الجوهر والعرض من أقسام المحدثات، وهذا أصل دليل الحدوث، وأن الوجود ينقسم إلى حادث وقديم، ولهم تقاسيم غيرها. ينظر: بيان تلبيس الجهمية 2/357، الرد على المنطقيين ص: 304. ويلاحظ أن التقاسيم قائمة على ما يفرضه الذهن لا ما يوجد في الخارج، وهو في الوجود الكلي المشترك، فالتقاسيم أصولها من علوم الفلاسفة القائمة على النظر في الكليات، وفيها غفلة عن ما أبدعه الله من آياته الشاهدة على وجوده ووحدانيته، واستعاضة عن ذلك بمقدمات عويصة لا تسلم من الباطل! ينظر: درء التعارض 5/202. قال الجويني في لمع الأدلة 1/86: (العالَم عند سلف الأمة: عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، وعند

وأما قولكم: إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيّزاً ولا يقبل عرضاً، مثل: جوهر النفس، وجوهر الضوء، وكل جوهر لطيف مثل ذلك: فإنه قول مدخول مزلزل[1]؛ وذلك أن كل واحد من النفس والعقل والروح فإن العلماء مختلفون في ماهيتها[2]:

خلف الأمة: عبارة عن الجواهر والأعراض)، ولهذا كثر اختلاف الفلاسفة والمتكلمين في حدّ كل منهما. ينظر: الرد على المنطقيين ص: 132، 487، والفصل لابن حزم 5/58. وحدّ الجوهر بين الفلاسفة والمتكلمين لا يقع على وصف واحد؛ ولهذا اختلفوا فيه وفي صحة إطلاقه على الله عز وجل: فالفلاسفة والنصارى تبع لهم في ذلك يطلقون الجوهر على الله أو ما يسميّه الفلاسفة (المبدأ الأول)، ويخالف في هذا جمهور المتكلمين؛ فيمتنعون من إطلاق هذا الوصف على الله. قال الغزالي في معيار العلم ص: 301 مبيناً الخلاف: (ويقال: (جوهر) لكل ذات وجودُها ليس في موضوع، وعليه اصطلاح الفلاسفة القدماء. . . والمتكلمون يخصون اسم (الجوهر) بالجوهر الفرد المتحيّز الذي لا ينقسم، ويسمون المنقسم جسماً لا جوهراً، وبحكم ذلك يمتنعون عن إطلاق اسم الجوهر على المبدأ الأول عز وجل، والمشاحّة في الأسماء بعد إيضاح المعاني دأب ذوي القصور). وقال مثله الآمدي في المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ت. الأعسم ص: 370، بل وقال الرازي: (إن كان المراد بالجوهر المتحيز الذي لا ينقسم فهو قول لا يصح إطلاقه على الله تعالى. أما إن كان المراد بالجوهر كونه غنيّاً عن المحل، فهذا المعنى حق، والنزاع ليس إلا في اللفظ). كما في معالم أصول الدين ص: 45. وينظر في تعريف الجوهر والعرض: لمع الأدلة للجويني ص: 87، الإنصاف للباقلاني ص: 16، المعجم الفلسفي لصليبا 1/424.

والمنع من إطلاق لفظ الجوهر على الله قائم على ثلاث حجج:

الحجة الأولى: عقلية، وهي مستند عامة المتكلمين، المستدلين على حدوث العالم بالجواهر والأعراض، وعامة حجتهم قائمة على منازعة الفلاسفة والنصارى في معنى الجوهر

بمبحث: هل الروح جسم، أو قوة من القوى، أو خاصية من الخواص، أو معنى من المعاني الغيبية التي لا تدرك ولا يدرك وجودها / الحيّ إلا بالحس والحركة؟ 93/أ

وبمبحث: هل النفس والعقل الدارك المدبر المستفاد كل واحد منهما جوهر لطيف روحاني متصف بالصفات، أو هما صفتان من صفات الإنسان المشار إليه بقول: أنا؟

والعرض، ينظر: الأجوبة الفاخرة ص: 135، وأدلة الوحدانية ص: 93، والمغني للقاضي عبد الجبار 5/98.

وهذه الحجة قائمة على إثبات الجواهر والأعراض، وإثبات حدّهما، وكل ذلك طال جدال الناس حوله، مما يضعف هذه الحجة، لا سيما ودليل الجواهر والأعراض انتقده بعض المتكلمين كالنّظام والشهرستاني والرازي وغيرهم، ومادته من الفلسفة، فخلافهم راجع إلى خلاف الفلاسفة، وقد سمّاه جوهراً أرسطو وخالفه غيره. ينظر: الجواب الصحيح 5/10، والجمع بين رأيي الحكيمين للفارابي. ولهذا عاد الآمدي إلى حجة الشرع والتوقيف في (أبكار الأفكار 2/7)؛ لكثرة الإيرادات على الحجة العقلية. وينظر: الآمدي وآراؤه الكلامية د. الشافعي ص: 409، وفي درء تعارض العقل والنقل 4/139 مناقشة لحجج المتكلمين في معنى الجوهر.

الحجة الثانية: لغوية، وهي عدم صحة التسمية بلسان العرب، وقد أشار إليها الآمدي في أبكار الأفكار 2/10، قال الإمام ابن تيمية في الجواب 5/10: (وأما اللغة: فإن لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء، ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض، وإنما هو معرب، كما ذكر ذلك الجوهري وغيره. . . وهذا اللفظ ليس موجوداً في القرآن، ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغة: هو الجوهر المعروف، وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهراً فهو أمر اصطلاحي، ليس هو من الأسماء اللغوية، ولا العرفية العامة، ولا الأسماء الشرعية. وقد قيل: إنه مأخوذ من كلام الأوائل كاليونان وغيرهم). وحصر المكلاتي في لباب العقول ص: 30 معنى الجوهر عند العرب في شيئين: الحجارة التي هي في غاية النفاسة، ماهية الشيء وما به ماهيته، ومنه قولهم: زيد جيد الجوهر. وينظر: لسان العرب 3/227.

والقول في البحث عن النفس أن يقال فيها: إنها إما أن تكون جملة مزاج البدن، أو يكون المزاج آلة لها وأخلاقها تابعة له[1].

والقول في البحث عن العقل، فهو أن يقال: إما أن يكون جملة مزاج الدماغ، أو مزاج الدماغ ببطونه الثلاثة

الحجة الثالثة: شرعية، وهي: عدم ورود ذلك في كلام الأنبياء، قال القرطبي في الإعلام ص: 78: (ثم نقول لهم: لأي شيء تحكمتم بتسمية خالقكم جوهراً؟ وفي أي موضع من كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك؟ أو على لسان من بلغكم الأمر به؟ ولا تجدون لإثبات الأمر بذلك سبيلاً غير التحكم! ولو كنتم ممن يستحيي من الله لما تحكمتم عليه بأن سميتموه بما لم يسم به نفسه). وهذه الحجة قائمة لا مناص عنها لكل أحد، وبها يتبين سلامة منهج السلف من الإعراض عن الألفاظ المحدثة، ورد معانيها إلى المعاني الشرعية، إذ إن أسماء الله توقيفية، وله سبحانه الأسماء الحسنى، فلا يسمّى الله تعالى جوهراً، ولكن الإخبار عن الله يصح عند الحاجة بكل لفظ محمود معناه موافق لما دلّت عليه الأدلة الشرعية. ولفظ الجوهر والعرض: إن أريد به ما هو حق، ككونه سبحانه قائماً بنفسه، أو متصفاً بالصفات ونحو ذلك؛ فهذا حق، ولكن اللفظ يتوقف فيه. ينظر: الجواب الصحيح 5/11، بيان تلبيس الجهمية ط. المجمع 1/219.

فلفظ الجوهر مما دخل على النصارى من ألفاظ الفلاسفة، وليس من ألفاظ الأنبياء. كما أشار الإمام ابن تيمية إلى أن تسمية الباري جوهراً من أهون ما ينكر على النصارى، وأنه دخل عليهم من تعظيمهم ووثوقهم بالفلاسفة، على خلاف ما كان عليه المسيح وحواريّوه. ينظر: الجواب الصحيح 5/11، 36.

[1] أشار الإمام ابن تيمية في الجواب 5/43: إلى أن النصارى مثلوا بالأمثلة ولم يقيموا على ثبوتها دليلاً سوى كلام المتفلسفة! فلا حجة لهم في تفسيرها على من خالفهم فيها، إنما الحجة في كلام الأنبياء، أو ما دلت عليه العقول الصحيحة. كما منع عامة النّظار أن تكون النفس والعقل لا تقبل عرضاً، وأن الضوء عرض يقوم بغيره. ينظر: الأجوبة الفاخرة ص: 135، الجواب الصحيح 5/43.

[2] في الأصل (ماهيتهم).

آلة له، أو أنه صفة للعاقل الموصوف به يعقل به المعقولات ويدرك به المدركات[1].

ثم من البيّن أن هذه النفوس والعقول على كل تقدير مختلفات بالماهيات، ولو لم تكن مختلفات لكان مثلاً: عقل نمرود عقل إبراهيم، وعقل فرعون عقل موسى، ونفس هيرودس نفس المسيح، والذي يراه زيد بعقله يراه عمرو بعينه، ولم يكن الأمر كذلك، فثبت الاختلاف بين ماهيات العقول والنفوس، ولزم من ذلك تباين ذواتها[2]، ولزم من تباينها أن تكون كل نفس محيّزة بحيز، محاطة بمحيط نسبي روحاني متناهية في ذاتها إلى ذاتها،

---

[1] سبق سياق الخلاف في الروح والنفس في ل أ/85 ص 344.

[1] العقل في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: اختلف فيه اختلافاً كثيراً، في معناه وآلته. فمعناه يرجع إلى أربعة إطلاقات: الغريزة التي يفرق بها عن الحيوان وهي مناط التكليف، والعلوم الضرورية التي لا تنفك عن الإنسان وهي العقل الفطري، والعلوم التي اكتسبها بالنظر وهي العقل النظري، والعمل بما يوجبه العلم. ينظر: درء التعارض لابن تيمية 10/302، معيار العلم ص: 286، المعجم الفلسفي 2/83. وأما محله وآلته: فقيل: القلب، وقيل: الدماغ، وقيل: مبدؤه بالنظر والفكر الدماغ ومنتهاه بالإرادة القلب، وهذا ما عليه أهل التحقيق. ينظر: مجموع الفتاوى 9/303.

[2] خلافاً للقول بتماثل الأجسام أو الجواهر كما يقوله جمهور الفلاسفة والمتكلمين، ويخالف فيه بعضهم. ينظر: المحصل للرازي ص: 93. قال الإمام ابن تيمية: (ودعوى تماثلها مخالف للحس والعلم الضروري؛ فإنا نعلم أن حقيقة الماء مخالفة لحقيقة النار، وأن حقيقة الذهب مخالفة لحقيقة الخبز، وأن حقيقة الدم مخالفة لحقيقة التراب، وأمثال ذلك، وأن اشتراكهما في كونهما جوهرين هو اشتراكهما في كونهما قائمين بأنفسهما أو متحيزين أو قابلين للصفات، وهذا اشتراك في بعض صفاتهما، لا في الحقيقة الموصوفة بتلك الصفات). ينظر: درء التعارض 4/169.

وأن يكون كل عقل من العقول وكل جوهر روحاني كذلك، وأن يكون العقل الأول مغايراً بذاته لذات المبدع له مبايناً له، محدوداً بحصره محصوراً بحدّه، محاطاً مع إحاطته، محتوشاً[1] بين طرفي الأولية والآخرية والوجود والعدم والابتداء والانتهاء، / متناهياً في ذاته إلى ذاته، قابلاً للعدم والوجود معاً، ممكناً تقابله الحدوث[2]. ب/93

وإن الله سبحانه شيء لا كالأشياء، وموجود مطلق الوجود، وجوهر لا في حيّز وذوات مجردة، وصمد لا في موضوع[3]، وواجب الوجود أزلاً وأبداً، حيّ قيوم ليس بذي حياة مستفادة له من روح القدس التي أوجدها بعد أن لم تكن موجودة وحييَ بها بعد أن أوجدها كما زعمتم، وليس بذي نطق استفاده من الابن الموجود به من جوهره كما زعمتم، والذي لولاه بعد إيجاده له لم يكن ناطقاً به قبل إيجاده منه، كما زعمتم وقلتم: الأب موجود لذاته والابن ناطق لذاته والروح حيّة لذاتها، وكل واحد من الثلاثة غني قديم من وجه وفقير حادث من وجه، والثلاثة واحد!

---

[1] أي: مجموعاً. ينظر: لسان العرب 4/271.

[2] (الحصر والتناهي) أحد أدلة الفلاسفة المسلمين كالكندي، وبعض المتكلمين كالآمدي، على إثبات واجب الوجود. ينظر: أبكار الأفكار للآمدي 1/232، وتعليق الإمام ابن تيمية عليه في: درء التعارض 2/370، 3/49، وغاية دليلهم إثبات وجود واجب من غير تعيينه!. .

[3] هذا من الكلام المجمل الذي سار فيه المصنف على طريقة المتفلسفة، فإن الذي هو لا كالأشياء، أو مطلق الوجود، أو لا في موضوع، على سبيل الإطلاق؛ إنما هو العدم، والله موجود صمد موصوف بالكمال المطلق. ويصح مراد المصنف إذا قيد بالأشياء المخلوقة والوجود المخلوق والموضوع المخلوق، فإن الله سبحانه لا يحل في مخلوقاته، وليس شيءٌ منها حالّاً فيه، وهو مباين عنها. ينظر: التعليق السابق في ل أ/57 ص267.

بزعمكم الفاسد، فيا خسران من هذا رأيه ومذهبه وظنه بربه! والحمد لله على الهداية.

فثبت أنه لا بد لكل جوهر لطيف من حيّز لطيف روحاني يمتاز به عن باقي الجواهر اللطيفة المختلفة بالماهيات.

وأما تسميتكم للضوء جوهراً لا حيّز له: فغير مسلم، وإنما الضياء عرض قائم بعرض، وهو الشعاع أو النور المحمول على موضوع الشمس، أعني: ضوءها الباهر، وهو الجوهر لا النور القائم به ولا الضياء القائم بالنور، فإنهما عرضان لازمان له معلولان عنه، وهو جسم الشمس الشاغل حيّزه المكاني، فليس الضوء ولا النور بجوهر لا حيّز له كما / زعمتم، بل عرضان كما تبين. 94/أ

وأما قولكم في الله تعالى: إنه سبب لسائر الأشياء: فقول خطأ، وافقتم به قول الفيلسوف ذلك في موضعه[1]، وكان الصواب أن تقولوا: إنه سبحانه مسبب سائر الأسباب، كما أنه تعالى طابع الطبيعة ومعلل العلل ومكوكب الكواكب، وخالق كل شيء لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

---

(1) أي: الفيلسوف أرسطو والذي سمّى المحرك الأول بالعلة الأولى والسبب الأول! وأنه علة غائية تصدر عنه الأفلاك من غير اختيار، كحركة المعشوق لعاشقه!. ينظر: درء التعارض لابن تيمية 9/272.

فصل

ثم قلتم سياقاً: **وإنا لنعجب من هؤلاء القوم، يعنوننا معشر المسلمين، الذين مع أدبهم وفضلهم كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان: شريعة عدل، وشريعة فضل؟! لأنه لما كان الباري تعالى عدلاً وجواداً وجب أن يظهر عدله على خلقه، فأرسل موسى إلى بني إسرائيل، فوضع شريعة العدل وأمر بفعلها إلى أن استقرت في نفوسهم، ولمّا كان الكمال الذي هو الفضل لا يمكن أن يأتي به ويضعه إلا أكمل الكمال وجب أن يكون هو تقدست أسماؤه الذي يضعه، لأن ليس شيء أكمل منه، ولأنه جواد وجب أن يجود بأجل الموجودات، وليس في الموجودات أجل من كلمته، فلذلك وجب أن يجود بكلمته، فعلى هذا أوجب أن يتخذ ذاتاً محسوسة يظهر منها قدرة جوده[1].**

ولمّا لم يكن في المخلوقات أشرف من الإنسان اتّخذ الطينة البشرية[2] من السيدة مار مريم[3] المصطفاة على نساء العالمين[4]، وبعد

---

[1] في الرسالة ن 1 زيادة: (**ولما لم يكن في المخلوقات في عالم الكون أشرف من طبيعة الإنسان وجب أن يتصل بها أشرف المخلوقات من الباقيات الغير فاسدات وهي النفس الناطقة والعقل**).

[2] في الرسالة: (**اتخذ الطبيعة البشرية**)، وفي الجواب الصحيح 5/57: (**اتحد بالطبيعة البشرية**).

[3] في الرسالة ن 2: (السيدة الطاهرة **مرتمريم**). (مار ومرت) كلمة سريانية بمعنى: السيد، مذكر ومؤنث. ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية ص: 47 للقمص تادرس.

[4] في الرسالة ن 1 زيادة مطولة، وهي: (**الرفيعة الشريفة النسبين، التي من أبيها من سبط الملك،**

هذا الكمال لم يبق / شيء يوضع، لأن جميع ما تقدمه يقتضيه، وما يأتي بعده غير محتاج إليه[1]، وفي هذا القول مقنع والسلام. ب/94

فالجواب:

أما قولكم لكليام: إنكم عجبتم منّا كيف لم نعلم شريعة العدل وشريعة الفضل الآتي بها موسى وبهذه

أعني: داود الملك والنبي من جانب الله وخليفته في الأرض، كما شهد الإنجيل والقرآن، ومن أمها من سبط وبيت الإمامة التي تسمى الكهنوت، أعني بيت هارون أخي موسى، استحق أن يحل فيه أشرف الموجودات الذي لا شرف بعده، وهو روح الله وكلمته؛ ولهذا ورث المسيح الملك والإمامة وسلّمها إلى أهل نحلته.

ومما يدل على شرفه من هذا الكتاب ما ورد في سورة آل عمران: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين). ومعلوم أن مريم اصطفاها الله على نساء العالمين لأجل المسيح؛ ومَن تحصل أمّه أفضل نساء العالمين لأجله فهو أفضل الناس جميعهم.

ولما أرسل الله تعالى جبريل رئيس الأجناد السماوية إلى مريم العذراء ليبشرها به قال لها: (السلام عليك أيتها المباركة من النساء سيدنا معك) ولم يقل: سيدي؛ لكنه جمع جميع أجناد الملائكة العليين فجعله سيدهم، وبالحري إذا كان سيد العليين الروحانيين فالأولى أن يكون والبشريين السفليين. وقال لها: روح القدس تأتيك، وأيد العلي يحل عليك، من أجل هذا الذي يولد منك قدوساً وعظيماً.

وقد شهد القرآن أنه تكلم في المهد وسلم على نفسه وقال: السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً، فتأملوا أمر طفل (في المخطوط: طفلاً) **يعظم إلى أن يسلم على نفسه خاصة، فلو أن غيره أمثل منه سلم على غيره، فهيهات! ما أعمق هذا الخطاب حتى يفتخر على الخلق ويصلي على نفسه**

عيسى! وإنهما أغنيا العالم بتشريعهما عن كل ما جاءت به الأنبياء أو يأتي به قبلهما أو بعدهما. فإننا بحمد الله تعالى نعلم أن لله تعالى شريعتين كلّيتين عامتين شاملتين:

إحداهما: شريعته الإرادية، وهي شريعة الفضل الشاملة لأحكام إيجادنا وإيجاد العالم، وإمدادنا بالمواد وإمداد العالم، وتشريعها من حضرة الربوبية للمربوبين، أهل السماوات وأهل الأرض وسائر الخلق أجمعين.

ويسلم! فلو كان بشرٌ قبله أو بعده أجل منه كان يسلم عليه ثم يعطف بالسلام على نفسه.

وأيضاً: القرآن ينطق بأن الله جعل مريم وابنها آية للعالمين، وهذا يؤيد ما تقدم شرحه.

وإذا كان الإنسان الكامل المولود من مريم بلغت منزلته من العلو على منازل الناس جميعهم حتى الأنبياء والأصفياء والملائكة إلى هذا الحد الذي وصفته من اتحاده بكلمة الله الخالقة وروحه؛ وجب أن يكون هو الكمال). وهذه الزيادة سبق نظيرها في ثنايا الرسالة وجواب المؤلف عليها، وجواب قوله: (فلو كان غيره أمثل منه سلم على غيره. . إلخ) فيقال: أن عيسى اختص بالسلام على نفسه دون غيره لكونه منّ الله عليه بالنبوة والبركة والوصية فكثر حسادّه ولا سيما من اليهود، ولأن ولادته المعجزة من غير أب تجعله وأمه عرضة للأذى، فناسب أن يسلّم على نفسه. وأيضاً: أن السلام يدل على فضله على سائر أهل زمانه دون غيرهم ممن قبله أو بعده؛ لأن السياق في ذكر أحداث زمانه. وأيضاً: أن غلط النصارى في زعمهم ربوبية المسيح وبنوته لله، فلو صح زعمهم ما احتاج إلى السلام. وأيضاً: يحيى عليه السلام نال السلام من الله من غير عطف غيره معه؛ فالفضل ليس مما اختص به المسيح دون غيره من الأنبياء. ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 17/101.

[1] في الرسالة ن 2، ن 3، والجواب الصحيح 5/58 زيادة: (**لأن أي شيء بعد الكمال فيكون فاضلاً بل يكون دونه أو أخذ منه؛ والآخذ منه فهو لا يحتاج إليه**).

وهي سنة الله التي فطر الناس عليها، وأراد لهم ومنهم وبهم وعنهم وفيهم ما هم فاعلوه وقائلوه وواجدوه من خير وشر، ونفع وضر، وإيمان وكفر، وطاعة وعصيان، وسعادة وشقاوة، وغنى وفقر، وقوة وضعف، وصحة وسقم، وخَلْق وخُلُق، وعلم وعمل، ومذهب وملة، ورأي ونحلة، وموت وحياة، لا تبديل لخلق الله.

وهي كلمة الله التي بها خلقت السماوات والأرض وتشدّدت، كما في مزامير داود[1]، وليست بالمسيح كما 95/أ
زعمتم، ولا هي دين النصرانية الذي ادعيتم / <و>[2] ابتدعتم، وقد دللنا في ابتداع النصرانية وبيّنّا فساد باطلها فيما تقدم.

وأما الشريعة الثانية: فشريعته الأمرية الواردة من حضرة الإلهية، وهي التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، وهي شريعة العدل المشروعة لأولي الألباب المكلفين، والتي لم يأت فيها من التشريع إلا ما يثبته العقل أو يجوّزه، وأحكامها الأصولية: تعريف العباد أحدية الخلاق، وتعليمهم مكارم الأخلاق، وتكميل النفوس بحسن الاستعداد، واتخاذ المعارف والعبادة كالزاد، وقراءة عنوان السعادة، من فهرسة شريعة الإرادة، إذ الإنسان مريد مراد له، محملٌ ودليلٌ وزادٌ وتهيؤ للمصير إلى الحياة الأبدية، والنعيم المفضل للأمة المحمدية أهل الإسلام بدار السلام.

فهاتان الشريعتان مشروعتان من عند الله تعالى عدلاً وفضلاً من مبدأ الخلق وإلى إعادته، لا ما حصرتموه من القسمة فيما جاء به موسى وجاء به عيسى، وأضمرتم ما أضمرتم من قول: لا حاجة إلى إرسال أحد بعدهما.

---

(1) ينظر: سفر المزامير: 33/6. 95/ب

(2) زيادة يقتضيها السياق.

يعنون: الجحود لما جاء به نبيّنا محمد ، وابتعثه الله إلى العالمين بالهدى ودين الحق، بل وما جاءت به الأنبياء والرسل من قبل، وليس لهذا جواب إذ أنتم عارفون / به[1].

---

(1) للقرافي في الأجوبة ص: 136 جواب آخر: أن شريعة موسى عليه السلام عدل وفضل، وفيها من الإحسان في الأحكام ما هو ظاهر، وقلَّ أن يقع في الدنيا عدل محض، ولو قيل إنها عدل ويتبعها شريعة الكمال والفضل لم تكن تلك شريعة عيسى عليه السلام؛ لأنها جاءت بالمواعظ دون الأحكام، وتابعة ومقررة لشريعة موسى، ولم تكن مستقلة، ومقتضاه: أن شريعة الفضل هي شريعتنا المحمدية؛ لأنها مستقلة غير تابعة، واللائق بالكمال أن يكون متبوعاً لا تابعاً. ثم فصل في فضل الشريعة المحمدية على صاحبها أتم الصلاة والسلام.

ومن جواب الإمام ابن تيمية في الجواب 5/58: أن الشرائع ثلاث: شريعة أصلها العدل، وهي شريعة موسى؛ لقيام غالبها على الأحكام. وشريعة أصلها الفضل، وهي شريعة عيسى؛ لقيام غالبها على الترغيب والأخلاق. وشريعة جمعت بين العدل والفضل، وهي شريعة نبيّنا محمد ، فهي أفضل وأكمل، وبها ختمت الشرائع. وأجاب أيضاً 5/76: أنه يصح قولهم: إن شريعة الكتابين كانت كافية، لو كانت محفوظة ولم تتبدل وتندرس أكثر معالمها، وقد بعث نبيّنا على فترة من الرسل.

فصل

ثم قلتم ختاماً: **وهذا الذي عرفنا من رأي النصارى الذين رأيناهم وفاوضناهم، والذي يحتجون به عن أنفسهم، فإن يكن ما ذكروه صحيحاً فلله <الحمد>[1] والمنة إذ وفقهم لذلك[2]، وإن كان بخلاف ذلك فينعم مولانا الشيخ المعظم فلان[3] بما يوضحه لنبيّنه للقوم ولنوقفهم عليه، فقد سألونا ذلك وجعلوا كليام فيه سفيراً، والحمد لله حمداً كثيراً[4].**

---

[1] كلمة (الحمد) ساقطة من الأصل، وهي في نسخ الرسالة.

[2] في الرسالة: (**إذ قد وفق الآراء وأزال التهم بين عباده النصارى والمسلمين حرسهم الله جميعاً**).

[3] لم يصرح باسم الشيخ، وكذلك في نسخ الرسالة، وفيها زيادة: (**أدام الله حراسته، وفسح في مدته**).

[4] في ختام نسخ الرسالة: (**فقد سألوني ذلك وجعلوني سفيراً،** (وفي ن2، ن3 زيادة: ومواسطاً فيه) **والحمد لله رب العالمين**). وفي ن2 زيادة: (**تمت الرسالة التي حضرت من قبرص وجزائر البحر المحيط بمعونة الله تعالى**). وفي آخر مخطوطة الرسالة ن1: (**لخص هذه الرسالة وصححها أضعف عباد الله، وأحوجهم إلى رحمته: صليبا بن يوحنا القس الموصلي بمحروسته مدينة الماغوصة من أعمال جزيرة قبرس حماها الله تعالى، ووافق الفراغ في العشر الأوسط من شهر آب سنة ألف وستمائة وسبعة وأربعين لتأريخ الإسكندر اليوناني، الموافق لسنة ألف وثلاثمائة سنة وثلاثين مسيحية، المجانس للمحرم سنة سبعمائة وسبع** (كتبت: وسبعة) **وثلاثين هلالية، رحم الله من نظر فيه ودعا له بالمغفرة، وأصلح ما وجد من الزلل والخلل**).
والماغوصة مرفأ في شرق جزيرة قبرص، وفيها قلعة حصينة وكنائس، وتعرف اليوم بفاماجوستا تابعة لقبرص التركية. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ص: 2359. والناسخ هو صليبا بن يوحنا الموصلي النسطوري، ولد في سلخ القرن الثالث عشر الميلادي، له كتاب في أخبار بطاركة المشرق، مطبوع باسم

فالجواب: هداكم الله للصواب فقد أنصفتم في القول، وأتيتم بما عندكم، وقد سمعتم عن كل فصل جواباً فيه مقنع وكفاية، وإني والله والله لكم من الناصحين، فانظروا ما أوردته عليكم وتدبروه، وأحسنوا النظر فيه ترشدوا إلى الحق وإلى طريق الرشاد، ولا تكونوا كالذين دعوا إلى الهدى فأبوا وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون.

ولقد فكرت في قولكم: أن لا حاجة إلى من يأتي بعد المسيح! وإنه جحود للرسالة المحمدية ولكل نبي ورسول ممن تقدم على موسى عليهم السلام، ثم فطنت إلى أنكم أخذتم هذا النكر من السامرة المنكرين سائر النبوات إلا نبوة موسى ورسالته، ومن قولهم الهزاء في ذلك: إن كان الذي جاء به موسى مثل الذي جاء به من تقدمه فلا فائدة في مجيء موسى ومجيئه ثابت، وإن كان دونه فمحال، فبطل أن يكون قبله غيره / شريعة مشروعة، وإن كان الذي يأتي بعده يأتي بمثل ما أتى به فلا حاجة إليه، إذ هو من تحسين تحصيل الحاصل، وإن كان أنقص منه فكذلك، وإن كان أزيد فمحال؛ إذ ليس بعد الكمال كمال، وإن كان نسخاً أو عن بداء فمحال على الله أن يبدو له ما لم يكن، فبطل أن يأتي بعد موسى نبي آخر[1]. 96/أ

أسفار الأسرار، وله مشاركة في كتاب المجدل (موسوعة البطاركة). ينظر: معجم المؤلفين 5/21، ومقدمة د. صليبا لتحقيق الأسفار.

[1] النسخ: لغة: النقل والإزالة. واصطلاحاً: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخٍ. والبداء: الظهور، ويراد به: ظهور ما كان خفيّاً، أو استحسان شيء عُلم بعد أن لم يكن يُعلم. والفرق بينهما: أن النسخ متعلق بالأحكام والأمر والنهي، والبداء متعلق بالعلم، ولهذا يصح النسخ في حق الله؛ لتعلق الأحكام بالمصالح

والسامرة أخذوا هذا الكفران والجحود من منكري النبوات براهمة الهنود[1].

ويلزمكم أيها النصارى الرد على السامرة في جحودهم رسالة المسيح، أو الاعتراف منكم بتسليم ما ادعوه.

وأما نحن فقد أجبنا عن هذا الهذيان الملفق في أول كلامنا عند ذكركم لرسل المسيح واقتصاركم عليهم[2].

المتعاقبة، دون البداء؛ لأنه يستلزم الجهل. ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس 1/62، الأحكام للآمدي 3/110.

وقد أجمعت اليهود على منع نسخ شريعة موسى، واختلفوا في جواز النسخ ووقوعه، على ثلاث فرق: إحداها: منع إمكان النسخ عقلاً، ومنهم طائفة العنانية. والثانية: جوازه عقلاً ولكنه لم يقع، ومنهم طائفة الأشعنية. والثالثة: جوازه ووقوعه، وهم طائفة العيسوية، لكنهم قالوا: إن نبوة الأنبياء بعد موسى خاصة بأقوامهم، فلم يؤمروا بالنسخ. ينظر آراء فرق اليهود في النسخ وإبطالها عقلاً وشرعاً في: الفصل 1/179، الداعي إلى الإسلام ص: 318، التخجيل للجعفري 2/531، النسخ في القرآن لمصطفى زيد ص: 27.

(1) البراهمة: هي أصل الهندوسية وأعلاها. نسبة إلى الإله (براهما) أحد عناصر الثالوث الهندي، ووهم من نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام!. ومن مقالتهم المشهورة: إنكار النبوات والاستغناء عنها بالمعقولات!. في التبصير للإسفرائيني ص: 150: (البراهمة ينكرون جميع الأنبياء، ولكنهم يقولون بحدث العالم وتوحيد الصانع). وموطنهم الهند، وهم فرق وطبقات. ينظر: الفصل لابن حزم 1/137، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للأعظمي ص: 519، البرهان للسكسكي ص: 87.

وقد نقل الشهرستاني في الملل والنحل 2/1271 حجة البراهمة في إنكار النبوات، وهي شبيهة بحجة السامرة واليهود في إنكار نبوة نبيّنا محمد ﷺ، وخلاصتها: إن كان ما أتى به النبي معقولاً فيكتفى بالعقل عنه! وإن لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً؛ لأنه خروج عن حدّ الإنسانية.

(2) ينظر: ما سبق في ل ب/50 ص248.

وأما قولكم: بأن أفاضلكم سألوا إيضاح ما نعلمه مما ذكروه وادّعوه لتوقِفوهم عليه: فقد تقدم من القول ما هو كفاية.

وأقول وأقسم بالله العظيم: إنه لولا مراعاة المجاوب جناب النبوة الشريفة، وانتمائكم إليها بالمحبة والتعظيم، وملاحظته لمقتضى الشريعة الإرادية وجريان أحكامها، وعلمه بصحة رسالة المسيح السيد وما جاء به من عند الله تعالى، واطلاعه على الأغلوطات ومحزاتها الواقعة ب/96
من أتباعه أهل دين النصرانية، ومعرفته للمبتدعين ما ابتدعوه مما لم يكتبه الله عليه، وشهوده لقصور أفهامكم وجمودها / على تجسيم المعاني، وتقليد الخالف للسالف تقليداً بغير تدبّر ولا تعقّل، ولا معرفة بما يجب ويجوز ويستحيل عقلاً وشرعاً وعادة، لكشفت الغطا، وبيّنت الصواب والخطا.

وسأذكر نبذة حسنة تزكي العارف الفطن، وتوقظ الغافل الوسن[1]، فأقول:

إن السيد المسيح عليه السلام لما أرسله الله تعالى إلى الأمم الأربع الذين كانوا في زمنه، أعني: اليهود، والمجوس، والصابئة، والفلاسفة، أولي الآراء والنحل[2]، وأظهر لهم ما أظهره من العجائب والمعجزات، وألاح لعقولهم ما ألاحه من بهر نور العرفان القدسي الخاطف للبصائر، كخطف البرق اللامع للبصر، أغشى أعين بصائر بني إسرائيل بما غشاها من بهر ذلك النور اللائح لهم، وهم في ظلم أكوانهم وعَمَه حيلاتهم، وحجب عوائدهم

---

[1]) في الأصل كتبت: (الأيسن)، والمثبت أوفق للسياق. ومعنى الوسن: أول النوم. ينظر: لسان العرب 15/216.

[2]) غلط المؤلف في دعوى عموم رسالة المسيح إلى أمم زمانه، وإنما رسالته خاصة في بني إسرائيل. ينظر: تعليق سابق في ل ب/15 ص135.

أ/97

الحاجبة عقولهم عن النفوذ في العرفان إلى ما هو من وراء طورها وفوق شهودها، وجذبهم بقوة بهر ذلك النور عن الصابئة عبدة الكواكب وروحانياتها وأصنامها الموضوعة لها كالمظاهر بزعم عبدتها، وعن تجسيم اليهودية المستقرّ اعتقاده في نفوسهم بما فهموه الفهم المعكوس من ظواهر ألفاظ التوراة وكتب أنبيائهم، كالإخبار بالشبه والمثال وذكر الاستراحة والاستلقاء والوضع لرجل على أخرى[1]، وكالإشارة إلى أن آدم يريد أن يكون كواحد منّا، والقول بأنه جاء / من سيناء، وأمثال هذه[2].

ونَزَعهم - أعني: المسيح - عن مهلكة غلط الثنوية القائلين بإلهين اثنين، وحذّر من قولهم واعتقادهم، وأوضح دهش الفلاسفة وحيرتهم، ونهى عن الإصغاء إليهم، فثبّت بصائر المؤمنين به والتابعين له لرؤية ذلك البهر العرفاني، وفهموا بالحال والذوق معنى قول الله تعالى في كتابنا المبين: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □) الآيتان[3]، ولمّا فهموا ذلك وتحقّقوا معناه سكروا بعد الصحو، وغرقوا في لجة بحر المحو، ثم أفاقوا قائلين: (□ □ □ ی ی)[4].

---

1) هذا مما وصفت به اليهود رب العالمين، تعالى عن قولهم . كما في سفر التكوين: 2/3. قال الشهرستاني في الملل 1/519: (وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض استوى على عرشه، مستلقياً على قفاه، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى). وما يروى من أن الله استلقى ووضع رجلاً على رجل، حديث منكر. ينظر: السلسلة الضعيفة للألباني (ح 755).

2) سبق سياق المؤلف لمثل هذا في مواضع متفرقة، منها: ل أ/5 ص95، ل ب/59 ص272، والتعليق عليه في موضعه.

3) آخر سورة فصلت: الآيتان 53، 54.

4) سورة آل عمران: آية 52.

ورأى ذلك الضوء الباهر طائفة منهم فظنوه ناراً أو نوراً معهوداً فاقتحموا الفحص عنه بآرائهم، وكان مثلهم عند رؤيته واقتحام العرفان به كمثل الفراش عند رؤية المصباح في الظلمة: يقتحم النور والإشراق، ولا يخشى اللهب والإحراق، فيهلك حرقاً وغرقاً، ثم أخبر بعض هذه الطائفة لتابعيهم عن رؤية ذلك الضوء الباهر وما اقتضته آراؤهم في معناه، فجسّم التابعون السامعون لذلك الخبر معانيه، وألحدوا في آيات الله تعالى وفيه، وغلوا غلوّاً كبيراً، وأعماهم الحب وأصمّهم، فأطروا وتماروا، وظنّوا ب/97
المعاني مباطن المباني، وسمّوا المباني مظاهر المعاني، واختلطت أفهامهم فشبّهوا الأول بالثاني، واستنجدوا بالثاني[1]، / فكانوا من الأخسرين أعمالاً، وجل الله وسبحانه وتعالى.

ومن هؤلاء التابعين من تحيّر وقال بالوقفة، وسرت فيهم رقيقة الصابئة، فقالوا: باتخاذ آلهة كثيرة مشتركين في الإلهية بزعمهم وفي الخلق والأمر، وصنعوا لهم تماثيل مظاهر يتعبدون لها ويتضرعون عند المهمات والملمات إليها، ويقربون لها الدّخنات، وينذرون إليها النذور، وحاكوا[2] الصابئة في كثير من أفعالهم.

ومن هؤلاء التابعين المذكورين من سرت فيه رقيقة الثنوية، فثنّوا وأشاروا إلى الإلهين المزعومين بالتصليب على وجوههم بأصبعين، واتخذوا رؤوس تيجانهم شعبتين، وقالوا بالطبيعتين والمشيئتين، وحاكوا المجوس الثنوية، والتحشية في تشويههم لصورهم وحلقهم لذقونهم وأوساط رؤوسهم، ووقود القناديل والشمع ليلاً ونهاراً،

---

1) في الأصل كتبت: (واستنتجوا بالثا)، ولا معنى لها، والثاني: المسيح.

2) في الأصل كتبت: (حكوا) في الموضعين.

والتحلي بالذهب والجواهر ولبس المصبغ عند العبادة اقتفاءً بالمجوس.

ومنهم أيضاً من سرت فيهم هذه الرقيقة فتحيروا ووقفوا عن القول بإلهين، فجمعوا لهم بآرائهم إلهاً واحداً في التسمية مثلثاً في الكنه مركباً، وسمّوا تثليثه: أباً وابنا وروحاً. ومنهم من سمّى: أباً وابناً وأمّاً. يعنون: الشيء والحياة والنطق، فالشيئية الواجبة والحياة مريم والنطق 98/أ
الممكن المسيح الصالح لأن يكون / إلهاً ولا يكون إنساناً، ولأن يكون قادراً ولا يكون عاجزاً.

ومن هؤلاء الأتباع[1] من سرت رقائق عدة وتزاحمت فاندهشوا، ووسوست لهم نفوسهم فرجعوا إلى الفلسفة الفجّة البتراء، ورأوا رأياً فلسفيّاً في الإنسان أنه زبدة الأكوان، وفيه بالقوة وبالفعل ما في سائر العالم من معقولات ومحسوسات، مندرجة فيه بادية منه ظاهرة عليه شاهدة له محصلة عنده صادرة عنه، وأنه يعلم بعض الكليات علماً بكلية القائم به، فقالوا: إنه مظهر العقل، والعقل مظهر الباري. وخصصوا المسيح بذلك؛ لما ظهر منه من العجائب والمعجز، وسيما كونه تكلم في المهد، ولم يعلموا أن صبي يوسف تكلّم في المهد شهادة ببراءة يوسف[2]، وصبي اليمامة تكلّم في المهد شهادةً بأن محمداً رسول الله ثم لم يتكلم بعدها حتى شب، كما في التواريخ من كلامه[3].

---

1) في الأصل كتبت: (التباع) .

2) جاء في سورة يوسف: آية 26، وقد اختلف في الشاهد، فقيل: صبي أنطقه الله، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم، وقيل: رجل حكيم من أهلها. والأول رجحه الطبري والشنقيطي وغيرهما. ينظر: تفسير ابن كثير 4/384، أضواء البيان 2/217.

ومنهم أيضاً من سرت فيهم الرقيقة اليهودية فجسّموا وأغلظوا في التجسيم، فركبوا الإله تركيب الجسوم، وقالوا بحلوله واتحاده بالأبدان، ولم يفرقوا بين معنى القدم وبين معنى الحدث ولا بين الواجب والممكن، وكان هؤلاء شرّاً مكاناً وأضل سبيلاً.

ولو أن هذه الفرق الضالة سمعوا ما أنزل إلى الرسول النبيّ الأمي خاتم النبيين وصاحب التمام والذي وجب عليهم أن يسمعوا منه / ويطيعوه لاهتدوا من الضلالة وأنقذوا من الجهالة، وكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين (الآية)[1]، القائلين في الإله من حيث المعقول المبرهن والأدلة القطعية والحق الصرف[2]: ب/98

نؤمن أن الله سبحانه شيء لا كالأشياء، واجب الوجود لذاته، لا يتصل به شيء من الممكنات، ولا يتحد به منها شيء، ولا يحلّ بها <ولا تحلّ به>[3]، ولا يمتزج بشيء

---

3) الخبر رواه البيهقي في دلائل النبوة 6/59، وقال: إن صحت فيه الرواية. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة رقم: (2844). وفيه: معرض - أحد رواته - وشيخه مجهولان، وكذلك شاصويه، واستنكروه على الكديمي. قاله ابن حجر في الإصابة 6/124.

وأصح منهما: ما رواه البخاري (ح 3436)، ومسلم (ح 2550)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى. . وصاحب جريج. . وصبي يرضع من أمه).

1) إشارة إلى الآية 69 من سورة النساء، قال تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ).

2) ما سيذكره المؤلف - غفر الله لنا وله - من اعتقاد إنما هو من عقيدة المتكلمين واستدلالاتهم المبتدعة، ولا حاجة لها في الرد على النصارى، بل هي مما تضعف بها الحجة وتزيد في المحاجّة. فليت المؤلف ما أدرج هذا في كتابه، ولو سلك طريقة القرآن والالتزام بألفاظه وأدلته في بيان العقيدة لكان غاية في البيان وصحة الاستدلال.

3) زيادة من هامش الأصل. وينظر: التعليق السابق على مثل هذه الألفاظ المجملة في ل ب/63 ص282، ل أ/94 ص378.

منها ولا تمتزج به، ولا ذاته علة لذواتها ولا ذواتها معلولة لذاته، وأنه سبحانه أوجدها بقصده واختياره لا بالطبع والقوة، وأنه لا متصل بالعقل الأول ولا متّحد به ولا ممتزج به؛ لأنه لو كان متصلاً بالعقل الأول اتصالاً لازم الثبوت[4] لزم منه ما ذهب إليه القائلون بالعلة والمعلول، وهو محال، كما ندل عليه[5].

وإن كان منفصلاً عن العقل الأول بالانفصال اللازم الثبوت لزمه الحصر بذلك الانفصال اللازم الثبوت.

وثبوت الانفصال المطلق إن كان واجباً معه قديماً لزم منه قدم المنفصل عنه، وهو محال، وإن كان ليس بقديم ولا واجب فهو ممكن، وإذا كان الانفصال ممكناً استحال لزوم ثبوته على الإطلاق، فهو لا متصل به على الإطلاق ولا منفصل عنه على الإطلاق.

---

(4) لازم الثبوت عند المتكلمين: كل ما يلزم ويقبل الارتفاع بالوهم دون الوجود. بخلاف الذاتي: الذي لا يرتفع بالوهم ولا في الوجود. والعرضي: الذي يقبل الارتفاع في الوجود والوهم. وقد يتداخل الذاتي بلازم الثبوت فلا يظهر فرق. ينظر: معيار العلم ص: 97.

(5) العلة عند الفلاسفة: ما يتوقف عليه وجود الشيء خارجاً ومؤثراً فيه، وهي عندهم أربع علل: مادية، وصورية، وفاعلة، وغائية، والغائية هي: التي يكون وجود الشيء من أجلها، وهي أيضاً: إما أن تكون تامة، وتسمّى المستقلة، وهي التي يجب وجود المعلول عنها. أو ناقصة، وهي بخلافها. ينظر: التعريفات للجرجاني ص: 154، المعجم الفلسفي 2/97.

وقول الفلاسفة هو أن العلة مع المعلول علة غائية تامة تستلزم معلولها فلا يتأخر ولا يتقدم، كما يفيض النور من مصدره، ولازم قولهم أن لا يحدث شيء، وأن كل ما حدث في العالم إنما حدث بغير إحداث، وهذا ظاهر البطلان لكل أحد، وفيه سلب للقدرة والإرادة وصفة الخلق للخالق. ينظر: تهافت الفلاسفة ص: 48، مجموع الفتاوى 18/225، الملل والنحل للشهرستاني 2/1119.

وسيأتي إبطال المؤلف له بعد صفحات. وقوله: (محال)، المحال: ما يمتنع وجوده في الخارج. والممتنع: ما يستحيل وجوده على الإطلاق. المعجم الفلسفي 2/423. وظاهر صنيع المؤلف عدم التفرقة بينهما.

وكذلك مجموع الممكنات؛ فإنها في قبضة الإحاطة الوجودية، لا متصلة بذاته ولا منفصلة عن إحاطته، لأن / الذاتين القائمتين بنفسيهما لا تدخل إحداهما في الذات الأخرى بمعنى الامتزاج والاتحاد؛ لأن الذاتين لا يكونان واحداً، والقائمين بنفسيهما لا يكونان في حيّز واحد، لكن عند حلول أحدهما في الحيّز ارتفاع للثاني من ذلك الحيّز، فيمتنع حلول القديم والممكنات في حيّز واحد معاً، فلزم أن لا يكون حالّاً في ذاته <شيء>[1] ولا ذاته حالة في حيّز العالم؛ لأن القديم لا يمازج الحوادث ولا يقبل الحلول بها، ولا تقبل القائمات بأنفسها القيام بغيرها، فالعالم بأسره وحيّزه خارج عن ذاته تعالى منفصل عنه مباين له بالذات والحقيقة[2]. 99/أ

ومن الدليل على ذلك: أننا تأملنا العالم، علويه وسفليه، وكلياته وجزئياته، وجواهره وأعراضه، وسائر الموجودات، فوجدناها ممكنات الوجود والعدم، ووجدنا لها محيطاً حاوياً لها تتناهى إليه، ولم نجد وراءه وجوداً ممكناً، ولا وراء خلقه خلقاً؛ لأنه لو كان وراء الممكنات ممكنات ووراء الممكن ممكن لتسلسلت الممكنات إلى غير نهاية، وللزم من إيجاد الممكنات إلى غير نهاية عدمُ الواجب الوجود إلى غير نهاية، ولأن الغيرين لا يجتمعان فيما لا يتناهى معاً[3]، والوجود حكم لازم الثبوت واجب

---

[1] زيادة من هامش الأصل.

[2] ينظر في امتناع الحلول: حجة الإمام أحمد في الرد على الجهمية ص: 301، وشرحها في درء التعارض 6/134. وينظر نظير حجة المؤلف في: أبكار الأفكار للآمدي 2/52، نهاية العقول للرازي، وتعليق ابن تيمية عليه في بيان تلبيس الجهمية 5/24.

[3] الغيرين: الممكن إلى غير نهاية، والواجب إلى غير نهاية. و الواجب عند المتكلمين: عبارة عن ما يلزم من فرض عدمه محال. والممكن: عبارة عن ما لو فرض موجوداً أو معدوماً لم يلزم عنه لذاته محال، ولا يتم ترجيح أحد الأمرين إلا بمرجح من خارج. ينظر: المبين في ألفاظ

الوجود، فلا يوجد وجود إلا به، فإذا لم يكن واجب الوجود ثابتاً فلا يثبت وجود الممكنات، فثبوت وجود الممكنات في الشاهد دليل على / ثبوت واجب الوجود[1]. ب/99

وقولنا: واجب الوجود أي: لازم الثبوت حكم ضروري[2]، وذلك أن الوجودات المسلسلة إلى غير نهاية لا تتحصل إلا بالوجود الواجب الذي يتناهى وجودها إلى وجوده، وهو غير متناهٍ[3] لغيره، لأنه لما كان مجموع الممكنات محصوراً من طرفي الآخرية والأولية والبداية والنهاية كان أولها مسبوقاً بعدم وجودها، فإن كان السابق أيضاً مسبوقاً بعدم وجوده تسلسلت الوجودات السابقة إلى غير نهاية.

ولما كانت عدمات الموجودات سابقة للموجودات وأن كل موجود يتقيد بالأولية فأولية وجوده مسبوقة بعدمها، فإذا طردت[4] الموجودات السابقة إلى غير نهاية لزمها عدمات إلى غير نهاية عكساً؛ لأن عدم الموجودات سابق لوجودها إلى غير نهاية، وإذا لم تتناهَ عدماتها لم يتحصل

الحكماء والمتكلمين للآمدي ص: 327 ت. الأعسم، معيار العلم للغزالي ص: 343.

[1] هذا دليل (الممكن والواجب) عند فلاسفة ومتكلمي أهل الإسلام، قرره ابن سينا والجويني وطوره الرازي والآمدي، وأصله من دليل الحدوث عند المتكلمين. وتمام هذا الدليل بإبطال الدور والتسلسل، وقد جعل الرازي والآمدي ذلك ضروريّاً. ينظر في تقريرها: أبكار الأفكار 1/227، وتعليق ابن تيمية عليه في درء التعارض 3/92، وغاية الدليل: إثبات واجب الوجود من غير تعيين أو مباينة للعالم، فضلاً عما فيه من صعوبة إثبات ومخاطرة في المعتقد. ينظر: درء التعارض 8/156، الصفدية 2/212.

[2] في الأصل كتبت: (حكماً ضروريّاً).

[3] في الأصل كتبت: (متناهي)، وكذا فيما يأتي مثلها.

[4] في الأصل كتبت: (طرت) وهو غلط.

وجودها، ولمّا تحصّل وجودها في الشاهد لزم من ذلك تناهي عدمها إلى وجودها، ويلزم من تناهي عدمها إلى وجودها تناهي وجودها إلى عدمها، والوجود والعدم المتناهيان مسبوقان بوجود غير مسبوق بعدمه، وهو المشار إليه بالوجود المطلق، الذي لا أول له، ولا هو محصور بين طرفي الأولية والآخرية، ولا هو مسبوق بعدم ذاته ووجوده، وإن عدم الممكنات مسبوق بوجوده الواجب، ووجودها مسبوق بعدمها، فذلك هو المشار إليه بواجب الوجود[1]. / 100/أ

والرب المعبود الذي لولا وجوده الواجب لم يكن يتحصل لما بعده وجود، وهذا معنى قولنا: إن الوجود حكم لازم الثبوت أزلاً وأبداً، والممكنات بين أزليته وأبديته في أوليتها وآخريتها؛ لأنه لما استحال أن تكون الممكنات غير متناهية الطرفين فثبت أنها متناهية إلى منتهى محيط بها ممكن الوجود وهو العقل الأول والحجاب الأعظم، عاد الكلام على المحيط بالعقل الأول الذي إليه المنتهى فرأيناه واجب الوجود لا غيره، لأننا دلّلنا على أن لو كانت الممكنات أخذت في الوجود إلى غير نهاية استحال أن يجتمع الواجب والممكن فيما لا يتناهى معاً، أو تكون الممكنات غير متناهية الوجود، فيكون الواجب معدوماً إلى غير نهاية أو يكونا موجودين فيما لا يتناهى معاً، وذلك أعظم استحالة؛ لأن إيجاد متغايرين فيما لا يتناهى محال؛ لاستحالة الجمع بين الضدين وتداخل الوجود في

---

[1] هذا من أدلة إبطال التسلسل عند المتكلمين، وينظر في نظيره: أبكار الأفكار للآمدي 1/231، واستدراكه عليها! وتعليق ابن تيمية عليها في درء التعارض 3/44، كما ذكر في 3/99 أربعة أوجه لإبطال التسلسل، منها: أن الموجودات بعضها ممكن وبعضها واجب، وأن الممكن مفتقر إلى الواجب، ولا يقوم بنفسه، فيكون متناهياً إلى موجبه وموجده.

الوجودين كما لا تكون الذات الواحدة ذاتين، فلزم من ذلك أن الممكنات متناهية إلى الواجب، وأن الواجب ليس بمنتهٍ إلى غيره، كما أن وجوده ليس بمتناهٍ إلى عدمه ولا إلى وجود غيره، لأنه لو تناهى إلى غيره للزم أن يكون محصوراً بين حاصرين وللزم أيضاً أن يكون ذلك الغير متناهياً إلى الغير، وما تسلسل فلا يتحصّل[1].

وذلك بأن واجب / الوجود لمّا لم يكن إلا واحداً لزم أن لا يحيط به غيره، لأن ذلك الغير إن كان واجب الوجود لزم أن يكون واجبين وهو محال، وإن كان حادثاً فالحادث 100/ب

---

[1] وهذه الحجة لا تتم إلا على قول المثبتين للصفات وقيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح، وانقلاب الممتنع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، وهذا مما تجزم العقول ببطلانه، وبهذا استطالت الفلاسفة على المتكلمة الذين منعوا التسلسل، ولم يسلم الفلاسفة من الترجيح بلا مرجح؛ لأنهم زعموا أن الحوادث كلها حدثت بلا سبب وإنما بعلة مقارنة! فقول المتفلسفة أبعد عن الحق من المتكلمين ممن التزم الترجيح بلا مرجح في حادث معين. والفصل في المسألة: في إثبات الصفات لله تعالى وأنه لم يزل ولا يزال فاعلاً قادراً ذا مشيئة وحكمة. وفي بيان أن التسلسل - وهو ترتيب أمور غير متناهية - منه ما هو ممتنع: وهو التسلسل في المؤثرات والعلل. ومنه ما هو ممكن: وهو التسلسل في مفعولات الله أزلاً، فهو سبحانه لم يزل حيّاً قادراً مريداً. ومنه ما هو واجب: وهو ما دلّ الشرع والعقل عليه من دوام أفعال الله أبداً وأزلاً. وهذا من اتصاف الله بصفات الكمال، وأن صفاته وأفعاله قديمة متعلقة بذاته فلم يزل خلّاقاً مريداً، ومفعولاته حادثة مسبوقة بعدم، ويعرف هذا بمعرفة الفرق بين آحاد الحوادث وجنس الحوادث الذي لم يزل متعاقباً، وبمعرفة أنه لا يلزم من الحكم على الأفراد أن يكون حكماً على الجملة على كل حال، وقد قرر هذا بعض المتكلمين كالآمدي. وهذه المسألة من محارات العقول وصعاب المسائل؛ لذا كثر اضطراب الطوائف فيها، والله يهدي من يشاء إلى الحق. ينظر في تفاصيلها من كلام ابن تيمية: شرح حديث النزول ص: 419، منهاج السنة 1/299، الصفدية 1/144، درء التعارض 3/61، 144، 8/161.

لا يحصر القديم ولا يحيط به، لأن الواجب الوجود هو الذي لا يتقيد بالحصر لأنه مطلق الوجود، فلزم أن يكون محيطاً بالمتناهيات ولا تحيط به، وأن لا يكون في مكان لاستحالة النهاية عليه، لأن المكان: عبارة عن الظرف الحاوي للموجود المحوِي[1]، وواجب الوجود مطلق لا يحتويه المكان والزمان، لأن المكان لا يخرج عن تحديد الجهات الست، فهو إما أن يكون فوقاً لما تحته أو عكسه أو محاذياً لما وراءه أو مقابلاً لما هو أمامه أو متناهياً نحو يمينه أو شماله، وكل هذه الأقسام باطلة؛ لأنه لو كان فوقاً لما تحته لزمه الحدّ[2] والحصر والتناهي إلى ذلك التحت وبه، فإن كان ذلك التحت قديماً لزم منه وجود واجبين وهو محال، وإن كان حادثاً تبين أن القديم محصور بالحادث وهو محال، وكذلك القول فيما فوقه،

---

[1] هذا موافق لتعريف الحكماء (الفلاسفة)، وإليه مال الرازي والآمدي من المتكلمين، والمكان عندهم له حقيقة ووجود. وعند المتكلمين أن المكان: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه، وهو عند أكثرهم لا حقيقة له ولا وجود. وهناك أقوال أخرى ذكرها الأشعري في مقالات الإسلاميين 2/115. ولا فرق بين المكان والحيز اصطلاحاً عند الأكثر، وفرّقَ بينهما بعضهم: بأن الحيز أعم، وقيل: الحيز تقدير المكان، وقيل غير ذلك. والجهة والحيز أو المكان معان متقاربة، وهي من مقولات الأين؟ وإن كانت الجهة تدل على منتهى الحركة والحيز على ما تصح فيه الحركة. ينظر: معيار العلم ص: 303، المبين للآمدي ص: 349، التعريفات للجرجاني ص: 244، المواقف للإيجي وشرحها للجرجاني 5/138، منهاج السنة لابن تيمية 2/555، المعجم الفلسفي 1/419.

[2] الحدّ لفظ مجمل، لم يرد في النصوص نفياً أو إثباتاً، فإن أريد به معنى صحيح قُبل، كمراد من أطلقه أنه سبحانه بائن من خلقه، أو مراد من نفاه بأن العباد لا يمكنهم إدراكه أو إدراك صفاته أي: علم كيفيتها، وهذا هو المعنى الوارد عن السلف كابن المبارك والدارمي. وإن أريد به معنى باطل لم يقبل. ينظر: مجموع الفتاوى 3/41، وبيان تلبيس الجهمية 2/627.

ولو أنه تحت لما فوقه أيضاً للزم التقسيم الأول والتقدير الأول وهو محال، وكذلك القول باستحالة حصره في سائر جهاته، فلزم من ذلك أن يكون وجوده تعالى لذاته منزهاً عن المكان والجهة والحيّز والتناهي والحصر والفوق والتحت[1].

---

[1] نفي المكان عن الله تعالى بدعوى التناهي والحصر بالجهات الست قال به المتكلمون، وهي شبهتهم في نفي علو الله المكاني واستوائه على العرش، وقد ذكر نظير هذه الحجة الرازي في أساس التقديس، وأفاض في ردها ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية 3/305، وفي درء التعارض 6/287، كما ذكرها الآمدي في أبكار الأفكار 2/38 واعترض عليها.

ومما ذكر ابن تيمية في إبطال قول نفاة العلو والاستواء: أن ألفاظ المكان والحيز والجهة ألفاظ مجملة اصطلاحية لم ترد في النصوص الشرعية، وفيها حق وباطل، ولذا كان الواجب فيها الاستفصال كسائر المجملات، قال الإمام ابن تيمية في درء التعارض 7/15: (وهؤلاء يتكلمون بلفظ الجهة والحيز والمكان، ويعنون بها تارة أمراً معدوماً، وتارة أمراً موجوداً، ولهذا كان أهل الإثبات. . . منهم من يطلق لفظ الجهة، ومنهم من لا يطلقه. . . وكذلك لفظ المكان. . . وأما لفظ المتحيز فمنهم من ينفيه، وأكثرهم لا يطلقه ولا ينفيه؛ لأن هذه ألفاظ مجملة تحتمل حقّاً وباطلاً. وإذا كان كذلك؛ فيقال: قول القائل: إن الله في جهة أو حيز أو مكان. إن أراد به شيئاً موجوداً غير الله، فذلك من جملة مخلوقاته ومصنوعاته، فإذا قالوا: إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه امتنع أن يكون محصوراً أو محاطاً بشيء موجود غيره، سواء سمي مكاناً أو جهة أو حيزاً أو غير ذلك، ويمتنع أيضاً أن يكون محتاجاً إلى شيء من مخلوقاته: لا عرش ولا غيره، بل هو بقدرته الحامل للعرش ولحملته، فإن البائن عن المخلوقات العالي عليها يمتنع أن يكون في جوف شيء منها. . . وإن أراد بمسمّى الجهة والحيز والمكان أمراً معدوماً، فالمعدوم ليس شيئاً، فإذا سمّى المسمِّي ما فوق المخلوقات كلها حيزاً وجهة ومكاناً، كان المعنى: أن الله وحده هناك، وليس هناك غيره من الموجودات: لا جهة ولا حيز ولا مكان، بل هو فوق كل

وهو في ذاته مطلق الوجود ليس معه في ذاته غير ذاته، ولا محصور بغيرٍ لوجوده الحاصر غيره، ولا / تدرك الأفهام لوجوده نهاية، ولا تبلغ الأوهام لذاته غاية؛ لأن الأفهام والأوهام إنما تتصور ما دخل تحت الحدود والتناهي والمقدار والحيّز والمكان والزمان، وما لا يتقيد بهذه التقسيمات فلا يدركه إلا هو ولا يعلمه سواه، وذلك 101/أ

موجود من الأحياز والجهات والأمكنة وغيرها، سبحانه وتعالى). وينظر: منهاج السنة 2/556.

كما ردّ رحمه الله الزعم بحصر الجهة بالجهات الست ولوازمها، فقال في درء التعارض 6/327: (الجهات قسمان: حقيقية، وإضافية. فالحقيقية جهتان: وهما العلو والسفل، فالأفلاك وما فوقها هو العالي مطلقاً، وما في جوفها هو السافل مطلقاً. وأما الإضافية فهي بالنسبة إلى الحيوان، فما حاذى رأسه كان فوقه، وما حاذى رجليه كان تحته، وما حاذى جهته اليمنى كان عن يمينه. . .)، ثم ضرب مثالاً: بما لو علق رجل وكانت رجلاه إلى السماء ورأسه إلى الأرض، كان هذا باعتبار الجهة الحقيقية لم يتغير الحكم، بخلاف الإضافية، وعليه: فليس الذين في جهة من الأرض تحتاً لما يقابلهم من جهتها الأخرى، بل كلهم فوق الأرض وتحت السماء، والله من فوقهم سبحانه. ومما يقال أيضاً: أن العلو والإحاطة لا يتنافيان ولا يتناقضان، والعلم بالعلو غير موقوف على العلم بالإحاطة ولا شرط فيه؛ فإن المخلوق قد يكون ممسكاً بيده حمصة محيطاً بها وهو فوقها، ولا يلزم أن يكون شكلها شكل يده ولا شكل يده شكلها، وقد يجعلها تحت قدميه وهو عالٍ عليها من غير أن يكون محيطاً من كل جهة، والناس يعلمون أن السماء فوق الأرض قبل أن يخطر بقلوبهم أنها محيطة بها، فإذا صحّ ذلك في المخلوقات وكان ممكناً من غير أن يقال: إنها تحت، وإن ذلك نقص، فالعلي الأعلى المحيط بكل شيء الذي لا يقدر العباد قدره الذي تكون الأرض قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، كيف يتعذر في حقّه؟! مع توافر النصوص بأوجه مختلفة على وصفه بالعلو وأنه مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى. وينظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص: 293، مختصر الصواعق المرسلة 3/1061، 1273.

لأن العلم به وحقيقته لا يطابقه من جميع الوجوه؛ لأن حقيقة العلم إنما هو: معنى يطابق ماهية المعلوم على ما هو المعلوم عليه[1]، وقيام معنى المطابق لما لا يتناهى في علم المتناهي محال؛ لأن العقول متناهية بحد الحدود والكميّة والتناهي فلا يتعدى طوره ولا يدرك ما هو خارج عن حصره، فالعلم به لا يطابقه من جميع الوجوه لأحد من خلقه كلياتها وجزئياتها[2].

فإن قال قائل: إن قولكم هذا يدل على واجبٍ لوجودٍ محيطٍ بمنتهى إحاطة العقل الأول وبما سواه من العقول والجواهر الروحانية والأفلاك والعالم كله من جميع الوجوه، وذلك يؤدي إلى محالات:

أحدها: أنه يكون متناهياً إلى المحيط بها -أعني: العقول الأُول المتناهية إليه- والمحيط بالشيء فإنه محاط بمحيطه؛ لأن وجود المحاط مقابل لوجود المحيط من سائر جهاته.

---

(1) ينظر: معيار العلم ص: 76، المعجم الفلسفي 2/99.

(2) هذه قاعدة نفيسة في العلم الإلهي، وهي مقتضى ما قرره السلف من التسليم للنصوص وعدم معارضتها بالعقول، فلا يدرك حقيقة ذاته إلا هو سبحانه، ولا نثبت له إلا ما أثبت له الوحي الصادق ولا نتعدى بعقولنا.

وهنا ملاحظات: إحداها: ليت المؤلف قرر هذه القاعدة وعمل بها في تقريره الواجب في حق الله تعالى؛ فلم يورد تسميات لم ترد مع إغفاله طريقة القرآن في إثبات وحدانية الله سبحانه.

الثانية: أن هذا الكلام ربما أطلقه النفاة للصفات لنفي أن يكون لذاته كيفية وكنه.

الثالثة: أن عدم إدراك كنه ذات الباري ليس خاصّاً بالوهم أو الخيال أو الحس، بل حتى العلم والعقل.

الرابعة: أن قوله: (مطلق الوجود. . .) مآله إلى الوجود الذهني الذي نسبه إلى المعطلة. ينظر: بيان تلبيس الجهمية 1/310.

والثاني: أن ذلك يلزم المقابلة من جميع الجهات، والمقابلة يلزم منها أن يكون ذا جهات من ذاته، وقد دلّلتم على أن الجهات في حقه محال.

والثالث: أن الإحاطة بالجهات الست[1] يلزم منها التجويف بذات / المحيط بالمتناهيات[2]. ب/101

فالجواب: أن الحصر الضروري ألزم الإحاطة، وهو أننا دلّلنا على استحالة كون واجب الوجود فوقاً لما تحته أو تحتاً لما فوقه أو محصوراً بجهاته؛ لأنه تعالى منزه عن ذلك، ودلّلنا على أنه سبحانه قائم بذاته لا في مكان وليس له في ذاته جهة ولا لغيره؛ لاستحالة النهاية على ذاته إلى غيره، ورأينا العالم بأسره متناهياً محصوراً فيما لا يتناهى، فرأيناه لا يتصف بالمكان والحصر والجهات، فلم نر تلك الصفات من صفات الممكنات المتناهية، وليس وراء الممكنات وجود ثان سوى وجود الواجب الوجود، فلزمنا الحصر الضروري ثبوت الإحاطة، لأنه تعالى إذا لم يكن فوقها ولا تحتها ولا في جهة من جهاتها ولا خارجاً عنها ولا داخلاً فيها؛ فيتبيّن أنه تعالى ليس بموجود! لأنه لا يكون موجودٌ داخلٌ في الوجودية يخرج عن هذه التقسيمات اللازمة، إلا ما ذهبت إليه المعطلة من القول بالوجود الذهني الذي لا حقيقة له في الخارج

---

1) في الأصل كتبت: (الستة) وكذلك مثيلاتها فيما سيأتي.

2) هذه اللوازم المذكورة (التناهي، المقابلة بالجهات، التجويف) إنما تلزم على من جعل الواجبَ بوصفه محيطاً مفتقراً للمحاط، وهو لازم يفر منه المعطلة؛ لاعتقادهم أن إثبات الصفات لازمه الافتقار! وهذا من شؤم قياس الخالق بالمخلوق، ففروا من التشبيه إلى التعطيل، والافتقار لفظ مجمل، إن أريد أنه يفتقر إلى شيء مباين عنه، سواء كان شرطاً أو علة؛ فهذا ممنوع. وإن قيل: إنه مفتقر إلى نفسه، كان حقيقته أنه لا يكون موجوداً إلا بنفسه، وهذا المعنى حق. وإن قيل: مفتقر إلى صفاته اللازمة أو جزئه أو لوازم ذاته، كان حقيقته أنه لا يكون موجوداً إلا بصفات الكمال، وهذا حق، وليس مفتقراً في كل ذلك إلى غيره. ينظر: درء التعارض 1/282، 4/204.

بوجه من الوجوه[1]، أو الاتحادية القائلون بأنه هو العالم والعالم هو، ظاهره خلق وباطنه حق، فظاهر العالم بأسره أسماء للواجب وصفات![2]

وقد دلّلنا على استحالة هذه المذاهب، واستحالة القول بالحلول / كذلك. 102/أ

فلمّا لم تحط الممكنات به تعالى أحاط بها، ولما لم تحصره الجهات حصرها، ولما استحال عليه الحلول بحيّزها لزم مباينته بالذات عن ذوات الممكنات والحلول بها، فهذه الأقسام الضرورية لا ريب فيها ولا مخرج منها[3].

---

[1]) المعطلة: وصف لكل من عطل الباري عن ما يجب له من الأسماء أو الصفات، وأعظمهم الفلاسفة والجهمية، وإليهم يشير المؤلف، فالقول بالوجود الذهني بمعنى: أن الكليات موجودة في الخارج. هو قول الفلاسفة، والباطنية، والجهمية، الذين يسلبون عن الله كل وصف وجودي، ويجعلونه كليّاً مطلقاً، وهذا لا يوجد إلا في الأذهان لا في الخارج. وأصل ضلالهم: اشتباه ما في الأذهان بما في الأعيان، وأن ما في الذهن من الكليات مطابق لما في الخارج، وأنه يصح أن يكون في الخارج مطلق، والحق خلاف ذلك. ينظر: الصفدية لابن تيمية 2/279، تأريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ليوسف كرم ص: 70. وهذا الغلط سرى إلى كل من عطل الباري عن صفاته من المتكلمين، الذين لا يصفونه إلا بالسلوب أو بالإثبات المطلق الذي لا حقيقة له في الخارج. ينظر: درء التعارض 1/116، 5/127، التدمرية ص: 116.

[2]) الاتحادية: هم أهل وحدة الوجود، وأن الوجود والموجود واحد، والحلول والاتحاد طريق وسلّم إليها أو تجوز بالعبارة، ولذا سمّوا اتحادية وحلولية ووجودية. ينظر: درء التعارض 8/243، حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص: 4، عقيدة الصوفية ووحدة الوجود الخفية د. القصير ص: 55.

[3]) وهذه حجة الإمام أحمد على الجهمية، في القسمة العقلية الحاصرة للخالق والمخلوق إما أنه خلقه في نفسه، أو خارجاً عنه ثم دخل فيه، أو لم يدخل فيه، والأولان باطلان باتفاق، ولم يذكر أنه لا خارج ولا داخل؛ لأن هذا من شأن المعدوم لا

وأما قول القائل: إنه يلزم من إحاطته بالجهات أن يكون تعالى بمعنى الإحاطة مقابل الجهات، فإن ذلك لا يضر؛ لأن الوجود والمحيط بسائر الجهات تعتبر في بحر ذاته الغير متناهٍ كنقطة ماء، ولا يمنع أن يقابل بنقطة ماء من وجود إحاطته بسائر الممكنات بمجموعها، وهذا دليل على الكمال[1].

وأما قول القائل: إنه يلزم من إحاطته بالمتناهيات التناهي إليها من جميع الجهات. فإنه محال؛ لأن التناهي عبارة عن الدخول تحت حصر الكميّة وحدّ الماهية وتحديد الأينية، وتناهي الذات والوجود إلى أن يتناهى طرفاها من جميع الجوانب حتى تحدد له جهات ست ويحيط به من فوقه ومن تحته وحوله، وهو سبحانه منزه هنالك عن الفوقية والتحتية والجهات والحدّ حتى تلزمه هذه
المحالات، فلا فوق ولا تحت ولا جهة له ولا حدّ ولا مقدار ب/102
ولا تناهي لذاته[2].

الموجود القائم بنفسه. ينظر: درء التعارض 6/136.

[1] التزام المؤلف بالمقابلة ولو بنقطة من بحر يفسد ما قرره من نفي الجهة؛ لأن النقطة الواحدة وملايين النقط المتناهية لا فرق بينها في مقابل اللامتناهي، وهذا يفسد أيضاً برهان التطبيق المعتمد عند المتكلمين؛ لأن حادثاً واحداً أو ملايين الحوادث لا فرق بينها ما دام أحد طرفي السلسلة غير متناهٍ، وإذا كانت العقول متقاصرة عن استيعاب عدد من عوالم مع العالم المشهود، فهي لما لا يتناهى أضعف، ولذا كان من كمال العقل: الاستسلام للوحي المعصوم؛ بأن يوصف الله بالعلو، لا أن يصحح المقابلة من كل جهة وإن كان كنقطة بحر! فإن هذا يصحح وصف أنه تحت، تعالى الله عن ذلك. ينظر: درء التعارض 9/177، 201.

[2] هذه الحجة غايتها تنزيه الله من العدم، وهو لا يفيد شيئاً؛ لاتفاق أهل الملل عليه، وقد غلط المؤلف بعدم معرفة الفرق بين الجهات الحقيقية والإضافية، وقد بيّن الإمام أحمد حجة عقلية اعتبارية لاجتماع جهة العلو مع الإحاطة، فقال في الرد على الزنادقة والجهمية

فإن قال قائل: إن الإحاطة تلزم / أن يكون الوجود الذي هو محيط بجهة الفوق فوقاً لما تحته، والمحيط بجهة التحت للممكنات تحتاً لما فوقه، وكذلك حتى تتحدد له بالمقابلة جهات ست محيطة لمقابلة الجهات الست المحاطة.

فالجواب: أما تحديد الجهات: فإنها من حيث توجه الجهات إليه، لا من حيث إنه ذو جهات لذاته.

والثاني: أن الجهات المتوجهة إلى إحاطته بها إنما هي محدودة لنقطة الإحاطة بها، ونقطة الإحاطة جزء الماهية، والإحاطة بالجزء والتحديد له لا يلزم منه الإحاطة بالكل
ولا تحديد الكل[1].

وسآتيكم بنبأ غريب، وفصل أذكره للتأنيس عجيب، فأقول:

يا أيها القائل والمعترض، ويا أيها السامعون، اسمعوا وعوا، إن الأفهام إذا سارت بسير الأوهام في وسع وجود لا يتناهى فهي تسير إلى أن ينقطع، فإذا انتهى سيرها في تلك العظمة الغير متناهية ثم التفتت الأذهان إلى ما

ص: 93[2]: (لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير صافٍ، وفيه شراب صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه، وله المثل الأعلى، قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه)، وضرب مثلاً آخر فيمن بنى داراً وخرج منها. 103/أ

[1]) هذا من لوازم إنكار العلو لله سبحانه، فإن من توجهت له الجهات بلازم الحصر الضروري لا بد أن يكون في جهتها، ولو تحتاً! وإلا كان معدوماً، ومثل هذا الجواب ما ذكره الأشاعرة من إثبات الرؤية لا في جهة! وهذا تناقض؛ لأن كل مرئي لا بد أن يكون في جهة، وما ذكره الرازي في أساس التقديس ص: 97 من تعليلات هزيلة لتوجه الناس إلى السماء عند الدعاء الدال على علوه سبحانه، حيث علله بأنه مكان ظهور الأنوار في السماء، أو لكون الهواء فيها، أو لنزول الغيث منها، ونحوها. ينظر: إبطال ابن تيمية لذلك في: بيان تلبيس الجهمية 4/430، 481.

وراءها نحو الممكنات لرآها الذهن في حيّزها نقطة مختفية في إحاطة بحر غير متناهٍ، وإذا سرت فيما لا يتناهى تلاشت هنالك النقطة المتلاشية إلى أن لا يدرك لها وجود أصلاً، فينطمس معناها المحاط ومعنى الإحاطة كانطماس نقطة في ذاتية البحر المحيط، وكانطماس الطائر في الجو عن النظر بسبب البعد المفرط، فمن أين يقال: إن الطائر المختفي في الجو والنقطة المطموسة في البحر أحاطا في الطواميس الواسعة؟ /

ولا معنى للإحاطة إلا الحصر لمجموع ماهية المحاط وذاتيته ووجوده من كل الوجوه، وأما مجموع الممكنات فإنها فوق نقطة الإحاطة بحسب وسعها لا بحسب وجود المحيط بها، فإن الوجود والذات لا تحت له ولا فوق؛ لاستحالة التناهي عليه، وأما الفوق والتحت والجهات والحد فهي بالنسبة إلينا وإلى المتناهيات المحصورة بحدودها والمحدودة بحصرها.

وأما قول القائل: بأنه لو كان محيطاً بالجهات الست لزمه التجويف[1] المحدد بالإحاطة. فذلك محال من وجوه:

أحدها: أن الإحاطة تلزم التجويف للأجسام أو الجواهر المحيّزة، فمن ليس هو بجسم ولا جوهر ذي حيّز ولا محصور بمماثل من أين يلزمه التجويف بالإحاطة كما يلزم الأجسام والجواهر المحيّزة التجويف بالإحاطة؟! إذ الإحاطة وجودها الداخل في الحيّز لما في إحاطته، ولمّا استحال كونه جسماً أو جوهراً ذا حيّز استحال أن يدخل عليه بالإحاطة من التجويف ما يدخل على الأجسام والجواهر المحيّزة، ولمّا كان مغايراً للأجسام والجواهر المحيّزة فكذا إحاطته بالممكنات مغايرة لإحاطة الأجسام ب/103

[1]) التجويف: هو فراغ في داخل الشيء. ينظر: المعجم الوسيط ص: 148.

بالأجسام والجواهر بالجواهر، والمغاير بالذات والحقيقة والإحاطة بالأجسام مغايرها بالأحكام، فإذا لزمها بالإحاطة التجويف لم يلزم المغاير / لها من حكم ما لزمها فلا يلزمه التجويف[1].

الوجه الثاني: أنه إن صح بأن تدرك ماهيته وحقيقته وكنهه أو تعقل لزم أن يعقل لإحاطته بالممكنات التجويفُ، وإذا لم يصح إدراك الماهية والحقيقة لا يتصور التجويف أبداً بوجه من الوجوه[2].

وكذلك إذا لم يكن محصوراً باتصاله بمنتهى الممكنات والأجسام كيف تدخل عليه هذه المحالات المتخلّية عن الأفهام؟! وهو أنه تعالى لما استحال عليه الحلول بالذات والحقيقة في حيّز العالم لزم الذات التباين؛ لاستحالة الحلول، ولما كانت الممكنات بأجسامها وجواهرها وأعراضها ومجموعها متناهية لزم أن تتناهى إلى الواجب، لأنها لو تناهت إلى ممكن آخر والممكن إلى ممكن، فلا بد أن تتناهى الممكنات على كل تقدير، فإن لم تتناهَ عدم

---

[1] ومثل ذلك يقال في جميع ما أثبت من الصفات الواردة، فإن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر. ونفي بعض الصفات بدعوى التجسيم لازم لجميعها؛ لذا كان مقتضى الشرع والعقل الإثبات من غير تمثيل. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (التدمرية) 3/17.

[2] وهذا معنى قول السلف: القول في الصفات كالقول في الذات، وفرع عنه، فإذا لم تدرك كنه ذاته مع إثباتها فكذلك لا يدرك كنه صفاته. قال ابن القيم في الصواعق المرسلة 3/940: (المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها، فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها: جسماً، كما أنا لا نسبّ الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم: نواصب. . . ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا: حشوية، ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك: مجسِّماً ومشبهاً). وينظر: مجموع الفتاوى 3/25.

وجود الواجب، وعدم وجود الواجب محال، فاستحال أن تكون الممكنات غير متناهية.

والوجه الثالث: أننا لما عقلنا الموجودات بأسرها والممكنات بمجموعها، ورأيناها متناهية من طرفي الأولية والآخرية ومحصورة تحت الكميّة والحدود والماهية، وأن مجموعها محصور تحت إحاطة العقل الأول المحيط[1] بالعقول والنفوس والأرواح والجواهر الروحانية وسائر الممكنات، ورأينا تلك الإحاطة العظيمة الحاوية للكل ذات حيّز لا يخرج عن الماهية والكيفية /، وكل داخل تحت الماهية والكيفية فإنه معقول للعقول، محصور بالحد، محدود للذهن، متناهٍ بحاصره، محاط بماهيته، فلزمه التناهي الذاتي، وذلك التناهي الذاتي محاط بغيره لا ريب[2]. 104/أ

وذهب الفيلسوف[3] ها هنا إلى القول باتحاد ذات المحيط المشار إليه بالمحاط، ولزوم اتحاد ذاته بذاته أزلاً وأبداً، فهما واحدٌ بالوجود والقدم، وأن الرتب ألزمت

---

[1] في الأصل (المحيطة).

[2] يلاحظ ضعف الجواب، وسببه عدم التفريق في تسلسل الحوادث بين منع تسلسل آحادها وجوازه في نوعها وجنسها الذي هو مقتضى دوام أفعال الله تعالى. ينظر: الصفدية لابن تيمية 2/175.

[3] ما ذكره المؤلف هو من آراء أرسطو، وهو المراد غالباً عند الإطلاق. وقد ذهب أرسطو إلى القول باتحاد النفس بالبدن، وقد استمد من ذلك النصارى دليلاً على اتحاد اللاهوت بالناسوت، كما أشار إلى ذلك الغزالي، وأجاب عنه: بأن غاية ما عندهم هو التقليد المحض للفيلسوف، وأن القياس بين النفس والباري قياس باطل؛ لفقدان العلة المصححة للقياس، كما أنه من قياس التعقيد المهجور، الذي هو محاولة لإثبات حكم خفي بما هو أخفى منه!. ينظر: الرد الجميل ص: 236، وتقديم د. حلمي ص: 161.

التسميات الممتازة[1]، فاصطلحوا - أعني: الفلاسفة – على رتبة بالعناصر[2]، وعلى أخرى بالهيولى والصورة[3]، وعلى أخرى بالنفس حيث هي محل المدبِّرات[4]، واصطلحوا على المحيط بها: بالعقل، وعلى الوجود المحيط بالعقل: بالباري، وقالوا بارتباط الذوات الجامعة معاً أزلاً وأبداً، واصطلحوا على المحيط أيضاً: بالعلة، وعلى المحاط: بالمعلول، وقالوا: إن الأجسام مظاهر العقل الفعال، والعقل مظهر الباري ومعلول ذاته، اندفع عنه بالقوة والطبع لا بالقصد والاختيار.

---

[1] ذكر الفارابي وابن سينا أن الرتب ست: الأول ثم العقول التسعة أو الثمانية أو السبعة ثم العقل الفعّال الذي يفيض بعالم العناصر (علم الكون والفساد) والرابط بين العالم العلوي والسفلي ثم النفس الكلية ثم الصور ثم المادة. على خلاف في بعض التفاصيل، وقد حاول ابن سينا تنزيل هذه الرتب على الأسماء الدينية من العرش والكرسي وحملة العرش والقلم وجبريل الأمين. وكل ذلك رجم بالغيب وتخرصات لا دليل عليها، ينظر: تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص: 378، ومجموع الفتاوى 17/286، وتعليق سابق في ل ب/86 ص348.

[2] العناصر: العنصر: اسم للأصل الأول الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطباع، وهو أربعة عند القدماء: الأرض والماء والنار والهواء. وعند أرسطو العنصر الخامس: مادة الأجرام العلوية. ينظر: التعريفات ص: 163، المعجم الفلسفي 2/112.

[3] الهيولى: لفظ يوناني، بمعنى: الأصل والمادة. وفي الاصطلاح الفلسفي: هي جوهر وجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة. ينظر: التعريفات ص: 279، المعجم الفلسفي 2/536. والصورة التي تقابل الهيولى: الموجود في شيء آخر لا كجزء منه، ولا يصح وجوده مفارقاً عنه، وهي ما يعين الهيولى. ينظر: معيار العلم ص: 297، الملل والنحل 2/978.

[4] المدبِّرات: هي العقول والنفوس الفلكية المدبِّرة لأجرام الأفلاك بزعمهم.

وقالوا: إن العلة والمعلول والمظهر والمبطن منهما وجود الأزل، وإن العقل الأول حامل صفات الإلهية ليس فوقه صفة تعقل ولا قصدية تتحصل سوى وجود فرداني، ب/104 يفيد العقلُ المادةَ الثبوتية والقوة الوجودية طبعاً بالخاصة والقوة، والإحكام / والتدبيرات والاختيارات إنما تتجلى من ذات العقل لذاته، وأن رتبة العقل محل الاختيارات والتدبيرات والتصورات، وأن الباري منزه عن قيام ذلك بذاته، بل هو ذات مجردة ووجود مطلق لا يحد بحصر ولا يحصر بحد[1].

فنظرنا - نحن المسلمين[2] - فيما ذهبوا إليه، فظهر لنا خطؤهم في كثير منه، ودليلنا على ذلك: أن الرب رب لذاته والعبد عبد لغيره، والرب لا يكون عبداً، فلو كان الرب هو العقل والعقل هو الفلك لم يكن بين حقيقة العقل وحقيقة الفلك تغاير في الذات والحقيقة، وكذلك لم يكن بين ذات الفلك وحقيقته وبين عالم العناصر القابلة الاستحالات تغاير، ولما ظهر في الشاهد تغاير الفلك وذات العقل عن حقيقتهما وعن حقيقة ذوات العناصر، دل ذلك على التغاير، وإذا لزم التغاير من هذا الطرف أمكن تغاير ذلك الطرف المتناهي للعقل إلى

---

[1]) ينظر ملخص رأي الفلاسفة وأرسطو في: الجمع بين رأي الحكيمين للفارابي ص: 101، النجاة لابن سينا ص: 249، والإشارات والتنبيهات له 3/119، الملل والنحل 2/963، فصل المقال: 42.

وينظر في الرد عليهم: الصفدية 1/85، درء التعارض 3/412، 9/278، الرد على المنطقيين ص: 214، ثلاثتها لابن تيمية. وللمتكلمين: الشامل للجويني ص: 229، تهافت الفلاسفة للغزالي ص: 134، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول للمكلاتي ص: 155، نهاية الإقدام للشهرستاني ص: 56، أبكار الأفكار للآمدي 2/258.

[2]) في الأصل (المسلمون).

وجود الباري تعالى، وإذا أمكن التغاير لزم الانفصال الذاتي، والانفصال الذاتي يمنع الاتحاد وثبوت الاتصال المطلق بالعقل الأول أزلاً وأبداً[1].

ودليل ثانٍ: أن عالم العناصر قابل للتغير والاستحالة، وتلك التغيرات تلزم تغير صفات العقول المتعلقة بها، 105/أ
وتغير صفات / العقل المعلولة يلزم منه تغيرات حدثت في علته الأولى؛ لأن العلة تفيد المعلول للكون والفساد والتغيرات، والمعلول لا يفيد العلة، فكان يلزم أن تكون العلة المغيرة صادرة عن العلة الأولى، وقبول تغيرات صفات العلة الأولى يلزم عنه تغير الحقيقة عمّا هي عليه، وثبوت العلة الأولى على حقيقة واحدة يُلزمهم ثبوت حقيقة المعلول على حالة واحدة، مع كون تغير المعلولات وقبولها للاستحالات محالاً، وما يفضي إلى المحال محال؛ لأنه كيف يحلّ التغير في المعلول ولا يكون ذلك التغير مبدله عن العلة الأولى؟! وكما كانت العلة مفيدة المادة والثبوت والبقاء، وكل ذلك منبعث عنها بالقوة، كيف لا تكون تلك التغيرات منبعثة عنها بالقوة؟! ولا فرق، فإن كانت التغيرات في المعلولات انبعثت عنها بالقوة والطبع لزم أن يكون أصل التغير في ذات العلة الأولى، وتغير المعلولات تبع لها، وإن كان محل التغير في المعلولات ولا تشعر العلة به ولا هو صادر عنها فكذلك أيضاً لا يشعر المعلول بالعلة ولا يتصل بالمادة كما لا تتصل العلة الأولى بالتغير[2].

---

[1] للآمدي كلام نحوه في أبكار الأفكار 2/62 ردّاً على قول النصارى بالاتحاد، وأن المغايرة تمنع الاتحاد. وينظر في إبطال الاتحاد: المحصل للرازي ص: 112، حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص: 27.

[2] نقض قول الفلاسفة بالتغير والاستحالة في عالم العناصر هو بمعنى حدوث الحوادث اليومية المشاهدة، كما يقوله

ب/105 فإن ألزمونا اتصال المادة والقوة من العلة إلى المعلول ألزمناهم اتصال التغير / من المعلول إلى العلة.

فإن قالوا: إن المعلول يقبل المادة طبعاً والعلة تقبل التغير طبعاً، وقوتها دافعة التغير على الإطلاق. فالجواب: إن قوابل المعلولات متعلقة بخاصيّة عللها بالقوة، والعلة متحدة القوة بالمعلول طبعاً، والاتحاد يلزم الاشتراك في سائر الأحكام؛ لأن اتحاد قوابل المعلول بقوة العلة وخاصتها المقبولة باعثة أحكام التغيرات إلى العلة بواسطة العلة المجردة المتعلقة بالذاتين، كما هي باعثة المادة والثبوت الوجودي أزلاً وأبداً.

وقالوا أيضاً: إن وجود المعلول متولد عن العلة وفائض عنها بالقوة، وإن الفيض المعلول لم يزل متعلقاً بعلته، وإنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد، ولا يجوز أن يصدر عن الواحد اثنان، وذلك لأن المعلول الفائض عن العلة بالطبع والخاصة لا يغاير طبيعة العلة أبداً بوجه من الوجوه، كما أن الحرارة المدفوعة عن النار لا تغاير طبع النار.

فقلنا لهم: كان يلزم من هذا أن يكون طبع آخر المعلول ملائماً لطبيعة أول العلل، ويلزم من ذلك استحالة التغاير بين العلة والفيضة بالطبع وبين معلولها الفائض عنها؛ لأنه هو نفس طبيعتها بعينه، كما أن
أ/106 الحرارة نفس طبيعة النار بعينها، ووجوه تغاير طبع المعلولات / في الشاهد يدل على استحالة هذا القول، وكذلك استحالة أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد، فذلك

المتكلمون. ينظر: المواقف للإيجي ص: 376، ويتم نقض قول الفلاسفة: بإثبات قادر مختار ما شاء كان واجباً بغيره لا بنفسه، بدلاً من الإيجاب الذاتي الذي يقتضي قدم شيء من العالم أو سلب شيء من صفات الكمال للباري سبحانه. وأيضاً: بأن استلزام المعلول لعلته يعقبه مباشرة ليس مقارناً له ولا متراخياً عنه. ينظر: منهاج السنة 1/163، درء التعارض 2/325.

الواحد الصادر إن كان مغايراً لطبيعة علته لزم أن لا يكون صادراً عنه بالطبع والقوة؛ لأن الطبع لا يخالف نفسه، وهو المطلوب، وإن كان صادراً عنه وهو ملائم لطبعه كملاءمة الحرارة لطبيعة النار فكان يلزم أن لا يصدر عن الواحد إلا واحد بملاءمة الطبع، وذلك يلزم استحالة التغاير بين العلة والمعلول والصادر والصادر عنه، ووجود تغاير طبائع الموجودات في الشاهد وتغاير حقائقها وذواتها يدل على استحالة هذه الدعوى الباطلة، وذلك بأن تغاير الحقائق وذوات الممكنات وتغاير طبائعها يدل على انفصال ذواتها؛ لأن الغيرين لا يتلاءمان بالطبع، والمتلائمين[1] لا يتقاطعان؛ لأن الطبيعة لا تفارق نفسها، فواجب الوجود لمّا كان مغايراً للعقل الأول امتنع أن يكون علته، وإذا امتنع أن يكون علته لزمه الانفصال واستحال الاتحاد والممازجة والتعلق اللازم أزلاً وأبداً، وهو المطلوب[2].

ولمّا علمنا هذا وفهمناه حق فهمه، ودلّلنا عليه بالأدلة القاطعة لم يأخذنا شبه الحلولية ولا الاتحادية ولا الوحدية، ب/106
/ ولا المعطلة، ولا المشبهة ولا المجسمة، ولا الدهرية،

---

1) في الأصل كتبت: (الميلان)، ولا معنى لها، والمثبت أقرب للمعنى.

2) من ردود الغزالي في تهافت الفلاسفة ص: 134: أن قول الفلاسفة من أنه موجب بالذات، وأن العلة مقارنة لمعلولها، وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد: فيه سلب للباري أن يكون فاعلاً أو أن له فعلاً أو أن العالَم المختلف في تراكيبه مفعول له. ومن ردود الإمام ابن تيمية على الفلاسفة في نظرية صدور الواحد عن واحد: أنها تناقض نظرية الخلق والتدبير التي جاءت في كلام الأنبياء الدالة على كمال مشيئة الباري وحكمته، وأيضاً: أن الواحد البسيط لا يمكن أن يصدر عنه شيء، بل كل ما في الخارج إنما يصدر عن اثنين فصاعداً. ينظر: مجموع الفتاوى 17/286، شرح الأصفهانية ص: 46، المحصل للرازي: 145، أبكار الأفكار للآمدي 2/258.

ولا أهل الحيرة والوقفة، بل قلنا كما قال أبونا وأبوكم إبراهيم عليه السلام: وجهنا وجوهنا للذي فطر السماوات والأرض حنفاء مسلمين وما نحن من المشركين[1].

وقال كل واحد منّا ما أمر الله سبحانه لنبيّه محمد أن يقول بقلبه ولسانه ونقوله نحن كذلك: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) الآيتان[2].

انقضى الكلام على معرفة الإله جل جلاله من حيث المعقول والرأي البادي للعقل السليم، وما يجب للإله من الوصف وما يجوز وما يستحيل[3].

وواحسرة عليكم أيها النصارى، الإخوان في النوعية والشخصية، لو أنكم تعقلون هذا القول الذي ذكرته لكم ودلّلت به وأوضحته، وأرجو إن شاء الله تعالى أن تعقلوه ليتبين لكم ما بان لنا، وتعلموا[4] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وإن كان لكم مخرجٌ وبرهانٌ مخالفٌ[5] للحق فأتوا به! ولا برهان لكم ولا مستند ولا أثارة من علم ولا سابقة

---

1) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام: آية 79 حين أبطل حجج مشركي زمانه: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ).

2) الآيتان من سورة الأنعام: 162، 163.

3) معرفة الله وما يجب له وما يمتنع عليه التي هي أصل الدين وأساس الهداية إنما تعرف عن طريق الرسل، وقد جاؤوا بتوحيد الله وتعظيمه وتنزيهه، بأوضح العبارات وأصدق الأدلة، وما ذكره المؤلف تبع فيه طرائق المتكلمين المبتدعة من الاعتماد على الألفاظ المجملة والأدلة الموهمة، وهذا هو (الكلام المذموم عند السلف، كلام من يترك الكتاب والسنة، ويعول في الأصول على عقله، فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله؟). ينظر: درء التعارض 7/275.

4) في الأصل (تعلمون).

5) في الأصل (مخرجاً وبرهاناً مخالفاً).

ممن تقدّمكم من الأمم، تجعلون لأنفسكم فينا أسوة! ولا أسوة لكم، والسلام على من اتبع الهدى.

تم الجواب بالنفثات السُّبوحية عن رسالة أهل الملة المسيحية
على يد الفقير إلى من هو بالعفو جدير: أبي بكر بن علي بن عوض النزوحي 107/أ
في خامس عشرين ربيع الأول من عام 773[1] /.

---

[1] هذا آخر ما وجد في المخطوط الأصل، وأبو بكر بن علي وهو ناسخها، ولم أجد له ترجمة.

هذا ختام التعليق على التحقيق، سائلاً الله التسديد والتوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات، وبعد.

فإن جواب شيخ الربوة محمد بن أبي بكر الدمشقي رحمه الله على رسالة نصارى جزيرة قبرص أحد الجهود العلمية الإسلامية الذي دافع به افتراءات النصارى في القرن الثامن الهجري، وبعد دراسته وتحقيقه تبيّن لي:

أن الجواب مما يستعان به على معرفة عقائد النصارى وإبطالها، فقد أتى على مجملها، وهو من الجهود المتوسطة غير الطويلة المملة ولا القصيرة المخلة، كما أنه متوسط في قيمته العلمية، ولعل التحقيق يكسبه رتبة أعلى.

أيضاً: أهمية رسالة النصارى فهي جامعة لأغلب الشبهات التي يثيرها قساوسة النصارى في كل زمن، وقد نقلها شيخ الإسلام في الجواب الصحيح كاملة بنصها وأجاب عليها بما لا مثل له، فلا غنى لدراسي النصرانية ومناظري أتباعها منه.

ومما يجمل توقيعه في الختام ما يلي:

أولاً: خطر التشكيك في الإسلام ومصادره، وأهمية استشعار ذلك، ووجوب الدفاع عن الإسلام وأهله بالعلم والحكمة في كل زمن.

ثانياً: تهافت شبهات النصارى أمام العقل الصحيح، وأهمية قيام مجادلة النصارى على المعقولات الصحيحة السالمة من الشكوك المؤيدة بالوحي المعصوم.

ثالثاً: أهمية الالتزام بالكتاب والسنة لفظاً ومعنى في مجادلة المخالف، والدعوة إلى أصول الدين من الأمر بالتوحيد وتصديق المرسلين، وعدم الخوض في المعقولات المبتدعة أو التواريخ المجهولة.

رابعاً: أثر التأويل الفاسد في تحريف كلام الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم، وأنه سبيل إبليس في إفساد نعمة الله على آدم وذريته، النعمة المعنوية من فهم كلام الله والرضا به، والنعمة الحسية من الوصول إلى مرضاة الله والتلذذ برؤيته ودخول جنته.

خامساً: أهمية الالتزام بالأساليب العلمية في الجدال، وتطلّب كمالات الأدب مع المخالف من الترفق والشدة، وأثر ذلك ولو بعد حين.

سادساً: من النصح لدين الإسلام نفي تحريف المبطلين وتأويل الغالين فيه، وأن لا يحابى في دين الله أحد من المسلمين، ولو كان ذلك في مناظرة أهل الكتاب والمشركين، فإن النعمة تامة والدين كامل والقائم بالحق منصور إلى قيام الساعة، كما لا يمكّن للمبطلين ولا يعانون في معرفة مواضع الخلل في أهل الإسلام ليتسللوا إليها بالتشكيك في جمال الإسلام وكماله، وإضعاف شوكة المسلمين.

سابعاً: أهمية إبراز الجهود العلمية لأهل العلم في مجادلة أهل الكتاب، وتقويمها وتصويبها على منهج السلف الصالح في مجادلة أهل الكتاب، وأن الخطأ في فهم منهج السلف في الرد على المخالفين مؤثر في ردّ الشبهات، كما

أن سلوك طرق المبتدعة موهن في قوة المجادل لأهل الكتاب والمشركين.

هذا آخر الختم، وأسأل الله حسن الختام، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنيّة.
- فهرس الأحاديث النَّبويّة.
- فهرس نصوص أسفار أهل الكتاب.
- فهرس الأبيات الشعريّة .
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس نصوص أهل الكتاب

أولاً: نصوص العهد القديم:

سفر أرميا

مع البشر)		
(قال الله: كما أن الحبشي لا يستطيع أن يكون أبيض فكذلك بنو إسرائيل)	13/14	221
(في ذلك الزمان يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور)	23/6	289

سفر حزقيال

(قال الله: إنما رفعت يدي عن بني إسرائيل)	20/23	221

سفر دانيال

(إلى أربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة يأتي المسيح)	دانيا 9/26	289
(أما رؤيا الملك رأس الصنم وعنقه من الذهب الخالص)	2/38	110
(سيأتي على شعبك وقرية قدسك سبعون)	9/24	224

سفر عاموس

(لا تذبحوا بعد العجول)	5/21	225

سفر ميخا

(قال الله: في آخر الزمان إذا أتى المسيح يدعو الأمم)	4/2	225
(وأنت يا بيت لحم قرية يهوذا)	5/2	291

سفر حبقوق

(إن الله في الأرض يتراءى)	3/2	291

سفر زكريا

(ابتهجي جدّاً يا ابنة صهيون)	9/9	118
(افرحي يا بيت صهيون)	2/10	290

ثانياً: نصوص العهد الجديد[1]:

1) أثبت في الفهرس ما ذكره متّى في إنجيله ولو ذكره غيره، وما ذكره مرقس مما لم يتفق فيه مع متى، وما ذكره لوقا مما لم يذكره متى ومرقس، وما انفرد به يوحنّا عن الثلاثة.

السجن)	الأولى (3/19)	
الأناجيل غير القانونية		
أن المسيح قبل السادسة من عمره خاطب المعلم والشاب والصغار كواحد مثلهم.	إنجيل الطفولة لتوما (6، 7)	339
أن يوسف النجار لم يخطب مريم وإنما كفلها لتسكن في بيته	إنجيل يعقوب الطفولي (9/12)	209

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصطلحات

فهرس الأعلام[1]

[1] () فهرسة العلم حسب الشهرة، وموضع ترجمته، مع إهمال (ابن) في الترتيب.

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع[1].

- أبجد العلوم، صديق حسن ط.دار ابن حزم ط.الأولى 1423هـ.
- أبكار الأفكار في أصول الدين الآمدي، ت.د.أحمد المهدي ط.دار الكتب والوثائق بالقاهرة ط.الثانية 1414هـ.
- *أبوكريفا العهد الجديد، جمع د.إبراهيم المطرزي ط.الأولى.
- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، د.عبدالرزاق قنديل ط.دار التراث بالقاهرة 1404هـ.
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة القرافي، ت.د.بكر زكي عوض ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الثالثة 1430هـ.
- نسخة أخرى: ت.د.ناجي داود رسالة غير منشورة في جامعة أم القرى 1404هـ.
- اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، لواء أحمد عبدالوهاب ط.دار وهبة بالقاهرة ط.الأولى 1407هـ.
- أدب الجدل والدفاع في العربية بين المسلمين والمسيحيين واليهود، موريتس شتينشندر تر.صلاح عبدالعزيز ط.المجلس الأعلى للثقافة بمصر 2005م.
- الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، د.أحمد حجازي السقا ط.دار الفضيلة بمصر 1991م.
- أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين، د.محمد شوقي الجزيري ط.دار الإرشاد ط.الأولى 1996م.
- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، المنسوب غلطاً للقرافي ت.دمشقية.
- *أديان العالم، حبيب سعيد ط.دار التأليف والنشر للكنيسة بالقاهرة.
- الاستقامة، ابن تيمية ت.د.محمد رشاد ط.مكتبة السنة بالقاهرة ط.الثانية 1409هـ.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د.علي وافي ط.دار نهضة مصر بالقاهرة.

[1] () وضعت الرموز التالية اختصاراً: (ن) نشر، (ت) تحقيق، (تر) ترجمة، (ط) طبع أو الطبعة، (*) مرجع مؤيد لعقائد أهل الكتاب.

- الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون وآخرون تر.سميرة عزمي ن.المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى 1426هـ.
- *أضواء على ترجمة البستاني (فاندايك)، د.غسان خلف ط.جمعية الكتاب المقدس ببيروت 2009م.
- إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي ت.د. ملكاوي ط.دار الحديث بالقاهرة ط.الثانية.
- الأعلاق النفيسة، ابن رسته ط.ليدن 1893م.
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد، القرطبي ت.أحمد حجازي ط.دار التراث العربي.
- الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء، د.ف.عبدالرحيم ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى 1413هـ.
- الإعلام بمناقب الإسلام، العامري ت.د.غراب ط.دار الأصالة بالرياض ط.الأولى 1408هـ.
- الأعلام، الزركلي ط.دار العلم للملايين ط.الخامسة عشر 2002م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي ت.علي أبو زيد وآخرون ط.دار الفكر المعاصر ببيروت ط.الأولى 1418هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم ت.الفقي ط.دار الكتب العلمية ببيروت 1412هـ.
- إفحام اليهود، السموأل بن يحيى ت.د.الشرقاوي ط.مكتبة الزهراء بالقاهرة.
- نسخة أخرى: بذل المجهود في إفحام اليهود ت.عبدالوهاب طويلة ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى 1410هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية ت.د.العقل ط.الرشد بالرياض ط.الخامسة 1417هـ.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ت.د.سالم القرني ط.العبيكان ط.الأولى 1419هـ.

- *إنجيل برنابا، تر.خليل سعادة ن.محمد رشيد رضا ط.مطبعة صبيح.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني ط.دار الكتب العلمية ببيروت ط.الأولى 1418هـ.
- البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، الشيخ زيادة بن يحيى ت.د.الخلف ط.الجامعة الإسلامية ط.الأولى 1423هـ.
- البداية والنهاية، ابن كثير ت.أحمد فتيح ط.دار الحديث بالقاهرة ط.الأولى 1413هـ.
- نسخة أخرى: ت.د.التركي ط.دار هجر ط.الأولى 1417هـ.
- البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، د.أحمد حجازي ط. دار البيان العربي 1977م.
- بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي تر.سميرة عزمي ن.المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية ت.مجموعة محققين ط.مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة 1426هـ.
- بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي ت.د.محمد شامة ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الثانية.
- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د.الزعبي ط.دار الآفاق العربية ط.الأولى 2013هـ.
- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د.عجيبة ط.دار الآفاق العربية ط.الأولى 2006م.
- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ت.د.بشار معروف ط.دار الغرب الإسلامي ط.الأولى 1424هـ.
- تأريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (تاريخ ابن الجزري)، ابن الجزري ت.د.عمر تدمري ط.المكتبة العصرية ط.الأولى 1419هـ.
- *تأريخ التراث العربي المسيحي، الأب سهيل قاشا ط.منشورات الرسل 2003م.
- تأريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي تر.صلاح الدين عثمان ط. جامعة الدول العربية.

- تأريخ العرب، د.فليب حتي وآخرون ط.دار العراب بدمشق 2013م.
- تأريخ الفلسفة العربية، د.جميل صليبيا ط.الشركة العالمية للكتاب ط.الثالثة 1995م.
- *تأريخ الفكر المسيحي، هيل جوناثان تر.سليم أسكندر وآخرون ط.دار الكلمة ط.الأولى 2012م.
- *تأريخ الكنيسة، يوحنا الأسيوي تر.صلاح محجوب ط.المجلس الأعلى للثقافة بمصر 2000م.
- *تأريخ الكنيسة القبطية، منسي القمص ط.مطبعة اليقظة ط.الأولى 1934م.
- *تأريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ت.مرقس داود ط.مكتبة المحبة.
- *تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ت.أنطون صالحاني اليسوعي ط.المطبعة الكاثوليكية ببيروت ط.الثانية 1958م.
- *تأملات في سفر دانيال، رشاد فكري ط.مطبعة الأخوة بالقاهرة 1990م.
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبدالجبار ت.عبدالكريم عثمان ط.دار العربية ببيروت.
- تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التأريخ أسبابه ونتائجه، د.بسمة جستينية ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى 1420هـ.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبدالله الترجمان ت.الداعوق ط.دار البشائر الإسلامية ط.الأولى 1408هـ.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني ت.د.محمود مكي ط.دورية الذخائر ديسمبر 2003م (109).
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، القاضي الجعفري ت.د.محمود قدح ط.العبيكان بالرياض ط.الأولى 1419هـ.
- التذييل والاستدراك على معجم المؤلفين، العلاونة ط.دار المنارة بجدة ط.الأولى 1423هـ.

- *تقديم الكتاب المقدس، د.القس أسطفانوس ط.دار الكتاب المقدس بمصر ط.الثالثة 2009م.
- *التوراة السامرية، تر.الكاهن أبو الحسن الصوري السامري ن.أحمد حجازي ط.دار الأنصار ط.الأولى 1398هـ.
- التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب ط.دار النفائس ببيروت ط.الثانية 1405هـ.
- التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، د.أبو بكر ثاني ط.الجامعة الإسلامية بالمدينة ط.الأولى 1433هـ.
- التناقض والتحريف في الأناجيل الأربعة، د.سارة العبادي ط.الرشد بالرياض ط.الثانية 1426هـ.
- *تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ابن كمونة اليهودي ط.دار الأنصار ط.الثانية.
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع محمد عزير شمس والعمران ط.عالم الفوائد ط.الثانية 1422هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ت.علي حسن وآخرون ط.دار العاصمة بالرياض ط.الثانية 1419هـ.
- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د.الخطيب ط.دار عالم الكتب بالرياض ط.الثانية 1406هـ.
- حول موثوقية الأناجيل، السعدي ن.رسالة الجهاد بليبيا ط.الأولى 1395هـ.
- *الخريدة النفيسة في تأريخ الكنيسة، الأسقف إيسودروس ت.د,ميخائيل أسكندر ط.مكتبة المحبة.
- *دائرة المعارف الكتابية، تحرير مجموعة من اللاهوتيين ط.دار الثقافة بالقاهرة ط.الثالثة.
- الدارس في تأريخ المدارس، النعيمي ط.دار الكتب العلمية ط.الأولى 1410هـ.
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف ط.أضواء السلف بالرياض ط.الخامسة 1427هـ.
- دراسات في الملل والنحل، د.الشرقاوي ط.مطبعة المدينة ط.الأولى 1414هـ.

- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط.الرشد الرياض ط.الثانية 1424هـ.
- الدراسات النفسية عند المسلمين الغزالي بوجه خاص، عبدالكريم العثمان ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الأولى 1408هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ت.محمد رشاد سالم ط.جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ط.الثانية 1411هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر ط.دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ط.الثانية 1395هـ.
- الدعوة إلى الإسلام، المستشرق أرنولد تر.حسن إبراهيم وآخرون ن.مكتبة النهضة المصرية.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ت.د.عبدالمعطي قلعجي ط.دار الكتب العلمية ببيروت ط. الأولى 1408هـ.
- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني ت.محمد قلعة وعبدالبر عباس ط.دار النفائس ط.الثانية 1406هـ.
- الديارات، أبو الحسن الشابشتي ت.كوركيس عواد ط.دار الرائد العربي بلبنان ط.الثالثة 1406هـ.
- ديوان ابن عربي، شرح أحمد حسن ط.دار الكتب العلمية ط.الأولى 1416هـ.
- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ، علي بن ربن الطبري ت.عادل نويهض ط.دار الآفاق الجديدة ببيروت ط.الأولى 1393هـ.
- *رجال الكتاب المقدس،القس إلياس مقار ط.دار الثقافة بالقاهرة ط.الثانية.
- رحلة الوزير في افتكاك الأسير، الغساني الأندلسي ت.نوري الجراح ط.دار السويدي بأبي ظبي ط.الأولى 2002م.
- رحيل الصليبيين عن الشرق، د.سعدون عباس ط.دار النهضة العربية 1995م.
- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، الغزالي ت.د.عبدالعزيز حلمي ط.المطابع الأميرية 1394هـ.

- الرد على الزنادقة والجهمية، الإمام أحمد بن حنبل ت.د.دغش العجمي ط.دار القبس ط.الأولى 1431هـ.
- نسخة أخرى: ت.د.الشرقاوي ط.دار الجيل ط.الثالثة 1410هـ.
- رسالة أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث، محي الدين اليعقوبي ط.دارة معهد الآداب الشرقية.
- رسالة خاتم النبيين محمد ضرورتها وطرائق إثباتها ولوازمها، د.ثامر غشيان ط.الرشد بالرياض ط.الأولى 1426هـ.
- رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا ت.حسن حنفي مراجعة.فؤاد زكريا ط.جداول ط.الأولى 2011م.
- الروح، ابن القيم ت.بسام العموش ط.ابن تيمية ط.الأولى 1406هـ.
- زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة، الأمير بيبرس الدوادار ت.دونالدس ط,المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت ط.الثانية 2010هـ.
- السياسة في علم الفراسة، شيخ الربوة الدمشقي ت.الشاغول ط.الجزيرة بالقاهرة.
- *سفر دانيال مفصلاً، ناشد حنا ط.مطبعة الأخوة بالقاهرة ط.الثانية 1995م.
- الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، د.عبدالعزيز صالح ط.مكتبة الأنجلو المصرية ط.الثانية 1979هـ.
- شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، الجويني ت.أحمد حجازي ط.المكتبة الأزهرية للتراث 2008م.
- الصابئة، د.أحمد العدوي ط.رؤية بالقاهرة 2012م.
- *الصحائح في جواب النصائح، الصفي بن العسال ط.مطبعة عين شمس.
- العبادات في الأديان السماوية، عبدالرزاق الموحي ط.دار الأوائل بدمشق ط.الأولى 2001م.

- العصر المماليكي في مصر والشام، د.سعيد عاشور ط.دار النهضة العربية بمصر ط.الثانية 1976م.
- عصر سلاطين المماليك، د.قاسم عبده ط.دار الشروق بالقاهرة ط.الأولى 1415هـ.
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير ط.إدارة القرآن والعلوم الإسلامية بكراتشي ط.الثالثة 1414هـ.
- عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك، للعيني ت.د.محمد أمين ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب 1412هـ.
- العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي ت.العمران ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى 1432هـ.
- *علماء مسيحيون في ديار المسلمين، الأب كميل اليسوعي ط.دار المشرق ببيروت ط.الأولى 2008م.
- *علماء النصرانية في الإسلام، لويس شيخو ت.كميل اليسوعي ط.المكتبة البولسية بلبنان 1983م.
- الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة للفخر الرازي، د.يوسف مراد تر.مراد وهبة ط.الهيئة المصرية للكتاب 1982م.
- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ت.د.محمد نصر د.عبدالرحمن عميرة ط.دار الجيل ببيروت 1405هـ.
- فصول في أديان الهند، د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط.دار البخاري بالمدينة ط.الأولى 1417هـ.
- فضح التلمود تعاليم الحاخاميين السرية، الأب آي بي براناتيس اعداد.زهدي الفاتح ط.دار النفائس ط.الثانية 1403هـ.
- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، د.الشرفي ط.دار المدار الإسلامي ط.الثانية 2007م.
- *فلسفة الكلمة (اللوغوس)، د.رشدي حنا ن.رابطة خريجي الكلية الأكليريكية بالقاهرة 1984م.

- الفهرست، النديم ت.رضا تجدد ط.طهران 1391هـ.
- *قاموس الكتاب المقدس، تحرير نخبة من اللاهوتيين ط.الحرية ببيروت ط.الرابعة 2005م.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي ط.دار الجيل.
- قبرس والحروب الصليبية، د.سعيد عاشور ط.الهيئة المصرية للكتاب ط.الثانية 2002م.
- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي ط.دار الحرم بالقاهرة ط.الأولى 2010م.
- قصة الحضارة، ديورانت تر.د.محمد بدران ط.دار الجيل.
- الكتاب المقدس، ط.جمعية الكتاب المقدس بلبنان (المشتركة) العهد القديم ط.الرابعة 1993م والعهد الجديد ط.الثلاثون 1995م.
- نسخة أخرى: ط.دار المشرق الكاثوليكية ط.الثالثة 1994م.
- نسخة ثالثة: ط.دار الكتاب المقدس بمصر 2004م.
- الكنيسة وأسرارها السبعة، جمال شرقاوي ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الأولى 1429هـ.
- الكوميديا الإلهية الجحيم، دانتي تر.حسن عثمان ط.دار المعارف ط.الثالثة.
- الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان ن. مكتبة النافذة ط.الثانية 2004م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ط.مجمع المللك فهد بالمدينة المنورة 1415هـ.
- *مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس ط.منشورات النور ط.الثانية 1998م.
- *مجلة المشرق الكاثوليكية ببيروت، إدارة. لويس شيخو (الأعداد من السنة الأولى 1898م حتى السنة الحادية عشر 1908م)
- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة ط.دار الفكر العربي ط.الثالثة.

- محمد ﷺ في أسفار المجوس الزرادشتيين، د.الشفيع الماحي ن.مجلة جامعة الملك سعود م6 العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (2) ص261 سنة 1414هـ.
- محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبدالأحد داود تر.محمد فاروق ط.العبيكان بالرياض ط.الأولى 1428هـ.
- *المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، الأب لويس شيخو ط.دار المشرق ببيروت ط.الثانية 2000م.
- المخطوطات الجغرافية العربية في مكتبة البودليان، د.النعيم ط.مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية 2006م.
- *المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد ط.الكنيسة الأسقفية بالقاهرة.
- مروج الذهب، المسعودي ط.الشركة العالمية للكتاب 1989م.
- المسند، الإمام أحمد ت.مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ط.مؤسسة الرسالة ط.الثانية 1420هـ.
- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبدالوهاب ط.مكتبة وهبة بالقاهرة ط.الثانية 1408هـ.
- *المسيحية والحضارة العربية، الأب جورج قنواتي ط.المؤسسة العربية للنشر.
- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير تر.د.عبدالحليم محمود ط.دار المعارف بالقاهرة.
- المسيحية (النصرانية)، ساجد مير ط.دار السلام بالرياض ط.الأولى 1423هـ.
- مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د.عبدالرزاق ألارو ط.دار التوحيد بالرياض ط.الأولى 1428هـ.
- معجم الألفاظ التأريخية في العصر المملوكي، محمد دهمان ط.دار الفكر بدمشق ط.الأولى 1410هـ.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي ط.دار صادر 1397هـ.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله ط.مؤسسة الرسالة.
- المعجم الفلسفي، د.جميل صليبيا ط.دار الكتاب اللبناني 1982م.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط. مكتبة الشروق الدولية ط.الرابعة 1425هـ.
- معيار العلم، الغزالي ت.د. سليمان دنيا ط.دار المعارف بالقاهرة 1969م.
- *مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية، بولس البوشي ت.الأب سمير خليل ط.المكتبة البولسية بلبنان 1983م.
- مقالات الإسلاميين، الأشعري ت.هلموت ريتر ط.مكتبة ابن تيمية ط.الثانية 1430هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون ط.دار الكتب العلمية ط.الأولى 1413هـ.
- الملل والنحل، الشهرستاني ت.د.محمد بدران ط.أضواء السلف.
- المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والدكتور فندر، ت.د.ملكاوي ط.دار ابن تيمية بالرياض ط.الثانية 1412هـ.
- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ط.مكتبة الصحابة ط.الأولى 1427هـ.
- مناظرة في الرد على النصارى، الرازي ت.د.النجار ط.دار الغرب الإسلامي 1986م.
- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية، د.عبدالراضي بن عبدالمحسن ن.مكتبة التربية الإسلامية بالقاهرة ط.الأولى 1412هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية ت.د.محمد رشاد سالم ط.جامعة الإمام بالرياض ط.الثانية 1411هـ.
- منهجية جمع السنة النبوية وجمع الأناجيل دراسة مقارنة، د.عزية طه ط.الثانية 1417هـ.
- المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ابن كنان الصالحي ت.د.حكمت إسماعيل ن.وزارة الثقافة السورية 1993م.

- *موجز تأريخ المسيحية، الأنبا ديوسقورس اعداد.ميخائيل أسكندر ط.مكتبة المحبة بالقاهرة.
- موسوعة الفلسفة، د.بدوي ط.المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط.الأولى 1984م.
- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف.د.حسين نصار ن.الجمعية المصرية لنشر المعرفة ط.الثالثة 2009م.
- *موسوعة آباء الكنيسة، تحرير.عادل فرج ط.دار الثقافة بالقاهرة ط.الثانية.
- موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، د.العبادي ط.الرشد بالرياض ط.الأولى 1426هـ.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د.المحمود ط.الرشد بالرياض ط.الأولى 1415هـ.
- *ميمر في إكرام الإيقونات، أبو قرة ت.د.الأب ديك ط.المكتبة البولسية بلبنان 1986م.
- نبوءات نهاية العالم عند الإنجيليين وموقف الإسلام منها، محمد عزت ط.دار البصائر بالقاهرة ط.الأولى 1430هـ.
- النبوات، ابن تيمية ت.د.الطويان ط.دار أضواء السلف بالرياض ط.الأولى 1420هـ.
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، شيخ الربوة الدمشقي ت.فرين ومهرن ط.الأولى 1886م.
- نسخة أخرى: ت.غسان الناصير وآخرون ط.دار العراب بدمشق 2013هـ.
- النسخ في القرآن الكريم، د.مصطفى زيد ط.دار الوفا ط.الثالثة 1408هـ.
- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د.محمد الحاج ط.دار القلم بدمشق ط.الأولى 1413هـ.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم ت.د. الحاج ط. دار القلم بدمشق ط.الأولى 1416هـ.
- هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د.منقذ السقار سلسلة الهدى والنور (4).

- الوافي بالوفيات، الصفدي ط.دار إحياء التراث العربي ط.الأولى 1420هـ.

فهرس الموضوعات (التفصيلي)

فصل (الأول)

فصل (الثاني)

فصل (الثالث)

فصل (الرابع)

فصل (الخامس)

الفهرس الإجمالي

تمت

والحمد لله رب العالمين.

بتأريخ 11/1435هـ